

The Islamic University of Gaza
Deanship of Research and Graduate Studies
Faculty of Usoul Eddeen
PH.D of Islamic Aqida & Contemporary
Doctrines



الجامعة الإسلامية بغزة
عمادة البحث العلمي والدراسات العليا
كلية أصول الدين
دكتوراه العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

المادية ودورها في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر عرض ونقض

Materialism and its role in the cognitive construction of contemporary atheism theories, a presentation and refutation

إعداد الباحث

عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح حمودة

إشراف

الأستاذ الدكتور

جابر زايد عيد السميري

قُدِّمَ هَذَا البَحْثُ إِسْتِكْمَالاً لِمُتَطَلِبَاتِ الحُصُولِ عَلَى دَرَجَةِ الدُّكْتُورَاهِ
فِي العَقِيدَةِ الإِسْلَامِيَّةِ وَالمَذَاهِبِ المَعَاوِرَةِ بِكُلِّيَّةِ أَصُولِ الدِّينِ فِي الجَامِعَةِ الإِسْلَامِيَّةِ بِغَزَّةِ

أغسطس/ ٢٠٢١م - ذو الحجة/ ١٤٤٢هـ

إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

المادية ودورها في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر

عرض ونقض

Materialism and its role in the cognitive construction of contemporary atheism theories, a presentation and refutation

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل الآخرين لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

I understand the nature of plagiarism, and I am aware of the University's policy on this.

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted by others elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:	عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح حمودة	اسم الطالب:
Signature:	عبد الفتاح حمودة	التوقيع:
Date:	٢٠٢١/٠٨/١٦ م	التاريخ:



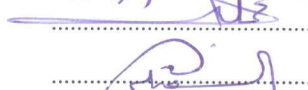
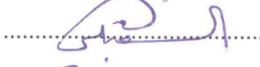
نتيجة الحكم على أطروحة دكتوراة

بناء على موافقة عمادة البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ عبدالفتاح فتحي عبدالفتاح حمودة لنيل درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/ قسم أصول الدين/ العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة وموضوعها:

المادية ودورها في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر
عرض ونقض

Materialism and its Role in the Cognitive Construction of Contemporary Atheism Theories A Presentation and Refutation

وبعد المناقشة التي تمت اليوم السبت 28 ذو الحجة 1442 هـ الموافق 2021/08/07م الساعة العاشرة صباحاً، في قاعة اجتماعات كلية أصول الدين اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ. د. جابر زايد السميري	مشرفاً ورئيساً	
د. أحمد جابر العمصي	مناقشاً داخلياً	
د. محمد مصطفى الجدي	مناقشاً داخلياً	
أ. د. محمود يوسف الشوبكي	مناقشاً خارجياً	

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الدكتوراة في كلية أصول الدين/قسم أصول الدين/ العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة.

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله تعالى ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق،،،

عميد البحث العلمي والدراسات العليا

أ. د. بسام هاشم السقا



ملخص الرسالة باللغة العربية

تبحث الرسالة في موضوع عقدي معاصر بعنوان: "المادية ودورها في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر عرض ونقض".

وتتكون الدراسة من مقدمة وتمهيد، وثلاثة فصول، وقد تحدثت الدراسة في التمهيد عن مفهوم المادية الإلحادية، ودلالاتها، ومسمياتها، وحقيقتها، وتاريخها.

وتحدث الفصل الأول عن المنطلقات الفكرية، والمنهجية للمادية، وطبيعتها، ووسائلها. فيما تحدث الفصل الثاني عن أثر المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الإنسانية، كعلم النفس، مستشهدًا بنظرية التحليل النفسي، ونظرية الغريزة، وعلم الاجتماع، مستشهدًا بالمذهب الوضعي، ونظرية العقل الجمعي، وعلم الاقتصاد، مستشهدًا بالفكر الشيوعي، والعلمانية.

أما الفصل الثالث فقد أفرد للحديث عن أثر المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الكونية، كعلم الأحياء، مستشهدًا بنظرية التطور، ونظرية التولد الذاتي، وعلم الفيزياء، مستشهدًا بنظرية أزلية الكون، ونظرية الأكوان المتعددة بأنواعها المختلفة، ونظرية (إم).

وكان من أهم نتائج الدراسة:

1. انطلقت المادية الإلحادية من منطلقات منهجية وفكرية، ذات أبعاد فلسفية إلحادية، وذلك في وقت مبكر من ظهوره وحتى عصرنا الحاضر.
2. ظهرت المادية في كثير من الفلسفات والنظريات، وتشارك جميع هذه الفلسفات المادية في الاستناد إلى العلم، وإنكار الدين، والإيمان بالمادة.

أهم توصيات الدراسة:

1. العمل على مراجعة العلوم الإنسانية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والكونية، ودراساتها وفق الرؤية الشرعية الإسلامية، وتنقيتها من شوائب الانحراف.
2. الإلحاد ليس مقبولًا علميًا، فكثير من العلماء مؤمنون بالله تعالى، وقلة من يمنهم الكبر من الإيمان، ويدعوهم إلى التضليل العلمي؛ وإخفاء الحق عن الناس.
3. توفير حاضنة بحثية علمية، متنوعة، من أبحاث، ومراكز، ومناهج، تهتم بالموضوعات المعاصرة، وترد على الشبهات المثارة، وتعمل على ربط الطلبة والباحثين بالواقع.

والله ولي التوفيق

ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية

Abstract

This study discusses a contemporary doctrinal topic entitled: "Materialism and its role in the cognitive construction of contemporary atheism theories, a presentation and refutation".

The study consists of an introduction, an introductory chapter, and three chapters. In the introductory chapter, the study explained the concept of atheistic materialism, its connotations, nomenclature, Her truth, history.

The first chapter discussed the intellectual and methodological premises of materialism, its nature, and its means.

While the second chapter discussed the impact of materialism on contemporary atheism theories in the field of human sciences; such as psychology, citing psychoanalytic theory, instincts theory, and sociology, citing positivism, the theory of social proof, and economics, citing communist thought, secularism.

As for the third chapter, it was devoted to talking about the impact of materialism on contemporary atheism theories in the field of cosmic sciences, such as biology, citing the theory of evolution, the theory of spontaneous generation, and physics, citing the theory of the eternity of the universe, and the theory of multiple universes with its different types and M's theory.

The most important findings of the study:

1. Atheistic materialism emerged from methodological and intellectual premises that have atheistic philosophical dimensions, at an early age until the present time.
2. Materialism has appeared in many philosophies and theories, and all these materialist philosophies share a reliance on science, a denial of religion, and a belief in matter.

The most important recommendations of the study:

1. Working on reviewing the humanities, psychological, social, economic, political and cosmic sciences, studying them according to the Islamic legal vision, and purifying them from the impurities of deviation.
2. Providing a diverse scientific research incubator, including research, centers, and curricula, that take care of contemporary issues, respond to the suspicions raised, and work to link students and researchers to reality.

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ

بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكَمُ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

[الأنعام: ١٥٣]

الإهداء

أهدي هذا البحث إلى:

- ❖ نور عيني، ومهجة قلبي، ومصدر الدفء في حياتي، إلى: أمي وأبي الغاليين.
- ❖ زوجتي، وأبنائي آلاء وأسيل وبشر، وإخوتي، وأخواتي، وعائلتي جميعاً، فحفظهم الله ورعاهم.
- ❖ من أعيش فيه ويعيش في قلبي ووجداني، وطني المحتل فلسطين الحبيبة الغالية.
- ❖ الذين أسرجوا بدمائهم قناديل المساجد والمقدسات، شهداء الأمة، وأسراها اليوازل.
- ❖ كليتي العريقة : كلية أصول الدين، وقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.
- ❖ أساتذتي الأفاضل، ومشايخي الكرام، ومن له فضل عليّ.
- ❖ كليتي العريقة، والصرح الشامخ: كلية الدعوة الإسلامية.
- ❖ رفاق دربي، وأصحابي.
- ❖ طلبة الجامعة الإسلامية، ومحبي العلم.
- ❖ كل من علمني، وأخذ بيدي، وسار معي على طريق الدعوة إلى الله عز وجل.

إليهم جميعاً أهدي هذا البحث

الباحث

عبد الفتاح فتحي حمودة

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، ملء السماوات، وملء الأرض، وملء ما شاء ربنا من شيء بعد، والصلاة والسلام على رسولنا، وحبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، أما بعد:

فانطلاقاً من قول الله ﷻ: ﴿ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴾ [لقمان: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿ نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴾ [القمر: ٣٥]، كان واجباً عليّ أن أشكر الله ﷻ على نعمة إتمام البحث، فالشكر أولاً وأخيراً له ﷻ، فله الحمد والمنة على فضله وإحسانه، ثم الشكر لوالديّ العزيزين، اللذين أوليانى الرعاية الخاصة، منذ طفولتي، وحتى يومنا هذا.

وانطلاقاً من قول النبي ﷺ من حديث أبي هريرة ؓ: "من لا يشكر الناس، لا يشكر الله" جامع الترمذي (١٩٥٤)، وهو حديث صحيح، فإنني أقدم شكري، وامتناني، إلى جامعتي التي أحبها من كل قلبي: الجامعة الإسلامية، منارة العلم، وحاضنة العلماء، التي أتاحت لطلبة الدراسات العليا الدراسة في وطننا الحبيب، وكفتنا وعثاء السفر، وأمدتنا بالعلم والمعرفة، ممثلة بالقائمين عليها، والعاملين في أركانها، فبارك الله فيهم جميعاً.

وأخص بالشكر: كليتي الغراء: كلية أصول الدين، والعاملين فيها أكاديميين، وإداريين، وفي مقدمتهم عميدها الموقر: فضيلة الدكتور: رياض قاسم "حفظه الله ورعاه".

والشكر موصول إلى المرابي الفاضل، فضيلة الأستاذ الدكتور: جابر زايد السميري، الذي تفضل عليّ بالإشراف على الرسالة، ووجهني فيها خير توجيه، وأفادني فيها خير فائدة. والشكر موصول كذلك لأصحاب الفضيلة المرقّرين، الذين تفضلوا بمناقشة الرسالة وتقويمها؛ ويجودوا بنصحهم وعلمهم؛ من أجل الارتقاء بها إلى الأفضل والأحسن: الدكتور: أحمد جابر العمصي - مناقشاً داخلياً، والدكتور: محمد مصطفى الجدي - مناقشاً داخلياً، والأستاذ الدكتور: محمود يوسف الشوبكي - مناقشاً خارجياً.

ولا يفوتني أن أوصل عاطر شكري، وجميل تحياتي، لكل من أفادني في بحثي، من قريب أو بعيد، وأخص منهم: من كان سبباً بعد الله ﷻ في كتابة هذه الرسالة، فضيلة الدكتور: محمد مصطفى الجدي، الذي وفقه الله ﷻ لدالاتي على هذا الموضوع، وترتيب هيكلية البحث، وكان ولا يزال مصدر إرشاد وفضل لي في مسيرتي العلمية.

فجزا الله هؤلاء جميعاً خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

الباحث

عبد الفتاح فتحي حمودة

فهرس المحتويات

أ.....	إقرار
ب.....	نتيجة الحكم على الأطروحة
ت.....	ملخص الرسالة باللغة العربية
ث.....	ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية
ج.....	صفحة اقتباس
ح.....	الإهداء
خ.....	شكر وتقدير
د.....	فهرس المحتويات
١.....	المقدمة
٢.....	أولاً: أهمية الموضوع:
٣.....	ثانياً: أهداف الدراسة:
٣.....	ثالثاً: مشكلة البحث:
٤.....	رابعاً: حدود البحث:
٤.....	خامساً: منهج البحث:
٥.....	سادساً: الدراسات السابقة:
٨.....	سابعاً: هيكل البحث:
١٣.....	التمهيد
١٤.....	أولاً: مفهوم المادية الإلحادية ودلالاتها ومسمياتها وحقيقتها:
٢٥.....	ثانياً: السياق التاريخي لتطور المادية الإلحادية وأبرز أعلامها:
٤١.....	الفصل الأول
٤١.....	المادية الإلحادية منطلقاتها المنهجية والفكرية وطبيعتها ووسائلها عرض ونقض
٤٢.....	المبحث الأول
٤٢.....	المنطلقات المنهجية للمادية الإلحادية عرض ونقض
٤٤.....	المطلب الأول
٤٤.....	استخدام مفاهيم غامضة
٤٧.....	المطلب الثاني
٤٧.....	تعميم الأحكام

٥٢	المطلب الثالث
٥٢	دعوى التلازم بين المادة والحركة
٥٨	المطلب الرابع
٥٨	إخضاع الإنسان للفلسفات المادية ورده إلى قوانين الطبيعة
٦٢	المبحث الثاني
٦٢	المنطلقات الفكرية للمادية الإلحادية عرض ونقض
٦٣	المطلب الأول
٦٣	أزلية المادة وأبديتها في إثبات الوجود
٦٨	المطلب الثاني
٦٨	رفض مبدأ الغائية
٧٢	المطلب الثالث
٧٢	دعوى الحتمية ووحدة الطبيعة
٨٣	المطلب الرابع
٨٣	إنكار الغيبيات والأديان
٨٩	المبحث الثالث
٨٩	طبيعة ووسائل المعرفة المادية الإلحادية عرض ونقض
٩٠	المطلب الأول
٩٠	طبيعة المعرفة المادية الإلحادية ونقضها
٩٠	أولاً: طبيعة المعرفة المادية الإلحادية:
١٠١	ثانياً: نقض طبيعة المعرفة المادية الإلحادية:
١٠٣	المطلب الثاني
١٠٣	وسائل المعرفة المادية الإلحادية ونقضها
١٠٣	أولاً: طبيعة وسائل المعرفة المادية الإلحادية:
١١١	ثانياً: نقض وسائل المعرفة المادية الإلحادية:
١١٧	الفصل الثاني
١١٧	المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الإنسانية عرض ونقض
١١٨	المبحث الأول
١١٨	المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم النفس ونقضها

المطلب الأول.....	١٢٠
المادية في نظرية التحليل النفسي والرد عليها	١٢٠
أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية التحليل النفسي:	١٢١
ثانياً: مجمل أفكار نظرية التحليل النفسي وعلاقتها بالإلحاد:	١٢٤
ثالثاً: الرد على نظرية التحليل النفسي:	١٣٠
المطلب الثاني.....	١٣٥
المادية في نظرية الغريزة والرد عليها	١٣٥
أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية الغريزة (الجبلة):	١٣٥
ثانياً: مجمل أفكار نظرية الغريزة وعلاقتها بالإلحاد:	١٣٦
ثالثاً: الرد على نظرية الغريزة:	١٣٩
المبحث الثاني.....	١٤٣
المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الاجتماع ونقضها	١٤٣
المطلب الأول.....	١٤٤
المادية في نظرية المذهب الوضعي والرد عليها	١٤٤
أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية المذهب الوضعي:	١٤٥
ثانياً: مجمل أفكار نظرية المذهب الوضعي وعلاقتها بالإلحاد:	١٤٨
ثالثاً: الرد على نظرية المذهب الوضعي:	١٦٢
المطلب الثاني.....	١٦٥
المادية في نظرية العقل الجمعي والرد عليها	١٦٥
أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية العقل الجمعي:	١٦٥
ثانياً: مجمل أفكار نظرية العقل الجمعي وعلاقتها بالإلحاد:	١٦٧
ثالثاً: الرد على نظرية العقل الجمعي:	١٧٣
المبحث الثالث.....	١٧٨
المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الاقتصاد والسياسة ونقضها	١٧٨
المطلب الأول.....	١٧٩
المادية في نظرية الفكر الشيوعي.....	١٧٩
أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس الفكر الشيوعي:	١٧٩
ثانياً: مجمل أفكار الشيوعية وعلاقتها بالإلحاد:	١٨٣

١٩٨	ثالثاً: الرد على المادية الشيوعية:
٢٠٢	المطلب الثاني
٢٠٢	المادية في الفكر العلماني
٢٠٢	أولاً: مفهوم العلمانية وبيان أقسامها:
٢٠٥	ثانياً: مجمل أفكار العلمانية المادية وعلاقتها بالإلحاد:
٢٠٦	ثالثاً: الرد على الفكر المادي في العلمانية:
٢٠٩	الفصل الثالث
٢٠٩	المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الكونية عرض ونقض
٢١٠	المبحث الأول
٢١٠	المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الأحياء ونقضها
٢١٢	المطلب الأول
٢١٢	المادية في نظرية التطور والرد عليها
٢١٢	أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية التطور:
٢١٦	ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها فكرة التطور وعلاقتها بالإلحاد:
٢٢٢	ثالثاً: الرد على مادية نظرية التطور:
٢٢٧	المطلب الثاني
٢٢٧	نظرية التولد الذاتي (الجرثومة الكونية) والرد عليها
٢٢٨	أولاً: التعريف بنظرية التولد الذاتي، وأبرز روادها:
٢٢٩	ثانياً: تاريخ نظرية التولد الذاتي ومراحلها، وعلاقتها بالإلحاد:
٢٣٦	ثالثاً: الرد على المادية في نظرية التولد الذاتي:
٢٤٨	المبحث الثاني
٢٤٨	المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الفيزياء والفلك ونقضها
٢٤٩	المطلب الأول
٢٤٩	نظرية أزلية الكون والرد عليها
٢٤٩	أولاً: التعريف بنظرية أزلية الكون:
٢٥٢	ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية أزلية الكون وعلاقتها بالإلحاد:
٢٥٥	ثالثاً: الرد على مادية نظرية أزلية الكون:
٢٧١	المطلب الثاني

٢٧١	نظرية الأكوان المتعددة (المتوازية)
٢٧١	أولاً: التعريف بنظرية الأكوان المتعددة:
٢٧٣	ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية الأكوان المتعددة:
٢٧٥	ثالثاً: الرد على المادية في نظرية الأكوان المتعددة:
٢٨١	المطلب الثالث.....
٢٨١	المادية في نظرية (إم) والرد عليها:
٢٨١	أولاً: التعريف بنظرية (إم).....
٢٨١	ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية (إم).....
٢٨٢	ثالثاً: الرد على المادية في نظرية (إم).....
٢٨٦	الخاتمة.....
٢٨٩	قائمة المصادر والمراجع.....
٢٩٠	المصادر والمراجع العربية:.....
٣٣٦	المراجع الأجنبية:.....
٣٤٤	الفهارس العامة.....
٣٤٥	أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.....
٣٥٠	ثانياً: فهرس الأماكن.....
٣٥١	ثالثاً: فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.....

المقدمة

الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفبه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

لقد أرسل الله تعالى نبيه برسالة عظيمة سامية، تدعو الناس إلى صحاح العقائد ومكارم الأخلاق، فقرن عزة الأمة وصلاحتها واستقامتها بمدى سيرها على هذا المنهج العظيم، والسلوك القويم، كما جعل ذلها وضعفها مرتباً بمدى بعدها وتخليها عن هذا المنهج الرباني الأصيل. وفي العصر الحديث نشأت أفكار ومذاهب فكرية كثيرة في المجتمعات الغربية، تتناول على الدين والأخلاق، حيث ظهرت بالتوازي مع شيوع الحضارة المادية منذ أواخر القرن السابع عشر الميلادي، ثم انتقلت إلى البلاد العربية والإسلامية، وأصبحت تمثل الخطر الأكبر على فكر الأمة الإسلامية وكيانها وصحة معتقداتها وحياتها.

وبعدما حاول المجتمع الغربي أن يتصل من قيود الكنيسة لجأ إلى العلوم والدراسات المختلفة في شتى الميادين، ولكن هذه الدراسات شحنت بالأفكار والمذاهب الضالة، التي تنتهك الدين والقيم، ومن تلك الأفكار: الفلسفة المادية.

حيث تمثل المادية أشهر الاتجاهات الفكرية في الغرب، وتشكل الإطار المرجعي، واللبننة الأساسية، والنموذج المعرفي، للعديد من الفلسفات الحديثة؛ بل وحتى لكثير من المفاهيم والعلاقات والعلوم الحياتية، وهي تتخذ من الإلحاد مذهباً وديناً، فصار مضاداً للدين، وترجع أصل الخلق إليها، وأنها أزلية أبدية، سابقة لكل شيء، فهي تعتمد على المادة كحقيقة مطلقة، وتفسر كل شيء بالتفسير المادي.

وهذا التيار الفكري الغربي يتبناه كثيرون، ولا سيما وأنه ارتبط بصورة مقصودة بالتقدم في ميادين العلم المختلفة، حيث سعى القائلون بهذا الفكر إلى إيجاد علاقة رابطة بين التقدم في العلوم المختلفة مع التصور المادي، بطريقة آلية تنسج المادية بالنسيج العلمي، فصاغوا الإلحاد بالقلب العلمي.

لقد أسهمت المادية في انحراف العلم الحديث، واستغلت إنجازاته، وجعلت نفسها الممثل الشرعي للعلم الحديث، وأن التصور المادي هو نتيجة حتمية للتقدم العلمي، فتحوّلت المادية من مذهب فلسفي إلى مذهب علمي، حتى أصبحت حاضرة ومتجسدة في كثير من النظريات والأطروحات الفكرية الإلحادية عند الغرب.

وبهذه الصبغة المنحرفة توسعت النظريات المادية في العصر الحديث، وتطورت بأشكال مختلفة ومتعددة، حتى كان لها الأثر الواضح في ميادين المعرفة المعاصرة، وصارت أحد دعائم الإلحاد، على الرغم من أن هذه النظريات من المفترض أن تكون مبنية على العلم، تُخرج النتائج بكل حيادية وإنصاف، وأن تدل على الإيمان، ولكنها أصبحت منحرفة عن مسارها.

وهذه النظريات المادية المختلفة تتصل بالعلوم الكونية والإنسانية على حد سواء، وتستند إليها، وخرجت كثير من الأطروحات والنظريات التي تعتمد في بُنياتها أو مضمونها وجوهرها على المادية.

ولأجل ذلك كانت هذه الدراسة التي تسلط الضوء على الفكر المادي، ودوره في تغذية نظريات الإلحاد المتصلة بميادين العلوم المختلفة، وتتناول طريقة بناء النظريات بتأثير المادية، مخصصًا لها بالنظريات التي تستند إلى نظريات منسوبة إلى العلوم المختلفة في الحياة الغربية، وتبين بطلانها، وتتقضاها بالأدلة الشرعية والعلمية والعقلية، وجاءت تحت عنوان:

[المادية ودورها في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر عرض ونقض]

أولاً: أهمية الموضوع:

وتتجلى أهمية الموضوع في النقاط الآتية:

١. تأتي هذه الدراسة في كونها تتعلق بأحد الموضوعات المعاصرة، بحيث تلامسه ملامسة مباشرة.
٢. يمكن لهذه الدراسة أن تضيف بُعدًا جديدًا للبحث العلمي، وذلك بإفراد موضوع المادية لها، وإيضاح البناء المعرفي للنظريات المختلفة.
٣. قد تسهم هذه الدراسة في إبراز مدى استفادة نظريات الإلحاد المعاصر من المادية، ومدى أثر المادية في هذه النظريات.
٤. بيان الانحراف الذي وصلت إليه المادية، ومدى تغلغلها في ميادين العلوم المختلفة، سواء كانت علومًا علمية أو علومًا إنسانية.
٥. تحسين الربط بين العلوم الكونية والإنسانية وربطها بالعلوم الشرعية، شريطة أن تكون هذه النظريات صحيحة مقبولة.
٦. تسهيل المناظرات العلمية في الرد على الإلحاد المعاصر، وذلك بكشف النقاب عنه، وعن نظرياته المزعومة، والمنحرفة والمخالفة للواقع والمنطق.

٧. زيادة فهم أكبر قدر ممكن عن النظريات العلمية التي أفرزها الغرب، وأيدها الملحدون، والتعرف على أبرز رواد الفكر الغربي، الذين تأثروا بالفكر المادي، وزيادة التفاعل بين المسلم وواقعه الذي يعيش.

٨. تساعد الدراسة الباحثين على التعمق أكثر في مثل هذه الموضوعات المعاصرة، والرد على أصحاب النظريات الفاسدة من الملاحدة المعاصرين في شتى العلوم.

ثانيًا: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحقيق:

١. التعرف على مفهوم المادية، وما يدور حولها من أفكار ومفاهيم ذات علاقة.
٢. استكشاف المنطلقات التي تقوم عليها المادية، سواء كانت فكرية أو منهجية، مع بيان طبيعة المعرفة المادية ووسائلها.
٣. الكشف عن مدى استناد نظريات الإلحاد المعاصر إلى الفكر المادي، ومدى طبيعة هذه النظريات، وتنوعها نحو العلوم المختلفة.
٤. استنباط مدى صحة النظريات التي يستند إليها الإلحاد المعاصر، وتوضيح العلاقة بين هذه النظريات، ومدى اتفاقها على تقرير الإلحاد.
٥. رصد الردود العلمية والشرعية على النظريات المتصلة بميادين العلوم المختلفة، التي اتكأ عليها الإلحاد المعاصر.

ثالثًا: مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث في أنه يعالج مجموعة من الأسئلة الآتية، بحيث يتم استكشافها، والتعمق في دراستها، وهي:

١. ما المقصود بالمادية؟
٢. ما المنطلقات المنهجية والفكرية التي تقوم عليها المادية؟
٣. هل تستند النظريات المعاصرة في العلوم الإنسانية والكونية إلى الفكر المادي؟
٤. ما أهم الأفكار الغربية التي تنطلق من الفكر المادي والإلحاد؟
٥. كيف نرد على النظريات المتصلة بميادين الإنسانية والكونية التي اتكأ عليها الإلحاد المعاصر بطريقة شرعية وعلمية؟

فمن المهم في ضوء ذلك دراسة هذه الأسئلة، حيث ما زالت الحاجة قائمة للدارسة والتقصي والبحث العميق في مدلولات المادية، ودورها في تطوير النظريات المختلفة.

رابعًا: حدود البحث:

تتكون حدود الدراسة من:

١. **الحد الموضوعي:** أحد التوجهات السائدة في الفكر الغربي، وهو الفكر المادي، وعلاقة ذلك بالنظريات المتعلقة بالعلوم الكونية والإنسانية.
٢. **الحد الزمني:** ويتمثل في القرن الثامن عشر وحتى القرن الواحد والعشرين.
٣. **الحد المكاني:** ويختص بأوروبا، حيث نشأت فيها التيارات الفكرية المعاصرة، التي تستند إلى المادية، والتي بدورها مثلت مرجعية لكثير من نظريات الإلحاد المعاصر في الغرب.
٤. **الحد البشري:** مجموعة من الشخصيات التي تبنت الفكر الإلحادي، عبر نظريات مختلفة، تتصل بالعلوم الحياتية.

خامسًا: منهج البحث:

هناك مناهج مختلفة ومتعددة في البحوث العلمية، ولكل منهج خاصية يتميز بها عن غيره، ففي هذه البحث تمّ استخدام المناهج الآتية:

١. **المنهج التاريخي:** الذي يهتم بالعمق التاريخي الزمني للظاهرة المدروسة، وهذا يظهر بشكل واضح وجلي في هذا البحث، حيث سيتم التعرض للفترة الزمنية التي ظهرت فيها المادية، ابتداءً من القرن السابع عشر، الأمر الذي يُظهر الفروقات بينه وبين الإلحاد القديم.
٢. **المنهج الوصفي التحليلي:** الذي يقوم بدراسة الظاهرة، وبيان خصائصها، وحجمها، وتحليلها، بعد جمع المعلومات وتتبعها، لتكون أساسًا لتفسيرها، وتوجيهها؛ وتظهر فاعلية المنهج الوصفي في هذا البحث بأنه بعد جمع المعلومات المتعلقة بالفكر المادي المعاصر، يمكن معرفة مدى تأثير الفكر المادي في البناء المعرفي لنظريات الإلحاد المعاصر، ومدى تأثير العالم الغربي والعربي بها، كما يُظهر مدى أثر العلماء الملاحدة في ذلك.
٣. **المنهج الاستنباطي:** الذي يعتبر ركيزة البحث، لأن الباحث من خلاله سيصل إلى طبيعة الفكر الغربي، والمؤثرات فيه؛ لكونه يعتني بالتحليل الدقيق للنصوص، كمعرفة المنطلقات التي تقوم عليها المادية، وعلاقتها بالإلحاد، ومدى تأثيرها في نظريات بُنيت على الإلحاد.
٤. **المنهج النقدي:** الذي يُعنى بالردود الشرعية والعلمية والعقلية، فمن خلاله يمكن نقض الفكر المادي الوهمي، ونقض النظريات المبنية عليه، والتي هي نظريات ملحدة في أصلها أو في مضمونها.

سادساً: الدراسات السابقة:

لقد تعددت الدراسات المتعلقة بظاهرة المادية والإلحاد، وفي حد ما اطلع عليه الباحث من دراسات لم يجد دراسةً مكتوبةً ضمن الإطار المحدد لهذه الدراسة، وبالتالي سيتم بيان أهم الدراسات التي تناولت الحديث عن ظاهرة المادية، وتأثيرها في البناء المعرفي للنظريات المادية القائمة على الأساس العلمي؛ لتحديد ما يميز هذا البحث عن غيره؛ وقد جاءت الرسائل على النحو الآتي:

١. دراسة بعنوان: **(الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي)**^(١)، للباحثة: سلوى محمد فريج، تناولت فيها الباحثة مفهوم الفكر المادي، وجذوره التاريخية، كما تناولت بعض نماذج الفكر المادي الحديث، كالدروينية، والعلمانية، والوجودية، والفرويدية. وأما دراستي فهي تتقاطع مع هذه الرسالة في بعض الجزئيات، ولكنها تختلف في منهجية عرض نماذج الفكر المادي، وتتوسع في منطقاته، وآثاره.
٢. دراسة بعنوان: **(الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه)**^(٢)، للباحث: سعود بن سلمان آل سعود، الذي تناول فيها الباحث الفكر المادي في مقولات الماركسية، والعلمانية، والتطورية، والوضعية، والبرجماتية، وأُفرد بابًا للحديث عن الفكر المادي في البلاد العربية من ناحية نشأته، وانتشاره، ومجالاته، وآثاره. وأما دراستي فهي تُعنى بعرض المنطلقات المنهجية والفكرية التي يقوم عليها الفكر المادي، كما تُعنى بأثر المادية في النظريات الغربية، وذلك من خلال تتبع المجالات الإنسانية والعلمية المختلفة.

(١) الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي، سلوى فريج، إشراف: عبد الحميد مدكور، عامر الملاحمة، وهي رسالة دكتوراة من جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، ٢٠١٣م.

(٢) الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه، سعود بن سلمان آل سعود، إشراف: عبد الله عبد المحسن التركي، وهي رسالة دكتوراة غير منشورة، في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٣م.

٣. دراسة بعنوان: (الفكر المادي الحديث ومقاومته بتطبيق الشريعة الإسلامية)^(١)، للباحث: أحمد قاسم أبو حشيش، الذي تحدث فيها الباحث عن مفهوم الفكر المادي الحديث، وجذوره التاريخية، وبعض أطره المتنوعة، كما تحدث عن بعض تأثيراته في العالم الإسلامي، وطريقة معالجته بتطبيق الشريعة الإسلامية.

وأما دراستي فهي تختص بعرض تفاصيل المادية، ومنطلقاتها، وآثارها الكبيرة في صياغة وبناء نظريات إحادية غربية، على المستوى العلوم الإنسانية والعلمية.

٤. دراسة بعنوان: (الفلسفات المادية الغربية وأثرها في الفكر الإندونيسي)^(٢)، للباحث: فهد علي الكحلوي، الذي اكتفى في هذه الدراسة بالفلسفات المادية الغربية التي كان لها تأثير على الفكر والمجتمع الإندونيسي، حيث أوضح هذا الأثر، وبين مدى عمق هذه الأفكار على المجتمع الإندونيسي.

وأما دراستي فهي تبين الأثر الكبير للمادية في صياغة وبناء نظريات إحادية، فهي تتحدث عن تأثير صياغة هذه النظريات.

٥. دراسة بعنوان: (المادية التاريخية وانعكاساتها على الرسم الاشتراكي)^(٣)، للباحثة: زهراء هادي كاظم العزاويد.

اختص البحث بدراسة مفهوم المادية التاريخية، وآليات انعكاسها في الأعمال الفنية لفن الرسم الاشتراكي، وكذا عن الأبعاد المفاهيمية والفلسفية للمادية التاريخية وأسسها النظرية ونشأة علم الجمال الماركسي، كما تناول مقارنة في العلاقة الجدلية بين المادية التاريخية والفن الاشتراكي، انطلق فن الرسم الاشتراكي من ظروفات تحمل مفاهيم مادية تهدف إلى أن المادة تمثل الوجود الحقيقي للمجتمع وتطوره كتحديد عنصر الإنتاج وسيلة مهمة لتطور المجتمع وهذا ما تمتعت به المادية التاريخية من فهم مادي للمجتمع تأثر فن الرسم الاشتراكي بالأبعاد الفلسفية للمادية التاريخية.

(١) الفكر المادي الحديث ومقاومته بتطبيق الشريعة الإسلامية، أحمد قاسم أبو حشيش، إشراف: محمد عبد الله الشراقوي، وهي رسالة ماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ-١٤٠٥هـ.

(٢) الفلسفات المادية الغربية وأثرها في الفكر الإندونيسي، الكحلوي، إشراف: موسى سلامة اللوزي، وهي رسالة ماجستير من جامعة عمان العربية، نُشرت في عمان ٢٠١٠م.

(٣) المادية التاريخية وانعكاساتها على الرسم الاشتراكي، العزاويد، إشراف: علي شناوة وادي، وهي رسالة دكتوراة في جامعة بابل، نُشرت سنة ٢٠١٣م.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي، حيث إن هذه الرسالة تتعلق بانعكاسات المادية التاريخية على الرسم الاشتراكي، فيما تتعلق دراستي بالفكر المادي عمومًا.

٦. دراسة بعنوان: (الشعر العباسي بين النزعتين المادية والمثالية حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة موضوعية وفنية)^(١)، للباحث: ياسين عبد المقصود سرور الأنصاري، الذي خصص هذه الدراسة لمعرفة مدى تأثير كل من النزعتين المادية والمثالية في الشعر العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وأورد الشواهد الكثيرة الدالة على ذلك.

وتختلف هذه الدراسة عن دراستي بشكل واضح، حيث عُنيت هذه الدراسة بالجانب الأدبي، أما دراستي فهي متخصصة في إبراز العلاقة بين المادية ونظريات الإلحاد.

٧. دراسة بعنوان: (المادية بين فيورباخ وماركس)^(٢)، للباحث: عادل الذياب العلي، الذي عقد مقارنة بين المادية عند الفيلسوف فيورباخ، الذي تبني فكرة المادية وترويجها ودعا إلى الإلحاد والمادية وأثر في تطور المادية التاريخية، وبين ماركس رائد الفكر الشيوعي، والمادية الإلحادية، وأحد المتأثرين بفكر فيورباخ، وأوضح الباحث نظرة كل منهما إلى المادية، كما أوجد الفروق بينهما.

وهذه الدراسة مختلفة عن دراستي، حيث إن دراستي أوسع من هذه الدراسة التي تُلقي الضوء على المادية بين فيلسوفين فقط.

٨. دراسة بعنوان: (الفكر المادي في نماذج من كتابات سلامة موسى وإسماعيل مظهر وعباس محمود العقاد وعلاقته بالثورة العلمية الكبرى ومنطوياتها الفلسفية كما تجلت في إنجلترا في القرن السابع عشر)^(٣)، للباحث: أيوب عيسى أيوب أبو دبة، الذي خصص رسالته للحديث عن الفكر المادي في كتابات بعض الباحثين.

في حين تختلف دراستي عن هذه الدراسة بالحديث عن الفكر المادي وتأثيره في النظريات العلمية.

(١) الشعر العباسي بين النزعتين المادية والمثالية حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة موضوعية وفنية، الأنصاري، إشراف: طه عبد الحميد مرسى زايد، وهي رسالة دكتوراه في جامعة الأزهر بالقاهرة، نُشرت سنة ٢٠١١م.

(٢) المادية بين فيورباخ وماركس، العلي، إشراف: غانم هنا، وهي رسالة ماجستير في كلية الآداب، في جامعة دمشق، سنة ١٩٩٠م.

(٣) الفكر المادي في نماذج من كتابات سلامة موسى وإسماعيل مظهر وعباس محمود العقاد وعلاقته بالثورة العلمية الكبرى ومنطوياتها الفلسفية كما تجلت في إنجلترا في القرن السابع عشر، أبو دبة، إشراف: أفرام بعلبكي، وهي رسالة دكتوراه في جامعة القديس يوسف - معهد الآداب الشرقية - لبنان، سنة ٢٠٠١م.

٩. دراسة بعنوان: (غاية الكون بين الإسلام والمادية)^(١)، للباحثة: نجات بنت موسى، التي قامت بالمقارنة بين غاية الكون في الإسلام والمذاهب المادية، وقد عالجت موضوع غاية الكون في الإسلام في الباب الأول، من إثبات الخلق، والحكمة من خلق الجن والإنس وبقية المخلوقات، وعالجت في الباب الثاني غاية الكون عند الماديين، متحدثة عن أصنافهم، ومقارنة ذلك بالمنهج الإسلامي.

وهذه الدراسة تختلف عن دراستي؛ حيث إنها تختص بجانب معين يتعلق بالمادية، وهو غاية الكون بالمقارنة مع الإسلام، بينما رسالتي تُعنى بالمادية ومنطقاتها وأثرها.

١٠. دراسة بعنوان: (الدين والفلسفة المادية الجدلية)^(٢)، للباحث أحمد علي حيشي، وفي هذه الدراسة تحدث الباحث حول بعض المصطلحات ذات الصلة، كالفلسفة والجدلية، وغيرهما، ثم تحدث عن الترابط في الطبيعة بين الدين والمادية الجدلية وحركة التطور في الطبيعة وتناقضها، كما تحدث عن العلاقة بين الإنسان والمادية الجدلية والإنسان في مفهوم الدين، وأوضح مفهوم الدين كما تراه المادية الجدلية. وتختلف هذه الدراسة عن دراستي في أن هذه الدراسة لم تنطرق إلى النظريات العلمية ذات الطابع المادي، في حين تُعنى دراستي بالحديث عنها.

سابعًا: هيكل البحث:

يتكوّن البحث من مقدمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة، مرتباً على النحو الآتي: المقدمة وتشتمل على: أهمية البحث، أهداف البحث، مشكلة البحث، حدود البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة، هيكل البحث، أهم المصادر والمراجع.

التمهيد: نبذة عن مفهوم المادية وسياقها التاريخي:

وفيه:

أولاً: مفهوم المادية الإلحادية ودلالاتها ومسمياتها وحقيقتها.

ثانياً: السياق التاريخي لتطور المادية الإلحادية.

(١) غاية الكون بين الإسلام والمادية، موسى، إشراف: محمود بن محمد بن محمود مزروعة، وهي رسالة دكتوراه، في كلية الدعوة وأصول الدين، جامعة أم القرى، مكة، سنة ٢٠٠٣م.

(٢) الدين والفلسفة المادية الجدلية، حيشي، وهي رسالة ماجستير، إشراف: محمد العزالي، من جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.

الفصل الأول: المادية الإلحادية منطلقاتها المنهجية والفكرية وطبيعتها

ووسائلها عرض ونقض:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المنطلقات المنهجية للمادية الإلحادية عرض ونقض:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: استخدام مفاهيم غامضة.

المطلب الثاني: تعميم الأحكام.

المطلب الثالث: دعوى التلازم بين المادة والحركة.

المطلب الرابع: إخضاع الإنسان للفلسفات المادية ورده إلى قوانين الطبيعة.

المبحث الثاني: المنطلقات الفكرية للمادية الإلحادية عرض ونقض:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أزلية المادة وأبديتها في إثبات الوجود.

المطلب الثاني: رفض مبدأ الغائية.

المطلب الثالث: دعوى الحتمية ووحدة الطبيعة.

المطلب الرابع: إنكار الغيبيات والأديان.

المبحث الثالث: طبيعة ووسائل المعرفة المادية الإلحادية عرض ونقض:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طبيعة المعرفة المادية الإلحادية ونقضها:

أولاً: طبيعة المعرفة المادية الإلحادية.

ثانياً: نقض طبيعة المعرفة المادية الإلحادية.

المطلب الثاني: وسائل المعرفة المادية الإلحادية ونقضها:

أولاً: وسائل المعرفة المادية الإلحادية.

ثانياً: نقض وسائل المعرفة المادية الإلحادية.

الفصل الثاني: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الإنسانية عرض ونقض:

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم النفس ونقضها:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المادية في نظرية التحليل النفسي والرد عليها:

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية التحليل النفسي.

ثانياً: مجمل أفكار نظرية التحليل النفسي وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على نظرية التحليل النفسي.

المطلب الثاني: المادية في نظرية الغريزة والرد عليها:

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية الغريزة (الجبلة).

ثانياً: مجمل أفكار نظرية الغريزة (الجبلة) وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على نظرية الغريزة (الجبلة).

المبحث الثاني: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الاجتماع ونقضها:

وفي مطلبان:

المطلب الأول: المادية في نظرية المذهب الوضعي والرد عليها:

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية المذهب الوضعي.

ثانياً: مجمل أفكار نظرية المذهب الوضعي وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على نظرية المذهب الوضعي.

المطلب الثاني: المادية في نظرية العقل الجمعي والرد عليها:

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية العقل الجمعي.

ثانياً: مجمل أفكار نظرية العقل الجمعي وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على نظرية العقل الجمعي.

المبحث الثالث: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الاقتصاد والسياسة ونقضها:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المادية في نظرية الفكر الشيوعي:

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس الفكر الشيوعي.

ثانياً: مجمل أفكار الشيوعية وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على المادية الشيوعية.

المطلب الثالث: المادية في الفكر العلماني:

أولاً: مفهوم العلمانية وبيان أقسامها.

ثانياً: مجمل أفكار العلمانية المادية وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على الفكر المادي في العلمانية.

الفصل الثالث: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الكونية

عرض ونقض:

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الأحياء

ونقضها:

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المادية في نظرية التطور والرد عليها.

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية التطور.

ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها فكرة التطور وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على مادية نظرية التطور.

المطلب الثاني: المادية في نظرية التولد الذاتي (الجرثومة الكونية) والرد عليها:

أولاً: التعريف بنظرية التولد الذاتي، وأبرز روادها.

ثانياً: تاريخ نظرية التولد الذاتي ومراحلها، وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على المادية في نظرية التولد الذاتي.

المبحث الثاني: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الفيزياء

والفلك ونقضها:

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المادية في نظرية أزلية الكون والرد عليها:

أولاً: التعريف بنظرية أزلية الكون.

ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية أزلية الكون وعلاقتها بالإلحاد.

ثالثاً: الرد على مادية نظرية أزلية الكون.

المطلب الثالث: المادية في نظرية الأكوان المتعددة (المتوازية):

أولاً: التعريف بنظرية الأكوان المتعددة.

ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية الأكوان المتعددة.

ثالثاً: الرد على المادية في نظرية الأكوان المتعددة.

المطلب الثالث: المادية في نظرية (إم) والرد عليها:

أولاً: التعريف بنظرية (إم).

ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية (إم).

ثالثاً: الرد على المادية في نظرية (إم).

الخاتمة: وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الأماكن.

فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.

قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد

نبذة عن مفهوم المادية وسياقها التاريخي

- أولاً: مفهوم المادية الإلحادية ودلالاتها ومسمياتها حقيقتها.
- ثانياً: السياق التاريخي لتطور المادية الإلحادية.

تمهيد:

إن كثيراً من النظريات والفلسفات تحدثت حول قضية الوجود، وقد انحصرت في عدة اتجاهات، الأول: الاتجاه الثنائي، وله صورتان، صورة تعترف بوجود الله وكمالته، وأزليته، وصورة أخرى تتمثل في العالم المادي المحسوس الذي ينبع من الوجود الأول، وأما الثاني: الاتجاه الروحي، يرى أن الوجود واحد فقط، وأما الثالث، فهو الاتجاه المادي، حصر الوجود في المادي المحسوس المطلق، وهو اتجاه مادي ملحد، وقد أسفرت هذه الاتجاهات عن مذاهب فلسفية متعددة المناهج والأحكام والتصورات^(١)، ومن خلالها صيغت كثير من المعتقدات والأفكار، مثل الفكر المادي، الذي ضرب جذوره في البيئات المختلفة قديماً وحديثاً، حيث أسهم الفكر المادي في تشكيل كثير من المصطلحات الفكرية والفلسفية، وظهرت كثير من الفلسفات التي تستند إلى الفكر المادي. وقبل أن نتحدث عن الأسس التي يقوم عليها الفكر المادي، لا بد من تقديم فصل تمهيدى حول مفهوم المادية ومراحلها التاريخية، وعوامل ظهورها، وآثارها، وعلاقتها بالثقافات الأخرى.

أولاً: مفهوم المادية الإلحادية ودلالاتها ومسمياتها وحقيقتها:

١. مفهوم المادية لغة واصطلاحاً:

لم يجمع الماديون أنفسهم على فكرة المادة، على الرغم من أنها تلعب دوراً مهماً في فلسفتهم، كما أن المادة التي يعتقدون بها لا يمكن البرهنة عليها ببرهان قاطع، فالنزاع لا يزال قائماً بين المذهب المادي الميكانيكي^(٢)، والمذهب الديناميكي في الطبيعة^{(٣)(٤)}، الذي يُسقط فكرة المادة من حسابه تماماً على أنه ليس من المستبعد أن يفسر المذهب الديناميكي الطبيعة تفسيراً مستقيماً خالياً من التناقض، ولكن في هذا قضاء على فكرة المادة قضاءً مبرماً^(٥).

(١) انظر: الوجودية في الميزان، مصطفى غلوش، ص ١٢-١٤.

(٢) المذهب الميكانيكي: هو دراسة المكنات (الآلات)، ويعني: دراسة الحركة بوصفها نقلة، وقد ساد في القرن الثامن عشر. انظر: مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر، نقلته إلى العربية وقدمت له: فهيمة شرف الدين، ص ١٢٦.

(٣) المذهب الديناميكي: يشير هذا المذهب إلى الاتجاه الديالكتيكي، الذي يدل على حركة التغير والتطور الملاحظة في الكون. انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٢١١.

(٤) الطبيعة: تُطلق على الكون وما فيه، وأصل الشيء وجوهره، والفطرة، والخضرة. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٢٧٥.

(٥) انظر: المدخل إلى الفلسفة، أرفلد كولبه، ترجمة: أبو العلا عفيفي، ص ١٧٩. المنطق الحديث ومناهج البحث، محمود قاسم، ص ٦٩ وما بعدها.

وقد زعم ماركس Marx^(١) وشيعته أن لفظة (المادة) من البداهة^(٢) بحيث لا تحتاج إلى إيضاح^(٣)، وقد غلب إطلاقها على مقابلة الروح، وهو ما يوجد في الثنائية^(٤) القديمة، التي قسمت الوجود مرئي وغير مرئي، أي مادة مشاهدة، وروح غير مشاهدة^(٥).

أ. مفهوم المادية لغة:

لا يوجد في اللغة العربية كلمة "مادة" بمعناها الحديث، كما أن المادة والمادية لم يردا في القرآن الكريم أو في السنة الصحيحة^(٦).

وقد ذكر اللغويون في معناها أقوالاً كثيرة، يتبين من خلالها أن لفظة (المادة) تعود في أصلها للغوي إلى عدة معانٍ، وأبرز هذه المعاني:

- مادة الشيء: التي يحصل الشيء معها بالقوة^(٧).
- امتداد الشيء واتصاله^(٨).
- اسم مرادف للهولي^(٩)، وتُقَال مادة لكل موضوع يقبل الكمال باجتماعه إلى غيره، ووروده عليه يسيراً^(١٠).
- مادة الشيء كل جسم ذي امتداد ووزن، ويشغل حيزاً من الفراغ، ويُطلق أصول الشيء وعناصره: مادة الشيء، حسية كانت أو معنوية، فيقال: مواد اللغة، ومواد العلم، ومواد القانون، وهكذا^(١١)، وتأتي كلمة المادي في مقابل كلمة المعنوي^(١٢).

-
- (١) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث الثالث من الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.
 - (٢) البداهة: يُعرف البديهي بأنه ما لا يتوقف حصوله في الذهن على نظر أو كسب. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٧٥.
 - (٣) انظر: كارل ماركس الماركسية والإسلام، كامل محمد عويضة، ص ٤٥.
 - (٤) الثنائية: ما يتألف من عنصرين أو واقعين اثنين. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ١٢٧.
 - (٥) انظر: الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، محمود عثمان، ص ١٤.
 - (٦) انظر: مجلة العربي، ١٨٥٤، ص ٨.
 - (٧) انظر: التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، ص ١٩٥.
 - (٨) انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، (٣٠٧/٥).
 - (٩) الهولي: لفظ يوناني بمعنى: الأصل، والمادة. التعريفات، الجرجاني، ص ٢٥٧.
 - (١٠) المصطلح الفلسفي عند العرب، عبد الأمير الأعمش، تحقيق: عبد الأمير الأعمش، ص ٢٤٥.
 - (١١) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، (٨٥٨/٢).
 - (١٢) انظر: المصدر السابق، (٦٣٣/٢).

مما سبق يتبين أن لفظة المادة تعود في أصلها إلى معنى الزيادة، واتصال الشيء، وهي تقابل الشيء المعنوي.

ب. مفهوم المادية اصطلاحًا:

عُرف مفهوم المادية من قديم، وبدأ آثاره في نزعات فلسفية وسياسية مختلفة، وهو يقابل الروحية^(١) والمثالية^(٢)(٣)، ولكن كلمة (مادة ومادي) لم تُضافا إلى المعجم العلمي إلا في عام ١٧٣٤م، الأمر الذي أسهم في دخولهما إلى المصطلحات العلمية في عام ١٧٥١م^(٤).

وقد تطورت دلالات ومعاني ومجالات مصطلح المادية عبر أزمان متعددة، حيث أصبح يكتنفها أكثر من مؤثر ومفهوم، فانبثرت كلٌّ من الأوساط العلمية والفلسفية لبيان هذا المصطلح^(٥):

المفهوم الأول: المادة في المجال العلمي:

- حقيقة المادة في الفكر الغربي:

الأصل في مفهوم المادة أنها: ما كان له وجود خارج الذهن، وتُدرك بوحدة من الحواس الخمس^(٦)، وهي بهذا المعنى موضوع جامد ذو أبعاد ثلاثة، محدد بسطح معين يعزله عن البيئة، ويجعله قابلاً للتعرف على الرغم من تغير البيئة، وهو كائن يدوم خلال التغيرات، وفعلي يحافظ على مركز ثابت خلال تغير الخواص الإدراكية والخارجية، ويحتل حيزاً محدداً في المكان، وله وجود مستقل عن وجودنا^(٧)، وهذا ما تعارف عليه أهل القرن التاسع عشر^(٨).

والمذهب المادي هو الإيمان بهذه المواد وحدها، وبحركاتها، وقوانينها فقط، ودون شيء آخر^(٩).

(١) الروحية: مذهب يرى بأن الروح هي الحقيقة القائمة بذاتها، وأن الروح جوهر الوجود. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٢٢٤.

(٢) المثالية: اتجاه فلسفي، يفسر كل موجود بالفكرة، ورد الوجود إلى الفكر. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٤١٠.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ١٦٤.

(٤) قام فولتير Voltaire بإدخال (مادة مادي) إلى المعجم العلمي، ثم قام داجنون فأدخلهما في المصطلحات العلمية. انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ١٣٢.

(٥) انظر: موقف القرآن الكريم من الفكر المادي، محمد طالب مدلول، ص ٢٠.

(٦) انظر: المادية في الفكر الفلسفي، أحمد رمضان، ص ١٠.

(٧) انظر: فلسفة برتراند رسل، د. محمد مهران، ص ١٥١.

(٨) انظر: المادية والمذهب التجريبي النقدي، لينين، ص ٢٦١.

(٩) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (١٦/٢).

- خصائص المادة:

- ليس للمادة لها أي سمة من سمات العقل، أي: إن المادي ليس له أيّة سمة من السمات التي تميز الإنسان كإنسان^(١).
 - كان القدماء يرون أن المادة تتكون من أربعة عناصر فقط، وهي: النار، والماء، والتراب، والهواء، أما الآن فعدد المواد الرئيسية يبلغ اثنتين ومئة مادة أو عنصر^(٢)، وقد ادّعت المادية أنّها صنوّ^(٣) الواقعية^(٤)؛ وذلك نسبة إلى الواقع الذي لا ينكر ولا يُكذّب^(٥).
 - المادة لها كتلة، تشكل حجمًا يمكن رصده، وهي من جزيئات والجزيئات مكونة من ذرات^(٦)، بمعنى أن المادة لها كتلة، وتشكل حجمًا يمكن رصده في الفراغ، يقبل التقسيم ويتخذ أشكالًا متعددة ومتنوعة مختلفة، ويُدرك بإحدى الحواس^(٧)، وقد عرفها نيوتن^(٨) Isaac Newton بقوله: "جسيمات كبيرة وصلبة ومتحركة"^(٩).
- وقد كان يُتصور قديمًا في المادة أنها شيء متناهٍ في الدقة والخفاء، وبعد التقدم العلمي الذي شهده القرن العشرون لم يعد ذلك مقبولًا، فالجاذبية^(١٠) وقوانينها، والذرة^(١١) ومكوناتها، والعقل والفكر، كلها أشياء يعدها العلم حقائق، ولكنها ليس خاضعة للحس والتجربة، ولا يمكن إطلاق

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١/٧١-٧٢).

(٢) انظر: الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غزال، (٢/١٦١).

(٣) الصنوّ: المثل، والتقارب بين الشئيين. انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (٣/٣١٢).

(٤) الواقعية مذهب أدبي، فكري، مادي، ملحد، يقتصر في تصويره الحياة، والتعبير عنها على عالم المادة، ويرفض عالم الغيب، والإيمان بالله، ويصوّر الإنسان بالحيوان الذي تسيره غرائزه لا عقله. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٢/٨٧٤).

(٥) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (٢/١٠٨٢).

(٦) انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، (١/٥٨٨).

(٧) انظر: الكيمياء العامة، حسن أحمد شحاتة، ص ١٩.

(٨) إسحاق نيوتن Isaac Newton، عالم إنجليزي، يُعد من أبرز العلماء مساهمة في الفيزياء والرياضيات عبر العصور، وُلد في عام ١٦٤٣م، وتوفي في عام ١٧٢٧م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٦٨٤.

(٩) العلم في منظوره الجديد، روبرت م، أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة: كمال خليلي، ص ١٩.

(١٠) الجاذبية: قوة الجذب التي تبذلها الكتل لكي تجذب أجسامًا أخرى نحوها، فهي قوة الشد التي تجعل مختلف الكتل تسقط على الأرض. انظر: أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بضمه جي، ص ٥٤.

(١١) الذرة: جزء أصغر من العنصر، تتكون من نواة موجبة، وتدور حولها الكتلونات سالبة. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٢٤.

وصف المادة عليها؛ بل إنها عُرِفَتْ بآثارها^(١)، كما يدخل في ذلك جميع الماهيات، كما هي^(٢) الحرارة أو الكهرباء، ذلك يُسهم في أن يبقى مفهوم المادية غامضًا حتى عند الماديين أنفسهم، ويبقى في الطبيعة أشياء كثيرة لا يستطيع الفكر المادي أن يُجيب عنها كما هي الحياة وغير ذلك من الحقائق^(٣)، وهذا يمثل أحد أهم آثار الاكتشافات العلمية^(٤).

- نظرة العلم التجريبي للمادة:

ومع توالي الاكتشافات العلمية أعاد الماديون صياغة تعريف المادة لتنسجم المزاعم المادية في ظل تعريفها، فقالوا عن المادة: الوجود الموضوعي خارج الذهن، ولما تبين لهم فساده اشترك تسعة وثلاثون عالمًا ومفكرًا سوفيتيًا في تأليف كتاب: أسس الماركسية اللينينية، بعد أن ظلوا حائرين نتيجة انفلات جميع التعريفات المادية من أيديهم^(٥)، واضطر الماديون إلى الخوض في عمليات ترقيع وإضافة، من أمثال لينين Lenin^(٦)، حين عكف بعد موت إنجلز^(٧) على معظم مؤلفات الفيزياء في العالم ليعالج الخلل والفساد الذي بدأت تتكشف في ظل مزاعم المادية^(٨). فلم يعد مفهوم الذرة^(٩) في علم الكيمياء كرة صغيرة لا تنقسم، فهي شيء معقد، مما يدل على أن علم الطبيعة عاجز عن تحديد كل من موضع أحد الجزيئات التي تدخل في تركيب الأجسام وسرعة هذا الجزيء في الوقت نفسه^(١٠).

-
- (١) انظر: الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة، صابر طعيمة، ص ١٧.
 - (٢) الماهية: طبيعة الشيء، وما يميزه عن غيره. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٤٠٦.
 - (٣) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٨٢.
 - (٤) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (٨٣/٢).
 - (٥) انظر: الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، صابر طعيمة، ص ٤٤.
 - (٦) فلاديمير بلينين Vladimir Blinin: ثوري روسي ماركسي، وقائد الحزب البلشفي والثورة البلشفية، وُلد في عام ١٨٧٠م، وتوفي في عام ١٩٢٤م. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩٢٠/٢).
 - (٧) فردريك إنجلز: هو صديق ماركس الحميم، وُلد في عام ١٨٢٠م، وتوفي في عام ١٨٩٥م. انظر: الشيوعية والشيوعيون في ميزان الإسلام، عبد الجليل شلبي، ص ٩٥.
 - (٨) انظر: ماركسية القرن العشرين، روجيه جارودي، ترجمة: نزيه الحكيم، ص ٧١.
 - (٩) الذرة: جزء أصغر من العنصر، تتكون من نواة موجبة، وتدور حولها إلكترونات سالبة. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٢٤.
 - (١٠) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ٢٠٠.

فالذرة في العلم الحديث شيء معقد، وهي منبع الإشعاعات^(١) والطاقات^(٢)، فالنظر إلى المادة باعتبارها تقوم على أساس صلب جامد قد بطل وزال في المنظور العلمي فالفكرة الحديثة عن المادة لا تميزها عن الطاقة^(٣)^(٤)، وهذا يدل على أن تعريفات علماء الطبيعة والفيزياء قبل الفلاسفة كانت تعريفات ساذجة، لا تقدم دليلاً على ما ذهبت إليه المادية^(٥).

وبناءً على ذلك تغير مفهوم المادة؛ تبعاً لتقدم علم الطبيعة، فقد اقتربت من القوة بعد أن ابتعدت عن الأخذ بالصلابة والتحديد المكاني الدقيق لها^(٦)؛ على اعتبار أن عناصرها ليست محسوسة أو مرئية^(٧).

فلم يعد العلم يهدف إلى التوصل إلى حقائق يقينية مطلقة ونظريات لا حدودية عن الكون^(٨)، وما يتعلق به، حيث أصبح هناك سقف للعلم، وحدود طبيعية للمعرفة، وهو ما عرف بثوابت بلانك^(٩)^(١٠).

المفهوم الثاني: المادة في المجال الفلسفي والفكري:

- إطلاقات لفظة (مادي) بالمصطلح الفلسفي القديم:

- المادة عند الحكماء هي المحل، وتسمى بالهولي أيضاً، والحكماء لا يتحاشون عن ذلك الاستعمال في الكتب الطبيعية^(١١).

(١) الإشعاع: طاقة تطلق في شكل موجات أو جسيمات صغيرة من مادة ما، وله أشكال عديدة. انظر: أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصمه جي، ص ١٥.

(٢) انظر: الفيزياء الحديثة والمادية الجدلية، إفيشيوس بتساكيس، ترجمة: عبد الرزاق السومري، م ١٠، ع ٩، ص ١٤٢.

(٣) الطاقة: القدرة على إنجاز العمل، ذات شكل متغير. انظر: أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصمه جي، ص ١٤.

(٤) انظر: منازع الفكر الحديث، جود س. أ. م، عربه: عباس فضي خماش، ص ١١٤.

(٥) انظر: ماركسية القرن العشرين، روجيه جارودي، ترجمة: نزيه الحكيم، ص ٧١.

(٦) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ٢٠٠.

(٧) انظر: أفي الله شك؟ بحث في علاقة العلم بالإيمان، حمد المرزوقي، ص ٥٣.

(٨) الكون: كل ما في الوجود، من مادة، وطاقة، وإشعاع، وهي النجوم، والمجرات، والكواكب، وكل شيء. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٢٠٧.

(٩) نسبة إلى ماكس بلانك Max Planck، وهو: عالم ألماني، صاحب نظرية الكوانتم، وُلد عام ١٨٥٨م، وتوفي عام ١٩٤٧م. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٧.

(١٠) انظر: أفي الله شك؟ بحث في علاقة العلم بالإيمان، حمد المرزوقي، ص ٥٣.

(١١) انظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، التهانوي، تحقيق: علي دحروج، (١/٤٢١).

• يرى أرسطو Aristotle^(١) أن المادة هي المعنى المقابل للصورة، وبالتالي بها وجهان: الأول: دلالتها على العناصر غير المعينة التي تُؤلف الشيء، وهي الهولي، والقوة المطلقة، والثاني: دلالتها على المعطيات الطبيعية والعقلية، التي يعمل الفكر على إكمالها وإنضاجها^(٢).

• المادة عند الرواقيين^(٣): الرواقيون حسيون صرحوا بالمبدأ الحسي المشهور بأن لا شيء في الذهن ما لم يكن قبل في الحس، وقد أنكر الرواقيون المثل الأفلاطونية المجردة، والمبادئ المفارقة للمادة، فقالوا إن الشيء لا يكون حقيقياً ما لم يكن جسمانياً، واعتبروا كل علة عندهم جسمًا من الأجسام، وكل حقيقة هي جسمانية، ولا وجود إلا للجسم، وما لا جسم له لا وجود له^(٤).

- إطلاقات لفظة (مادي) بالمصطلح الفلسفي الحديث:

• غلب إطلاق كلمة "مادي" في العصر الحديث على الشخص الذي يهتم بجمع المال، ويُقبل على متاع الدنيا، والصحيح عكس ذلك؛ فلا علاقة لها بجمع المال أو بالإقبال على الدنيا، ويُمكن للإنسان المادي المغالي في ماديتته أن يكون زاهدًا تمامًا في النقود والدنيا، كما هو الحال مع إنجلز Inglis وإسبينوزا Espinoza^(٥).

• أما النزعة المادية عند المفكرين فترى أن المادة وحدها هي الجوهر الحقيقي الذي تفسر به جميع ظواهر الحياة وجميع أحوال النفس. وهذا الرأي يشمل: القضية الميتافيزيقية^(٦)

(١) أرسطو Aristotle : من أعظم نوابغ النظر العقلي في تاريخ الفكر اليوناني، وتلميذ أفلاطون، وُلد في عام ٣٨٤ ق. م، وتوفي في عام ٣٢٢ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٢.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، (٣٠٦/٢).

(٣) الرواقيون: ينسب هؤلاء الفلاسفة إلى المدرسة التي أسسها زينون الرواقي ٣٤٠-٢٦٥ ق. م، وقد كان يعلم أصحابه في رواق مزخرف في أثينا، فسموا بالرواقيين، أهم ما يميزها اللامبالاة بالألم. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ٢٦٧. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٢٢٠-٢٢١.

(٤) انظر: الفلسفة الرواقية، عثمان أمين، ص ٩٥-١٥٣.

(٥) إسبينوزا Espinoza : فيلسوف هولندي، وُلد في عام ١٦٣٢م، وتوفي في عام ١٦٧٧م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٥٩.

(٦) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (٧١/١).

(٧) الميتافيزيقيا: فرع من الفلسفة، يبحث عن الحقيقة الأولية للوجود، والقضايا الغيبية. انظر: العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، (١١٢/١).

العامّة التي مؤداها يشير إلى أنه لا وجود لغير نوع واحد أساسي من الواقع وهذا النوع مادي، والقضية الأكثر تخصصًا ألا وهي أن الكائنات الإنسانية، والمخلوقات الحية الأخرى ليست ثنائية مركبة من جسم مادي وروح لا مادية، وإنما هي أساساً جسمية في طبيعتها^(١).

- يرى ديكارت Descartes^(٢) أن المادة مقابلة للصورة من جهة، ولل فکر من جهة أخرى، أما التقابل بينها وبين الصورة، فيرجع إلى أن الجسم مؤلف من شيئين: أحدهما شكله الهندسي، وهي صورته، والآخر جوهره المشخص المفرد الموجود بالفعل وهي مادته، وأما التقابل بينها وبين الفكر، فيرجع إلى أن المادة كتلة، مُدركة بالحواس، في حين أن الفكر داخلي، مجرد عن المادة ولواحقها^(٣).
- المادة عند إيمانويل كانط Emmanuel Kant^(٤) تُطلق على معطيات التجربة الحسية من جهة ماهية، مستقلة عن قوالب العقل، فمادة الظاهرة عنصرها الحسي، أما صورتها فهي العلاقات التي تضبطها، وتنظم حدوثها^(٥).
- عرف الماركسيون المادة بأنها كل ما يحيط بنا، وله وجود موضوعي، وهي العالم الذي يؤثر على أعضاء حواسنا ويسبب الأحاسيس^(٦).

- مفهوم المادة حسب مجالات الاستخدام:

وقد دخلت المادية بمفهومها اللغوي والاصطلاحي إلى مجالات متعددة، وذلك كالآتي:

- مجال الطبيعة، حيث فسرت الوجود بالمادة وحدها.
- مجال الأخلاق، حيث فسرت غاية الأفعال بتحقيق الخيرات المادية واللذة^(٧) والشهوة.

(١) انظر: الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، ج. أو . أرمسون، نقلها عن الإنجليزية: فؤاد كامل وآخرون، ص ٣٨٤.

(٢) رينيه ديكارت: فيلسوف، وعالم رياضي، وفيزيائي، فرنسي، يلقب بـ"أبو الفلسفة الحديثة"، وُلد في عام ١٥٩٦م، وتوفي في عام ١٦٥٠م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٩٨.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، (٢/٣٠٧).

(٤) إيمانويل كانط (كانت) Emmanuel Kant : فيلسوف ألماني، وُلد في عام ١٧٢٤م، وتوفي في عام ١٨٠٤م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥١٣.

(٥) انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، (٢/٣٠٧).

(٦) انظر: أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، سبيريكن وياخوت، ترجمة: محمد الجندي، ص ٢٧.

(٧) اللذة: حالة من الشعور اللطيف المستحب، وإشباع الميول الإنسانية. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٩٢.

- مجال التاريخ، حيث ردت حضارات الأمم، وعاداتها، ومعتقداتها، ونظمها، وحياتها العلمية والفنية إلى أسباب اقتصادية^(١).
 - علم النفس، حيث فسرت جميع أحوال الشعور بأنها ظواهر ثانوية ناشئة عن الظواهر الفيسيولوجية^(٢) المقابلة لها^(٣).
 - المجال الطبي، وهي ما يفرزه الجسم البشري والحيواني والنباتي^(٤).
- ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المادية تضم بين جنباتها كل اتجاه أو فكر أو رأي يقرر الوجود الأزلّي للمادة، وأنه لا وجود لأي جوهر غيرها.
- حيث حصل اضطراب كبير في تحديد المراد من المادية^(٥)؛ لأن الفلاسفة لا يتفقون على تعريف واحد للمادة، ولا يستطيعون حصر المادة حصرًا دقيقًا، حيث دخلت معلومات كثيرة مغلوبة فيها^(٦).

التعريف المختار:

ومن خلال النظر في تعريفات المادية المختلفة، التي لا يوجد لها أصل في القرآن، ولا في السنة، ولا في معاجم اللغة، يمكن القول بأن المادية هي: المذهب الذي يفسر كل شيء بالأسباب المادية، وأن المادة وحدها هي الجوهر الحقيقي الذي به تفسر جميع ظواهر الحياة في الكون والمعرفة والسلوك، وترفض كل ما هو غيبي، وهي مقابلة للمذهب الروحي، وجرى التعارف عليها بهذا المعنى.

(١) انظر: أسس الفلسفة، توفيق الطويل، ص ٨٨.

(٢) الفيسيولوجيا: علم وظائف أعضاء الإنسان. معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد، ص ٤١٥.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، (٣٠٩/٢).

(٤) انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ١٣١.

(٥) انظر: الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، محمود عثمان، ص ١٣.

(٦) انظر: الحيوية في مواجهة الفكر المادي، مجدي عبد الحفيظ، ص ١٣٥. المبادئ الأساسية في الفلسفة، جورج بولنزار، ترجمة: عمر الشارتي، ص ١٩.

٢. مسميات المادية:

دأب الناس على أن مجرد تسمية إحدى الفلسفات لنفسها بالمادية يعتبر عادة في نطاق حدودهم الثقافية أمرًا يدعوهم إلى النفور منها، وقفل الأبواب دونها، وأن كلمة مادية تستخدم في العادة في سياق الاتهام، لا من أجل التصنيف فقط؛ لهذا جنح الماديون إلى إطلاق اسم التجريبية والطبيعية والإنسانية والواقعية وما شابه ذلك على فلسفات كان من الأدق أن تسمى مادية^(١).

وهذا يعني أن المادية لها أسماء كثيرة تتزَيَّ بها، ومن هذه الأسماء:

أ. الفلسفة الآلية، وهو مرادف للمذهب المادي، ومضاد للغائية، وهو مذهب يرد الظواهر الطبيعية أو بعضها إلى جملة من العوامل الميكانيكية، وقد تم تطوير المذهب الآلي في القرن السابع عشر الميلادي في إنجلترا وفرنسا، وأصبح جزءًا من الثورة الصناعية^(٢)، ومع بداية القرن التاسع عشر الميلادي أدرك علماء المذهب أن هذه الفلسفة قاصرة عن تفسير الظواهر الطبيعية مثل الكهرباء وغيرها، وبالتالي لم تعد النظرية مقبولة^(٣).

ب. الواحدية، وهي مذهب يرد الكون كله إلى مبدأ واحد، وهي القوة الدافعة للمادة الكامنة فيها، التي تتخلل ثناياها وتضبط وجودها، وهي قوة لا تتجزأ، ولا يعلوها أحد، ويرد الظاهرة متعددة الجوانب إلى أحد أوجهها دون أوجهها الأخرى، فهي تدل على الانفراد، وهو المادة في وحدة الوجود المادية، وهذا النمط الأخير هو الأكثر شيوعًا؛ ولذا فنحن نخصص أحيانًا، ونشير إليه بأنه "الواحدية الكونية المادية"، أو "الواحدية المادية"، أو "الواحدية الموضوعية المادية"، والواحدية الكونية مفهوم أنطولوجي^(٤) ينسب الواحدية إلى الكون، بينما الأحادية مفهوم إبستمولوجي^(٥) يرى أن الأحادية خاصة تسم بعض طرق التعريف والتحليل والإدراك^(٦).

(١) انظر: فلسفة القرن العشرين، برتراند رسل، ترجمة: عثمان نويه، ص ٢٥٨.

(٢) الثورة الصناعية: الانتقال التاريخي من الماكينة اليدوية إلى الصناعة الآلية الكبيرة، وقد بدأت في إنجلترا في نهاية القرن الثامن عشر. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جلي، هاني رزق، ص ٣١٦.

(٣) انظر: معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلم للألفاظ العربية والانجليزية والفرنسية واللاتينية، محمد فتحي عبد الله، ص ٢٧. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، (١/٢٧).

(٤) الأنطولوجيا: قسم من أقسام الفلسفة، يُعنى بدراسة وتأمّل الوجود. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٦٧-٦٨.

(٥) الإبستمولوجي: أي المعرفي. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ١٢.

(٦) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١/٦٢). مفهوم الواحدية أيضًا: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٤٠٥.

ت. يطلق المذهب المادي على المذهب الطبيعي في صورته الاعتقادية، وهو المذهب الذي يصف الكون بألفاظ العلوم الطبيعية، فيعتقد الماديون أن في العلوم الطبيعية وحدها تقوم المعرفة الممكنة، ويتخذ المذهب المادي صوراً شتى^(١)، والفلسفة الطبيعية ترتبط بالفلسفة المادية materialism، ولكنها ليست مرادفاً لها، وإن كان يصعب الفصل بينهما أحياناً^(٢).

والمذهب الطبيعي هو: عقيدة تؤكد كمال الطبيعة، وحصانتهما ضد أي فعل ليس منها، وعلى هذا النحو لا ينص المذهب الطبيعي على شكل محدد للطبيعة، لكن المذهب الطبيعي يميل عملياً إلى أن يؤول إلى المادية؛ لأن المادة تبدو بالتأكيد جزءاً لا يتجزأ من الطبيعة، ولا يبدو شيئاً آخر قابلاً للتطبيق، خصوصاً بالنسبة لفهم واقعي للطبيعة، فالمذهب الطبيعي في حاصل الأمر يفترض حفظ العالم آمناً من خرافات الغيبيات^(٣)، وتؤكد الطبيعية أن عالم الطبيعة هو المجال الوحيد الموجود، ولا تتدخل في إرادته أي نفوس أو أرواح إلهية كانت أم بشرية^(٤)، وهذا نفس المادية، حيث تتفقان في رؤيتهما للكون انطلاقاً من الإيمان بالله^(٥).

ويشير المسيري^(٦) إلى أن الماديين في الغرب قد استبدلوا لفظ "الطبيعة" بلفظ "المادة"؛ بُغية التخفيف من حدة اللفظ، ولكن المحتوى بقي كما هو^(٧)، حيث "إن تعقيد مفهوم المادة جعل مختلف الفلسفات المادية تميل للاستعاضة عن المادة ببعض الأفكار، فتحول المذهب المادي إلى مذهب طبيعي، ولكن لا يمكن أن نقول إن الاتجاهين أصبحا متماثلين"^(٨).

وهنا تبدو المادة هي الأساس الأول، الذي نشأت عليه النزعة الطبيعية، وذلك في شتى اتجاهات الفكر الفلسفي القديم والمعاصر^(٩).

فدعاة الفلسفة المادية ينتمون للفلسفة الطبيعية، ولكن بعض أتباع الفلسفة الطبيعية يرون أنه يجب الفصل بين العقل والوعي من ناحية، والمادة من ناحية أخرى، وبعض الطبيعيين يرون أن

(١) انظر: أسس الفلسفة، توفيق الطويل، ص ٨٨.

(٢) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ٤٩.

(٣) انظر: كومينيون ما وراء طبيعة المعلومات، ويليام ديمبسكي، ترجمة: خليل زيدان، ص ٤٣.

(٤) The Oxford Companion To Philosophy, Ted Honderich, P604.

(٥) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ٥٢.

(٦) عبد الوهاب المسيري: مفكر مصري إسلامي، وُلد في عام ١٩٣٨م، وتوفي في عام ٢٠٠٨م. انظر: موقف

الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين دراسة تحليلية نقدية، صالح بن محمد الدميحي، ص ١٠٩.

(٧) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٥.

(٨) The Oxford Companion To Philosophy, Ted Honderich, P530.

(٩) انظر: فلسفة القيم عند جورج سانتيانا دراسة جمالية وأخلاقية، سعيد علي عبيد، ص ٥٤.

الكون يتكون من عقل محض، إلا أن العامل المشترك بين الفلسفة الطبيعية، والفلسفة المادية هو أن كليهما ترفض الإيمان بما هو فوق الطبيعة، ومن ثم مهما كانت الاختلافات بين الفلسفة المادية والطبيعية، فالاثنتان في جوهرهما إحدائتان^(١).

٣. حقيقة المذاهب المادية:

أ. تقوم فلسفة الفكر المادي على الإلحاد، والقول بأن الظواهر المتعددة للأشياء ترجع إلى أساس واحد هو المادة، وأن العالم مجموعة مكونة من شيء واحد، وهو المادة، التي هي أساس كل شيء، وتنكر وجود روح قائمة بنفسها، قد تتصل بالمادة؛ ولذلك فهي ترى أن الزمن الذي كان يُقال فيه بوجود روح مستقلة عن المادة قد مضى^(٢).

ب. تزعم المادية في فلسفتها المعاصرة أن كل حسي مادي مشاهد موجود، وما كان غير ذلك فهو غير موجود، وعلى هذا الأساس قامت معرفتهم؛ مما جعلهم يفسرون الكون تفسيراً مادياً بحتاً، فهم لا يرجعون شيئاً منه للإرادة الإلهية ولا للعلم الإلهي؛ بل يفسرون كل مظاهر الحياة تفسيراً مادياً، وكل ما لا تدركه الحواس من المجردات عن المادة، وما هو ليس من نفس المادة ليس له وجود؛ ولذلك نسب الماديون الفاعلية في الكون إلى المادة أو الطبيعة^(٣).

تلك هي فلسفة المادية في الفكر الغربي الحديث، أي أنها صاحبة عقيدة إلحادية صرفة، فإذا ذُكرت عُرفت بأنه المضاد تماماً لأي اتجاه ديني^(٤).

ثانياً: السياق التاريخي لتطور المادية الإلحادية وأبرز أعلامها:

مرت المادية بتراكمات فكرية فلسفية عديدة، وتوغلت في أعماق التاريخ، ابتداءً من عصر اليونان حتى القرن السابع عشر الميلادي، إلى أن تبلورت في الفكر الفلسفي الغربي الحديث^(٥)، وأصبحت تتخذ طابع الاستقلال الفكري عن الفلسفات الأخرى، بعدما كانت متداخلة معها، وبالتالي فإن أي تأريخ للفكر المادي هو تأريخ لتطور الفلسفة عموماً؛ لأن النظرة المادية أو الرؤية المادية

(١) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كنتوت، ص ٤٩-٥٠.

(٢) انظر: مبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ترجمة: أحمد أمين، ص ٩٧.

(٣) انظر: غاية الكون بين الإسلام والمادية، نجاه موسى الذيب، ص ١٨٧. الدوافع نحو المادية، مرتضى مطهري، ترجمة: محمد علي التسخيري، ص ٢٨.

(٤) انظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ. م. بوشنسكي، ترجمة: عزت قرني، ص ٢٥.

(٥) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ١٧-١٨. أفي الله شك؟ بحث في علاقة العلم بالإيمان، حمد المرزوقي، ص ٣٠. الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية، سعود بن سلمان آل سعود، ص ٣. تاريخ المادية للانجه، فؤاد زكريا، ص ١٩.

للأشياء رافقت ظهور الفكرة الفلسفية منذ بداياتها الأولى^(١)، حيث ظهرت أول النظريات المادية إلى حيز الوجود مع ظهور الفلسفة^(٢).

ويمكن تفصيل المراحل الزمنية لنشأة المادية وتطورها كالاتي:

١. تسلسل الفكر المادي عبر الحضارات:

وعند النظر في تاريخ ظهور الفلسفة يتبين أنها نشأت في بلدان الشرق القديم قبل حوالي ثلاثة آلاف سنة^(٣)، ويمكن بيان المراحل كالاتي:

أ. مرحلة قدماء المصريين:

وقد ظهرت المادية قديماً عند المصريين، حيث ظهرت بذور المادية عند قدماء المصريين في تصورهم الآلهة بالكائنات الطبيعية والإنسان^(٤)، فقد كان المصريون يعدون الحياة مظهرًا لقوة واحدة، ولم يفرقوا في هذا بين الإنسان، والثور، والشجرة، والإله؛ لهذا كانوا يجسمون آلهتهم في أشكال مختلفة^(٥)؛ ولذلك حظي فرعون مصر بالقوة والرياسة لدرجة تفوق الملوك والكهان، حتى عبده وجعلوه إلهًا معبودًا مقدسًا^(٦).

فاللاهوت^(٧) المصري القديم لم يخلُ من النزعة المثلثة، القائمة على الوحدة الجوهرية، التي كان فيها الفرعون المصري يجمع بين الأب والابن في الألوهة البابلية^(٨).

وتدل المصادر التي وصلت إلينا على وجود الوازع الخلفي عند المصريين الأقدمين، حيث إن أقدم بحث عُرف عن الحق والباطل في تاريخ الإنسان عُثر عليه في ثنايا مسرحية (منفية)، وهي نسبة إلى المدينة المصرية القديمة، حيث تشيد المسرحية بعظمة مدينة منف المصرية القديمة، وسيادتها، ويرجع تاريخها إلى منتصف الألف الرابع قبل الميلاد^(٩).

(١) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٢٢-٢٣.

(٢) انظر: موقع الحزب الشيوعي السوري، ما هي الفلسفة المادية، تاريخ الاطلاع: ١٢ نوفمبر ٢٠٢٠م، الموقع: <https://bit.ly/2Mf94Db>، ٧ نوفمبر ٢٠١٩م.

(٣) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٢٣.

(٤) انظر: ما قبل الفلسفة، جون ولسون وآخرون، ترجمة: جبر إبراهيم جبرا، ص ٨١.

(٥) انظر: فلسفة الشرق، مهرداد مهري، ص ٢٦.

(٦) انظر: الحق والخلق والفرق في القرآن الكريم، طلال غزال، ص ٣٨.

(٧) اللاهوت: علم العقائد، والبحث في قضية الخالق. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣٢٣.

(٨) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية، أندريه نايتون-إدغار ويند-كارل غوستاف يونغ، ص ٨٣.

(٩) انظر: فجر الضمير، جيمس هنري برستد، ترجمة: سليم حسن، ص ٣٨.

ب. مرحلة الفكر الصيني:

وفي الصين: تجلى الفكر المادي في المجتمع الصيني القديم خاصة في: الإيمان بالخرافات، وعبادة الطبيعة الذي يقوم على: الخوف من الطبيعة وعبادة الأرواح، وعبادة السماء، والخشية منها، واعتبارها الإله الأكبر، وعبادة الريح، والرعد، والأشجار، كما انتشر عندهم عبادة الأسلاف والسماء، ووصف الإله بالصفات البشرية، حيث انتشرت بين جميع طبقات الأمة، بحيث يؤلف كل منهما دين الصين القومي، كما ظهر عندهم فكرة التثليث، وإنكار وجود الله ووصف القوة الخالقة بالطبيعة العمياء، وعدم الانشغال بما وراء الطبيعة^(١).

ت. مرحلة اليونان الوثنية:

كان حكماء اليونان منقسمين في أفكارهم ومذاهبهم خلال القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد، وقد نشأ تيار مادي ينفي كل موجود سوى المادة والماديات، وأن وصف الوجود مختص بما يدرك بالحواس الخمس، لا يتناول شيئاً وراءه^(٢).

وهذا يعني أن المادية الجديدة أصولها ضاربة في الفلسفة السفسطائية^(٣) اليونانية، القائمة على التشكيك في البدهيات العقلية والأمور الحسية^(٤).

ومن هذا المنطلق فإن الحديث عن المادة يرجع إلى الفلاسفة الذين ظهوروا قبل سقراط^(٥)، من أمثال أمبدوكلس^(٦)، وآناساغوراس^(٧) لا يفرقون في تحليلاتهم بين النظرية العلمية والفلسفية؛

(١) انظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، (٤/٢٥٦). أديان العالم، سميث هوستن، ترجمة: سعد رستم، ص ٢٨٤. حكمة الصين، فؤاد محمد شبل، (١/٢١٩-٢٣٧).

(٢) انظر: الرد على الدهريين، جمال الكرنك، ص ٣٨.

(٣) السفسطائية: لفظ يوناني معرب، ويعني عند الفلاسفة: الحكمة المموهة، والسوفسطائيون: هم جماعة سموا أنفسهم بهذا الاسم، ويقصدون به معنى: الحكماء، ولكنه أصبح بعد ذلك علماً على المغالطين والمجادلين بالباطل. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص ٦١. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ٢٤٤-٢٤٥. معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (٢/١٠٧٣).

(٤) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ٣٣.

(٥) سقراط: فيلسوف وحكيم يوناني كلاسيكي، وُلد في عام ٤٧٠ ق. م، وتوفي في عام ٣٩٩ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٦٥.

(٦) أمبدوكلس: فيلسوف يوناني، وُلد في عام ٤٩٠ ق. م، وتوفي في عام ٤٣٥ ق. م. انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ص ٦٩.

(٧) آناساغوراس الأقلازوماني: فيلسوف يوناني، وأول من فسر ظاهرة الكسوف والخسوف علمياً، وُلد في عام ٥٠٠ ق. م، وتوفي في عام ٤٢٨ أو ٤٢٧ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٠٦.

ولذلك لم يكن بينهم إجماع حول التعريف بالمادة؛ لأن كلاً من العلم والفلسفة لم يكن قد وُضع له الأسس والمبادئ^(١).

كما "يرجع أصلها إلى الطبيعيين الأوائل أي نحو القرن السادس قبل الميلاد، ثم تطورت في المدرسة الذرية عند لوقيبوس Lucepos^(٢)، وديمقريطس Demeritus^(٣)، والسفسطائيين، ثم في ذرة أبيقوروس Abigoros^(٤) والمدرسة الرواقية^(٥)، حيث أسهمت الأبيقورية^(٦) في نقل النظرية الذرية من العهد القديم إلى العصر الحديث^(٧)، وترى ماديته أن المادة هي مصدر كل الأشياء والنفس ذاتها مادية والعالم وكل ما احتوى عليه نشأ من تركيب الذرات المتعددة غير مخلوقة والتي لا تفنى، فهي تتحرك على الدوام بنفسها في الفضاء^(٨)، وقال إن النفوس مركبة من ذرات أكثر لياقة وتحركاً من الجزئيات التي تؤلف الأجسام^(٩).

وقد ظهر لوقيبوس في الفترة ما بين ٤٦٠-٣٦١ ق. م، ووضع أسس النظرية المادية، وسماها النظرية الذرية، وكان من أنصارها: سقراط Socrates وأبيقوروس Abigoros والشاعر

-
- (١) انظر: اتصال أبعاد الطبيعة المادية في فكر ملا صدرا وآينشتاين، مهدي دهباشي، ص ١٠.
 - (٢) لوقيبوس Lucepos : فيلسوف يوناني، ومؤسس النظرية الذرية، من القرن الخامس قبل الميلاد. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٩٨.
 - (٣) ديمقريطس Demeritus: فيلسوف يوناني، وُلد نحو ٤٦٠ ق. م، وتوفي بعد نحو مائة عام. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٠٧.
 - (٤) أبيقوروس أو أبيقور Abigoros : فيلسوف يوناني، وُلد في عام ٣٤١ ق. م، وتوفي في عام ٢٧١ أو ٢٧٠ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٠.
 - (٥) انظر: الفلسفة الفرنسية من ديكارت إلى سارتر، ص ٢٠-٢٦.
 - (٦) الأبيقورية: مدرسة فلسفية مادية قائمة على أفكار الفيلسوف اليوناني إبيقوروس (٣٤١-٢٧٠ ق.م)، صاحب المؤلفات في الطب والقانون، وهي واحدة من الفلسفات الثلاث الكبرى في العصر الهلنستي، تقوم في مجال الأخلاق على القول إن اللذة هي الهدف الأسمى للإنسان، وتقع كل القيم الأخرى في مرتبة أدنى منها.
See: Shorter Routledge Encyclopedia Philosophy , Edward Craig, (4/223).
 - (٧) انظر: قصة الحضارة، وليم جيمس ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، (٨/ ١٧٣).
 - (٨) الفضاء: مكان متسع، مليء بالرياح، والغبار، والغازات. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ١٨٥.
 - (٩) انظر: تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، حنا أسعد فهمي، ص ٩٢.

لوكريشيوس Lucrecios^(١)، وديمقريطس Demeritus، وترى أن الروح مكونة من ذرات دقيقة، تتصل بذرات المحيط الذي يحيا به الإنسان، وأن الفكر ناجم عن تغيرات مادية^(٢).
ومن هؤلاء: طاليس Thales^(٣)، وأناكسيماندر Anaximander^(٤)، وانكيسمانس Inquisemans^(٥)، وهرقليطس Hercules^(٦)، وقد اتفقوا على أن المادة حية تشتمل في داخلها على روح الحياة، وهذه الروح هي منشأ جميع الحركات، والتحويلات، والتطورات التي نشاهدها على المادة، وعندهم المادة أزلية تؤلف الحياة في مختلف صورها وتركيباتها، وما دون ذلك مما قد يخالفها، فهو صفة للمادة، أو وظيفة من وظائفها^(٧).
وكان منهم أفلاطون^(٨) الذي يرى أن الأشياء المادية المحسوسة ليس لها وجود حقيقي في الواقع، وإنما وجودها خيالي وصوري، وأما الوجود الحقيقي لها فهو في عالم المثل^(٩).
وعند النظر في النظرية الذرية والمادية الديالكتيكية الحديثة، فإننا سنجد تطابقاً واضحاً بينهما^(١٠)، يجمعهما إنكار الغيبيات، والتخبط في فهم الكون^(١١).

-
- (١) لوكريشيوس Lucrecios : شاعر روماني، وُلد في عام ٩٩ ق. م، وتوفي في عام ٥٥ ق. م. انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١١-١٢.
- (٢) انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١١-١٢.
- (٣) طاليس الملطي Thales : رياضي، وعالم فلك، وفيلسوف يوناني، وُلد في عام ٦٢٤ ق. م، وتوفي في عام ٥٤٦ ق. م تقريباً. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤١٤.
- (٤) أناكسيماندر، أو انكسيماندرس الملطي Anaximander : فيلسوف يوناني كبير، ينتمي إلى مدرسة الطبيعيين الإيونيين، تلميذ طاليس وشريكه، وُلد في عام ٦١٠ ق. م، وتوفي في عام ٥٤٧ أو ٥٤٦ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٠٦.
- (٥) انكسيمانس الملطي Inquisemans : فيلسوف يوناني، ذو نزعة مادية عفوية، تلميذ أنكسيماندرس، وُلد في عام ٥٨٨ ق. م، وتوفي في عام ٥٢٥ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٠٧.
- (٦) هرقليطس الأفسسي Hercules : فيلسوف يوناني، وُلد في عام ٥٣٥ ق. م، وتوفي في عام ٤٧٠ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٦٩٧.
- (٧) انظر: تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، حنا أسعد فهمي، ص ٢٣.
- (٨) أفلاطون: تلميذ سقراط، وأعظم فيلسوف في العصور القديمة، وُلد في عام ٤٢٧ ق. م، وتوفي في عام ٣٤٧ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٧١-٧٢.
- (٩) انظر: أصول الفلسفة الماركسية، ف. ج أفانا سيف، ص ١٦.
- (١٠) انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١٣.
- (١١) انظر: تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، ص ١٩٧.

ث. مرحلة الفكر الروماني:

ترجع أصول الفلسفة بشكل عام إلى أهم ثقافتين ماديتين، وهما اليونانية، والرومانية، وهما الثقافتان اللتان ورثهما الغرب حديثاً^(١)، ثم أخذت استمدت الحضارة الرومانية ثقافتها من الحضارة اليونانية، ومنهما تكونت المادية الحديثة^(٢).

ج. مرحلة الفكر الفارسي:

كما ظهرت المادية عند الفرس، حيث "كان أكبر الآلهة في الدين السابق لدين الزرادشت^(٣) (مثلاً) إله الشمس، وأنيثا آلهة الخصب والأرض و (هوما المقدس) الذي مات، ثم بعث حياً"^(٤). ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن الفكر المادي الحديث ظهر في البيئة الأوروبية المسيحية، في حين كان يضرب جذوره في الفكر الإغريقي^(٥) القديم، الذي أثر في صياغة الفكر المادي الحديث، وأعلن كثير من الكتاب والفلاسفة تصور مفاهيم مادية إلهادية^(٦).

ح. مرحلة الفكر الهندي:

كما ظهرت المادية أيضاً في الهند، وكان من أهم عناصر وسمات الفكر المادي في الهند، عبادتهم الطبيعة فقد كانت من العبادات المشهورة، وكذلك عبادة الأصنام بصفتها الخالق مع تقديم القرابين لها وطلب الحوائج منها، كما اشتهرت عندهم عقيدة وحدة الوجود، كما ظهرت عندهم نزعات التشكك والإلحاد واللاأدرية^(٧) والسفسطة في الفلسفة الهندية، كما ظهر عندهم التثليث

(١) انظر: نشاط المذاهب الفكرية المعاصرة على الإنترنت، عبد الله بن موسى الكحيلي، ص ١٦-١٧.

(٢) انظر: حكمة الغرب عرض تاريخي للفلسفة الغربية في اطارها الاجتماعي التاريخي، برتراند رسل، ترجمة: فؤاد زكريا، (٢١/١). المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٢٤. غاية الكون بين الإسلام والمادية، نجات موسى الذيب، ص ١٨٨.

(٣) زرادشت: رجل دين فارسي، مؤسس الديانة الزرادشتية، وقد عاش في مناطق أذربيجان وكردستان وإيران الحالية، وُلد في عام ٦٦٠ ق.م تقريباً، وتوفي في عام ٥٨٣ ق.م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٤٣.

(٤) قصة الحضارة "الشرق الأدنى"، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، (٤٢٥/٢).

(٥) الإغريق: كلمة أطلقها العرب على سكان اليونان القدماء، من أهم حضاراتهم: الحضارة الرومانية. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٩٩/٦).

(٦) انظر: فرنسا في القرن الثامن عشر، أوليفيه شالين، ص ٢٢٨.

(٧) اللاأدرية: كل موقف إمكانية معرفة الأشياء، كلياً أو جزئياً، أو البت في المسائل الماورائية. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٨٧.

والتناسخ^(١)، كما أن عندهم مدرسة تسمى بالمدرسة المادية، أعلنت رفضها لفكرة الوحي، واعتبرت الحقائق ما ثبت بطريق الحواس لا غير^(٢).

٢. التسلسل الزمني للنشأة وتطور الفكر المادي:

أ. مرحلة القرن السادس عشر وما بعده:

يذهب المؤرخون - في الغالب - إلى تأريخ عصر العلم الحديث ابتداءً من القرن السادس عشر، وذلك عندما ذهب نيكولاس كوبرنيكوس Nicolaus Copernicus^(٣) إلى أن حركة النجوم والكواكب ينبغي أن توصف باعتبار الشمس هي المركز لحركة المجموعة الشمسية، بدلاً من الأرض، وواجهت تلك الفكرة قمعاً كنسياً ضخماً^(٤).

ولقد تميز القرن السادس عشر بالنهضة العلمية، وتبعه القرن السابع عشر، الذي ساد فيه الاهتمام بالأدب القديم، وكان القرن الثامن عشر عصر المادية، أما القرن التاسع عشر، وهذان العقدان اللذان فرطاً من القرن العشرين، فعصر النقد العلمي والفلسفي^(٥).

(١) انظر: فلسفة الشرق، مهرداد مهري، ص ٨٠، ٨٣، ٦٩، ٦٨. أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص ٤٨، ٢١٢، ٢٩. قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، (٢٤٦/٣). الملل والنحل، الشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، (٢٤٣/٢).

(٢) انظر: الفلسفة الشرقية، محمد غلاب، ص ١١٤.

(٣) نيكولاس كوبرنيكوس Nicolaus Copernicus: راهب، وعالم رياضياتي، وفيلسوف، وفلكي، وقانوني، وطبيب، ودبلوماسي، وجندي بولندي، وُلد في عام ١٤٧٣م، وتوفي في عام ١٥٤٣م. انظر: ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ٤٩.

(٤) انظر: فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال؟ أليسترراي، ترجمة: أسامة عباس، ص ٢٤.

(٥) انظر: مذهب النشوء والارتقاء بحث انتقادي علمي فلسفي في مذهب النشوء والارتقاء وأثره في الانقلاب الفكري الحديث، إسماعيل مظهر، (١٥/١).

ويمكن القول بأن عصر الفكر المادي الحديث يبدأ بالقرن السابع عشر، وذلك منذ فرانسيس بيكون Francis Bacon^(١) الذي يمثل الفاتحة الحقيقية لعصر التجريبية، وفي هذا القرن لجأت المادية إلى منحى الإلحاد، ورد المعرفة إلى الحواس^(٢)، فمثل القرنان السادس عشر والسابع عشر التغيير والحدائثة^(٣) وتأريخًا لعوالم جديد^(٤).

ب. مرحلة عصر النهضة الأوروبية:

في عصر النهضة الأوروبية توجد المادية ظاهرة عند جاسندي Jasandi^(٥) وجيودانوبرونو Geodanopronu^(٦) الإيطالي^(٧)، وفي العصر الحديث نجد المادية أشد وضوحًا عند فرانسيس بيكون Francis Bacon في منهجه التجريبي^(٨)^(٩)، وعند توماس هوبز Thomas Hobbs^(١٠) الذي يرى أن جميع الأشياء الموجودة في الكون مادية^(١١).

(١) فرانسيس بيكون Francis Bacon : فيلسوف، وكاتب إنجليزي، وُلد في عام ١٥٦١م، وتوفي في عام ١٦٢٦م. انظر: عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ٥٥.

(٢) انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص ٤٠٧.

(٣) الحدائثة: ظاهرة انطلقت من أوروبا مع الثورة الفرنسية، وعُنت بالتغيير في النظام السياسي، وتذويب الطوائف والأديان في بوتقة مدنية علمانية واحدة. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص جليبي، هاني رزق، ص ٣١٦-٣١٧.

(٤) انظر: الثورة العلمية، مقدمة قصيرة جدًا، لورنس إم برينسيبييه، ترجمة: محمد عبد الرحمن إسماعيل، ص ٢٧.

(٥) جاسندي بطرس Jasandi Boutros : عالم فك وطبيعة، فرنسي، يعده البعض مؤسس المادية الحديثة، وُلد في عام ١٥٩٢م، وتوفي في عام ١٦٥٥م. انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم حفني، (١/٤٤١).

(٦) جيودانوبرونو (نولانو أو برونو دي نولا) Geodanopronu : فيلسوف إيطالي، حُكم عليه بالهرطقة من الكنيسة الكاثوليكية، (١٥٤٨-١٦٠٠م). انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٧٤.

(٧) انظر: فلسفة عصر النهضة، إرنست بلوخ، ترجمة: إلياس مرقص، ص ٢١.

(٨) المذهب التجريبي: اتجاه فلسفي، لا يؤمن إلا بما يخضع للتجربة والحس. انظر: غاية الكون بين الإسلام والمادية، نجاه موسى الذيب، ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٩) انظر: آفاق الفلسفة، فؤاد زكريا، ص ٩٧.

(١٠) توماس هوبز Thomas Hobbs : توماس هوبز كان عالم رياضيات وفيلسوفًا إنجليزيًا. يعد توماس هوبز أحد أكبر فلاسفة القرن السابع عشر بإنجلترا، وُلد في عام ١٥٨٨م، وتوفي في عام ١٦٧٩م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٧٠٨.

(١١) انظر: مدخل إلى الفلسفة، إمام عبد الفتاح إمام، ص ٢٢٦.

ت. عصر التنوير:

وتوجد هذه المادية الحديثة بوجه خاص في فلسفة عصر التنوير^(١)، في فرنسا وإنجلترا وألمانيا، ومن بين ممثليها في فرنسا: دني ديدرو Danny Diderot^(٢)، ولامتري Lamtri^(٣)، وهولباخ Holbach^(٤)، الذين ذهبوا إلى القول بمذهب مادي إلحادي متطرف^(٥). وترغم هذا المذهب في إنجلترا: جون تولاند John Toland^(٦)، وديفيد هارتلي David Hartley^(٧)، وجوزيف بريستلي Joseph Priestley^(٨)(٩)، حيث اصطنعوا المادية المطلقة، وأرجعوا الظواهر النفسية إلى العوامل المادية^(١٠)، فحركة التنوير: "مولد دين جديد، إلهة الإنسان، وغزواته، وأمجاده في التاريخ"^(١١)، ازداد فيه زخم المناهج التجريبية، وتعدت فيه إلى جذور الإنسان وأصل المخلوقات^(١٢)، كما ركز على مصادر المعرفة الإنسانية والدين والعقل والحس والواقع^(١٣)، وسادت الطبيعة على الدين والعقل والفكر بشكل عام^(١٤).

-
- (١) عصر التنوير: اتجاه سياسي اجتماعي، ظهر في ألمانيا، في القرن الثامن عشر، يسعى إلى إصلاح جوانب النقص المجتمعية. الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣١٥.
 - (٢) دني ديدرو Danny Diderot : فيلسوف، وكاتب ومسرحي فرنسي، وُلد في عام ١٧١٣م، وتوفي في عام ١٧٨٤م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٩٥.
 - (٣) جوليان افراي دي لامتري Lamtri: طبيب وفيلسوف فرنسي، وُلد في عام ١٧٠٩م، وتوفي في عام ١٧٥١م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٧١.
 - (٤) بارون دي هولباخ (دولباخ) Holbach : واسمه بول هينري ثيري، كاتب وفيلسوف وموسوعي فرنسي ألماني ولد في سنة ١٧٢٣م، وتوفي في عام ١٧٨٩م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٧١٦.
 - (٥) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ١٨٣-١٨٥.
 - (٦) جون تولاند John Toland : فيلسوف عقلاني أيرلندي، وعالم هجائي، وُلد في عام ١٦٧٠م، وتوفي في عام ١٧٢٢م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٤٠.
 - (٧) ديفيد هارتلي David Hartley: طبيب، وعالم نفس، وفيلسوف، بريطاني، وُلد في عام ١٧٠٥م، وتوفي في عام ١٧٥٧م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٦٨٨.
 - (٨) جوزيف بريستلي Joseph Priestley: لاهوتي، وكيميائي، وفيزيائي، إنجليزي، وُلد في عام ١٧٣٣م، وتوفي في عام ١٨٠٤م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٧٦.
 - (٩) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ١٨٣-١٨٥.
 - (١٠) انظر: الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية، أحمد سعود الغامدي، ص ٥٩-٦٠.
 - (١١) الفكر الأوروبي الحديث، فرانكلين ل باومر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، (٤/١٢، ٢٣).
 - (١٢) انظر: الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية، سعود بن سلمان آل سعود، ص ٧-٨.
 - (١٣) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص ٢٨٥.
 - (١٤) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٥-٢٦٦.

لقد اتجه التنوير في ألمانيا على النقيض من نظيره في إنجلترا وفرنسا اتجاهاً مضاداً للمادية، ففي حين كانت مادية القرن الثامن عشر تلعب دوراً ثانوياً في مقابل الاتجاهات الرئيسية الأخرى كالعقلية والتجريبية والمثالية، أصبحت مادية القرن التاسع عشر هي فلسفة العصر السائدة بعد انهيار المذهب المثالي، وهي تمثل مادية العلوم الطبيعية؛ لأنها كانت تستند على نتائج العلوم التي كانت قد تطورت تطوراً كبيراً، حيث شهد هذا القرن تزايداً واسع النطاق في المعارف الطبيعية وتطبيقاتها العملية^(١).

ث. مرحلة القرن التاسع عشر وما بعده:

ومع حلول النصف الثاني من القرن التاسع عشر: انتشرت المادية والإلحاد؛ ففي فرنسا استمرت الواقعية وفي إنجلترا استعاد المذهب الحسي نفوذه، وقام رجال من معتقيه يطبقونه على أنحاء شتى، ووصل الأمر إلى أن شيد منه سبنسر Spencer^(٢) فلسفة تشمل جميع العلوم، وفي ألمانيا انتشر المذهب المادي، ونبع المذهب الماركسي من هناك على يد ماركس وإنجلز، وقد بلغت الماركسية قمة المادية، واحتوت المذاهب المادية في ثناياها^(٣)، وأثر الفكر المادي في كثير من أنحاء العالم مدعوماً بقوة المال والسلاح^(٤).

وفي هذا القرن بلور هولباخ Holbach الفكر المادي، ورأى أن الوجود يسبق الوعي، وأن الفكر نتاج المادة، كما حلّ أوجست كونت Auguste Conte صاحب الوضعية في فرنسا^(٥)،

(١) انظر: تمهيد للفلسفة محمود حمدي زقزوق، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) هربرت سبنسر Herbert Spencer: (١٨٢٠م-١٩٠٣م)، وُلد في دربي في إنجلترا، أسهم في إيصال المذهب التطوري الطبيعي إلى القمة. انظر: الفلسفة الانجليزية في مائة عام، رودلف متس، ترجمة: فؤاد زكريا، ص ١٠٢.

(٣) انظر: جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، محمود عبد الحكيم عثمان، ص ١٨٧.

(٤) انظر: فلسفة النشوء والارتقاء، شبل شميل، ص ١٩١-٢٢٣.

(٥) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

وتبعه في إنجلترا جون ستيوارت ميل Jon Stewart Mill^(١)، حيث أيدًا دارون^(٢)، صاحب فكرة الانتخاب الطبيعي^(٣) في أصل الأنواع^(٤).

وهذه النظريات التي سادت في القرن التاسع عشر كانت تستند إلى فيزياء نيوتن، وهي الفيزياء الكلاسيكية^(٥)، ونظرية دالتون^(٦) عن الذرة، ونظرية دارون عن أصل الإنسان^(٧)، وكلها مثّلت مادة خصبة لبناء فكر مادي حديث^(٨).

ومن تلك الأفكار: ما زعمه الفيلسوف الألماني آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer^(٩)، أن الدين من صنيعه البشر؛ ابتكره الناس لتفسير ما هو مجهول لديهم من ظواهر طبيعية، أو نفسية، أو اجتماعية، وتزامن فكره مع فكرة داروين الذي كان مناقضًا لنظرية نشوء الكون في الكتاب المقدس، كما أعلن فريدريك نيتشه Frederic Nietzsche^(١٠) موت الخالق، وزعم أن الدين فكرة عبثية، وجريمة ضد الحياة، إذ إنه من غير المعقول أن يعطيك الخالق مجموعة من الغرائز والتطلعات، وفي نفس الوقت يصدر تعاليم بحرمانك منها في الحياة ليعطيك إياها مرة أخرى بعد الموت^(١١).

(١) جون ستيوارت ميل Jon Stewart Mill : فيلسوف، وعالم اقتصادي، انجليزي، وُلد في عام ١٨٠٦م، وتوفي في عام ١٨٧٣م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٦٣٨.

(٢) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٣) الانتخاب الطبيعي: هي الآلية الأساسية للتطور الدارويني، تنص على انتخاب الأنواع الأكثر قدرة على التكيف مع البيئة، لتبقى حية، وتتكاثر، بينما تبيد الأنواع الأخرى. انظر: الثقب السواد، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٣.

(٤) انظر: الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية، أحمد سعود الغامدي، ص ٥٩.

(٥) الفيزياء الكلاسيكية: علم الفيزياء الذي يطبق على الأجرام ذات المقاييس الكبيرة، التي تكون أكبر من حجم الذرات. قصة الكون، جون جريبين، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٨٨.

(٦) جون دالتون: كيميائي بريطاني، وُلد في عام ١٧٦٦م، وتوفي في عام ١٨٤٤م. انظر: ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ٩٩.

(٧) انظر: أفي الله شك؟ بحث في علاقة العلم بالإيمان، حمد المرزوقي، ص ٢٥.

(٨) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٩) آرثر شوبنهاور Arthur Schopenhauer : فيلسوف ألماني، معروف بفلسفته التشاؤمية، وُلد في عام ١٧٨٨م، وتوفي في عام ١٨٦٠م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٠٥.

(١٠) فريدريك نيتشه Frederic Nietzsche : فيلسوف ألماني، بعد هيجل وكانط في الفلسفة الألمان، وُلد في عام ١٨٤٤م، وتوفي في عام ١٩٩٠م. انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، (٥٠٩/٢).

(١١) انظر: الإلحاد المعاصر نشأته، أسبابه، ونقد أسسه، أحمد محمد أحمد جلي، ص ١٤.

ويذهب المسيري إلى أن إسبينوزا Espinoza، ونييتشه Nietzsche، وجاك دريدا Jack Dreda^(١) هم أهم فلاسفة المنظومة العلمانية^(٢) المادية، وأن معظم الفلاسفة الغربية التي ظهرت في القرن العشرين، كالحداثة، والصهيونية^(٣)، والنازية^(٤)، هي امتداد لمنظومة نييتشه الفلسفية، حيث أسهم نييتشه في استكمال الطفرة الفلسفية التي أكملت النموذج العلماني المادي^(٥)، كما مثلت النييتشوية^(٦) شكلاً مهماً من أشكال التعبير الفلسفي عن الرؤية الداروينية^{(٧)(٨)}.

وقد بدأ زخم المادية واضحاً في مؤتمر علماء الطبيعة، الذي عقد في غوتينغن Gutingen^(٩) بألمانيا، عام ١٨٥٤م، وأظهر هذا المؤتمر أن هناك عدداً كبيراً من العلماء يفكرون في نفس الاتجاه^(١٠).

وفي القرن العشرين تطور الفكر المادي إلى المادية الميكانيكية وليست الديناميكية، وأصبحت المادية بمثابة منهج عمل أكثر من كونها قواعد محددة مضبوطة، وكان من أهم تيارات المادية في النصف الأول من القرن العشرين: الوضعية والجدلية^(١١).

(١) جاك دريدا Jack Dreda: فيلسوف، وناقد أدب فرنسي، وُلد في عام ١٩٣٠م، وتوفي في عام ٢٠٠٤م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٨٣.

(٢) سيأتي الحديث عن العلمانية مفصلاً في المبحث الثالث من الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

(٣) الصهيونية: حركة سياسية يهودية، ظهرت في وسط وشرق قارة أوروبا في أواخر القرن التاسع عشر، وهدفت إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين. انظر: العربية معجم اللغة العربية المعاصرة (١٣٢٨/٢).

(٤) النازية: اسم اختصاري أطلق على الحزب الاشتراكي الوطني الألماني، ومن ثم أصبح يطلق على الحركة الأيديولوجية العنصرية التي أنشأها أدولف هتلر، في فترة حكمه لألمانيا (١٩٣٣-١٩٤٥م)، وهي تعد التاريخ بمثابة صراع بين السلالات الراقية والسفلى. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص جليبي، هاني رزق، ص ٣٢٥-٣٢٦.

(٥) انظر: نييتشه فيلسوف العلمانية الأكبر، عبد الوهاب المسيري، مجلة أوراق فلسفية، ع ١٠، تاريخ الاطلاع: ١٠ فبراير ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/37TAXCK>)، ١٢ يوليو ٢٠٠٩م.

(٦) النييتشوية: مذهب في الأخلاق، يُنسب إلى الفيلسوف الألماني فريدريك نييتشه. انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، (٥٠٩/٢).

(٧) سيأتي الحديث عنها بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٨) انظر: في نقد مسلمات الفلسفة الغربية عند الفيلسوف المسيري، إدريس مقبول، ص ٥٨.

(٩) غوتينغن Gutingen : مدينة تقع في ولاية ساكسونيا السفلى في شمال ألمانيا في مقاطعة هانوفر السابقة علي نهر لاينه. انظر: موقع ويكيبيديا ، تاريخ الاطلاع: ١٤ فبراير ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3wstieh>).

(١٠) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ١٨٧.

(١١) انظر: الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية، أحمد سعود الغامدي ص ٦٠-٦١.

فمع بداية القرن العشرين تزعمت الفلسفة الطبيعية naturalistic philosophy الفكر الإلحادي، فلقد أدى "تطور العلم الحديث أدى إلى نزع الصبغة المادية الجوهرية عن الكون الفيزيائي، وقد تم ذلك بالانتقال من التصور الكيميائي للذرة والجسيم إلى تصورهما رياضياً، أي: بالانتقال من الواقعية المادية إلى الواقعية الرياضية، أي التفكير في الواقع كله من زاوية انتظامه الرياضي العلاقي"^(١).

كما ظهرت المادية العقلانية^(٢) عند جاستون باشلار Gaston Bachlar^(٣)، وتوسعي ماديته إلى التأكيد على العلم بطريقة أخرى، فنقبل حياة مزدوجة، مبنية على التاريخ الطبيعي البشري الكامل^(٤).

ثم تطور مفهوم المادة لدى برتراند رسل، عدة تطورات، حيث أفاد رسل من الدراسات التي كانت تصدر في عصره تباعاً، ففي بداية عمله الفلسفي سلم رسل بثنائية العقل والمادة؛ بوصفهما شيئين مختلفين تماماً^(٥)، ثم تنكر رسل لهذه الثنائية، وتحول إلى مذهب الواحدية المحايدة، حيث رأى أن الأشياء التي نعدها فيزيقية لا تختلف على وجه يكون معه لأحدهما خاصية ذاتية لا تكون للأخرى؛ بل تختلف فقط من ناحية التنظيم أو السياق، فالعقل والمادة يتركان من نفس النسيج، ولكن بتنظيم مختلف^(٦)، كما دعا إلى الفصل بين المعتقدات الميتافيزيقية والمعتقدات العملية فيما يتعلق بسير الحياة، واعتبر أن العالم الخارجي قد يكون وهماً، ولكنه إن كان موجوداً فهو يحتوي أحداثاً قصيرة صغيرة عشوائية^(٧).

إلا أن التقدم العلمي في الفيزياء والفلك، الذي شهده القرن العشرين قوّض الفكرة المادية وأسسها، لتفرز في التحليل النهائي منظر الإيمان بالله، والتسليم بوجود الخالق سبحانه وتعالى^(٨)،

(١) انظر: فلسفة العلم المعاصرة، سالم يفوت، ص ٧٧.

(٢) العقلانية: كل ما هو موجود مردود إلى مبادئ عقلية، ويقصد به على الخصوص: الاعتداد بالعقل ضد الدين.

انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣٢٠-٣٢١.

(٣) جاستون باشلار Gaston Bachlar : فيلسوف فرنسي، وُلد في عام ١٨٨٤م، وتوفي في عام ١٩٦٢م. انظر:

معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٤٣.

(٤) انظر: الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، عبد الفتاح الديدي، ص ١٠١.

(٥) انظر: فلسفة برتراند رسل، محمد مهران، ص ٤٢.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٥٢-٥٣.

(٧) انظر: النظرة العلمية، برتراند رسل، ترجمة: عثمان نويه، ص ٨٨-٨٩.

(٨) انظر: أفي الله شك؟ بحث في علاقة العلم بالإيمان، حمد المرزوقي، ص ٢٥. عقائد المفكرين في القرن

العشرين، عباس العقاد، ص ١٣٠.

كما أعلن معظم علماء الطبيعة، وعدد من علماء الأحياء البارزين في الأزمنة الحديثة أن تقدم العلم حديثاً قد أثبت بطلان المادية القديمة، ومال إلى تأييد حقائق الدين^(١).

إن كل ما سبق يدل على وجود مراحل تاريخية، تبلورت المادية المعاصرة من خلالها^(٢).

٣. تقسيم روجيه جارودي^(٣):

قسّم روجيه جارودي المراحل التي مرت بها المادية إلى ثلاث مراحل، تبعتها المادية الماركسية، وهي:

أ. المادية القديمة، وهي مادية المجتمع العبودي، التي تجد تعبيرها في مؤلفات هرقليطس Hercules، وطاليس Thales، وديمقريطس Demeritus، ويأتي بعدهم أبيقوروس ولوكريشيوس Lucrecios.

ب. مادية القرنين السابع عشر، والثامن عشر، وهي مادية المجتمع البورجوازي، التي أوضحها بصورة خاصة الفلاسفة الفرنسيون، الذين أعقبوا ديكارت في القرن الثامن عشر: دني ديدرو، هلفسيوس Helphsius^(٤)، هولباخ Holbach، لامتري Lamtri، وخليفتهم الألماني: لودفيغ فيورباخ Ludwig Feuerbach^(٥).

ت. مادية الثوريين الديمقراطيين الروس في القرن التاسع عشر، وأبرز وجه فيهم هو شرنيشوسكي Chernishowski^{(٦)(٧)}.

(١) انظر: النظرة العلمية، برتراند رسل، ترجمة: عثمان نويه، ص ٩٣. الموت الرحيم للإلحاد المعاصر، فيليب نيمو، ترجمة: عادل عبد الله، عبد الحق الزموري، ص ٧-٨.

(٢) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٤٢.

(٣) روجيه جارودي: فيلسوف، وكاتب فرنسي، اعتنق الإسلام سنة ١٩٨٢م، وُلد في عام ١٩١٣م، وتوفي في عام ٢٠١٢م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٢٠.

(٤) كلود أدريان هلفسيوس Claude Adrian Helvesius : فيلسوف فرنسي، وُلد في عام ١٧١٥م، وتوفي في عام ١٧٧١م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٧٠٥.

(٥) لودفيغ فيورباخ (فورباخ- فيورباخ) Ludwig Feuerbach : فيلسوف أنثروبولوجي، ألماني، وُلد في عام ١٨٠٤م، وتوفي في عام ١٨٧٢م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٩٢.

(٦) نيكولاي غافريلوفيتش تشيرنيشيفسكي Chernishowski : فيلسوف مادي، وثوري ديمقراطي روسي، متوفى في عام ١٨٨٩م. انظر: موجز تاريخ الفلسفة، جماعة من الأساتذة السوفيات، ترجمة وتقديم: توفيق سلوم، ص ٣١٧.

(٧) انظر: النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي، تعريب: إبراهيم قريط، ص ٥٠. موجز تاريخ الفلسفة، جماعة من الأساتذة السوفيات، ترجمة وتقديم: توفيق سلوم، ص ٢٠٧، ٣١٧.

وتأتي المرحلة الرابعة وهي الأشهر، فهي المادية الجدلية التي أسسها ماركس بمشاركة صديقه: انجلز، وتوازي ذلك مع مشاركة المذهب الداروني، فتحوّلت المادية بذلك الاكتشاف من مذهب فلسفي إلى مذهب علمي، فيقرنون ماديتهم بالعلم، بل هي العلمية الوحيدة^(١)، وبلغت المادية الماركسية بذلك ذروتها كنظرية معرفية^(٢).

وقد أجمل بعض الباحثين أهم تيارات المذهب المادي، منذ القرن الثامن عشر وحتى منتصف القرن التاسع عشر، والتي أثرت في غيرها من الفلسفات، وهي: المادية الميكانيكية، التي ارتبطت بشكل خاص بالفلاسفة الفرنسيين في المرحلة التي سبقت قيام الثورة، وأما التيار الثاني: فهو ذلك الذي ارتبط بإحياء لودفيغ فيورباخ للمذهب المادي في ألمانيا في القرن التاسع عشر، وأطلق عليه اسم المادية التأميلية، وشهدت أربعينيات القرن التاسع عشر تياراً ثالثاً ومغايراً لتلك التيارات التي عرفها المذهب المادي، حين برزت إلى الوجود المادية الجدلية التاريخية محولة الأنظار نحو دراسة المجتمع والتاريخ الإنسانيين^(٣).

٤. مقارنة بين المادية القديمة والحديثة:

أ. أوجه الاتفاق:

- من خلال النظر في السياق التاريخي لظهور الفكر المادي يتبين أن المادية بشقيها: القديمة والحديثة تقدسان المادة، تنكران ما وراء الحس، بما يدل على أن طريقة التفكير واحدة، وإن اختلف بهم الزمان والمكان^(٤)، فالتطور الفكري الذي وصلت إليه المادية الحديثة أبقى ثباتاً على جوهرها وعناصرها الأساسية^(٥).

- يرى شبل شميل Shible Shamil^(٦) أن هناك تشابهاً كبيراً بين مادية ديمقريطس Demeritus وأبيقوروس Abigoros من ناحية، وبين المادية الحديثة، وخصوصاً في القرن التاسع عشر من ناحية أخرى؛ بل إنها أقرب المذاهب إلى مادية العلم الحديث، ومن نقاط الالتقاء: القول بفكرة كثرة العوالم، والاعتقاد بأنه لا يوجد شيء من لا

(١) انظر: النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي، تعريب: إبراهيم قريط، ص ٥٠.

(٢) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ١٧-١٨.

(٣) انظر: المادية بين فيورباخ وماركس، عادل الذياب العلي، مقدمة الرسالة: د، ه، و.

(٤) انظر: غاية الكون بين الإسلام والمادية، نجاه موسى الذيب، ص ١٩٠.

(٥) انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، ص ٧٢.

(٦) شبلي شميل Shible Shamil : مفكر، عربي، نهضوي، وُلد في عام ١٨٥٠م، وتوفي في عام ١٨٧٥م.

انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٠٢.

شيء ولا شيء يصير إلى عدم، وفي القول بإنكار الأسباب الغائبة، وفي القول بانحصار الموجود في المحسوس، وحصر طريق المعرفة في الحواس^(١).

ب. أوجه الاختلاف:

- ومما يميز الماديتين عن بعضهما: أن الفلاسفة القدماء كانوا يفسرون الوجود التاريخي تفسيراً مادياً كانطبوع من الحواس المادية، وأما الفلاسفة الماديون في العصر الوسيط، فقد قالوا بوجود علم فيزيائي، أو وجود علم ميكانيكي تحديداً، يدرس انتقال الأجسام في المكان، وأما الفلاسفة المحدثون فقد حاولوا إيجاد رابط بين الأشياء، وبين إدراكنا لها؛ ليخرجوا بنتيجة مفادها: أننا لا ندرك سوى المحسوسات، وأن التجربة العقلية أساس معرفتنا، وأن المحسوس هو الحقيقة؛ بما يعني أنهم لم يجعلوا للعالم الخارجي وجوداً مستقلاً عن إدراكنا^(٢).

- مما يفرق بينهما كذلك: أن المادية القديمة كان الماديون يزعمون أنها تقوم على الحقائق والوقائع، وليس على الظنون والأوهام، ويعدون المادة الحقيقة الثابتة، وفي مطلع القرن السابع عشر غزت العلوم التجريبية الحديثة العقول، وظهرت معها فكرة القوانين العلمية أو الطبيعية، مثل قوانين الحركة^(٣)، والحرارة، والضوء، وسائر القوانين التي سميت بالقوانين الطبيعية تلك القوانين الكونية التي تسيطر على حركات الكون وسكناته، وتفسر كل ظاهرة من ظواهره، سواء كان ذلك على الأرض، أو في الأفلاك العلوية^(٤).

- من الفوارق كذلك: أن الماديين القدماء قالوا بآرائهم المادية نتيجة للحدس والتخمين، في حين نجد الماديين المحدثين قالوا بآرائهم المادية نتيجة التحقيقات العلمية المتقنة على حد زعمهم^(٥).

مما سبق يتضح أن الفكر المادي الحديث وإن كان يتفق مع الفكر المادي على وجه العموم في أنه يحصر طريق المعرفة الإنسانية في الحواس، ويحصر الموجود في المحسوس، إلا أنه يختلف عنه في سمتين أساسيتين وهما: اصطباغ الفكر المادي الحديث بأبحاث المذاهب التجريبية الحديثة، واعتبار الكون محكوماً بقوانين عامة حتمية.

(١) انظر: فلسفة النشوء والارتقاء، شبل شميل، ص ١٩٠-١٩١.

(٢) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٤٢.

(٣) الحركة: حالة من حالات وجود المادة، وتعني التغير الدائم الذي يحصل في العالم. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ١٥٤.

(٤) انظر: الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، محمود عثمان، ص ١٧-١٨.

(٥) انظر: فلسفة النشوء والارتقاء، شبل شميل، ص ٢٢٣.

الفصل الأول

المادية الإلحادية منطلقاتها المنهجية والفكرية وطبيعتها
ووسائلها عرض ونقض

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المنطلقات المنهجية للمادية الإلحادية عرض
ونقض.

المبحث الثاني: المنطلقات الفكرية للمادية الإلحادية عرض
ونقض.

المبحث الثالث: طبيعة ووسائل المعرفة المادية الإلحادية
عرض ونقض.

المبحث الأول

المنطلقات المنهجية للمادية الإلحادية عرض ونقض

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: استخدام مفاهيم غامضة.

المطلب الثاني: تعميم الأحكام.

المطلب الثالث: دعوى التلازم بين المادة والحركة.

المطلب الرابع: إخضاع الإنسان للفلسفات المادية ورده إلى قوانين الطبيعة.

تمهيد:

لقد مضت على عمليات الفكر الغربي ذات الصبغة المتحررة من سلطان الكنيسة مراحل عديدة، منذ القرن الرابع عشر الميلادي، والتي شهدت فيها العقلية الأوروبية ضروريًا من الصراع الفكري والاتجاهات العقلية المختلفة^(١)، كالمادية، وما يتفرع عنها من نظريات، دون أن يكون هناك مدرسة تجمع كل الملحدين^(٢)، بينما جاء الإسلام يخلص الشرائع الإنسانية مما ران عليها من أوزار أوجدها الإنسان^(٣).

وفي هذا الفصل سيتم الوقوف على أهم المنطلقات المنهجية والفكرية التي تنطلق منها المادية الحديثة، مع نقضها هذه المنطلقات، مع بيان طبيعتها ووسائلها المعاصرة.

(١) انظر: توماس هوبز - فيلسوف العقلانية، إمام عبد الفتاح إمام، ص ٤٢٧-٤٢٩.

(٢) انظر: الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه، دراسة تحليلية، عبد العزيز سعد المحمدي، ص ١٧٢.

(٣) انظر: إسلام رجاء جارودي، ثورة على الإلحاد والمادية، سيد فرج راشد، ص ٤٩-٥٠.

المبحث الأول المنطلقات المنهجية للمادية الإلحادية عرض ونقض

تتعلق المادية من مجموعة من المنطلقات المنهجية، والتي تشكل أساسًا مميزًا لهذا الفكر، وهذا المبحث يعرض أهم هذه المنطلقات المنهجية للمادية.

المطلب الأول استخدام مفاهيم غامضة

بما أن المادية فكر مختلق جاءت لتكون بديلاً عن الاعتقادات والأديان، فقد اتسمت بالغموض في ذاتها وفي مفاهيمها، وأصبحت تمثل مذهباً خيالياً، لا يعدو من أن يكون شكاً ووهماً.

ويمكن بيان ذلك فيما يأتي:

أولاً: غياب مفهوم المادة عند أهلها:

ومن دلالات الغموض:

أ. إن أصحاب الفكر المادي لا يستطيعون تفسيرها وفهمها، ف"المادية وإن ادعت لنفسها مذهباً قاطعاً وجازماً، وأن للمعرفة قيمتها الحقيقية عندها إلا أنها في الواقع هي من مذاهب الشك، وهو مقصد نفسه الآية الكريمة: ﴿ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً ﴾ [النجم: ٢٨]"^(١).

ب. إن الفيلسوف الملحد المعاصر برتراند رسل Bertrand Russell^(٢)، يقول معبراً عن زوال المفهوم المادي للمادة: "والحقيقة بالطبع أن العقل والمادة كليهما وهم، وهو ما يكتشفه علماء الطبيعة بدراسة المادة، ويكتشفه علماء النفس بدراسة العقل"^(٣)، ويقول: "إن العقل والروح

(١) المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٤٥.

(٢) برتراند رسل Bertrand Russell : فيلسوف، وعالم منطق، ورياضي، ومؤرخ، وناقد اجتماعي، بريطاني، وُلد في عام ١٨٧٢م، وتوفي في عام ١٩٧٠م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣١٧.

(٣) العقل والمادة، مجموعة مقالات لبرتراند رسل، ترجمة: أحمد إبراهيم الشريف، ص ١٨٩.

شأن المادة ليست سوى رموز أشياء غير معروفة^(١)، وهو بذلك يحطم المفهوم المادي للمادة، وهذه الحصيلة النهائية لنظريته إلى كل من العقل والمادة^(٢).

ت. ومن صور غموض المادة على أهلها: غيبية مفهوم المادة عند الفيلسوف الملحد المعاصر فتغانشتاين Fatganstein^(٣)، الذي يرى أن العالم ينحل إلى وقائع، وأن الأشياء هي المكونات المباشرة التي تتكون منها الوقائع، والأشياء عنده بسيطة لا تنقسم، وهي ثابتة وباقية إلى الأبد، وهي جوهر العالم، ويقصد بالجوهر هنا ذلك الثابت وراء كل تغير، والحامل الذي يحمل كل الصفات المتغيرة المتتابعة في الوجود، أو هو الشيء الموجود بذاته الثابت الذي لا يتغير، وبالتالي فهو الذي يعد مبدأً أو أصلاً لجميع الأشياء الموجودة، وهذه الأشياء ليست هي المفردات الجزئية التي ندرکہا تجريبياً في الواقع الخارجي، يقول: "لا يسعني إزاء الأشياء إلا أن أسميها، وبهذا لا يسعني إلا أن أتحدث عنها، دون أن أستطيع تقرير وجودها"^(٤)، وهذا كله مجرد افتراضات ميتافيزيقية^(٥).

ث. ومن غموضها كذلك: غموضها عند هانز ريشنباخ^(٦)، حيث يقول: "السؤال ما المادة؟ أصبح الآن لا يمكن الإجابة عنه بالتجارب الفيزيائية وحدها، وإنما يحتاج إلى تحليل فلسفي للفيزياء؛ وذلك لأن الإجابة عنه تتوقف على السؤال ما المعرفة؟، ففي خلال القرن التاسع عشر استعُيض عن التفكير الفلسفي الذي كان موجوداً في مهد المذهب الذري يرى أن المادة مكونة من ذرات وجسيمات صغيرة بالتحليل التجريبي، ولكن البحث وصل آخر الأمر إلى مرحلة من التعقيد تقتضي العودة إلى البحث الفلسفي، ولكن بمعاونة البحث الفيزيائي"^(٧).

(١) عالمنا المجنون، مجموعة أبحاث ومقالات لبرتراند رسل، ترجمة: نظمي لوقا، ص ٩٧.

(٢) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٩٣-٩٤.

(٣) لودفيغ فتغانشتاين Fatganstein : فيلسوف بريطاني، وُلد في عام ١٨٨٩م، وتوفي في عام ١٩٥١م. انظر: هناك إله، كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ٢٧.

(٤) لودفيغ فتجانشتين، عزمي إسلام، ص ١٢٢-١٣٠.

(٥) انظر: لودفيغ فتجانشتين، عزمي إسلام، ص ٣١.

(٦) هانز ريشنباخ Hans Reichenbach : وُلد عام ١٨٩١م، وتوفي عام ١٩٥٣م، من أكبر ممثلي النزعة الوضعية الجديدة، عمل أستاذاً للفلسفة في جامعة كاليفورنيا بولس أنجلوس منذ عام ١٩٣٨م، حتى وفاته. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٨.

(٧) نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريسنباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ص ١٦٥.

ويقول: "...ويتضح أن أسس المنطق واللغة إنما هي نتاج للتكيف مع البيئة البسيطة التي وُلد فيها البشر، والحق أن الفلسفة التأملية ذاتها لم تكشف أبدًا عن قدرة على التخيل ماثلة لذلك العمق الذي أبدته الفلسفة العلمية"^(١).

ثانيًا: صعوبة التعبير عن حقيقة المادة:

أقرّ الماديون بعدم القدرة على فهم المادة وطبيعتها، وهذا مثلما قاله لينين Lenin عن الحركة وصعوبة التعبير عنها: "نحن لا نستطيع أن نحقق الحركات أو نعبر عنها، أو أن نمثلها بدون أن نعطل التيار المتصل، وبدون أن نَعمد إلى تقسيمها، وقتل الحساسية فيها"^(٢).

ويمكن نقض غموض المادية ومفاهيمها بما يأتي:

١. إن الإنسان لا يمكن أن يحيى بدون عقيدة، وليس بمقدوره أن يعيش بدونها، فجاءت المادية كعقيدة تشغل قلوب المجتمع الغربي على وجه العموم، يقول عباس العقاد^(٣): "ومن التفرقة الواضحة بين بواعث القانون، وبواعث الأخلاق، وبواعث الدين نعلم أن طبيعة القانون وطبيعة الأخلاق لا تغنيان عن طبيعة الاعتقاد، ولعل العلوم الطبيعية كما يسميها أبناء العصر صدّقت أسماءها بظاهرة هامة في القرن العشرين، وهي أن العقيدة طبيعة في الإنسان وأن خلوه من الاعتقاد هو الغريب"^(٤).

٢. إن انعدام القدرة على فهم المادة فهمًا علميًا يتعارض مع الإيمان الذي أمرنا الله تعالى به، حيث "وضع الله في العالم ما يكفي لجعل الإيمان به خيارًا منطقيًا للغاية، وأخفى ما يكفي لأن يجعل الحياة بمقتضى العقل وحده أو الملاحظة الحسية وحدها أمرًا مستحيلًا"^(٥).

(١) انظر: نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريبستباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ص ١٧٦.

(٢) مجلة ديوجين، "مصباح الفكر"، ع ٨، ص ١٤٢-١٤٣.

(٣) عباس محمود العقاد: أديب، ومفكر، وصحفي، وشاعر مصري، وُلد في عام ١٨٨٩م، وتوفي في عام ١٩٦٤م. انظر: الأعلام، الزركلي، (٣/٢٦٦).

(٤) الأخلاق والعرف، هنية مفتاح القماطي، ص ١٤٥.

(٥) الوجه الحقيقي للإلحاد، رافي زكرياس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٢٦.

المطلب الثاني تعميم الأحكام

تنادي المادية بتعميم إطارها المعرفي على جميع الأطر الفكرية، مهما كانت مجالاتها ومنطقاتها ومبادئها، بحيث تكون هي النواة الأساسية التي تنطلق منها جميع العلوم؛ باعتبارها المكون الأساسي الذي يُساهم في جميع المركبات الواقعية. فأصبحت المادية تمثل الإطار المرجعي لجميع الفلسفات والنظريات المختلفة، وصارت غاية في ذاتها، يُبرر كل شيء من أجلها. وترى المادية أن قوانين المادة تحكم الطبيعة وحياة البشر، وأنها تسيطر على الكون بما فيه من مجرات ونجوم وأجرام سماوية لا تعد ولا تحصى^(١)، وجعلوا كل شيء خاضع للقوانين المادية، فلا وجود إلا للمادة^(٢).

ويمكن بيان طبيعة تعميم الأحكام في الفكر المادي بما يأتي:

أولاً: تعميم قوانين الطبيعة على جميع العلوم:

دعت الفلسفة المادية إلى تعميم قوانين العلوم الطبيعية؛ لتكون سارية على العلوم الإنسانية، فرفعت شعار: وحدة العلوم، حيث يتم تفسير الظواهر الاجتماعية والإنسانية تمامًا مثلما تفسر الظواهر الطبيعية، ثم ترد الظاهرة في كل تفاصيلها إلى قانون أو مبدأ عام واحد، وتُزال كل المسافات، والثغرات، والتناقضات، والخصوصيات؛ باعتبار أن قوانين التاريخ والمجتمع الإنسانيين تشبه قوانين الطبيعة^(٣)؛ وأن الحياة كلها من عقلية ونفسية وسلوكية صادرة من مادة عضوية^(٤)^(٥)، فسعت إلى فرض المادية في ميادين العلوم الإنسانية والأخلاق والاجتماع

(١) انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١٧٥.

(٢) انظر: جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، محمود عثمان، ص ٢٠٨.

(٣) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٤١-٥٤. الفلسفة الانجليزية في مائة عام، رودلف متس، ترجمة: فؤاد زكريا، ص ١١٠.

(٤) المركب العضوي: أي مركب من المركبات الكيميائية التي تحتوي جزيئاتها على الكربون فيما عدا الكرييدات، الكربونات، ثنائي أكسيد الكربون، البيكربونات، السيانات. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٣٣٠.

(٥) انظر: أخطاء الفلسفة المادية، أنور الجندي، ص ٤.

والنفس، وذلك بأساليب خداعية^(١)؛ وهذا ما يفسر لنا سيادة المادية في كثير من فروع العلم، كالبيولوجيا^(٢) وعلم النفس، حتى أصبحت مبدأً تنظيمياً لتوجيه البحث في كافة العلوم الطبيعية^(٣)، وتتصور العالم كأنه كتلة ضخمة من الأشياء المادية، التي تُلاحَظ من مسافة هائلة من ملاحظ مجهول من خلال نَظْمِ ضخم من التليسكوبات^(٤)(٥).

وقد اعتبرت المادية أن المادة هي كل شيء موجود، حتى الأفكار وغيرها^(٦)، فتتوعدت مجالات تعميم المادية إلى جوانب كثيرة، وشملت جميع مناحي الحياة الإنسانية، فمن هذه الجوانب:

١. الحياة الاجتماعية:

لم تكتفِ المادية بتحديد موقف فلسفي وعلمي - على زعمهم - من ظواهر الوجود والحياة؛ بل توسع ذلك ليشمل دراسة الحياة الاجتماعية، ومجمل فعاليات النشاط البشري الأخرى^(٧).

٢. الأفكار والعواطف:

لا تتكر المادة وجود الأفكار والعواطف، ولكنها تعدها ضمن إطار المادة، وإنما هي مجرد تغيرات وكيفيات للمادة نفسها، وحسب ومن ثم فليس هناك إلا المادة وتغيراتها^(٨)، فالفكر عند المادية نشاط لمادة موجودة أصلاً في الإنسان، وهي مُخه، والعقل وظيفة المخ، ومن ثم تكون المادة سابقة على الفكر^(٩)، والفكر صورة من صورها^(١٠)، حيث افترضت المادية الوعي

-
- (١) انظر: أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، سيد العفاني، (١/ ٢٢٢).
- (٢) البيولوجيا: علم دراسة العضويات الحية، سواء الحيوانية أو النباتية. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣١٣.
- (٣) انظر: كومينيون ما وراء طبيعة المعلومات، ويليام ديمبسكي، ترجمة: خليل زيدان، ص ٣٠.
- (٤) التليسكوب: جهاز يُستخدم في رصد الأجرام السماوية، وهي إما بصرية أو تعمل بالأشعة المختلفة. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ١٨٦. فرنسا في القرن الثامن عشر، أوليفيه شالين، ص ٢٢٨.
- (٥) انظر: هل أنت وهم؟ ماري ميدجلي، ترجمة: وينب صلاح، ص ١٧.
- (٦) انظر: الفيزياء الحديثة والمادية الجدلية، إفيشيوس بتساكيس، ترجمة: عبد الرزاق السومري، ص ١٤٦-١٤٧.
- (٧) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٤٠.
- (٨) انظر: مع الفيلسوف، محمد ثابت الفندي، ص ٢٤٤.
- (٩) انظر: أهداف التربية في الفكر الجدلي المادي، عصام الدين علي حسن هلال، ص ٣٠.
- (١٠) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٥٥.

قضية مادية مستقرها الدماغ؛ باعتبار أن الذرات التي تشكل مادة الدماغ هي من نفس نوعية الذرات المادية التي تشكل مادة الأرض والعالم المادي، وتفاعلات مادة الدماغ هي أحداث لجزيئات أولية تخضع لقوانين فيزيائية^(١).

٣. الأخلاق والشعور:

تعاملت المادية مع الأخلاق وكأنها ظاهرة من ظواهر التطور^(٢)، وتعتقد أن المادة تسبق الأخلاق، وأن الأخلاق تُفسَّر تفسيراً مادياً، ومن ثم دعت المادية إلى أن يسعى الإنسان إلى الخبرات المادية التي تجود بها الحياة، كما ينطبق ذلك على الشعور والإحساس والجمال^(٣). كما ذهب المادية إلى أن الظواهر النفسية وظيفة للمخ، فالأفكار والإرادات والعواطف تتوقف على قوة المخ، وعمله، وحجمه، وتركيبه، وعلم النفس إنما هو فرع من علم وظائف الأعضاء يبحث في المخ، وليس الفكر إلا حركة للمادة ينعدم بانعدامها... والنفس والحركة والوجدان كلها ثمرة للمادة، وكلها كائنة في كل ذرة من المادة، وإنما تظهر إذا تراكبت الذرات، وكلما كانت مادة العضو أكثر تركباً كانت وظائفه أكثر تعقداً^(٤).

٤. التاريخ الإنساني:

رأت المادية أن كل تطور يعتمد على الظروف المادية والاقتصادية، كما هو الحال في البناء الفكري، والعقلي، والنفسي^(٥).

ثانياً: اعتبار المادة غاية في ذاتها:

من المبادئ التي زعمتها المادية: أن "الإيمان بالمادة المعلومة أولى من الإيمان بغيرها من القوة المجهولة؛ ذلك لأن الحواس تبرهن على وجود الأشياء، بينما الإيمان بالغيب إيمان بشيء مجهول لا حقيقة ولا وجود له، حتى إنهم يدعوننا حتى إلى حذف اسم الله نفسه، وفي هذا يقول هولباخ Holbach: "إن عقيدة الله المأثورة نسيج من المتناقضات، إن فكرة الله هو الضلالة المشتركة للنوع الإنساني"^(٦).

(١) انظر: الإلحاد يسم كل شيء، هيثم طلعت، ص ٨٣.

(٢) انظر: تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية، أبو بكر ذكري، ص ٤٣. الأخلاق والطبيعة الإنسانية، وسيم إبراهيم، ص ١٢٨.

(٣) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٨.

(٤) انظر: مبادئ الفلسفة، أ. س. رابويرت، ترجمة: أحمد أمين، ص ٩٨.

(٥) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٩-٢٠.

(٦) المشكلة الأخلاقية والفلاسفة، أندريه كريسون، ترجمة: عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكري، ص ١٧٥.

لذلك رفضت المادةُ الإلهة كشرط من شروط الحياة، كما أنها ترفض الإنسان نفسه إذا كان متجاوزًا للنظام الطبيعي المادي^(١).

ولما كانت المادة غاية في ذاتها تم تطبيقها على أنظمة الحياة، وتم تعميم نظرياتها المختلفة، فمثلاً: "كانت هذه هي الداروينية في عالم الأحياء، ثم عُمت حتى شملت الوجود المادي كله، من الغاز السديمي^(٢) الأول حتى المجرات^(٣) فالكواكب، فالمواد الصالحة لظهور الحياة، فالنبات، فالحيوانات، فالنبات، فالحيوان، وأمسى التطور مذهباً"^(٤)، فالتطور - في نظر أصحابه - قانون شامل يسري على عالم الجماد، والحيوان على السواء، وهو يقضي بأن الحي أو الجماد دائم التحول لا يثبت على حال واحدة^(٥)، فشمّل علوم الأحياء والكيمياء والفيزياء، وذلك بشكل مستمر في الحياة^(٦)، وعلى ذلك سار سبنسر Spencer في فكرة التطور الذاتي، فاتجه إلى تعليل كل شيء بمبدأ التطور، ابتداءً من السديم الغازي، وصولاً إلى الإنسان، ثم الرجعة إلى نقطة البدء، ثم تبدأ المسيرة ثانية وثالثة إلى ما لا نهاية له من المرات، وكل تكوين جديد لا بد أن ينتهي بالفناء والموت^(٧).

ويمكن نقض موقف المادية من تعميم الأحكام بما يأتي:

١. لا يمكن تفسير الحسّ الخُلقي والديني والجمالي، وأسئلته الوجودية على أساس مادي؛ فهو أمر أكثر صعوبة من تفسير وجود الأفكار ذاتها، ولا سيما الأفكار الدينية^(٨).

-
- (١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦.
 - (٢) السديم: كتلة ضخمة من الغبار والغازات، منتشرة بشكل غير منتظم بين نجوم المجرة. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ١٣١.
 - (٣) المجرة: الجزر النجمية المقدر عددها بمئات المليارات الموجودة في الكون. انظر: المجرات، مقدمة قصيرة جداً، جون جريبين، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ١١٤.
 - (٤) كواشف زيوف، الميداني، ص ٣١٨.
 - (٥) انظر: نظرية التطور وأصل الإنسان، سلامة موسى، ص ١٥.
 - (٦) انظر: الطاقة الإنسانية، أحمد حسين، ص ١٧٤-١٧٥.
 - (٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٧٥.
 - (٨) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٥٦. عيادة الملحنين، هيثم طلعت، ص ٨.

٢. ينتهي الفكر المادي بإنكار الفكر والكل، ينتهي بنكران الحس الخلقي والجمالي، ويُسقط الأسئلة الوجودية^(١)، حيث إن المادية تبدأ بالإيمان بالمادة المستقلة تنتهي إلى إنكار المادة أو التشكيك فيها^(٢)، بمعنى أنها تبدأ بالإيمان بالمادة، ولكنها تؤول إلى إنكارها بعدما تفشل في محاولة فهمها.
٣. إن العلوم المادية أعجز من أن تبحث في مسائل غيبية، كوجود الله تعالى؛ بل إن العلم نفسه أثبت الضبط الدقيق، ونفى المصادفة، وهذا يدل على عجز المادية^(٣).
٤. القول بأن الأخلاق قانون بيولوجي وطبيعي مردود، يتنافى مع طبيعة الإنسان، ويقترّب من النظرة الحيوانية؛ لأن الأخلاق قانون مثالي، يُعرض على الإدارة لكي تحقّقه باختيارها، فتحقق نظامًا إنسانيًا صحيحًا^(٤).

(١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٥٦.

(٢) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٨٢.

(٣) انظر: صلاة ملحد، محمد حامد، ص ٩٠.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣٨٤-٣٨٥.

المطلب الثالث

دعوى التلازم بين المادة والحركة

تمثل الحركة قانونًا من قوانين الحياة البشرية الكونية، ولكنها حركة مضبوطة منتظمة^(١)، وقد اعتمدت المادية على التلازم بين المادة والحركة، فكان من القضايا المسلّم بها لدى أصحاب الفكر المادي: أنه لا يمكن دراسة المادة إلا وهي متحركة، وكل فرضية^(٢) علمية تُهمُّ تركيبة المادة ومواصفاتها فهي ذات طابع نسبي، مراجعة توثيقها^(٣)، وكذلك "النظر إلى الطبيعة بوصفها كلاً موحدًا ومتناسكًا ترتبط فيه الموضوعات والظواهر ارتباطًا عضويًا فيما بينها، ويشترط بعضها بعضًا"^(٤).

وفي ضوء ذلك يمكن بيان ملامح هذا التلازم بين المادة والحركة في الفكر المادي، ومن ثم نقضها على الوجه الآتي:

أولاً: ملامح التلازم بين المادة والحركة عند الماديين:

١. اقتران المادة بالحركة:

حيث تدّعي المادية أن الحركة أصلية في المادة، وذاتية لها، وباطنة فيها، وفي صميمها، وليست عارضة عليها، أي أن المادة بذاتها متحركة، ومحركة بصورة وحدوية لا ثنائية بين المحرك والمتحرك^(٥).

كما تمثل الحركة من وجهة نظر أتباعها شكلاً من أشكال وجود المادة، وهي خاصية ملازمة لها، حيث ربطت المادية الحركة بالتغير، وتطور الأجسام، ومولد الجديد، واندثار القديم، فلا توجد المادة إلا في حركة، دون أن تحصر المادية تعدد أشكال الحركة في شكل واحد منها، كالميكانيكي مثلاً^(٦).

(١) انظر: خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، ص ٤٦.

(٢) الفرضية: فكرة أو قضية، تُوضع، ثم يُتحقق منها بالملاحظة أو التجريب. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٢٤.

(٣) انظر: الفيزياء الحديثة والمادية الجدلية، إفيشيوس بتساكيس، ترجمة: عبد الرزاق السومري، ص ١٤٦-١٤٧.

(٤) مدخل إلى الفلسفة الماركسية، غازي الصوراني، ص ٣٢.

(٥) انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ٢٠٨-٢٠٩.

(٦) انظر: مدخل إلى الفلسفة الماركسية، غازي الصوراني، ص ٣٩.

والمادية بصورها الديالكتيكية والميكانيكية تتفق في رفض فكرة وجود الخالق، وإن كان التفسير الميكانيكي يرى أن المادة ساكنة، ويفترض الحركة عارضة عليها، بينما يرى التفسير الديالكتيكي أن المادة متحركة بذاتها منذ الأزل، وأنها أصيلة ملازمة لها، وليست بعارضة عليها^(١).

ويختلف التصور الجدلي عن السكون اختلافاً جوهرياً عن التصور الميتافيزيقي، فالميتافيزيقيون يتصورون السكون انعداماً لكل حركة، وإنما على مثل هذا التصور تعترض المادية الجدلية، في الطبيعة ليس السكون هو الذي يلعب الدور الرئيسي على الرغم من وجود السكون النسبي، وإنما تلعبه الحركة، التغيير، التطور، ونفي الحركة بصفاتها خاصة المادة يفضي إلى الإقرار بوجود إله^(٢)، يقول ستالين Stalin^(٣): "إن الديالكتيك خلافاً للميتافيزيقا لا يعتبر الطبيعة حالة سكون وجمود، حالة ركود واستقرار؛ بل يعتبرها حالة حركة وتغير دائمين، حالة تجدد وتطور لا ينقطعان، ففيهما دائماً شيء يولد ويتطور وشيء ينحل ويضمحل"^(٤). ولما كانت الحركة مستمرة، وليست ساكنة لزم من ذلك أن يبقى الوجود في تطور دائم ومستمر، حيث صار يشمل سائر العلوم المختلفة والأنظمة الحياتية^(٥).

٢. قدم الحركة وأبديتها وشمولها لجميع التغيرات الكونية:

لقد زادت المادية على قدم المادة؛ قدم الحركة كما فعلت الماركسية^(٦)؛ معتمدة على طبيعة الاقتران بين المادة والحركة؛ وكوّن الحركة كامنة في المادة، دون أن يكون لها سبب أو محرك أول^(٧).

(١) انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ١٩٩-٢٠٠.

(٢) انظر: ألف باء المادية الجدلية، فاسيلي بودوستنيك، أوفشي ياخوت، ص ٢٩.

(٣) جوزيف ستالين Joseph Stalin : القائد الثاني للاتحاد السوفيتي، وُلد في عام ١٨٧٨م، وتوفي في عام

١٩٥٣م. انظر: الإلحاد مشكلة نفسية، عمرو شريف، ص ١٧٣.

(٤) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، ص ١٦.

(٥) انظر: كواشف زيوف، الميداني ص ٣١٨.

(٦) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٨٨.

(٧) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (٧٢/١)، والفلسفة المادية وتفكيك

الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦ - ١٧.

ويقبر منظرو الفكر المادي أن كل شيء في الحقيقة الوجودية منحصرة في المادة والحركة، وأصبحت الحركة والمادة معيارًا لجميع ما يحصل في الكون؛ فنتج عن ذلك أن يخلو الفكر المادي من أي تصور صحيح عن الإيمان ووجود الله، وكل ما هو فوق الطبيعة^(١). كما تلعب الحركة دورًا كبيرًا في الطبيعة، "كان انجلز يقول: "إن الحركة تضم في ذاتها جميع التغيرات والعمليات التي تحدث في الكون، بدءًا من الانتقال البسيط، ووصولًا إلى الفكر، ويترتب على ذلك أن كل تغير يحدث في داخل الأشياء، أي في العالم ينبغي أن يُعد حركة، إن الحركة هي تغير المادة بوجه عام"^(٢).

٣. حركة التطور في الطبيعة مستمرة:

ترفض المادية تصور الطبيعة ساكنة جامدة لا تقبل التغير؛ بل تؤمن بأنها في حركة دائمة وتطور وتغير وتجدد مستمر^(٣)، حتى إن الماركسية نظرت إلى الأرضية من الظروف التي يمارس الفرد تفكيره وحرية فيها على أنها أرضية متحركة متطورة^(٤)، يقول انجلز Inglis: "إن الطبيعة بأجمعها من أضال الأجزاء إلى أكبر الأجسام هي في حركة دائمة من النشوء والاضمحلال، وهي مدّ لا ينقطع في حركة وتغير مستمرين وأبديين"^(٥).

وتبقى هذه المادة - كما يرى أهلها- في حركة ذات تطور متصاعد ومتزايد التعقيد إلى أن تقوم حياة روحية مستقلة عن الظواهر المادية، ولكنها طبعًا ناتجة عنها^(٦).

(١) انظر: نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، ص ١٥.

(٢) ألف باء المادية الجدلية، فاسيلي بودوستنيك، أوفشي ياخوت، ص ٢٨.

(٣) انظر: المثالية والمادية في التحليل الاقتصادي، عبد الرزاق محمد حسن، ص ١٤.

(٤) انظر: مقدمة في الفلسفة العامة، يحيى هويدي، ص ١٨٦.

(٥) ضد دوهرنغ، ديالكتيك الطبيعة، كارل ماركس، فريدريك انجلز، ص ٤٩١.

(٦) انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٤٠٥.

ثانياً: نقض التلازم بين المادة والحركة:

يمكن نقض ما ذهب إليه المادية من القول بالتلازم بين المادة والحركة بما يأتي:

١. وقوع المادية في التناقض الفكري، وذلك من أكثر من وجه، فمن ذلك:
أ. إن القول بقدوم الحركة فلا يستقيم إلا بالقول بالحركة الكاملة، ولو كانت الحركة كاملة لما كان سكون؛ لأن السكون نقص في الحركة، وهذا تناقض يدل على بطلان ما ذهب إليه المادية^(١).
ب. تُتكرّر النزعة الإلحادية في نظرية التطور^(٢) على الدين قوله بوجود إله عالم مدبر للكون، ولكنها تقول أيضاً بالتطور المنتظم المتقدم نحو غاية عليا، وتسدّد هذا التطور إلى المادة التي بدأت وجودها، وهي في أحط صورة من صور الوجود التي يمكن للعقل أن يتصورها، ولا شك أن هذا تناقض صارخ^(٣).
٢. إن جميع الاتجاهات المادية الحديثة تلتزم بالقول بالتطور والتقدم دون أن يسعّفها العلم التجريبي بمبدأ الضرورة، وهذا يجعلها ملزمة منطقياً بالتسليم بالإرادة الإلهية، ليس فحسب لتفسير القوانين؛ بل لتفسير التقدم^(٤).
٣. يهدف الماديون من ذلك إنكار الخالق؛ لأن المادة المتحركة بطبيعتها لن تحتاج إلى محرك يحركها، فهي تتحرك بذاتها، وبما أن الحركة هي أصل التغير والتطور، فمن ثم تكون المادة التي تتحرك بذاتها متغيرة بذاتها، ومتطورة من داخلها، ولا يحتاج أمر من هذه الأمور كلها إلى قوة من خارجها تفعل فيها الحركة والتغير والتطور^(٥)، فلا يصح نفي وجود الله تعالى استناداً إلى أساس كفاية المادة والحركة القديمتين؛ لأن الحركة يستحيل عقلاً أن تكون قديمة^(٦).
٤. المادة فيها حركة بلا شك، ولكن لا يصح أن تنسب الحركة والتغير إلى المادة بصيغة التعميم والدوام، ومما يدل على ذلك انفصال جواهر الأشياء وماهياتها وللزم أن تتمازج وتتحد ماهيات كثيرة مختلفة في هذا الكون^(٧).

(١) الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١١١-١١٣.

(٢) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث الأول من الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٣) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٣.

(٤) انظر: المرجع السابق.

(٥) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود محمد مزروعة، ص ٣١٢.

(٦) انظر: تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٩٥.

(٧) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد البوطي، ص ١٠٩-١١٠.

٥. قد يقع هنا خلط بين الحركة في المادة والتغير الذي يطرأ عليها، وهذا خلط متعمد من الماديين، فالمادة قد تكون ساكنة دون أن يمنع ذلك من تغييرها من حال إلى حال، كما يحصل مع الجبال والهضاب، دون أن يمسى هذا التغير حركة^(١).
٦. إن الحركة والتغير يدلان على الحدوث بالضرورة؛ فإن الحركة في المادة تُحدث وضعًا لم يكن، وتُفنى وضعًا كان، وتحدث وضعيات غير موجودة مسبقًا، فتلك الحال حادثة يقينًا، وفي ذات الوقت تكون الحال التي كانت عليها قبل الحركة قد فنيت، وهكذا كل حركة في المادة تفنى وضعًا وتحدث وضعًا، لذلك كانت الحركة هي أظهر أدلة الحدوث، ثم إن الحركة حادثة، والأوضاع التي تجري على المادة بواسطة الحركة حادثة، فالمادة إذن هي حادثة بالضرورة؛ لأن الملازم للحدث حادث، وما لا ينفك عن الحادث فهو حادث^(٢).
٧. لا بد من العلم بأن الحركة نسبية، كما ثبت ذلك في النظرية النسبية^(٣)، حيث أقام نيوتن Newton برهانًا يثبت به أن الحركة حول محور لا بد أن تكون مطلقة وليست نسبية، ولم يستطع خصوم هذا الرأي أن يردوا عليه، إلا أنهم برهنوا على صحة الرأي المضاد، أي على أن كل حركة لا بد أن تكون نسبية، وكان برهانهم يبدو على أقل تقدير مساويًا للرأي الأول في درجة الإقناع، وظل هذا التضارب قائمًا بغير حل حتى أثبت أينشتاين Einstein^(٤) نسبية الحركة في نظريته عن النسبية^(٥)، وهذا ينقض ما ذهب إليه المادية من أن المادة في حركة دائمة ومستمرة.
٨. ظل الماديون يرغبون في اعتقاد أن الحياة ظهرت نتيجة تطور المادة تطورًا ذاتيًا، واعتبروا ذلك اعتقادًا فلسفيًا؛ لأنه لا بديل بعد رفض هذا الاحتمال إلا الإيمان بالخلق الخاص

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود محمد مزروعة، ص ٣٢٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٢٤.

(٣) النظرية النسبية: نظرية كونية فيزيائية معاصرة، أسسها أينشتاين عام ١٩٠٥م، وترتكز على نقد طرق قياس الزمان والمكان، وتقترض عدم وجود الأثير، وتقول إن الحركة المشاهدة كلها نسبية، وأن سرعة الضوء ثابتة لا تتغير، وأنها مستقلة عن حركة مصدره، وأنها الحد الأقصى للسرعة، وأن الزمان يشكل بعدًا رابعًا يضاف إلى الأبعاد الثلاثة المعروفة، وهي: الطول والعرض والارتفاع، ويؤلف معها متصلًا رباعي الأبعاد. انظر: موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، (٤/١٢٠٩). موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، خليل أحمد خليل، ص ١٢٠٢. مزيدا من التفصيل: النسبية، راسل ستانارد، ترجمة: محمد فتحي خضر.

(٤) ألبرت أينشتاين Albert Einstein : عالم فيزياء ألماني المولد، سويسري وأمريكي الجنسية، وُلد في عام ١٨٧٩م، وتوفي في عام ١٩٥٥. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٣.

(٥) انظر: فلسفتي كيف تطورت، لبرتر اندرسل، ترجمة: عبد الرشيد صادق، ص ٤٥.

المباشر، وهذا أمر يرفضونه؛ لأنهم لا يريدون إثبات خالق مدبر، وهذه الفلسفة إنما صدرت منهم من غير دليل ولا برهان^(١).

٩. إن التصورات الشرعية الإسلامية لا تتعارض مع تصور القانون والنظام؛ بل إن الإسلام هو الذي يضع ضمان الاستمرار للقانون الطبيعي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وهو استمرار مستمد من الإرادة الإلهية، ومتوقف عليها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وهنا يبدو الانسجام واضحاً بين إرادة الله وأطراد القانون، ويظل هناك موضع للخوارق التي يظهرها الله بين الحين والآخر، تذكيراً للإنسان بمصدر الوجود ومصدر القوانين وهو الله سبحانه وتعالى^(٢).

(١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٦.

(٢) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٦.

المطلب الرابع

إخضاع الإنسان للفلسفات المادية ورده إلى قوانين الطبيعة

ترفض ثقافة القرن العشرين النظرة الفلسفية التقليدية للإنسان كمركز وغاية لهذا الكون، وترى أن الوجود الإنساني مجرد صدفة^(١)؛ ولذلك أضفت عليه معايير المادية، وجعلت المادية سابقة له في ذاته ونشاطاته المختلفة: الفكرية، والنفسية، والأخلاقية، وكذلك أسبقيتها على الحياة تاريخًا وواقعًا^(٢).

ويمكن بيان نظرة الماديين للإنسان، ومن ثم نقضها على الوجه الآتي:

أولاً: نظرة الماديين للإنسان:

١. إخضاع حياة الإنسان وتفكيره للمادة:

ترى المادية أن الحياة من ظواهر التطور في المادة^(٣)، وأن "الإنسان مادة تنطبق عليه قوانين الطبيعة التي اكتشفتها العلوم، كما تنطبق على غيره من الأشياء المادية"^(٤)، حيث تتعامل المادية مع الإنسان ككيان مادي خالص، لا يتصرف بحرية؛ بل بمقتضى حتمية لكيانه المادي^(٥)، حدود الطبيعة هي حدوده، يسري عليه ما يسري على الظواهر الطبيعية، فهو شيء بين الأشياء، يمكن دراسته في إطار دوافعه الاقتصادية والمادية فحسب^(٦)؛ وبذلك ستترجع مركزية الطبيعة؛ باعتبارها المطلق الأول، بما يعني انهيار الإنسان، وتصفيته لصالح الطبيعة، ويتحول الإنسان إلى حيوان مادي مجرد، ويعود للصراع التطوري الذي دخل به التاريخ^(٧)؛ لأن حدوده هي حدود العالم المادي، وقوانينه هي قوانين العالم المادي، ومن هنا تنهار الغائية^(٨).

(١) انظر: قدر الطبيعة، مايكل دنتون، ترجمة: موسى إدريس وآخرون، ص ٣٦.

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١/٧١-٧٤).

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٤-٣٢٥.

(٤) تفكيك شبهات الملحدين في إثبات نبوة رسول الله ﷺ، محمد فوزي الغامدي، ص ١١.

(٥) انظر: كومينيون ما وراء طبيعة المعلومات، ويليام ديمبسكي، ترجمة: خليل زيدان، ص ٤١.

(٦) انظر: الإلحاد يسم كل شيء، هيثم طلعت، ص ٨٩.

(٧) انظر: أربعون خطأ في نظرية التطور، هيثم طلعت، ص ١٠٩-١١٠.

(٨) انظر: مناظرة الملحدين، هيثم طلعت، ص ٦٩.

٢. العمل على صياغة الإنسان وفق الرؤية المادية:

إن المادية الإلحادية تجرد الإنسان من إنسانيته، وترده إلى عالم مادي، تحكمه صيرورة حتمية بلا معيارية ولا قيمة ولا معنى، وتضيع الثروات الثمينة الكامنة داخله^(١)، وترد كل شيء في العالم إلى مبدأ مادي واحد، وهو القوة الدافعة للمادة، والسارية في الأجسام، والكامنة فيها، والتي تتخلل ثناياها، وتضبط وجودها^(٢)، وتسعى إلى إعادة صياغة المجتمع الانساني؛ بل الإنسان نفسه عن طريق تفكيكه وإعادة تركيبه؛ ليتوافق مع معطيات العقل المادي^(٣).

٣. نزع صفة الإنسانية عن الإنسان:

تُعد المادية الإنسان جزءًا من الطبيعة، وتكر أن يكون الإنسان كائنًا متميزًا عن بقية الكائنات الطبيعية الأخرى^(٤)، فلا مكانة خاصة به؛ لعدم اختلاف تركيبه عن بقية الكائنات^(٥)، أي إنها محاولة من الماديين لتسوية الإنسان بالكائنات الطبيعية^(٦)، فتارة تجعله آلة تولدها جينات^(٧)، وتتحكم بها المعلومات المبرمجة سلفًا، والسيطرة للمعلومات (الجينات)، وليس للفرد^(٨)، كما هو ظاهر كلام ريتشارد دوكنيز Richard Dawkins^(٩)، في عبارات، يبدو أن قد أطلقها وتناقض فيها^(١٠)، وتارة تجعله حيوانًا كما هو الحال في فلسفة دارون Darwin^(١١)،

(١) انظر: كهنة الإلحاد الجديد، هيثم طلعت، ص ٣٦٩.

(٢) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (٧١/١).

(٣) انظر: رحلتي الفكرية في البذور والجزور والثمر، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦٣.

(٤) انظر: الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ. م. بوشنسكي، ترجمة: عزت قرني، ص ٧٩.

(٥) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ١٨٨.

(٧) الجينات: وحدات وراثية في الكروموسوم، وهي المظهرة لصفات الكائنات. انظر: معجم مصطلحات علم

الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ١٩٦.

(٨) انظر: نقد الأخلاق التطورية ريتشارد دوكنيز نموذجًا، رضا زيدان، ص ١٥-١٦.

(٩) ريتشارد دوكنيز: عالم بيولوجي، بريطاني، وُلد عام ١٩٤١م. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٤٠.

(١٠) See: The Selfish Gene , Richard Dawkins, P205, 215.

(١١) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٩٦.

فمثلاً يقول جوليان هكسلي Julian Huxley^(١): "بعد نظرية داروين لم يعد الإنسان يستطيع تجنب اعتبار نفسه حيواناً"^(٢).

ثانياً: نقض تصور الفكر المادي عن الإنسان:

فشل النموذج المادي في تفسير ظاهرة الإنسان فشلاً واضحاً^(٣)، وبيان ذلك من وجوه:

١. إن الإنسان يتمتع بقدر من الاستقلال عن الطبيعة، ولا يخضع لاحتमितها في بعض جوانب وجوده، فالقول بأن الإنسان عبارة عن ظاهرة مادية ثابتة، يتنافى مع العقل والتجربة الإنسانية^(٤)؛ بناءً على المفهوم العام للمادية^(٥).
٢. لا يقتصر تفكير الإنسان على الجانب المادي فقط؛ لأن العالم الداخلي عالم الفكر مسوق بطبيعته الفياضة وبحكم البيئة التي تحوطه إلى النظر في عالم الحياة الإنسانية ومظاهرها نظره في عالم المادة وقوانينها^(٦).
٣. أهمل الطرح المادي للإنسان ورآه ترساً في آله، وذلك بخلاف الإسلام الذي كرم الإنسان، وضبط نزواته، وسيده، وسوى سلوكه^(٧)، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [الإسراء: ٧٠].
٤. عجز الماديون عن تقديم أي دليل عقلي أو علمي يثبت دعواهم؛ لأنهم لا يملكون شيئاً من ذلك، ولم يستطيعوا بعد كل الجهود التي بذلوها أن يقدموا أي دليل علمي^(٨).

(١) جوليان هكسلي: عالم بريطاني، حفيد توماس هكسلي، من أشهر القائلين بالتطور، طبق النظرية على الإنسان قبل دارون، في كتابه: مكان الإنسان في الطبيعة، ١٨٦٣م، وُلد في عام ١٨٨٧، وتوفي في عام ١٩٧٥م. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣٨٧. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٨٤.

(٢) الإنسان في العالم الحديث، جوليان هكسلي، ترجمة: حسن خطاب، ص ٣٦.

(٣) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١/٧٩).

(٤) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٣-١٤.

(٥) انظر: أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، سبيركين وياخوت، ترجمة: محمد الجندي، ص ٤٤.

(٦) انظر: ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٤٧.

(٧) انظر: الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية، سعود بن سلمان آل سعود، ص ٤٣٠.

(٨) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٥.

٥. عجزت المادية عن دراسة الإنسان؛ لأنه ظاهرة تتجاوز حدودها، فسلوكه ليست ظاهرة مادية، واللغة لا يمكن تفسيرها في إطار مادي^(١).
٦. غيّبت المادية بموقفها من الإنسان أي قيم، أو معانٍ سامية، وقدمت للبشرية منتجًا غير صالح للاستخدام البشري^(٢).

(١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٥٤-٥٥.

(٢) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٢٩١.

المبحث الثاني

المنطلقات الفكرية للمادية الإلحادية عرض ونقض

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أزلية المادة وأبديتها في إثبات الوجود.

المطلب الثاني: رفض مبدأ الغائية.

المطلب الثالث: دعوى الحتمية ووحدة الطبيعة.

المطلب الرابع: إنكار الغيبات والأديان.

المبحث الثاني المنطلقات الفكرية للمادية الإلحادية عرض ونقض

تنطلق المادية من مجموعة من المنطلقات الفكرية، والتي تعد الإطار العام للفكر المادي، وهذا ما تم عرضه في هذا المبحث.

المطلب الأول أزلية المادة وأبديتها في إثبات الوجود

أولاً: موقف الماديين من أزلية المادة:

يرى المؤمنون أن وجود الله تعالى وجود لذاته، بينما يرى الماديون أن وجود المادة هو وجود لذاتها^(١)، ولقد وُجد في البيئة الإسلامية من ينكر وجود الله تعالى، وإن كان وجودهم قلة، إلا أن خطورة المسألة تكمن في التأثير بإحداث أنواع أخرى من الإلحاد^(٢).
جاء الفكر المادي حاملاً معه فكرة القول بأن المادة لها صفتان أساسيتان، هما الأزلية والأبدية، وهما من صفات الله تعالى، فهو الأول والآخر^(٣)، حيث يعتقد الملحد أن المادة تُوجد نفسها من عدم، وتستطيع أن تنظم نفسها بطريقة ذكية^(٤)، فأضفت المادية على نفسها صفة الألوهية، وأنها أصل الوجود، وأنها باقية لا تقنى^(٥)، وتخلق، ولا حدود لكمالها، وهي مرجعية الحقائق كافة، وهي غامضة فوق الإدراك^(٦)، و تعتقد أن الوجود كله منحصر في الكون المادي^(٧)، وأن كل ما في الوجود أزلي صادر عن المادة^(٨)، حيث تمتعت بخصائص ونواميس جعلتها مبدعة في خلقها^(٩)، ومن ثم فلا يبدو هناك حاجة للقول بوجود خالق لكون أزلي

(١) انظر: العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، فرح الله عبد الباري، ص ٧٤-٧٥.

(٢) انظر: الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٨.

(٣) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ٣٧-٣٨.

(٤) انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ١٤٠.

(٥) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١١١.

(٦) انظر: الإلحاد الوهم المستحيل، نور الدين قوطيط، ص ٣٣٤.

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٥١١.

(٨) انظر: أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، سبيركين وياخوت، ترجمة: محمد الجندي، ص ٤٤.

(٩) انظر: على أطلال المذهب المادي، محمد فريد وجدي، (٥/١).

الوجود^(١)، فالحقيقة المطلقة للمادة، ولا توجد في هذا العالم آية قوى غيبية لا تخضع لقوانين الطبيعة^(٢)، ويلزم من الاعتقاد بأزلية المادة وأبديتها: أن الكون قد وُجد بلا خالق^(٣).

ثانيًا: نقض القول بأزلية المادة وأبديتها:

١. إن الطبيعة لا يمكنها أن تكون هي الخالقة؛ لأنها جزء من العالم، والعالم لم يخلق نفسه، فكيف لهذا الجزء أن يخلق نفسه؟ كما أنها لا تستطيع أن تضبط الكون بما فيه، ولا أن تدبّر الأقدار، أو تتصرف كما لو كانت خالقة^(٤)؛ فما كان خاليًا من شيء قوة وفعلاً، لا يمكنه مطلقًا أن يكون مصدرًا له^(٥).

يقول الدكتور ليكونت دي نوي Le Lynette de Noi^(٦): "لسنا من أولئك الماديين الذين يتمسكون بأرائهم واعتقاداتهم، رغم كونها سلبية بدون أي برهان، فيعتقدون أن بداية الحياة، والتطور، والعقل البشري، وولادة الأفكار الخلقية، سوف تصبح تحت سيطرة العلم في يوم ما، وينسون أن ذلك يتطلب تغييرًا في علومنا الحديثة، وبالتالي فإنه اعتقاد يرتكز على تعديلات عاطفية"^(٧).

٢. إن الاعتقاد بأزلية المادة وأبديتها يؤول إلى عبادة المادة، فيصبح المجال مقارنة بين معبود ومعبود^(٨)، وهي وحدة وجود بصبغة مادية^(٩)، حيث إن هذا الزعم فيه مضاهاة للمادة بالخالق.

(١) انظر: المادية وموت الإنسان، عبد الوهاب المسيري، مجلة المسلم المعاصر، م ٢٠، ع ٧٩، ١٦٤١٦هـ-١٩٩٦م، تاريخ الاطلاع: ١٥ فبراير ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/39P4JOU>).

(٢) انظر: أسس الفلسفة الماركسية، ق. افاناسييف، ترجمة: عبد الرزاق الصافي، ص ٩.

(٣) انظر: أوهم الملحدين أو هي من بيت العنكبوت، شحادة صقر، ص ١٤.

(٤) انظر: حدد مسارك، أيمن بهاء الدين السراج، ص ٦-٧.

(٥) انظر: دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، ص ١٠١.

(٦) ليكونت دي نوي Le Lynette de Noi : أحد علماء العصر، ورئيس قسم الفيزياء في معهد باستور، ورئيس قسم الفلسفة في جامعة السوربون. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢١٠.

(٧) مصير البشرية، ليكونت دي نوي، ترجمة، تحقيق: أحمد عزت طه، عصام أحمد طه، ص ١١٠.

(٨) انظر: تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٩٦.

(٩) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١١٧-١١٨.

٣. ثبت أن بعض الأجسام مثل الراديوم^(١) ينشر أشعة غير مرئية، وينمحي بالتدريج، ثم تبين بتجارب أخرى أن ذلك لا يختص به؛ بل يعم جميع الأجسام، إلا أنه يكون فيه أزيد من غيره، وإن كان فناؤه أيضًا في ببطء لا يعد بمئات ألف من السنين، بما يدل على أن المادة تقبل المحو والإزالة والفناء^(٢)، وتذهب وتقنى بالإشعاع^(٣).
٤. إن وجود ماضٍ لا نهائي لهذا الكون مستحيل؛ لأن الكون وخواصه وشروطه وقوانينه وغير ذلك يمثل سلسلة، وفي حال كانت لا نهائية أزلية قائمة بنفسها، فحينئذٍ يستحيل أن تكون موجودة، فأى سلسلة موجودة بالفعل يجب أن تكون حادثة غير أزلية، بما في ذلك الكون، كما أن أي سلسلة أو ترابط سببي أزلي لا نهائي ولا بداية له، لا يمكن أن يوجد أو يُرصد في العالم الفيزيائي؛ بل إن افتراض وجود هذه السلسلة نفسها ممتنع؛ لأنه يؤدي بك إلى تناقض واضح، وهو وصف السلسلة نفسها بأنها نهائية ولا نهائية في الوقت نفسه^(٤).
٥. يوجد كثير من العلماء الراضين لأزلية المادة، واللانهائية في العالم الفيزيائي؛ والذي جعلهم يرفضون ذلك هو أن هذه الفكرة تتعارض مع العلم والرياضيات^(٥)؛ وخضوع المادة للقانون الذي يقضي على جميع الكائنات بالفناء^(٦)، كما "لا يمكن العثور عليها في العالم الحقيقي، فهي لا توجد في الطبيعة، ولا توفر كذلك قواعد شرعية للتفكير العقلاني... الدور الذي بقي للانهائية لكي تلعبه هو فقط كونها فكرة"^(٧).
٦. من الواضح أن تركيب المادة، أو الأجسام غير الحية مباين على خطٍ مستقيم لتركيب الأجسام الحية بالنظر إلى الأجهزة، وإلى مجموع الأعصاب، وغير ذلك، ثم إننا نرى فرقًا عظيمًا بين الأجسام الحية واللّا حية من حيث الحركة؛ فإن الأولى حركتها من نفسها، بخلاف الثانية^(٨).

(١) الراديوم: عنصر كيميائي نادر، متألق وناصح البياض، ذو نشاط إشعاعي عالٍ، يُرمز له بالرمز Ra. انظر: معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٣٩٢.

(٢) انظر: موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، (١/٢٣٧).

(٣) انظر: قصة الفيزياء، جورج جاموف؛ ترجمة: محمد جمال الدين الفندي، ص ٣٨١.

(٤) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ١٣٢-١٣٣.

(٥) See: Large Cardinals In Set Theory From Their Beginnings (Springer Monographs In Mathematics). Akihiro Kanamori, P 193-211.

(٦) انظر: الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهرى المصري، (٦/١٤٧).

(٧) On The Infinite, David Hilbert, P 134.

(٨) انظر: دلائل التوحيد، محمد جمال الدين القاسمي، ص ١٠١-١٠٢.

٧. يلزم من كون المادة مصدر كل موجود حي: أن يكون المعلول أكمل من علته، وهذا أمر محال، يأبى قبوله كل عقل سليم^(١)؛ ولذلك تساءل ليستر ماكغرات Lester McGrat^(٢) قائلاً: "هل من المحتمل أن يكون الإلحاد وهمًا حول الله؟"^(٣)، وهذا تساؤل مشروع وواجب؛ لأن الملحد - وفق رؤيته لمادية العقل ونسبية الحقيقة- لا يمكنه أن يجزم بأن الإلحاد حق وصواب، ولن يتغير أبدًا مستقبلاً^(٤).

٨. المادة عبر زمانها الماضي أشياء عينية، موجودة في الخارج، وكل ما اتصف بذلك فهو محدود بالزمان والمكان، وإذا كانت أزلية فلم لم يوجد الكون قبل خمسة مليار^(٥) سنة؟، ولم كل هذا التنوع في ذات المادة وفي عناصرها؟^(٦).

٩. إذا كانت المادة لها بداية؛ كونها متغيرة، فإن ظاهرة التغير نفسها تؤدي إلى القول بإمكانية نهاية المادة، وقد قدّم لنا العلم الحديث العديد من الأدلة والقوانين العلمية التي تؤكد أن العالم بما فيه من أشياء يسير إلى نهاية محتومة^(٧)، مما يعني أنها مخلوقة؛ لأن السبب الأول بجعلها متحركة، خارج عنها، فهو ليس جسمًا به حركة، أو حركته هي كيانه، وبالتالي هو ليس في زمان؛ لأنه ليس قوة في جسم؛ بل قوة مطلقة أزلية واجبة كل وجود^(٨).

١٠. من الأصح المناقشة بين المادية والدين أن تجري بين المعبودين، والمعتقدات لدى الطرفين^(٩)، حيث إن ما يميز إله الماديين: قولهم بأن ظواهر العالم تغيرت عن أصل من جنس العالم المادي، وإنه من جنس العالم قبل أن تحدث الحياة والعقل؛ لأنه هو محدث الحياة والعقل؛ أو لأن الحياة والعقل ظواهر حدثت من بعد وهذا تناقض واضح^(١٠)،

(١) انظر: دلائل التوحيد محمد جمال الدين القاسمي، ص ١٠٢.

(٢) ليستر ماكغرات Lester McGrat : لاهوتي من أيرلندا الشمالية، وكاهن، ومؤرخ مثقف، وعالم، ومدافع للاهوتي، وُلد في عام ١٩٥٣م. موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١ مارس ٢٠٢١م، الموقع: [.https://bit.ly/3bPYV9J](https://bit.ly/3bPYV9J).

(٣) وهم دوكينز، ليستر ماكغرات، ص ١٠٣.

(٤) انظر: الإلحاد الوهم المستحيل، نور الدين قوطيط، ص ٣٢٩.

(٥) المليار: ألف مليون. معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٣٤.

(٦) انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ٢١٤-٢١٦.

(٧) انظر: الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة، صابر طعيمة، ص ٢٠.

(٨) انظر: نقض الإلحاد تحديات وتنبهات وإيضاحات، محمد عبد الفضيل عبد العزيز، ص ٢٥٠.

(٩) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٣٨.

(١٠) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٢٠-١٢٣.

فالخلاف يرجع في حقيقته إلى صفات هذا الأصل المعبود، لا إلى وجوده^(١)، فالماديون ليسوا منكرين لوجود أصل معبود، ولكنهم مشركون، يصنعون آلهة من عندهم، ويعددونها، وينحطون بأصل الوجود وبمعبودهم إلى أحط الدرجات^(٢).

وقد اعترف فرانسيس كولينز Francis Collins^(٣)، كان ملحدًا ثم عاد إلى الإيمان - أنه قضى ستة وعشرين عامًا لم يفكر خلالها مطلقًا في البراهين التي تؤكد أو تنفي وجود الله^(٤).

١١. من الحجج العقلية في إنكار أزلية المادة: "منع إنكار وجود الله على أساس القول بكفاية المادة القديمة؛ لأن المادة القديمة لا تفسر نفسها، وليس فيها الكفاية لتفسير مظاهر الحركة، وظهور الحياة والعقل والعلم والإرادة والتقدم؛ ولأن المادة في هذا التصور هي في قدمها ناقصة، والنقص صورة من صور العدم، وقبول العدم يتناقض مع افتراض وجوب الوجود الذي يعني القدم"^(٥).

١٢. مسألة أزلية المادة أصبحت مشكوكًا فيها علميًا، فالمادة تتحول إلى طاقة، والطاقة تتحول إلى مادة، وقابليتها للتحويل تعني أنها كانت بتلك الصورة لأسباب خارجية، فلما زالت الظروف زالت الهيئة، وخلق العالم بالصدفة أصبح مجرد تخمين، وليس حقيقة علمية^(٦).

١٣. إن من أكبر الأدلة التي يقيمها الماديون على قدم المادة قولهم: "لا يمكن خلق شيء إلا من شيء، ولا زوال شيء إلى لا شيء"، وأنت أينما وليت وجهك في نواحي الطبيعة، وعرفت شيئًا من أسرارها وقعت على قصد، ونظام، ونسبة تضبط تركيب المادة، وتكون ظاهراتها، فسلمهم: كيف يخرج القصد والنظام من الفساد المطلق والعماء الصرف، متخذًا من نفس برهانهم، وطريقة تفكيرهم، وإثبات مدعياتهم سبيلًا إلى مناقشتهم، وهناك تستبين مقدار ما في براهينهم من قوة، وما في أدلتهم من حق"^(٧).

ومما سبق يتبين لنا أن الفكر المادي يقول بأزلية المادة وأبديتها، وهو زعم باطل، لا تأيده الحجة ولا البرهان، فهو قول باطل ينقضه النقل والعقل.

(١) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٤٦.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) فرانسيس كولينز: عالم البيولوجيا الجزيئية بأمريكا، ورئيس مشروع الجينوم البشري الذي أعلنت نتائجه في عام ٢٠٠٣م، وُلد في عام ١٩٥٠م. انظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ٢٣.

(٤) انظر: لغة الإله، فرانسيس كولنز، ص ٢٨.

(٥) تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٩٥.

(٦) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٥-٢٨.

(٧) ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٤٦.

المطلب الثاني رفض مبدأ الغائية

أولاً: موقف الماديين من مبدأ الغائية:

تقوم المذاهب المادية على أساس أن المادة أزلية أبدية، لا تفنى ولا تستحدث، وهي تملك داخلها إمكانات ديمومتها أزلاً وأبداً، وهي قابلة للتحويل من صورة إلى صورة، وهي تمتلك قوانينها الثابتة ونظمها المحكمة، وهذا يعني أنها مستغنية عن غيرها، وما الكون إلا مجرد تفاعلات كيميائية فحسب^(١)؛ وهذا ما أدى إلى تبلور موقف المادية من الغائية، فهي ترفضها، أي أن للعالم غاية عليا، ولتخلص من مخاطر العبثية والتفاهة، فالمادية لها غايات ووظائف حيوانية، لا إنسانية^(٢)، وبالتالي لا يمكن أن يكون في الأشياء الطبيعية أي هدف؛ لأن المادة لا تستطيع أن تقصد هدفاً، أو ترسم خطة؛ بل تتصرف بضرورة ميكانيكية داخلية فحسب، وبالتالي يتحتم على التفسيرات العلمية أن تقتصر على الأسباب المادية والميكانيكية فحسب^(٣).

ويهدف الماديون من ذلك إلى إنكار الخالق، وجعل قوانين الفيزياء والأحياء كافية لخلق الكون وتدبيره، وتفسيره تفسيراً كافياً^(٤)؛ كما أعلنت المادية أن قوانين الطبيعة قد فصلت الإنسان؛ ووظيفته ليتناسب مع بنية الكون^(٥)؛ مما أدى ذلك إلى موت العالم في الحقيقة، وذلك بإفراغه من عمقه، وتحويله إلى مجموعة من المعادلات الرياضية، المتحفّز للانتحار الفكري^(٦).

ويلخص برتراند رسل هذه النظرة المادية المتطرفة فيقول: "ليس وراء نشأة الانسان غاية أو تدبير، إن نشأته، وحياته، وآماله، ومخاوفه، وعواطفه، وعقائده، ليست إلا نتيجة لاجتماع ذرات جسمه عن طريق المصادفة"^(٧).

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود محمد مزروعة، ص ٣٦-٣٧.

(٢) انظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، ص ١٣١.

(٣) انظر: العلم في منظوره الجديد، روبرت م، أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة: كمال خليلي، ص ٥٣.

(٤) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبّهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٤٨.

(٥) انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٢٧.

(٦) انظر: العالمية طاعون العصر، كشف المصطلح وفضح الدلالة، سامي عامري، ص ١٢٤.

(٧) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ٥٧.

وقد بنت المادية فكرتها في إنكار الغائية على أن الطبيعة تتحرك بشكل تلقائي، وبأن الحركة أمر مادي، ومن ثم لا توجد غائية في العالم المادي، حتى ولو كانت غائية إنسانية تسحب خصوصيات النشاط البشري على الطبيعة المادية^(١).

ثانيًا: نقض موقف المادية من العلية والغائية:

١. إن من أقوى الحجج الداحضة لموقف المادية من الغائية: أن الكون منتظم، وفي نسق واضح من الوسائل والغايات؛ وهذا يدل على إثبات الغائية والعلية^(٢)، وبرهان الغاية نمط موسع من البرهان الكوني أو برهان الخلق، فهي مخلوقة لحكمة وقصد في تكوينها وتديبها^(٣)، وأن الكون لا يستقل بنفسه؛ بل هناك قوانين تسيّره، ولا توجده^(٤). وهذا الإلتقان في الكون يتسق مع المفهوم الشرعي الذي يدعو إلى الاعتقاد بوجود الغائية في الكون^(٥)؛ ولذلك فإن العلية تكمن وراء الظاهرة الطبيعية، تشير إلى أمر خارج عنها وهو الإرادة الإلهية^(٦).

وهذه الحجة تستخدم في بيان تدين بعض العلماء، يقول أينشتاين Einstein : "تري العالم مملوءًا بالشعور بالعلية في كل ما يحدث... وتدينه يقول في الإعجاب العالي بانسجام قوانين الطبيعة، إن في هذا الانسجام لسببًا، هو من السمو بحيث إن كل المعنى الذي يضعه الناس في أفكارهم ليس بإزاء هذه القوانين غير انعكاس باهت تمامًا، وهذا الشعور هو الدافع في الحياة والجهد عند العالم، بالقدر الذي به يمكنه أن يسمو فوق استعباد شهواته الأنانية، وليس من شك في أن هذا الشعور قريب من الشعور الذي أحست به النفوس الدينية الخلاقة في كل العصور"^(٧).

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (٧٠/١). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦.

(٢) انظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص ٢٢٨.

(٣) انظر: البراهين العقلية على وجود الله، عبد المنعم الحفني، ص ٦٥-٦٦.

(٤) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٤٨.

(٥) انظر: قدر الطبيعة، مايكل دنتون، ترجمة: موسى إدريس وآخرون، ص ٢٠.

(٦) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٨.

(٧) Comment Je Vois Le Monde (Champs sciences) (French Edition), Albert Einstein, p38-39.

٢. إن تهميش الغائية، ونفي الغاية الكبرى من الخلق، والخوض في رفاهية الحياة، أدى إلى تكبر الإنسان وجبروته^(١)، وجعل الإنسان بلا غرض للوجود، وبلا أخلاق يمتثلها، وبلا معنى للحياة، وبلا أمل بعد الموت^(٢)، وتتعدم جميع المعايير الدينية والأخلاقية وغيرها^(٣).
٣. إن الإيمان بالمادة هو الحالة الطارئة في حياة الإنسان، أما الإيمان بالله تعالى، وتحقيق الغائية فهو دين الفطرة^(٤)، فلا يمكن للمادية -على اختلاف ظروفها وأحوالها- أن تُنكر الضرورة العملية التي يخضع لها جميع الأطراف، وهي قاضية بضرورة التسليم بوجود الظواهر الطبيعية، والتسليم بضرورة وجود الإرادة خلف هذه الظواهر^(٥).
٤. يعترف الماديون بنقصان مجموعة الشروط التي في جعبتهم لتعليل الظواهر، فكيف تكون هذه المجموعة الناقصة كافية في التعليل إلى حد أنها تبرر الاستغناء عن العلة الأولى^(٦)، "على أن العلماء في الواقع غالبًا ما يكتفون بما هو دون هذه النموذجية في صياغة السبب؛ إذ ثمة اعتبارات عملية تضطرهم إلى ذلك اضطرارًا، فهم إذا أرادوا الانتاج اكتفوا بالشروط الكافية، وإذا أرادوا المنع - منع حدوث نتيجة والحيلولة دون وقوعها- اكتفوا بالشروط الضرورية"^(٧).
٥. إن إنكار العلة الأولى يؤدي إلى الوقوع في التناقض، حيث إن الماديين يرفضون مبدأ العلية أو الضرورة العقلية؛ بحجة أنه لا يمكن الأخذ به إلا إذا أثبتنا أولاً أن العالم الخارجي يجري على قوانين مشابهة لقوانين العقل، وقد زعموا أنه لا سبيل إلى ذلك، وبذلك نقلوا المبادئ من كونها قواعد استنباطية لا يمكن التنازل عنها إلا بالتنازل عن العقل ذاته وعن العلم التجريبي إلى مشابهاة، وحينها يكون الملحد لا أدريًا خالصًا، حيث لا منهج، ولا مبدأ، وحينئذٍ يجب أن يكونوا ملزمين بالضرورة العملية التي تقودهم إلى التسليم بوجود الله^(٨).

(١) انظر: كامل الصورة لتعزيز اليقين وتثبيت الثوابت، أحمد يوسف السيد، ص ١٦٨.

(٢) انظر: الوجه الحقيقي للإلحاد، رافي زكرياس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١١٠.

(٣) انظر: الإلحاد يسم كل شيء هيثم طلعت، ص ٩٢-٩٣.

(٤) انظر: الدوافع نحو المادية، مرتضى مطهري، ترجمة: محمد علي التسخيري، ص ٢١-٢٢.

(٥) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٨٢.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ١٧٣-١٧٤.

(٧) فن الإقناع، ليونيل روبي، ترجمة: محمد علي العريان، ص ٣٥٢.

(٨) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٨٣-١٨٤.

ولذلك يقول وليم جيمس William James^(١): "للقول بوجود الله بقطع النظر عن الأدلة الخارجية مكان طبيعي في نفوسنا منسجم مع طبيعة عقولنا كمفكرين"^(٢).

سادساً: خَلَطَ الماديون بين السبب والمسبب، وبين علاقة الترابط بين السابق واللاحق، وغفلوا عن أن مبدأ العلم قائم على البحث عن الأسباب، فيلزمهم البحث عن سبب للعالم^(٣)، فعلماء الأديان والمحققين من الفلاسفة يرون أن كل شيء في الطبيعة مرتبط ببعضه ببعض بأسباب وعلل لا تنفك عنه، وأن لكل حادثة سبباً، وذلك من البديهيات^(٤)، وهذا ما تقوم عليه العلوم بسائر فروعها، من اكتشاف قوانين الطبيعة وسننها؛ وذلك لتبني نظرياتها واستنتاجاتها على أساس تلك القوانين والسنن^(٥)، قال ابن القيم - رحمه الله -: "من أعظم الجناية على الشرائع والنبوات والتوحيد إيهام الناس أن التوحيد لا يتم إلا بإنكار الأسباب"^(٦).

حتى النظريات العلمية في مختلف ميادين التجربة والمشاهدة، تتوقف - بصورة عامة - على مبدأ العلية وقوانينها توقفاً أساسياً، وإذا سقطت العلية ونظامها الخاص من حساب الكون، يصبح من المتعذر تماماً تكوين نظرية علمية في أي حقل من الحقول^(٧).

سابعاً: يقول واين أولت Wayne Ault^(٨): "ويسلم كثير من الناس تسليماً منطقياً بوجود الغاية أو الحكمة من وراء الظواهر الطبيعية، ولا شك أن اعتقاد وجود إله خالق لكل الأشياء يُعطينا تفسيراً بسيطاً سليماً واضحاً عن النشأة والابداع والغرض أو الحكمة، ويساعدنا على تفسير جميع ما يحدث من الظواهر"^(٩).

ومما سبق يتبين لنا أن المادية ترفض الغائية؛ بهدف إنكار الخالق، منطلقاً من مبدئها الأساسي القائم على أزلية المادة، وإنكار ما وراء الحس.

-
- (١) وليم جيمس William James : فيلسوف أمريكي، وُلد في عام ١٨٤٢م، وتوفي في عام ١٩١٠م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٦٦.
- (٢) العقل والدين، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، ص ٨٥.
- (٣) انظر: تجديد المنهج في العقيدة، يحيى هاشم فرغل، ص ٩٤-٩٥.
- (٤) انظر: الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ٣٧.
- (٥) انظر: المرجع السابق، ص ٤٠.
- (٦) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، ص ١٨٩.
- (٧) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٠٥.
- (٨) واين أولت Wayne Ault: عالم الكيمياء الحيوية، حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا. انظر: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١٣٥.
- (٩) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١٣٧-١٣٨.

المطلب الثالث

دعوى الحتمية ووحدة الطبيعة

من المبادئ الأساسية التي تقوم عليها المادية اعتقاد الحتمية، وجعلها بديلاً عن فكرة إثبات الخالق، كما أنها تدرس الطبيعة على أنها كلٌّ مترابط لا انفصام بين أجزائها، وهذا ما يعرضه الباحث في هذا المطلب.

وبصفة عامة: فإن العلم يرتكز على قوانين عديدة، وهي:

أولاً: مبدأ العلية، ويقوم على أن لكل حادثة سبباً^(١)، وأن لكل حادثة علة تسبقها، وتؤدي إليها^(٢)، أو سبب؛ لأن العلة والسبب تستعملان مترادفتين في الغالب^(٣)، والعقل يُدرك ذلك تلقائياً، ودون معونة الحس والتجربة^(٤).

ثانياً: قانون الحتمية: وينص على أن كل سبب يولد النتيجة الطبيعية له، بصورة ضرورية، ولا يمكن للنتائج أن تتفصل عن أسبابها.

ثالثاً: قانون التناسب، ويكون بين الأسباب والنتائج، وينص على أن كل مجموعة منققة في حقيقتها من مجاميع الطبيعة يلزم أن تتفق أيضاً في الأسباب والنتائج^(٥).

وهذا المطلب يسلط الضوء على موقف الفكر المادي من الحتمية، وينقضه، وذلك

كالآتي:

أولاً: دعوى الحتمية عند الماديين:

١. مفهوم الحتمية:

تعني الحتمية أنه إذا توافرت الشروط والأسباب تحتم وقوع النتائج، وبناءً على ذلك يكتفي العالم بنفسه، ولا حاجة به إلى علة أخرى^(٦).

وفي ضوء ذلك: فإن الحتمية في القوانين المادية تعني أن لكل ظاهرة طبيعية علة طبيعية توجب وقوعها، ولكل علة معلوم ينشأ عنها؛ لأن كل ما يقع في الكون من أحداث هو

(١) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٠٥.

(٢) انظر: نحو فلسفة العلوم الطبيعية؛ عبدالفتاح مصطفى غنيم، ص ١٧٣.

(٣) انظر: الأشباه والنظائر، تاج السبكي، (٢/٢٦).

(٤) انظر: مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، محمد جواد مغنية، ص ١٦٩.

(٥) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٠٥.

(٦) انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٤.

نتيجة ضرورية تترتب على ما سبق من أحداث، حيث صوروا العالم بأنه عبارة عن مجموعة عضوية مترابطة، ودائرة مغلقة يتصل بعضها ببعض اتصالاً علياً بحثاً، وهذا هو ما عناه لابلاس Laplace^(١) بعبارة المشهورة: "إن في وسعنا أن ننظر إلى الحالة الحاضرة للكون على أنها نتيجة للماضي، وعلة للمستقبل"^(٢).

بل إنهم يذهبون إلى أن هذه الحتمية تفرض نفسها على عالمنا الأرضي، وعلى الأكوان الأخرى، وهي تفرض نفسها كذلك على مادة هذه المنضدة التي نجلس عليها، وعلى ظواهر الحياة والعقل كافة^(٣)، فهي "خاضعة لقوانين واحدة ثابتة منتظمة صارمة مطردة وآلية، وقوانين رياضية عامة واضحة حتمية، لا يمكن تعديلها، أو التدخل فيها، وهي قوانين كامنة فيها"^(٤). وهذا يعني في نهاية المطاف أن الكون واضح منطقياً على أساس الحتمية السببية^(٥)، التي تقرر أن الحادثة تقع حال توفر اشتراطاتها الموضوعية أي تصبح حوادث العالم واجبة وليست ممكنة فحسب^(٦).

يقول لويس دي برولي Luis de Brulll^(٧): "كان للحتمية في نظريات الفيزياء الكلاسيكية السيادة المطلقة، لقد كان يظن أن كل الظواهر - كبيرها وصغيرها - تحكمها قوانين صارمة بحيث يجب أن تحدد بالكامل حالة العالم عند اللحظة (ز) بحالته عند اللحظة الابتدائية (ز)"^(٨).

(١) لابلاس Laplace : وُلد سنة: ١٧٤٩م، لأسرة من الطبقة الوسطى في نورمانديا، ثم أصبح المركز ببيير سيمون دلابلاس، وحقق أول فوز له بمقالاته اللاهوتية الورعة في المدرسة، وغداً أشد الملحدِين إمعاناً في إلحادهم في فرنسا النابوليونية، وتوفي سنة ١٨٢٧م. انظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، (٢٠٩/٣٧-٢١٠).

(٢) انظر: مشكلة الحرية، زكريا إبراهيم، ص ١٠٠.

(٣) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٤٣. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٨٧.

(٤) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (٧٠/١). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦.

(٥) السببية (العلية): الإيمان بأن لكل ظاهرة سبباً واضحاً ومجرداً، وبأن العلاقة بين السبب والنتيجة علاقة حتمية. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالد مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣١٩.

(٦) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ٥٩.

(٧) لويس دي برولي Luis de Brulll : فيزيائي فرنسي، تلميذ وصديق أينشتاين، وُلد في عام ١٨٩٢م، وتوفي في عام ١٩٨٧م. انظر: عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ١٧٨.

(٨) الفيزياء والماكروفيزياء، لويس دي برولي، ترجمة: رمسيس شحاته، محمد مرسي أحمد، ص ٢١٩.

كما زعموا أن العالم يتحرك بنفسه حركة آلية (ميكانيكية)، من غير علم، ولا إرادة، ولا شعور^(١)، وتعتقد النظرية الميكانيكية للكون أن العلاقة بين جزيئات الكون المادية علاقة سببية حتمية مباشرة، بحيث من السهل معرفة النتيجة إذا عرفنا السبب، ومن السهل معرفة السبب إذا عرفنا النتيجة^(٢).

ويُعد هولباخ Holbach من الفائلين بحتمية القوانين، وتقوم ماديته على الاعتقاد بحتمية القوانين الطبيعية، وأن هذا يبطل الاحتجاج بوجود النظام في الكون على وجود الله^(٣).

٢. أثر القول بالحتمية:

أ. إن الاعتقاد بالحتمية يمنع الاعتقاد بوجود الخالق المدبر لهذا الكون، والذي يسيره وفق الحكمة، ف"الزعم بأن حتمية القوانين الطبيعية من ناحية، وقوانين التطور التقدمي من ناحية أخرى يمكن الاستغناء بهما عن افتراض وجود الله، وعلمه، وإرادته، كتفسير لوجود العالم، وحركته وتغييره"^(٤).

يقول كونت Conte : "الحوادث العالمية والظواهر الطبيعية لا بد لها من أن تعود إلى سبب طبيعي، وأن يكون من المستطاع تعليلها تعليلًا علميًا، مبناه العلم الطبيعي، فلم يبق ثمة فراغ يسده الاعتقاد في وجود الله، ولم يبق من سبب يسوقنا إلى الإيمان به"^(٥).

ولا يزال كثير من الفيزيائيين المعاصرين يعتقدون بالحتمية، منهم ريتشارد دوكنز Richard Dawkins الذي يقول: "أعتقد أن حرية الإرادة هو وهم مقنّع، فنحن نتصرف كأنه لدينا حرية إرادة"^(٦).

(١) انظر: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مفرح بن سليمان القوسي، ص ٣٢٦.

(٢) انظر: مغالطات أكنوبة أن ميكانيكا الكم تلغي السببية، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2M5RJG1>)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

(٣) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٠٤.

(٤) المرجع السابق، ص ٥٣.

(٥) ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٦٧-٦٨.

(٦) مناظرة بين ريتشارد دوكنز وديباك شوبرا [DVD]، شركة اليوتيوب، تاريخ الاطلاع: ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3nSMU7A>)، تم نشره بتاريخ: ١٩ مايو ٢٠١٦م.

ب. والأخذ بمبدأ الحتمية لازم عند أصحاب المنهج العلمي المادي الإلحادي، حيث يستبعدون المصادفة والاتفاق؛ لأنهم ينظرون إلى الظواهر على أنها ضرورية، وليست ممكنة، وإلا فقد العلم شرعيته أصلاً^(١).

ت. إن الحتمية تتوافق مع نظرة الفيزياء الكلاسيكية للكون، على اعتبار أن الكون آلة ميكانيكية تعمل وفق قوانين ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، ولا يمكن أن تحيد عنها، بحيث إن نفس السبب يؤدي حتماً إلى نفس النتيجة بصورة متكررة مطردة، والارتباط بين السبب والنتيجة ارتباط حتمي ضروري، وبالتالي يمكن التنبؤ الدقيق بالنتيجة بناءً على السبب^(٢).

ث. لا يمكن في المذهب الحتمي حدوث أشياء خارج منطوق قوانين الطبيعة، وبالتالي لا مجال لحوادث عشوائية غير محددة سلفاً، ويعترف الحتميون بأنه ربما يصعب على الإنسان أحياناً معرفة النتيجة مسبقاً؛ نتيجة عدم قدرته تحديد الشروط البدئية للتجربة؛ أو عدم امتلاكه للصياغة الدقيقة للقانون الطبيعي، لكن هذا القانون موجود، والنتيجة محددة سلفاً^(٣).

ثانياً: وحدة الطبيعة وترابطها:

أ. مفهوم وحدة الطبيعة:

ترى المادية أن الطبيعة كيان يتسم ببعض الصفات الأساسية، التي تشكل في مجموعها أساس الفلسفة المادية^(٤)، والتي منها: الإيمان بوحدة الطبيعة، فالطبيعة شاملة لا انقطاع فيها ولا فراغات، فهي الكل المتصل، وما عداها مجرد جزء ناقص، فهي لا تتحمل وجود أي مسافات أو ثغرات أو ثنائيات، وجماع الأشياء والإجراءات التي توجد في الزمان والمكان هو الطبيعة، وهي مستوى الواقع الوحيد، ولا يوجد شيء متجاوز لها أو دونها أو وراءها، فالطبيعة نظام واحد

(١) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٥٧.

(٢) انظر: الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ترجمة: جعفر رجب، ص ١٧٣-١٧٥.

(٣) انظر: المعجم الفلسفي، مصطفى حسبية، ص ١٧٨.

(٤) انظر: العلاقة بين المادية ووحدة الوجود عند المسيحي، إيمان محمد العسيري، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس

٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3aJEvPU>)، ١٠ يناير ٢٠١١.

صارم^(١)، وهذا الترابط انعكس على الفكر الإنساني، وهي مهمة بالنسبة لنشاط الإنسان وعمله، كما أنه يوجد علاقة متواترة أساسية وضرورية وعامة بين ظواهر العالم المادي^(٢).

ب. نقض الحتمية ووحدة الطبيعة:

إن حتمية القوانين الطبيعية مغالطة نجد افتضاحها في ميدان الفكر الإسلامي، وفي ميدان الفلسفة الحديثة، وفي ميدان العلم التجريبي على السواء^(٣)، فمنذ صدر القرن العشرين بدأ العلم يرى أن الحتمية غير ضرورية وغير لازمة، وأن القانون الذي يحكم العالم هو قانون الاحتمالات؛ وبذلك انفسح المجال للقول بقوة عليا تسيّر العالم خارج نفسه^(٤)، ويمكن إجمال ذلك في النقاط الآتية:

- إن القول باطراد سنن الطبيعة ليس اعتقادًا محضًا، فالعالم يفترض مقدمًا مدركات عقلية أو قضايا أولية يستخدمها أعم من مقدماته دون أن يعرض للبحث في صوابها أو خطئها؛ لأن ذلك يخرج العالم عن نطاق علمه موضوعًا ومنهجيًا، فيترك البحث في صوابها للفيلسوف، فمن ذلك: أن العالم الطبيعي يسلم مقدمًا في بداية بحثه بمبدأ الحتمية أو السببية العامة^(٥)، فالسبب المجرد لا يستلزم حصول النتيجة، ومجرد الأسباب لا يوجب حصول المسبب؛ فلا بد من تمام الشروط وزوال الموانع وكل ذلك بقضاء الله وقدره^(٦)، كما أنه ليس من الضروري الارتباط بين ما يُعتقد في العادة سببًا وما يُعتقد في العادة مسببًا^(٧).
- إن افتراض حتمية القانون لا يلغي الإرادة الإلهية إلا عند من يتصورون الألوهية تصورًا بشريًا، منشؤه استمدادهم هذا التصور من الأساطير الشرقية أو الإغريقية^(٨).

(١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١/٧٠). الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٥.

(٢) انظر: جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، محمود عبد الحكيم عثمان، ص ٢٠٠.

(٣) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٤٤، الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٨٨.

(٤) انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٤.

(٥) انظر: في تراثنا العربي الإسلامي، توفيق الطويل، ص ٤٧.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٨/٧٠).

(٧) انظر: تهافت الفلاسفة، للغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، ص ٢٣٧.

(٨) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٦٩.

- إنَّ تقدم العلوم لا يتوقف على الحتمية، كما قال فانيفاربوش Vanevarbosch^(١)(٢)، ومهما تقدمت فلن يوجد في برهان خاتم للبراهين، أو دليل نهائي لا دليل بعده، وقد تُعاد صياغة الفروض مرات عديدة في أي جانب علمي^(٣).
- وصل العلماء الغربيون في القرن العشرين إلى أن قوانين العلم الطبيعي إنما هي احتمالية ترجيحية لا تبلغ مرتبة اليقين^(٤)، لا في العلوم الإنسانية^(٥)، ولا في الاقتصادية الماركسية^(٦)، ولا حتى في ميدان الفلسفة ولا في القانون الطبيعي^(٧)، فالقول بأن العالم الطبيعي يسلم مقدماً بمبدأ الحتمية أو السببية العامة أمر مغلوط، وعليه فلا يصح للفلسفات المادية أن تُنكر على من يعتقد في المسائل الدينية^(٨).
- ومن شواهد الاحتمالية: قانون الاستقرار وقانون السببية، اللذين تعتمد عليهما أغلب العلوم الضرورية، حيث انتهى فتغنشتاين Fatganstein إلى أن فكرة الضرورة لا وجود لها في أي منهما^(٩)، فمن الشائع اليوم أن القوانين متناهية الدقة، يجب أن تكون إحصائية، لا سببية^(١٠)، بمعنى أنها لا تقرر ما سيحدث في حالة جزئية، ولكنها تقرر أشياء مختلفة، فحسب كل منها سوف يحدث في نسبة معينة من الحالات^(١١).

-
- (١) فانيفاربوش Vanevarbosch : رئيس مجلس ادارة معهد ماساسويتش للتكنولوجيا، وُلد في عام ١٨٩٠م، وتوفي في عام ١٩٧٤م. مجلة الثقافة الأمريكية، م٢، ع٤٤، ص ١٥-١٦.
- (٢) انظر: مجلة الثقافة الأمريكية، م٢، ع٤٤، ص ١٥-١٦.
- (٣) انظر: فن الإقناع، ليونيل روبي، ترجمة: محمد علي العريان، ص٣٥٥-٣٥٦.
- (٤) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص١٤٤. ستيفن هوكينج وخلق العالم، محمد باسل الطائي، مؤسسة الحوار المتمدن، ع٣١٥٠، م٢٠١٠، تاريخ الاطلاع: ١٢ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/38VL6W5>).
- (٥) انظر: الأساس الجسماني للشخصية، د. ف.ه. مترام، ترجمة: عبد الحافظ حلمي، ص١٧٥.
- (٦) انظر: نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريستنباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ص٨٠.
- (٧) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص٩٣.
- (٨) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص١٠٥-١١١.
- (٩) انظر: لودفيج فتغنشتاين، عزمي إسلام، ص٣٠٢.
- (١٠) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص١٥٢.
- (١١) انظر: فلسفتي كيف تطورت، لبرتر اندرسل، ترجمة: عبد الرشيد صادق، ص٢٤١.

مع العلم أن بعض الباحثين والعلماء يرون أن فيزياء الكم^(١) التي هيمنت في فكر القرن العشرين هدمت الحتمية Determinism^(٢)؛ لوجود احتمال أكثر من نتيجة للسبب الواحد^(٣)، ولكنها لم تهدم السببية Causality، فمعنى السببية ما زال قائماً^(٤)، وهدمها يترتب عليه لوازم فاسدة، كانهيار العلوم، وبطلان الاستدلالات، وقصر بعض الملاحظة معنى السببية في الحتمية، على الرغم من كونها أعم، فالسببية قد تكون حتمية وقد تكون احتمالية^(٥).

يقول العالم الفيزيائي ماكس بورن Max Bourne^(٦): "القول بأن الفيزياء تخلت عن السببية هو قول لا أساس له من الصحة، صحيح أن الفيزياء الحديثة قد تخلت عن بعض الأفكار التقليدية وعدلت فيها، لكن لو توقفت الفيزياء عن البحث عن أسباب الظواهر فلن تصبح حينها علمًا"^(٧).

يقول جون كيميبي John Kimini^(٨): "القوانين الاحصائية، أو ما يسمى بالأخرى قوانين احتمالية؛ تدخل إلى العلم بسبب اخفاق جميع الوسائل الأخرى؛ أو عندما نضطر للاعتراف بجهلنا الكامل"^(٩).

ويقول برزيليوس Berezilius^(١٠): "إن كتب الكيمياء لو قيل لي عنها إن الشيطان يكتبها لما كذبت، فهي لا تكاد تثبت على شيء حتى يتغير كل فيها"^(١١)، وهو تصريح واضح بعدم الجزم بصحة هذا العلم.

(١) يأتي الحديث عنها مفصلاً في هذا الملطب إن شاء الله تعالى.

(٢) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٨٢.

(٣) الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٠.

(٤) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٨٢.

(٥) انظر: مغالطات أكذوبة أن ميكانيكا الكم تلغي السببية، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2M5RJG1>)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

(٦) ماكس بورن Max Bourne : عالم يهودي، ألماني، فيزيائي، رياضياتي، وُلد في عام ١٨٨٢م، وتوفي في عام ١٩٧٠م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٤٣٠.

(٧) Natural Philosophy Of Cause And Chance, Max Born, P4.

(٨) جون كيميبي John Kimini : عالم رياضيات، مجري أمريكي، وُلد في عام ١٩٢٦م، وتوفي في عام ١٩٩٢م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٤ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/33ol4ar>).

(٩) الفيلسوف والعلم، جون كيميبي، ترجمة: أمين الشريف، ص ١٨٨.

(١٠) يونس ياكوب برزيليوس Berezilius : من أكبر علماء الكيمياء، سويدي، وُلد في عام ١٧٧٩م، وتوفي في عام ١٨٤٨م. بواتق وأنابيق- قصة الكيمياء، برنارد جافي، ترجمة: أحمد زكي، ص ١٩٤.

(١١) بواتق وأنابيق- قصة الكيمياء، برنارد جافي، ترجمة: أحمد زكي، ص ١٩٤.

والفيزياء الحديثة ترشدنا إلى ضرورة ربط المفاهيم والقوانين الفيزيائية بمجالات الخبرة التي نشأت عنها، وهي تبين لنا في نفس الوقت خطأ تعميم هذه القوانين، وتحد من القول بحتميتها^(١)، يقول جون كيميني John Kimini: "إننا نعلم أنه قد تبين أن كثيرًا مما يطلق عليه وصف القوانين هو إما صحيح بشكل تقريبي، أو أنه على خطأ في كثير من الأحيان، حتى إن نظرية جري التثبت منها كقوانين نيوتن، انتهت في المدى الطويل إلى عدم الأخذ بها"^(٢).

وهناك أمثلة كثيرة لقوانين داخلية تحت حكم الاحتمال، في حين يبدو أنها لدى الحس العام غير قابلة للشك^(٣)، يقول هايزنبرج Heisenberg^(٤): "إن الخبرات التي تكوّن أساس نظرية النسبية قد بيّنت أن مفهوم الزمن البسيط في ميكانيكا نيوتن، يفقد أهميته إذا كنا نتعامل مع أجسام تتحرك بسرعة تقارب سرعة الضوء"^(٥)^(٦).

- أسهمت ميكانيكا الكم Quantum mechanics في هدم الفيزياء الكلاسيكية، فوسعت دائرة الاحتمالية إلى المستوى الذري وتحت الذري، وهي نظرية تقوم عليها جميع معرفتنا الحالية تقريبًا عن الكون^(٧)، وقد أحدثت تغييرات جذرية في واقع الفيزياء^(٨)، وهي من الموضوعات التي تنطوي على كثير من الغموض، وهي نظرية مثيرة للارتباك، ومعرضة للتناقضات^(٩)، وقد ظلت مسكونة بمشكلات فكرية وفلسفية، أدت إلى صعوبة فهمها،

(١) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٩٦.

(٢) الفيلسوف والعلم، جون كيمي، ترجمة: أمين الشريف، ص ٦٧.

(٣) وذلك مثل: احتمالية وجود بُعد رابع للفضاء، وأن الدلائل الحسية تقنعنا بأننا نعيش في فضاء ثلاثي الأبعاد عدا الزمن، وهذه الأبعاد الثلاثة هي الحد الأدنى فحسب، ومثلها أيضًا: قانون الجاذبية، والتناظر الكوني، والضغط الهوائي، وتفسير ظاهرة الضوء، وغير ذلك من القوانين التي يتطرقها الاحتمال. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى فرغل، ص ١٠٠-١٠٥. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى فرغل، ص ١٥٣.

(٤) فرينر هيزنبرج: عالم فيزيائي ألماني، وأستاذ جامعي، حاصل على جائزة نوبل، وُلد عام ١٩٠١م، وتوفي عام ١٩٧٦م. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢١٠.

(٥) سرعة الضوء: المسافة التي يقطعها الضوء خلال الثانية الواحدة، وتساوي ٢٩٩ ألفا و ٧٩٢ كلم، أي حوالي ١٨٦ ميل في الثانية. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ١٨٩.

(٦) المشاكل الفلسفية للعلوم النووية، فرينر هايزنبرج، ترجمة: أحمد مستجير، ص ٤٠.

(٧) انظر: فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال؟، أليستراي، ترجمة: أسامة عباس، ص ١٨.

(٨) انظر: الفيزياء والفلسفة، فرينر هايزنبرج، ترجمة: أحمد مستجير، ص ٢٠.

(٩) انظر: فيزياء العقل البشري والعالم من منظرين، روجر بنروز، ص ٨١.

وجعلت قبولها عسيراً^(١)؛ لأنها تبحث ضمن دائرة العلم الفيزيائي الضيق^(٢)، يقول بول ديفيز Paul Davies: "ليس من المبالغة القول بأن ميكانيكا الكم قد هيمنت على فيزياء القرن الحادي والعشرين، وأنها إلى حد بعيد أنجح نظرية علمية في الوجود"^(٣)، وهي العلم الذي يختص بدراسة المادة والإشعاع في المواد المتناهية الصغر، وهي الجسيمات الذرية والجسيمات وما تحتها وأصغر منها، وطريقة سلوكها^(٤).

وهذه النظرية تحظى بإجماع أو شبه إجماع من الفيزيائيين، وأسهمت في تقويض الفكر المادي، وشيوع الإيمان بالله تعالى^(٥).

وقد أسس هذه النظرية ماكس بلانك Max Planck، عام ١٩٠٠م، أي في أوائل القرن العشرين، وأعلن عنها في عام ١٩٠١م، وأكملها في عام ١٩١٢م، ثم توالى تأييدها، ولا سيما من شرودنجر Schrodinger^(٦)، وهايزنبرج Heisenberg، ونصت على أن سلوك الذرات يحكمه الاحتمال، وكان لها دور واضح في هدم النموذج الميكانيكي للكون، وإبطال المذهب الحتمي^(٧)، وقد أسهمت في تفسير كثير من ظواهر علوم الفيزياء، والكيمياء، والبيولوجي، كما كان لها تأثير قوي في مجال الفكر الفلسفي^(٨).

(١) انظر: فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال؟، أليستراي، ترجمة: أسامة عباس، ص ١٨.

(٢) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٢٥٩/١).

(٣) Six Easy Pieces, Richard Feynman, P15.

(٤) انظر: مغالطات أكلوبة أن ميكانيكا الكم تلغي السببية، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2M5RjG1>)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

(٥) انظر: أفي الله شك؟، حمد المرزوقي، ص ٥٣.

(٦) آرون شرودنجر Schrodinger : عالم وأستاذ جامعي، فيزيائي، نمساوي، ولد في فيينا عام ١٨٨٧م، حاص على جائزة نوبل، توفي عام ١٩٦١م. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٨.

(٧) انظر: المعجم الفلسفي، مراد وهبة، ص ٦٣٨. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٧. مغالطات أكلوبة أن ميكانيكا الكم تلغي السببية، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2M5RjG1>)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

(٨) انظر: بناء الكون ومصير الإنسان نقض لنظرية الانفجار الكبير، هشام طالب، ص ٤٥٧.

وعالم الكم عالم غريب معقد، تسوده الاحتمالية، بدلاً من الحتمية؛ ففيه لا يمكن وصف الإلكترون بموجة وحيدة، ولكنه يوصف بحزمة من الموجات^(١)، ومن خلال سلوك الموجات من حيث التداخل البناء والهدام تظهر احتمالية لوجود الإلكترون بمنطقة محددة^(٢).

وطبقاً لهذا العالم لا تتحرك الجسيمات تحت الذرية بشكل سببي حتمي، وإنما بشكل احتمالي جوازي، فلو شاهدنا الجسيمات النهائية للمادة من خلال ميكروسكوب له قوة تكبير بما يكفي لذلك، - وهو أمر بعيد عن التحقيق العملي - فإنها ستبدو متحركة، لا كقطرات تجري بسلاسة على قضبانها، بل كحيوانات الكنجر وهي تقفز في أحد الحقول^(٣)، فلا يمكن التحدث عن يقين، لأن الضوئيات (الفوتونات) photons^(٤) لا تسلك مسلكاً مطّرداً باستمرار، كما أنه لا يمكن التنبؤ بسلوك الإلكترون في المستقبل؛ لعدم القدرة على تحديد موقعه وكمية حركته معاً، وبدقة في نفس الوقت^(٥)، فكلما زادت الدقة في رصد كمية تحرك الإلكترون، قلت الدقة في تحديد موقعه، وكلما زادت الدقة في تحديد موقع الإلكترون، قلت الدقة في تحديد كمية تحركه، وهو ما يُعرف بمبدأ (عدم التأكد) Heisenberg's Uncertainty Principle، لهايزنبرج Heisenberg، وفيه أن الأمواج يمكن أن تسلك كالجسيمات، والجسيمات تظهر صفات موجية^(٦)، والجسيمات المتحركة تتمتع بخواص ازدواجية^(٧)، وكان هذا الاكتشاف سنة ١٩٢٧م^(٨).

(١) الموجات: طاقة مُزاحة أثناء انتقالها على وسط، ينتج الانزياح عن اضطراب يحدثه جسيم أثناء انتقاله عبر وسط من نقطة لأخرى، ناقلاً الطاقة دون المادة. انظر: أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصمه جي، ص ٤٦.

(٢) انظر: أساسيات ميكانيكا الكم، إبراهيم محمود ناصر، عفاف السيد عبدالهادي، ص ٣٧.

(٣) نص على ذلك نيلز بور. انظر: الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ترجمة: جعفر رجب، ص ١٧٤.

(٤) الفوتونات: كمّ الإشعاع الكهرومغناطيسي، ليس له شحنة أو كتلة، وينطلق بسرعة الضوء، وتتناسب طاقته مع تردد الأشعة الكهرومغناطيسية تناسباً طردياً. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص جليبي، هاني رزق، ص ٣٢١-٣٢٢.

(٥) انظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص ٩٢.

(٦) انظر: الكيمياء العامة: المفاهيم الأساسية؛ ريموند تشانغ، ص ٢١٨.

(٧) انظر: أساسيات ميكانيكا الكم، إبراهيم محمود ناصر، ص ٣٥.

(٨) انظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص ٩٢.

وأصبح يُطلق على هايزنبرج صاحب نظرية (الخطأ والاحتمال في قوانين الطبيعة)^(١)، فأسهمت ذلك في زوال قداسة الجبرية في القوانين العلمية، وأصبحت هذه القوانين مجرد صيغ احتمالية تعيّر عن الحالات الأكثر وقوعاً، لا عن حتمية الوقوع على نحو دقيق صارم^(٢)، كما أكدت القوانين الجديدة أن ذرات المواد المشعة تتكسر تلقائياً، دون أي سبب، أو صلة بأي شيء، وهذا ما أحدث شروخاً مفاجئة في النظرية الكلاسيكية^{(٣)(٤)}.

وبذلك ينهار مبدأ حتمية قوانين الطبيعة، الذي قام عليه الإلحاد المادي المعاصر، الذي يشوش بهذه الحتمية على الاعتقاد بخضوع الكائنات للإرادة الإلهية^(٥)، فكل شيء يرجع إلى إرادة الله تعالى، حتى وإن كان هناك اقتران واضح بين السبب والنتيجة، ويصدر مع الآخر مقترناً به اقتراناً عادياً، لا أن أحدهما معلق بالآخر، أو سبب له أو حكمة له^(٦).

ومما سبق يتبين أن المادية قامت على الاعتقاد بالحتمية، بديلاً عن فكرة إثبات الإله، حيث ربطت الأسباب بالنتائج، دون ردها إلى أي عوامل أخرى، وقد نظرت المادية إلى الطبيعة على أنها كلٌّ مترابط الأجزاء؛ سعياً إلى تدعيم زعمها بأزلية الكون وأبديته.

(١) انظر: معاول علمية في جدار المادية، عماد الدين خليل، ص ٩٥

(٢) انظر: مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص ٩٢.

(٣) الكلاسيكية: صفة تستخدم في وصف الأشياء البسيطة، أو القديمة التقليدية، أو المتزنة. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (٣/١٩٤٨).

(٤) انظر: الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ترجمة: جعفر رجب، ص ١٧٤.

(٥) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٦٧.

(٦) انظر: مناهج البحث عن مفكري الإسلام، علي سامي النشار، ص ١٦٩.

المطلب الرابع إنكار الغيبيات والأديان

أولاً: موقف الماديين من الغيبيات:

يرى الماديون أن الطبيعة تحوي داخلها كل القوانين التي تتحكم فيها، وكل ما نحتاج إليه لتفسيرها فهي علة ذاتها^(١)، وهذا نهجهم في تفسير المستقبل عبر إزاحة الميتافيزيقا^(٢)، وهذا القيد والنهج الموضوع كسياج للعلم الطبيعي هو الذي يمنع من تداول المقالات المتحدثة عن وجود الخالق والغيبيات في المجالات العلمية^(٣)؛ بل تعد البحث فيها من الخرافة^(٤)^(٥)، وأن الحقيقة الوحيدة الملموسة هي المادة^(٦).

من القواعد التي تستند إليها المادية: إنكار كل الغيبيات التي لا يمكن إخضاعها للملاحظة والتجربة^(٧)، وهي باتفاق جميع المذاهب المادية^(٨).

ويقول كانط Kant: "إن الميتافيزيقا كاستعداد طبيعي للعقل تكون واقعية، أما بالنظر إليها في ذاتها فقط فإنها تكون جدلية ومموهة، فإذا ما أردنا بالتالي أن نستخلص من هنا المبادئ التي نتبع في استخدامها ثمة مظهر طبيعي حقاً، ولكنه مع ذلك مظهر كاذب، فهذا لا يمكن أبداً أن يحقق لنا علماً؛ بل ثمت فن جدلي لا فائدة منه، حيث يمكن لأية مدرسة أن تتفوق فيه على الأخرى، لكن من غير أن تحصل أبداً على الاستحسان الدائم المشروع"^(٩)، كما اعتبر كانط Kant أن مصطلحات من قبيل الميتافيزيقا، الكون، الروح، ما هي إلا إنتاجات

(١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (٧٢/١).

(٢) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٢٩-١٣٠.

(٣) انظر: الإلحاد وثوقية التوهم وخواء العدم، حسام الدين حامد، ص ١٤٠.

(٤) الخرافة: قصة قصيرة ذات مغزى، وغالباً ما يكون أشخاصها وحوشاً. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جلبي، هاني رزق، ص ٣١٧.

(٥) انظر: الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ١٣.

(٦) انظر: الإلحاد والدين في مجتمعات المسلمين، صابر عبد الرحمن طعيمة، ص ١٥.

(٧) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٥٣.

(٨) انظر: الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية، سعود بن سلمان آل سعود، ص ١٢.

(٩) مقدمة لكل ميتافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علماً، إمانويل كانط، ترجمة: نازلي إسماعيل حسين، محمد فتحي الشنيطي، ص ١٧٣.

لقبطة للعقل البشري، ولا تتمتع بأي مصداقية^(١)، فهو يرى أن الميتافيزيقا ما تزال حتى الآن في حالة من الشك والتناقض، كما أنها ليست متحققة من الناحية العلمية^(٢).

ويرى هيوم Hume^(٣) أن العقل له حدود، ورأى أن الميتافيزيقا تتجاوز حدوده؛ لذلك قرر أن كل بحث في الميتافيزيقا هو نوع من الأوهام^(٤)، كما يرى أن كل ما نسميه ميتافيزيقا لا يؤدي بنا، وبموجب استدلاله إلا إلى مجرد توهم لرؤية عقلية مزعومة لما استُعير في الواقع من التجربة فقط، وصار له بفعل العادة ظاهر الضرورة^(٥).

ويقول جون هيرمان راندال John Herman Randall^(٦): "تُوحى الطبيعة بالحقائق في أذهان الناس، وبذلك فهي تكون عقله، وطريقة تفكيره، أي إن الطبيعة هي التي تُملي على الإنسان القيم، والمثل العليا، ومكارم الأخلاق؛ لينتج من التعامل مع المجتمع، ولا يوجد شيء وراء الطبيعة وإن ما كان يظنه الإنسان القديم عن عالم الميتافيزيقا كله خداع ووهم وتصورات"^(٧).

ولذلك فالمادية الجديدة ثورة ضد الميتافيزيقا الإيمانية، وضد الميتافيزيقا المادية بكل إيمانها بالثبات والتجاوز والإنسانية، ومقدرة العقل على إدراك الواقع، وتجريد قوانينه منه^(٨)، فهي محاولة القضاء على خرافة الميتافيزيقا بشكل كامل عن طريق القضاء على خرافة الحقيقة الكلية^(٩).

(١) انظر: الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، جواد بشارة، ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) انظر: نقد العقل المحض، عمانوئيل كانط، ترجمة: موسى وهبة، ص ٥٢-٥٣.

(٣) ديفيد هيوم David Hume : فيلسوف، ومؤرخ، وعالم اقتصاد انجليزي، وُلد في عام ١٧١١م، وتوفي في عام ١٧٧٦. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٧٢٦.

(٤) انظر: الإجابة القرآنية كيف أجاب القرآن عن أسئلتك الوجودية؟، مهذب السعيد، ص ٤٥.

(٥) انظر: نقد العقل المحض، عمانوئيل كانط، ترجمة: موسى وهبة، ص ٥٢.

(٦) جون هيرمان راندال جونير John Herman Randall : فيلسوف أمريكي، وأستاذ جامعي، وُلد في عام ١٨٩٩م، وتوفي في عام ١٩٨٠م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس ٢٠٢١م، الموقع: <https://bit.ly/33xwBEp>.

(٧) الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١٧٧.

(٨) انظر: الفلسفة المادية وتقنيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٣٣.

(٩) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (٦٠/١). كتابات إسماعيل مظهر في كتابه: تاريخ الفكر العربي، ص ١١٥.

ثانيًا: نقض موقف المادية من الغيبيات:

١. تخطت المادية بين العلم التجريبي بالإيمان التجريدي^(١)، يقول لورانس كراوس Lawrence Krauss^(٢): "إن الإيمان بالله يجب أن يظل مسألة عقيدة، لا استنتاجًا علميًا"^(٣)، وهكذا قضايا الغيبيات هي قضايا تجريدية، وليست تجريبية^(٤).
٢. إن كثيرًا من الأشياء نشعر بآثارها في حياتنا دون رؤيتها، وذلك مثل الجاذبية، وعلى الرغم من أن قانون الجاذبية من أهم قوانين الطبيعة، إلا أن الجاذبية نفسها ما زالت لغزًا عميقًا لدى العلماء^(٥)، وكذلك الكهرباء، التي يعلم العلماء ما الذي تفعله، ولكنهم لا يعلمون بالضبط لماذا تعمل الكهرباء ما تعمله، ولا يفهمونها تمامًا^(٦)، وكذلك الذرات، فالضرورة المنطقية قائمة على وجودها، كما آثارها الواضحة^(٧).
٣. إن المذهب المادي مذهب غير إنساني؛ لأنه يغفل عن مساعي البشرية القصوى، كالغيبيات والقيم على أنها خيالات^(٨)، وهي قضايا تمثل ضرورة حتمية للنظام الكوني^(٩).
٤. هاجمت المادية الدين، ولكنها استبدلت دينًا بدين، فاستبدلت الدين الحق بدين مزيف، فوجد في الفكر المادي اعتقادات، وغيبيات، وعبادات، وقدر، وآخرة، وفق أسلوبه طبعًا^(١٠).

(١) التجريد: انتزاع عنصر من عناصر الشيء، والفصل بين الأشياء التي يتعذر الفصل بينها، ويُطلق المجرّد على الفكرة الحاصلة عن طريق التجريد وعلى اللفظ المعبر عنها. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٩٦-٩٧.

(٢) لورانس كراوس Lawrence Krauss : فيزيائي، وعلم فلك أمريكي، وُلد في عام ١٩٥٤م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ٣٥٩.

(٣) موقع منظمة المجتمع العلمي العربي - أرسكو، آراء هوكينج، عبد الحفيظ العمري، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/34MBCKG>)، ١٩ أبريل ٢٠١٤م.

(٤) انظر: عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس العقاد، ص ٧٦.

(٥) انظر: كيف تدور عجلة الحياة، إدوارد هيوي، ترجمة: محمد صابر سليم، ص ١١٧.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٥٤.

(٧) انظر: النسبية في متناول الجميع شرح مبسط للأسس العلمية والتاريخية للنظرية النسبية، جيمس كولمان، ص ٧٥.

(٨) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ٢٠٢.

(٩) انظر: المادية الإسلامية وأبعادها، عبد المنعم محمد خلاف، ص ٧٤.

(١٠) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٨٧.

فإذا كان التجريبيون والماديون قد هربوا من الدين لوجود الميتافيزيقا، فإننا نجد عندهم الإيمان بقضايا ميتافيزيقية^(١)، دون أن ينفكوا عن الاعتماد على الاستنتاجات الذهنية العقلية، في حين ينكرون على غيرهم^(٢)، حيث دفعهم العلم إلى الميتافيزيقا؛ بل إلى الخيال، وهذا ما جعلهم يقرّون بأنهم يتعاملون بشيء من الجهل والغموض مع طبيعة العالم والكون^(٣)، فهم يدعون الناس إلى أفكار غير يقينية، حيث إن المعرفة المادية لا تشمل كل مناطق المعرفة^(٤).

٥. إن الإيمان لا يخضع للرصد التجريبي؛ لأنه استسلام لله تعالى^(٥)، ولكن العلم التجريبي أخذ يدفع المفكرين إلى تخوم العقل والروح^(٦)، وظواهر الكون، وقوانين الطبيعة التي توصلت إليها العلوم التجريبية، التي لا تسمح للماديين مطلقاً بأن يفسروا الكون بأي زعم من المزاعم التي قدموها في تقاريرهم^(٧)، فقد أصبح الإيمان ضرورة من ضروريات العلم التجريبي^(٨)، ولا يمكن للعلم المنهجي أن يبقى متكئاً على قوانين التطور والصراع وغيرها^(٩). يقول وليم جيمس William James: "إن أعظم رجال المذهب التجريبي منا ليسوا تجريبيين إلا من ناحية نظرية فحسب، فإذا ما تُركوا لغرائزهم، وطبائعهم، فإنهم يعتقدون، ويتيقنون كما يفعل البابا نفسه"^(١٠).

فالعلم طريق الإيمان، وليس سبباً للإلحاد، فلا يمكن للعلم أن يؤدي للإلحاد؛ إذ لا علاقة بينهما، فالأول مجاله الوجود المادي، والثاني وجود غير مادي^(١١).

(١) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٦٦.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٦.

(٣) كما عبّر عن ذلك أرثر كوستلر. انظر: مجلة العلم والمجتمع، الطبعة العربية من مجلة IMPACT، ١٩٤، ص ٨.

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلوم، يحيى هاشم فرغل، ص ٥٢٩-٥٣٤.

(٥) انظر: إنك على الحق المبين، رؤى تأصيلية في تفكيك ظاهرة الإلحاد، محسن حسين العواجي، ص ١٦٠.

(٦) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٨٤.

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٥١٥.

(٨) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٦٣.

(٩) انظر: تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٩٤.

(١٠) العقل والدين، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، ص ١٦.

(١١) See: 100 Years Of Nobel Prizes. Baruch Shalev , P57.

يقول كريسي موريسون Chrissy Morrison^(١): "وقد يقودنا هذا الضوء إلى الاعتراف بوجود عقل عام، أسمى أي وجود الخالق"^(٢).

وطبيعة العلم التجريبي قاصرة، وهو محدود، لا يستطيع أن يتعامل مع كل أنواع الخبرات وجوانبها^(٣)، وحتى القرن الواحد والعشرين لا يزال العلم عاجزاً عن تساؤلات كثيرة لا يجد لها جواباً^(٤)؛ لأنه عاجز عن إدراك الحقائق التي لا تخضع لشروطه، ولم يتعرض لها^(٥). يقول بيتر مدور Peter Madour^(٦): "محدودية العلم تتضح في عجزه عن الإجابة على الأسئلة البدائية الوجودية، مثل البحث في كيفية بدء الخلق، وغاية الوجود، ومغزى الحياة"^(٧)، ويقول: "من المحتمل أن هناك أسئلة يعجز العلم عن تقديم إجابات عنها؛ نظراً لمحدوديته، كما لا يمكن لأي تطور علمي متوقع أن يؤهله لذلك... فليس في وسع العلم أن يجيب على أسئلة تتعلق ببيداتيات الأشياء ونهاياتها، والذي يجيب عليها هو الميتافيزيقيا والأدب والدين"^(٨).

ويقول جيمس كونانت James Conant^(٩): "أما عمّا يتنبأ به العلم أن يقع، فأمر ككل أمور الحياة غير العلمية، يتوقف ثبوته على ما به من احتمال، فالمسألة على ما يظهر ليست إلا احتمالاً ودرجة احتمال"^(١٠).

-
- (١) كريسي موريسون Chrissy Morrison : رئيس أكاديمية نيويورك للعلوم سابقاً، وُلد في عام ١٨٦٤م، وتوفي في عام ١٩٥١م. انظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ١٨٤.
 - (٢) العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: صالح محمود صالح الفلكي، ص ٤٧.
 - (٣) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٢-٢٥.
 - (٤) انظر: فيزياء الجسيمات، مقدمة قصيرة جداً، فرانك كلوس، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ١٢٣.
 - (٥) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شذبات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٤٥-٤٦.
 - (٦) بيتر مدور Peter Madour : عالم البيولوجيا، الحائز على جائزة نوبل، وُلد في عام ١٩١٥م، وتوفي في عام ١٩٨٧م. انظر: خرافة الإلحاد، ص ٥٨.

(٧) Advice To A Young Scientist, P. B. Medawar, P31.

(٨) The Limits Of Science, P. Medawar, P60.

- (٩) جيمس كونانت James Conant : أستاذ الكيمياء، ورئيس جامعة هارفارد من عام ١٩٣٢م إلى عام ١٩٥٣م، توفي عام ١٩٧٨م. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٩.
- (١٠) مواقف حاسمة في تاريخ العلم، جيمس كونانت، ترجمة: أحمد زكي، ص ٦٤.

ويقول إروين شرودنجر Erwin Schrodinger: "إن العلم الطبيعي يتظاهر العلم أحيانًا بأنه يجيب على أسئلة في هذه المجالات (الحسن والقبح وغير ذلك)، ولكن غالبًا ما تكون إجاباته سخيفة للغاية إلى درجة أننا لا نميل إلى أخذها على محمل الجد"^(١).

ومما سبق يتبين أن الفكر المادي يرفض أي شيء يتعلق بالغيبات، سواء الأديان، أو وجود الله تعالى، أو الملائكة، أو الجن، وغير ذلك من القضايا الغيبية، لا نثبتها نحن المسلمين بخبر القرآن والسنة.

كما تبين لنا أيضًا بعد استعراض هذ المبحث أن المادية قامت على منطلقات فكرية أساسية، محورها القول بأزلية المادة؛ مما تولد عنه رفض الغائية، والغيبيات، والاعتقاد بالاحتمية.

(١) Mystical Writings Of The World's Greatest Physicists, Ken Wilber, P83.

المبحث الثالث

طبيعة ووسائل المعرفة المادية الإلحادية عرض ونقض

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: طبيعة المعرفة المادية الإلحادية ونقضها.

المطلب الثاني: وسائل المعرفة المادية الإلحادية.

المبحث الثالث

طبيعة ووسائل المعرفة المادية الإلحادية عرض ونقض

تختلف الفلسفة المادية عن غيرها من الفلسفات الأخرى بطبيعتها، حيث إن تفسيرها للظواهر سهل، بحيث تُرجع كل شيء إلى المادة، فكانت لا محدودة في تفسيرها للظواهر، فضلاً عن إنكارها للهوية الخُلقية، كما انتهجت بعض الوسائل في سبيل الوصول إلى فكرها وطبيعتها، فهي تعتمد على القوانين المادية، وتستغل العلم، وتعمل على السيطرة على الإنسان وعقله، وهذا المطلب يعرض لنا بعضاً من طبيعة المعرفة المادية ووسائلها ونقضها.

المطلب الأول

طبيعة المعرفة المادية الإلحادية ونقضها

أولاً: طبيعة المعرفة المادية الإلحادية:

الفلسفة المادية لها طبيعة تميزها عن غيرها من الفلسفات الأخرى، حيث إنها تفسر كل شيء بالتفسير المادي، وتتكبر أي مسؤولية فردية وهوية خُلقية، وتفتقد إلى أي منهج علمي في الوصول إلى الحقائق، وتجعل العقل ماديًا، كما تعجز عن إدراك الواقع بأبعاده المختلفة، وهذا ما يعرضه الباحث في هذا المطلب.

١. سهولة التفسير المادي للظواهر:

المادية ترجع كل شيء إلى المادة؛ باعتبارها الأزلية والأبدية، حيث إن المادية تذهب في جملتها إلى أن المادة في كافة صورها هي المؤثرة في كل شيء، وإلى أنها الأسبق في الوجود، وأن لها القدر في مصائر الشعوب والإنسانية^(١).

ومما أسهم في ذلك: دور الكنيسة السلبي، حيث يتبين لنا مسؤوليتها عن إخراج المادية في أوروبا من حيز التساؤل إلى حيز المفهوم، والطرح الفكري، والرؤية المعرفية المتماسكة نظريًا، ومهدت الطريق أمام تحول المادية إلى مدرسة معرفية يتبعها كثيرون^(٢)، حيث تُعود جاذبية الفلسفات المادية للمستوى الابدستمولوجي، فالتفسير المادي للظواهر سهل، ويمكن

(١) انظر: الرد على الماديين، محمد عبد المنعم خفاجي، ص ٢١.

(٢) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٥٢.

الحصول على المعلومات بشكل سريع، ويمكن قياسها، والربط بين الظواهر، ورصد الترابط المادي بين الظواهر بشكل موضوعي محسوس هنا، لا اضطرار للتجريد، أو التجاوز إلى الثنائيات^(١).

ويقول مارك أوريل انطونين Mark Oriel Antonin^(٢): "مثل المادة كنهه دائم الانسياب والجريان، والقوى المستمرة التغيير دائمة التبدل، والعلل تشكلها في صور من التنوع لا نهاية لها، وليس في العالم من شيء غير متبدل أو ثابت لا تنوع فيه"^(٣).

٢. اللامحدودية في التفسير المادي:

ينظر التفسير المادي إلى الأشياء نظرة شاملة، ولا يقف عند نظرة معينة، ومن دلالاته:

أ. إرجاع كل شيء إلى المادة:

يرى الماديون أن "المادة هي أقدم الموجودات، فالموجودات كلها داخلية في ماهيتها، أو نتيجة وثمرة لها كالروح والفكر والإحساس، وهي مستقلة في الوجود عن وعي الإنسان وإدراكاته، ولا تقف عند حدود ضيقة من الخصائص والظواهر؛ بل إن لها ظواهر غير متناهية إذا ما تابعها البحث بالتدقيق والتفريع"^(٤)، وجميع حوادث العالم هي الأوجه المختلفة للمادة المتحركة^(٥).

حتى لقد ذهب غلاة الماديين إلى القول بأن المادة هي كل شيء في الوجود، وهي أصل العقل والشعور، وليس العقل إلا إفرازًا من إفرازات المخ^(٦)، كما تصوّروا العالم المادي بكل كائناته وموجوداته بأنه آلة ضخمة، خاضعة للقوانين الرياضية، والكائنات الحية، بما فيها الإنسان جزءًا من هذه الساعة الميكانيكية؛ مما ينفي عن الإنسان الحرية والشعور والابتكار^(٧).

(١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٠-٢١. حوار في المعمار الكوني وقضايا إسلامية معاصرة، عماد الدين خليل، ص ٣١.

(٢) مارك أوريل أنطونين: أحد أعلام الرواقيين، (١٦١م-١٨٠م). انظر: تأملات في تاريخ الرومان، مونتسكيو، نقله إلى العربية، عبد الله العروي، ص ٢٤٢.

(٣) مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٦.

(٤) نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد البوطي، ص ٩٧.

(٥) انظر: النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي، تعريب: إبراهيم قريط، ص ٥.

(٦) انظر: المذهب المادي في العصر الحاضر، أحمد فؤاد الأهواني، ص ٨٨.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ٨٥.

ويمكن التمثيل على ذلك بمادية هولباخ Holbach التي تقوم على الاعتقاد أن العلم النيوتوني يتضمن تفسيرًا كاملاً للكون، ولا يحتاج لإضافة من أي نوع^(١)، والفيزياء الحديثة والنظرية تكذب ذلك.

والصحيح أن "التفسير المادي لا يستطيع أن يفسر كل شيء، وأن يُخضع كل شيء له، ويقرر برتراند رسل - بالرغم من لا أدريته التي يوظفها لمحاربة الدين - أن المبادئ العامة لتدعيم الاستدلالات العلمية غير قابلة للبرهان بأي معنى مألوف"^(٢).
ب. التطلع للمستقبل:

تشارك اتجاهات المادية في الاعتقاد بالحياة المؤجلة التي يستكمل فيها ما نقص من هذه الحياة الحاضرة^(٣)، وليست نظرة المادية إلى المستقبل مجرد نوع من التوقع لما يأتي في الغد؛ وإنما هي عقيدة لازمة؛ تسعى إلى تبرير ما يستمسك به من نظرة إلى الماضي أو إلى الحاضر، وبدون هذه النظرة المستقبلية الاعتقادية ينهار البناء الكلي للاتجاه المادي الإلحادي^(٤).

وهذا التصور المستقبلي يتصف بالصدق، والقداسة، واليقين، والخلود، والربط العملي بين الحاضر والمستقبل، هذا نظريًا، أما عمليًا فلا تتصف بشيء من هذه القيم؛ بل هي العكس من ذلك، حيث تنكرها، أو تتجاهلها، أو تستخف بها، وهذا سرٌّ من أسرار فشل المذاهب المادية، وعجز أوثانها عن أن تحوز قبول الإنسان، وإن لم يمنعها هذا الفشل من إنشابه أظافرها في كيانه^(٥).

ويُمثّل على ذلك بالمذهب الوضعي الذي اخترع ديانة الإنسانية، ورأى أن الناس يستطيعون أن ينعموا في الإنسانية بمذهب الخلود الذي يتطلعون إليه، وفي الديانة الماركسية نجد الحلم الذي تنصبه للإنسانية في قيام مستقبل تتحقق فيه الشيوعية، وتخفي الصراعات الطبقيّة، وتزول الدولة، وتتوفر الاحتياجات كلها ولكل الأفراد^(٦).

(١) انظر: تكوين العقل الحديث، هرمان راندال، ترجمة: جورج طعمة، (١/٤٣٦).

(٢) فلسفتي كيف تطورت، برتراند رسل، ترجمة: عبد الرشيد صادق، ص ٢٤٥.

(٣) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٢٩.

(٤) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٥٠-٢٥١.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦٠-٢٦١.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥٨-٢٥٩.

٣. إنكار الهوية الفردية المستقلة والمسؤولية الخلقية:

من الأسس التي يقوم عليها الفكر المادي: إسقاط الدين والقيم والأخلاق^(١)، حيث بنى الغرب أخلاقه على الأسس العقلية فكان من نتاج ذلك أن رُبطت الأخلاق بكل ما يحقق السعادة المادية للإنسان^(٢)؛ بسبب هذا الإطار الفكري المادي النفعي^(٣)، حيث إن المفهوم من المادية هو كل تلك الرذائل التي يستسلم لها سرّاً^(٤)، وهذا يعني أن أي حديث عن الأخلاق الأصيلة هو ضرب من القول بالميتافيزيقيا، وإدخال عناصر غير مادية على النموذج الإلحادي المادي المجرد، فالأخلاق في هذا الإطار تمثل ثغرة في النظام الطبيعي، تمثل تمرّداً على قوانين المادة^(٥).

فلا معنى للأخلاق والفطرة في الفكر المادي^(٦)، كما أنه لا معنى للضوابط وتقييد الحياة بالمشروع^(٧)، يقول ريتشارد دوكنيز Richard Dawkins: "الكون في حقيقته بلا شر ولا خير"^(٨).

ودعا نيتشه إلى ضرورة التحرر من أي قيم، وثوابت، وكليات، وتثائيات، وغايات أخلاقية، أو معرفية تتجاوز المادي والمباشر^(٩)، حيث نادى بموت الإله، وضرورة تجاوز هذا الموت للذهاب إلى ما وراء الخير والشر^(١٠)، وعندها يستحيل الوصول إلى فكرة الكل، سواء هي فكرة الإله، أو الأخلاق المطلقة، أو الطبيعة البشرية^(١١)، حيث إن الترابط واضح بين إثبات الله تعالى، وبين إثبات الأخلاق المنظمة للسلوك^(١٢).

-
- (١) انظر: غاية الكون بين الإسلام والمادية، نجاه موسى الذيب، ص ٣٣٥.
 - (٢) انظر: الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، دراسة وصفية تحليلية، كريمة دوز، ص ٢٧٧.
 - (٣) انظر: الحرب على الإنسان، ويزلي سميث، ترجمة: جنات جمال، ص ١٠.
 - (٤) انظر: المادية والمثالية في الفلسفة، جورج بوليتزير، تعريب: إسماعيل المهدي، ص ١٤-١٥.
 - (٥) انظر: الإلحاد يسم كل شيء هيثم طلعت، ص ٨٩.
 - (٦) انظر: أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، أحمد حسن، ص ٥٠٥-٥٠٦.
 - (٧) انظر: الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية، سعود بن سلمان آل سعود، ص ٤٣٠.
 - (٨) River Out Of Eden A Darwinian View Of Life, Richard Dawkins, P131-132.
 - (٩) انظر: نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر، عبد الوهاب المسيري، مجلة أوراق فلسفية، ع ١٠، تاريخ الاطلاع: ١٠ فبراير ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/37TAxCK>)، ١٢ يوليو ٢٠٠٩م.
 - (١٠) انظر: نقد الحداثة، ألان تورين، ترجمة: عقيل الشيخ حسين، ص ١٥٤-١٥٥.
 - (١١) انظر: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١/٦٠).
 - (١٢) انظر: الإلحاد بين قصورين، حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي، ترجمة مناظرة لان كريغ وسام هاريس، ومقابلة مع ألفن بلانتيجا ترجمة وتعليق: مؤمن الحسن، عبد الله الشهري، ص ٣٠.

وتقود الرؤية المادية إلى استنتاجات قاسية لا شك فيها، أبرزها: فقدان الناس للإرادة الحرة، والقدرة على التصرف والحكمة^(١)، وهذا أقل ما تفعله المادية، حيث "إن تصرفات الفلاسفة الخاصة، السيئة حيناً، والمحزنة حيناً آخر، والمجنونة أحياناً أخرى، من النادر أن تكون مفصولة تماماً عن تفكيرهم، إن حياتهم تؤثر وتساهم بتشكيل أفكارهم بشكل مباشر أحياناً"^(٢).

٤. انعدام المنهج العلمي في الوصول إلى الحقائق وجعل العقل مادياً:

يعتمد الفكر المادي على الاحتمالات العلمية، ويقوم على شفا جرف هاو، فهو ليس تصور وجودي؛ بل هو تصور خيالي، تبرره شبهة طارئة، وثبّيقه شهوة جامحة، ويستخدم المناقشات الجدلية في إثبات وجوده.

ومن مظاهر انعدام المنهج العلمي لدى الفكر المادي:

أ. انتقائية المعرفة: فلا تكاد تحاور ملحدًا مادياً إلا وعنده نزوع التنكر لقوانين العلم في مقابل أيديولوجيته^(٣)؛ ولذا اعترف بعض الفيزيائيين الملاحدة من أنهم كانوا يعمدون إلى بعض النظريات الفاسدة التي لا تستند إلى أدلة علمية؛ لأنها توافق أهواءهم؛ وتمثل لهم رغبة ملحة في إنكارها لوجود الخالق، وتتعارض مع الأديان^(٤)، فلا هي مستندة إلى العقل ولا إلى العلم^(٥)، إنما مجرد ادعاءات لا دليل عليها^(٦).

وبتعبير علماء النفس: إن الفكر المادي والإنكار عندهم ضرب من الحيل اللاشعورية، لا يتمتع بأي حالة إدراكية؛ لجأ إليه أصحابه لتبرير انحرافهم؛ والدفاع عن سقوطهم؛ وسوء سلوكهم؛ وتغطية ضعفهم أمام الشهوات والملذات^(٧)، وقد بدأ يهتز بعد أن أحدثت علوم الطبيعة المعاصرة هزة علمية في العالم^(٨).

(١) انظر: كومينيون ما وراء طبيعة المعلومات، ويليام ديمبسكي، ترجمة: خليل زيدان، ص ٣٤.

(٢) جنون الفلاسفة، نايجل رودجرز، ميل ثومبثون، ص ١٨.

(٣) انظر: الإلحاد يسم كل شيء، هيثم طلعت، ص ٧٦.

(٤) انظر: عيادة الملحد، هيثم طلعت، ص ١٨.

(٥) انظر: ركائز الإيمان، محمد قطب، ص ١٥٢.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٥١٥.

(٧) انظر: وجود الله، يوسف القرضاوي، ص ١١. ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، عبد الله بن سعيد الشهري، ص ١٣.

(٨) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ١٩٩.

ب. عدم التقيد بالضوابط العلمية للبحث^(١)، فالفكر المادي على جانب كبير من الضعف المنهجي؛ بل إنه يتعرض لمآزق كبيرة، وهي مآزق مسلمات وفروض ومفاهيم، وهو ما يكشف عن طبيعة الخلل فيه^(٢).

ومن شواهد ذلك أن أنتوني فلو Anthony Flo^(٣) - قبل أن يعترف بوجود الخالق - عندما سُئل: "ما الذي يمكن أن يفعله إله المسيحية لكي يقنعك بأنه هو الإله الحقيقي؟"، هنا بقي (فلو) وقتاً طويلاً مستغرقاً في التفكير، ليجيب جوابه الصادم بأنه لا يعرف؛ بل وأنه لم يسبق أن فكر في هذا الموضوع^(٤).

ويقول باسكال Pascal^(٥): "إن ما يجعل الملحد متصلباً في إلهاده هو أنه لا يلتفت إلى المشكلات والدوافع الإنسانية التي تشكل في نهاية الأمر موقف الإنسان من الله"^(٦).

ويقول وليم جيمس William James: "إذا كان الملحد يخشى الوقوع في اعتقاد لم يقم عليه دليل يقيني قطعي، فإن عليه أن يخشى أمراً أشد بطشاً، وأشد تنكياً، هو الوقوع في عصيان إله، لم يقم على نفيه دليل يقيني قطعي"^(٧).

ومن الأمثلة على ذلك أيضاً: أن نجاح الداروينية المزعوم رافقه انحطاط في الأمانة العلمية، لإنشاء الاستمرارية التي تتطلبها النظرية، يتم استدعاء حجج تاريخية على الرغم من أنها غير متوفرة^(٨).

(١) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ١٠٣.

(٢) انظر: أفي الله شك؟، حمد المرزوقي، ص ١٢٢.

(٣) أنتوني فلو Anthony Flo: كبير الفلاسفة والملاحدة، بريطاني، تراجع عن إلهاده، وأعلن إيمانه بوجود إله في عام ٢٠٠٤م، كان مولده في عام ١٩٢٣م، ووفاته في عام ٢٠١٠م. انظر: خرافة الإلهاد، عمرو شريف، ص ٣١.

(٤) انظر: قطيع القطط الضالة، سامي أحمد الزني، ص ٧٨.

(٥) بليز باسكال Pascal: فيزيائي، ورياضي، وفيلسوف فرنسي، وُلد في عام ١٦٢٣م، وتوفي في عام ١٦٦٢م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٧٨.

(٦) انظر: الله في الفلسفة الحديثة، جيمس كوليز، ترجمة: فؤاد كامل، ص ٤٦١.

(٧) انظر: العقل والدين، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، ص ٢٠-٢١.

(٨) Dr. W. R. Thompson، Canadian Entomologist، In The Introduction To The 1956 Reprint Of Darwin's Origin Of Species.

وهكذا اختارت المادية مصادمة العلم^(١)، وهو ليس موقفاً عقلانياً منطقيًا، لكنه سوء خلق؛ إن سببه الأساس هو الاستكبار^(٢)، واللجوء إلى التخمين والافتراضات في غياب العلم^(٣).
ت. الافتقاد إلى البراهين والتسليم بالنظريات دون أدلة علمية: وذلك بالاعتماد على الظنون والشائعات، لا على اليقين والبراهين^(٤)، ولجأ الماديون إلى السخرية من الحق، واعتراهم ضغط الشك على عقولهم^(٥)، واهتموا بإثبات ما يوافق أهواءهم^(٦)، حيث ترتبط المادية بالتصور الذي ينشئه الإنسان في اللاهوت^(٧)، "فلا يمكن التسامح على الإطلاق مع الذين ينكرون وجود الله؛ فالوعد والعهد والقسم من حيث هي روابط المجتمع البشري ليس لها قيمة بالنسبة إلى الملحد، فإنكار الله حتى لو كان بالفكر فقط يفكك جميع الأشياء"^(٨).
ومن أمثلة ذلك الداروينية، حيث إنها لا تملك أدلة إثبات قاطعة أو شديدة الترجيح، ولكن كثيرًا من العلماء الماديين يقبلونها تسليماً اعتقاديًا، لا تسليماً علمياً؛ إذ ليس لديهم اختيار بعد ذلك إلا الإيمان بالخلق الرباني، وهذا أمر لا يجدون أنفسهم الآن مستعدين لقبوله؛ ما دام منطق المادية هو المسيطر على اعتقادهم في بيئاتهم^(٩).
ويقول كارل بيرسون Carl Pearson^(١٠): "القانون العلمي ليس كشفًا لعلاقات موجودة في طبيعة الأشياء، وإنما هو اختراع لهذه العلاقات، وهو وصف مختصر لطريقة الانطباعات الحسية في مجال معين، أو اختزال ذهني يحل لدينا محل الوصف المطول لتعاقبات الانطباع الحسي"^(١١).

(١) انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ٩٥،

(٢) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ١٠٩.

(٣) See: How The World Works A Guide To Science's Greatest Discoveries, Boyce Rensberger, P17-18.

(٤) انظر: فذائف الحق، محمد الغزالي السقا، ص ٢٢٨.

(٥) انظر: رحلتي من الشك إلى الإيمان، مصطفى محمود، ص ٩.

(٦) انظر: العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، عبد العزيز الطريفي، ص ١٧٥.

(٧) انظر: نظرات في الفكر الإلحادي الحديث، مشير باسيل عون، ص ٥.

(٨) رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة: منى أبو سنه، ص ٥٧.

(٩) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٢٩.

(١٠) كارل بيرسون Carl Pearson : عالم رياضيات إنجليزي وخبير إحصاء حيوي، كان له الفضل في تأسيس نظام الإحصاء الرياضي، وُلد في عام ١٨٥٧م، وتوفي في عام ١٩٣٦م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٤ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3bT86pX>).

(١١) أركان العلم، كارل بيرسن، ترجمة: فؤاد زكريا، تخلص: يحيى فرغل، ص ٩٢٢.

كما استخدم الماديون الأكاذيب والمغالطات، حيث إن "سبيل الماديين لتأييد أفكارهم وإدحاض أفكار مخالفيهم يتلخص بالأكاذيب، وصناعة المغالطات، وترديد الدعاوى، والثرثرة بالأقوال المزخرفة، وادعاء العلمية، ومواجهة المخالفين بالنقد اللاذع، وبالهزء والسخرية، وبالشتائم، والاتهام بالرجعية والجمود والتخلف العلمي والفكري، ونحو هذه المسالك"^(١).

٥. ازدياد العقل البشري واعتباره مادياً ومناقشتهم:

تتظر المادية إلى العقل نظرة زراية، وتعدّه ثانوياً^(٢)، لاحقاً للمادة، وجزء منها، يقوم بإعادة إنتاج العالم المادي عن طريق مقولات المادة فقط، والعقل المادي^(٣)، ويرى هؤلاء الماديون أن ما يسمى العقل ليس إلا شكلاً من أشكال المادة الدائمة التغير والتنوع^(٤). ومن شواهد ذلك: أن مادية هولباخ تقوم على إنكار القول بأن الكائنات الذكية تستمد ذكاءها من غير المادة، فمن ثم يدل على علة ذكية قائمة وراء المادة، ينكر ذلك برد الذكاء أو العقل أو الوعي إلى المادة؛ باعتباره ظاهرة من ظواهرها^(٥).

٦. العجز المطلق عن إدراك الواقع في أبعاده المختلفة:

تعجز المادية عن إدراك الواقع، وفهم مظاهر الحياة، حيث يبدو ذلك من خلال المظاهر الآتية:

أ. ضآلة المعرفة ومحدودية الأفكار، فالعقل المادي يمتاز بالقصور، لأنه يوجد داخل التجربة المادية، وبالتالي فإنه لا يكشف إلا ذاته، يرصد التغيرات، ويعادي التاريخ والقيم، يرصد الواقع بمنظار كلي، ولا يرصد الكليات^(٦)؛ ولذا كانت المادية تعجز عن تفسير أبسط العمليات العقلية^(٨)، كما تعجز عن التقدم المعرفي للبشرية^(٩)، وهذا يدل على محدودية

(١) كواشف زيوف، الميداني، ص ٥١٦.

(٢) انظر: العلم في منظوره الجديد، روبرت م. أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة: كمال خليلي، ص ٥٣.

(٣) انظر: في عالم عبد الوهاب المسيري: حوار نقدي حضاري، مجموعة من الباحثين، (١/٢٣٨-٢٣٩).

(٤) انظر: مبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ترجمة: أحمد أمين، ص ٩٧.

(٥) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٠٥.

(٦) الكليات: المنسوب إلى الكل، ويرادفه العام. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٧٥.

(٧) انظر: الفلسفة المادية وتقنيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٨٣-٨٦.

(٨) انظر: المدخل إلى الفلسفة، أرفلد كولبه، ص ١٧٦.

(٩) انظر: آفاق الفلسفة، فؤاد زكريا، ص ١٨١.

أفكار الماديين، وغياب الحقائق عنهم^(١)، فطريقة التفكير المادي لا تمكن الإنسان من مجاوزة بعض الصعوبات التي يكتنفها تصورنا للعالم بحسب لغة العلوم الطبيعية^(٢)، وليست لها القدرة على أن تجيب عن معنى وجودنا، فالوعي لا يفهمه إلا الوعي؛ لهذا نحتاج إلى الدين بالمنطق العلمي والعقلي نفسه الذي احتجنا به إلى المادية^(٣).

حتى إن المادة نفسها تبقى في إطار المجهول عند الماديين، يقول لامتري Lamtri: "إن ماهية روح الإنسان والحيوانات كانت وستبقى مجهولة، مثلها مثل ماهية المادة والأجسام"، هكذا يقر صراحة بأن ماهية المادة تبقى مجهولة عنده، فكل ما يعرفه عنها بعض خواص كشفت له عنها الحواس^(٤)، ويقول الفيلسوف جود Jude: "لقد أصبحنا نشعر بضالة معارفنا، على أنه كلما ضاقت حدود المعرفة المقررة اتسعت ميادين النظر إلى الاحتمالات الممكنة"^(٥).
ومن الأمثلة المؤكدة لما يقول: أنه في النصف الثاني من القرن العشرين نجد طلاب المدارس الأولية يدركون من العلم ما لم يدركه ماركس، وكل من سبقوه على دربه، كما عرفوا عن تركيبات الذرة ونقصيلاتها^(٦)، فماركس لا يعرف أن عدد الإلكترونات^(٧) في أي ذرة يساوي تمامًا عدد البروتونات، أي أن الشحنة^(٨) السالبة في أية ذرة تتساوى تمامًا مع الشحنة الموجبة^(٩).

(١) انظر: اتجاهات قراءة السيرة النبوية، هيام شبل، ص ١٧٣.

(٢) انظر: التفكير الجديد في الفيزياء الحديثة، أرتور مارش، تعريب: علي بالحاج، ص ١٣٤.

(٣) انظر: كهنة الإلحاد الجديد، هيثم طلعت، ص ٢٦.

(٤) انظر: المادية والمثالية في الفلسفة، جورج بليخانوف، ترجمة: جورج طرابيشي، ص ٩.

(٥) منازع الفكر الحديث، جود س. أ. م، عريه: عباس فضي خماش، ص ١٦-١٧.

(٦) انظر: الذرة ومانفعتها السلمية، مارتين مان، ترجمة: عبد الحميد أمين، ص ١٥-١٦.

(٧) الالكترتون: جسيم يدور حول نواة الذرة، يحمل شحنة سالبة، بينما البروتون يحمل شحنة موجبة. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك، عماد مجاهد، ص ٦٥، ١٥٧.

(٨) الشحنة الكهربائية: خاصية فيزيائية مرتبطة بالمادة، تجعلها تحت قوة عند وضعها في مجال كهرومغناطيسي، قد تكون موجبة أو سالبة. انظر: معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية، ص ١٥١.

(٩) انظر: المادة وضد المادة، موريس دوكين، ترجمة: رمسيس شحاته، ص ١٧.

ومن جوانب ضالة المعرفة: عدم القدرة على تفسير الأشياء غير المادية، كالأخلاق والجمال والروح^(١)؛ ولذلك حصل اضطراب في مفهومها، وإن كانت لا تستطيع أن تتخلى عن العناصر غير المادية في نهاية المطاف^(٢).

يقول المسيري: "بدأت رحلتي المعرفية علمانيًا وماديًا، وبالتدرج وجدت أن العلمانية المادية لا تفسر أشياء كثيرة في الإنسان، وبدأت تتساقط هذه المنظومة المادية تدريجيًا"^(٣).
ب. سقوط المادية أمام التطورات العلمية^(٤)، ومن داخل العلم ذاته من النظريات المعاصرة في علوم الطبيعة^(٥)، وكذا سقط المذهب المادي نفسه باكتشاف العلم أمورًا غير مادية، كالأثير^(٦)، والروح، والميكروبات^(٧)، والكهرباء، وغير ذلك مما لا يُدرك بالحس^(٨)، حيث قوّضت الفكر المادي بشكل كبير^(٩)، وغيّرت كل صورة من صور المادة عرفها الأقدمون^(١٠).

وهكذا انفلت من المادة كل شيء ثابت، أو كانوا يضربون به المثل في الثبوت، ونتيجة تقدم العلم بالكهرب والذرة أصبحت المادة كلها كهارب، وذرات، وإذا بالذرات تتغلق فتتعلق شعاعًا كشعاع النور^(١١)، ولا يزال العلماء الملاحدة إلى اليوم في صراع مع الدلالات العقدية للكشوف الفلكية والطبيعية^(١٢).

(١) انظر: الفلسفة المادية وتقنيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٠.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٥.

(٣) حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحرير: سوزان حرفي، (١٩/٢).

(٤) انظر: الفكر المادي الحديث ومقاومته بتطبيق الشريعة الإسلامية، أحمد قاسم أبو حشيش، ص ٤.

(٥) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمري، (١٤٠٥/٢).

(٦) الأثير: الوسط الذي يتحرك فيه الضوء، وتنسب حركته إليه، كان يُعتقد به قبل نظرية أينشتاين، التي أثبتت عدم الحاجة له؛ لأن سرعة الضوء دائمًا ثابتة. انظر: النقوب السوداء، هوكينج، ترجمة: مصطفى فهمي، ص ٢٥١.

(٧) الميكروبات: (الجراثيم، أو الكائنات المجهرية)، هي كائنات متناهية في الصغر تشمل ثلاثة أنواع: البكتيريا، الفيروسات، والطفيليات. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٢٨٣.

(٨) انظر: الإيمان بالغييب والنظرية المادية، وهبة الزحيلي، ص ٢١.

(٩) انظر: العالم المعاصر والصراعات الدولية، عبد الخالق عبد الله، ص ١٥.

(١٠) انظر: عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس العقاد، ص ٤٤.

(١١) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (٨٥/٢).

(١٢) انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ٩٨.

يقول كلفن Kelvin^(١): "الفكرة الإلحادية هراء كبير، للدرجة التي لا أرى كيف أعبر عنها بالكلمات"^(٢).

ت. **قصور صفات المادة**، فالماديون لا يقعون بهذا في التناقض فيما يصفون به هذا الأصل فحسب، ولكنهم يقعون في التقصير، فهم يكتفون بوصف أصلهم بالأوصاف الآتية: كونه عليّ لذاته، لا نهائيًا، أزليًا، خالدًا، ذا قانون حتمي للحركة، محدثًا للحركة، محدثًا للحياة، محدثًا للعقل، محدثًا للتقدم، ولا يصفونه ببقية الصفات، كالإرادة، والخلق، والعلم، والقدرة، والتدبير، والحياة، وهذا تناقض وقصور^(٣)، مع أن الواجب العقلي أن يكون الرب كامل الخيرية وحقيقته الخير؛ لأنه أعظم موجود يمكن تصويره^(٤).

ث. **تهافت كثير من الأفكار التي يحملها الماديون**، حيث كشف الزمن والعلم الصعوبات التي يعانون منها^(٥)، وهي في إطار المآزق العقلية^(٦).

ج. **قصور المادية عن تفسير ظواهر الوجود**، فقد عجزت المادية عن معرفة الخالق، ووقف المفكرون بجميع أنواعهم عند ماهية الحياة، ولم يجدوا لها حلًا^(٧)، مع أن الحقائق العلمية تترك مجالًا واسعًا لافتراض سبب أعلى فوق المادة، والتجربة لا تبرهن على أنها غير مخلوقة لسبب أعلى^(٨)، وهذه النظرة القاصرة إلى الوجود، هي مصدر شرّ كبير، أفضى ببعض الناس إلى اعتناق فكرة المادية الملحدة، التي لا تعترف إلا بحدود الظواهر المادية^(٩)، ويبقى الإنسان هو التحدي الأكبر للفلسفة المادية بكل ما فيها من أسرار وتراكيب^(١٠).

(١) اللورد كلفن Kelvin : كان يُعرف ب(وليام طومسون)، فيزيائي ومهندس اسكتلندي، وُلد في عام ١٨٢٤م، وتوفي في عام ١٩٠٧م. انظر: ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ١١٧.

(٢) Speech Given By Lord Kelvin After The Victoria Institute Annual Address of 1899, George Stokes, P266.

(٣) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٢٥-١٢٦.

(٤) انظر: الإلحاد بين قصورين، حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي، ترجمة مناظرة ويليام لان كريغ وسام هاريس، ومقابلة مع ألفن بلانتيجا ترجمة وتعليق: مؤمن الحسن، عبد الله الشهري، ص ٧٩-٨٠.

(٥) انظر: نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري، محمد أحمد أيوب، ص ١١٧.

(٦) انظر: ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص ١٤٨-١٧٥.

(٧) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٦٦.

(٨) انظر: الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ١٦٧.

(٩) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٣٦٦-٣٦٧.

(١٠) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٨.

ح. عدم موافقتها لرغبات الناس، حيث إن المادية لا تكفل للبشرية المنافع العليا، فلا فائدة مستقبلية منها، وهذا بخلاف الإيمان بالله تعالى فإنه يحقق لنا أفضلية عملية كبرى إذ معناه أن العالم قد يهلك ولكن صلتنا بالله تنجيننا، وهذا فرق عملي واضح بين مآل المادية ومآل الإيمان بالله تعالى^(١).

والمادية بجميع أشكالها تفشل في ذلك، وتحاول معالجة مشكلة اللامعنى Meaninglessness، من خلال تعزيز الإيمان بأشكال بديلة للبقاء على قيد الحياة^(٢).

ثانياً: نقض طبيعة المعرفة المادية الإلحادية:

أ. يبدو الانحراف واضحاً في الفكر المادي في تعامله مع الظواهر الطبيعية والإنسانية، وفي تعميمه أحكام المادة على جميع الظواهر المختلفة.
ب. لا شك في أهمية الأخلاق في حياة الناس؛ لارتباطها بالفطرة، التي مهّدت وهيأت لمعرفة ربه ودينه^(٣).

يقول فيليب موريس هاووزر^(٤): "إنني أؤمن إيماناً عميقاً بأهمية القيم والأخلاق وقواعد السلوك التي يجب على البشر أن يتمسكوا بها ليحيوا حياة أسعد؛ وليقوم مجتمع فاضل"^(٥).
ت. الأخلاق مرتبطة بالدين؛ إذ "يمكن أن يوجد لا ديني عنده أخلاق، لكن هذه الأخلاق لا يمكن أن يكون لها أصل في اللادينية، أي إنه إذا كان المؤمن سيء الخلق، فهو بذلك مخالف لدينه، وفي الجانب المقابل إذا كان اللاديني حسن الخلق، فهو بذلك مخالف لادينيته؛ لأنه لا يوجد مبرر لحسن الخلق في اللادينية"^(٦).

ومن المعلوم أن "العقائد الدينية لا تعتمد على جانب واحد من جوانب الحياة النفسية للإنسان - الوجدانية والارادية والعقلية-، ولكنها تتصل بها كلها اتصالاً وثيقاً"^(٧).

(١) انظر: الأسس المنهجية لبناء العقيدة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٩٨.

(٢) انظر: نقيض المسيح، فريدريش نيتشه، ترجمة: علي مصباح، ص ٢٧.

(٣) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٣٢.

(٤) فيليب موريس هاووزر: عالم اجتماع، وأستاذ جامعي أمريكي، وُلد في عام ١٩٠٩م، وتوفي في عام ١٩٩٤م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٢ فبراير ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3beh8h3>).

(٥) من حياة العلماء، تيودور بيرلاند، ترجمة: أحمد بدران، ص ٢٨٨.

(٦) اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٢٨٨.

(٧) الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية، محمود حب الله، ص ٢٦٨، ٢٧٤.

ج. الفلسفة المادية لا تقدر على طمس الهوية والسمات الإنسانية للإنسان^(١)، وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن العلم وحده، ومن دون منظومة أخلاقية غير قادر على تزويد الإنسان ما يمكنه من العيش أكثر سلامًا وراحة؛ بل وأكثر أخلاقًا^(٢)، وهذا يعني فشل المادة في استبعاد الأخلاق.

خ. إن هذه النظرة الصرفة للإنسان، والتي تزدرى العقل البشري، وتغيب المنهج العلمي السليم، وتعجز عن إدراك الواقع قد سببت للإنسان الشعور بالهبوط والاحتقار لذاته، كمجرد حيوان مادي، يعيش فترة ثم ينتهي، ولا تقوم له قيامة؛ بل إن بعض الماديين ذهب إلى أن الإنسان مجرد سلعة يمكن أن تنتج أي سلعة^(٣)؛ ولذلك لا يمكن قبول هذا المذهب من الناحية العلمية أو العملية^(٤).

د. يستعمل الماديون العلميون سلاح الترقب للمستقبل في جبر عثرات العلم عندما يبدو ضعيفًا في مواجهة الدين، وفي اتهام العلم الحاضر عندما يبدو وكأنه قد توصل إلى نتيجة مؤيدة للدين^(٥).

ومما سبق يُلاحظ أن النموذج الذي قدمه الفكر المادي في تفسير الوجود وظاهرة الإنسان نموذج لا يرقى إلى القول العلمي، فلا يمكن أن يخضع الإنسان لقوانين العلم المادي الذي وُضع لتفسير الظواهر الطبيعية، فكان العلم بذلك عاجزًا عن تفسيره، مما يدل على وجود الخالق الذي يستقي منه الإنسان معتقداته وعباداته وأخلاقه، وإلا فإن الإنسان سوف يكون حبيسة المعادلات الفيزيائية عندما يخلو من الروح، وهذا يدل على فشل النموذج المادي في تصوراتهِ المختلفة عن الوجود، والأخلاق، والعقل، وغير ذلك من القضايا.

(١) انظر: دراسات معرفية في الحداثة الغربية، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٠١.

(٢) انظر: نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري، محمد أحمد أيوب، ص ١٣٣.

(٣) انظر: الإنسان بين القرآن الكريم والمذاهب المادية والروحية، حسن محمد مزيو، ص ١٥٩.

(٤) انظر: العقل والدين، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، ص ٩٤-٩٥.

(٥) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٣-١٣٤.

المطلب الثاني

وسائل المعرفة المادية الإلحادية ونقضها

إن للفلسفة المادية وسائل تميزها عن غيرها من الفلسفات الأخرى، حيث إنها تستند إلى العلم المادي والقوانين المحدثة، وتستغل النظريات العلمية الحديثة، وتعمل على السيطرة على العقل الإنسان وتجزئته، وتحتكر الحقائق المطلقة، وتغزّر بالعالم الإنساني، وهو ما يعرضه الباحث في هذا المطلب.

أولاً: طبيعة وسائل المعرفة المادية الإلحادية:

١. العلم المادي والقوانين المحدثة:

أ. طبيعة العلم المادي والقوانين المحدثة:

منذ أن بدأ الفكر المادي بالانتشار في القرن التاسع عشر، وهو ينتهج عمليات فكرية ذات طابع مادي، حيث ادعت المادية كفاية منهجها في المعرفة والقيم، والاستغناء به عن المناهج المعرفية الأخرى التي تقوم بها الفلسفة الميتافيزيقية أو الدين^(١). وترتكز المادية في منهجها إلى مرتكزين أساسيين، وهما: النظريات العلمية التجريبية، والنظريات الفكرية الفلسفية^(٢)، وتوقعت داخل المحسوس والتجريب^(٣)، واحتجوا به في سبيل إنكار الغيبيات ووجود الله^(٤)، فوقعت في الإلحاد بسبب ذلك، وأصبح هو الابن الشرعي لهذا الفكر^(٥).

-
- (١) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٥٣. تاريخ الفلسفة العصر الوسيط والنهضة، إميل برهية، ترجمة: جورج طرابيش، ص ٢٧٣.
- (٢) انظر: الإلحاد ووسائله وخطره وسبل مواجهته، صالح عبد العزيز سندي، ص ٢٧.
- (٣) انظر: أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، أحمد حسن (أبو حب الله)، ص ٤٨٤.
- (٤) انظر: الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مفرح بن سليمان القوسي، ص ٣٢٤.
- (٥) انظر: الإلحاد مشكلة نفسية، عمرو شريف، ص ٤٩.

يقول سومرست موم Sumerst Wax^(١): "إن أوربا قد نبذت اليوم إلهها، وآمنت بإله جديد، هو العلم، ولكن العلم كائن متقلب، فهو يثبت اليوم ما نفاه بالأمس، وهو ينفي غدًا ما يثبته اليوم، لذلك تجد عبّاده في قلق دائم، لا يستقرون"^(٢).

ب. ملامح التقيد بالعلم المادي:

- إن أهم شيء في العقل الأوروبي الحديث على صعيد العلم والعمل: التقيد بنطاق العلوم التجريبية^(٣)، وجعل المادة وسيلة من وسائل التعرف على الكون^(٤)، ومن هنا يرى بعض الباحثين أنّ أحد أسباب الأزمات المعاصرة يكمن في هيمنة المنحى العلمي scienticism على كثير من الباحثين والمفكرين التجريبيين، معتقدين بأن العلوم التجريبية هي النافذة الوحيدة على المعارف^(٥)، وهي بوابة المستقبل^(٦)، حتى "أصبحت قوانين المادة تُستعمل ضد فكرة وجود إله لهذا الوجود"^(٧)، يقول برتراند رسل Bertrand Russell: "إن اكتشافات العلم الحديث تبين لنا أن الذرة غير خاضعة لقوانين الطبيعة القديمة، فهل يعني هذا أن الذرة غير خاضعة للقوانين على الإطلاق؟"^(٨)، ولكنه لم يفترض أن الذرة تدخل تحت قوانين غير قوانين الطبيعة التي عجز العلم عن كشفها، ولم يفتح الباب للميتافيزيقا والدين^(٩)، يقول رسل Russell: "إننا لا نجد مبررًا كي نظن أن سلوك الذرات غير خاضع لقانون"^(١٠).

-
- (١) سومرست موم Sumerst Wax: روائي انجليزي، وكاتب انجليزي، وُلد في عام ١٨٧٤م، وتوفي في عام ١٩٦٥م. انظر: الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، عطية محمد عطية، ص ١٨٠.
 - (٢) الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، عطية محمد عطية، ص ١٨٠.
 - (٣) انظر: الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، ص ٣٩.
 - (٤) انظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي، ص ٧٣.
 - (٥) انظر: معارف إسلامي، محمد سعيدي مهر، أمير ديواني، (١٧/١).
 - (٦) انظر: نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريستباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ص ٩٥.
 - (٧) الإلحاد وأثاره في الحياة الأوروبية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (٢٧٣/١).
 - (٨) مجموعة عالمنا المجنون، مجموعة أبحاث ومقالات لبرتراند رسل، ترجمة: نظمي لوقا، ص ٥٦.
 - (٩) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٥٣.
 - (١٠) مجموعة عالمنا المجنون، مجموعة أبحاث ومقالات لبرتراند رسل، ترجمة: نظمي لوقا، ص ٥٨.

- وهذا أحد أهم أسباب فشل النموذج العلمي في الحياة الأوروبية: يقول رسل Bertrand Russell: "إن التقدم في البحث العلمي لم يقدم أي دليل على أن سلوك المادة الحية يتحكم فيه شيء غير قوانين الطبيعة والكيمياء"^(١).
- وضع مجموعة من المبادئ العليا التي لا يمكن الاستغناء عنها، ومع ذلك فهي غير قابلة للبرهنة كأساس للبحث العلمي التجريبي، ويقرر برتراند رسل Bertrand Russell: "إن المبادئ العامة لتدعيم الاستدلالات العلمية غير قابلة للبرهان بأي معنى مألوف"^(٢).
- ويقول إميل بوترو Emile Putro^(٣): "إن مقالة ريبوا ريموند Reboa Raymond^(٤) المشهورة التي اختتمها بقوله "لا أعلم"، لم تزل منذ سنة ١٨٨٠م تتعقب عقول المفكرين، فقد نصّ على مجموعة من الأشياء التي لا تقبل الحل أبداً، منها: ماهية المادة، وأصل الحركة، وأصل الإحساس البسيط، والحرية"^(٥).
- إغناء المادية الديالكتيكية بأخر ما وصلت إليه الثورة الفيزيائية، وتجاوز المفاهيم القديمة التي تنهار شيئاً فشيئاً أمام المعطيات الحديثة، مثل: وجود الأثير كنظام مطلق مرجعي^(٦).
- يقول س. ا. فاينلوف S.A. Finelove^(٧): "إن الفيزياء السوفيتية تبني عملها على ما اعتنق العالم من المادية الديالكتيكية، وليس العكس كما هو المتوقع علمياً"^(٨).
- الخضوع إلى نتائج العلوم الحديثة، وتفسيرها فقط بالاحتميات العلمية، التي لا يلبث العلم أن يتخلّى عنها في سيره المتقدم^(٩).

(١) النظرة العلمية، برتراند رسل، ترجمة: عثمان نويه، ص ١١٤.

(٢) فلسفتي كيف تطورت، لبرتر اندرسل، ترجمة: عبد الرشيد صادق، ص ٢٤٥ - ٢٥١.

(٣) إميل بوترو Emile Putro : فيلسوف فرنسي، وُلد في عام ١٨٤٥م، وتوفي في عام ١٩٢١م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٩٦.

(٤) ريبوا ريموند Reboa Raymond : فيلسوف فرنسي، وُلد في عام ١٨١٨م، وتوفي في عام ١٨٩٦م. انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ١١١.

(٥) انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ١١١.

(٦) انظر: الفيزياء الحديثة والمادية الجدلية، إفيشيوس بتساكيس، ترجمة: عبد الرزاق السومري، ص ١٤٣.

(٧) س. ا. فاينلوف S.A. Finelove: رئيس أكاديمية العلوم في الاتحاد السوفيتي السابق. انظر: مواقف حاسمة في تاريخ العلم، جيمس كونانت، ترجمة: أحمد زكي، ص ٢٨٩ - ٤٩٠.

(٨) مواقف حاسمة في تاريخ العلم، جيمس كونانت، ترجمة: أحمد زكي، ص ٢٨٩ - ٤٩٠.

(٩) انظر: نقض الإلحاد تحديات وتنبهات وإيضاحات، هاني يحيى نصري، ص ١٣٣.

ت. أهم قوانين الفكر المادي:

يستند الفكر المادي إلى قوانين طبيعية دقيقة - على زعمهم - تغنيهم عن الإيمان بالله، وتبرهن على مذهبهم^(١)، وهذه القوانين قد تكون باطلة، كقانون الأحوال الثلاث في المذهب الوضعي، أو افتراضية، كمذاهب التطور، أو لا حتمية، كالقوانين الطبيعية والتجريبية، أو محايدة، لا تلغي إثبات وجود الله في حال ثبوتها، أو مؤيدة، تدعم القول باحتياج العلم إلى الله^(٢)، ومن هذه النظريات المادية:

- نظرية الأثير:

إن المذهب المادي مبني على الفروض والتخمين، مثل: اعتماده على نظرية الأثير، وهي نظرية لا واقعية ولا ملموسة^(٣).

ويُعد فرض الأثير العمود الفقري لكل الفلسفات المادية^(٤)؛ فباكتشافه ينتهي عصر الدين والميتافيزيقيا في الفكر المادي^(٥)، حيث تصورت الأثير مادة خفية جداً، وشفافة للغاية، تملأ الفضاء، وهي العنصر الخامس في الطبيعة إلى جانب النار والتراب والهواء والماء^(٦)، ومن خلاله أيضاً تسير النجوم والكواكب^(٧)، ويتم قياس الحقائق وحركة الأجسام، بعد فشل ديكارت في قياسها عبر الرياضيات^(٨)، فالأثير في أصله فرض، ووهم، وشيء غامض، لا تُعلم حقيقته، وهو شيء ليس مادياً^(٩)، قيل: إنه مائع أو صلب مرن، ولا يقاوم حركة الأرض^(١٠).

(١) انظر: سابغات كيف نتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، أحمد يوسف السيد، ص ٨١.

(٢) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٣.

(٣) انظر: بين الإلحاد والتوحيد، عبد العزيز حسين، ص ٣٨.

(٤) انظر: فلسفة العلوم، بدوي عبد الفتاح محمد، ص ٢٦٤.

(٥) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، ص ٥٠٩.

(٦) انظر: مدخل إلى الفيزياء الحديثة، محمد باسل الطائي، (٢٩/١).

(٧) انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٧.

(٨) انظر: الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ترجمة: جعفر رجب، ص ٢٧٤.

(٩) انظر: هزيمة الشيوعية في العالم الإسلامي، أنور الجندي، ص ٩١-٩٢.

(١٠) انظر: الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، (٢٥/٢١٨).

وليس من السرّ أن نرى بعض المذاهب المادية تستميت في الدفاع عن مفهوم الأثير حتى في القرن الرابع عشر إلى العشرين، ونجد اتفاق المفكرين والكتاب السوفييت على تخطئة النظرية النسبية؛ لقبولها بنتيجة التجربة الموجعة لهم؛ وتخليها عن فرض الأثير^(١). ولم يلبث الأمر كذلك حتى تم القضاء على مفهوم الأثير، وإبطال وجوده^(٢)، وجاءت (نظرية آينشتاين Einstein) فأثرت الفيزياء بعد فشل نظرية الأثير^(٣).

- نظرية السببية الصلبة والساعة الآلية:

لقد كان أحد أهم أسباب انحراف المادية في الإيمان بالغيبيات هي اعتقادها بالسببية الصلبة، التي لا مجال لخرقها، حيث يزعمون مخالفة العلم لأبواب من الغيبيات، وأهم ما يضرّبونه من مثل هو المعجزات، فهم يزعمون أن العلم يثبت عدم إمكانية خرق قوانين الطبيعة^(٤)، وقد أسقط العلم الحديث تدريجياً فكرة السببية الصلبة القديمة، وظهرت نظريات متناقضة لفكر الجبرية والسببية، مثل نظرية الكم، ونظرية النسبية، وكثير من الاكتشافات العلمية، ولم يعد الإنسان يطمح إلى معرفة الكون معرفة كاملة كما كان يطمح علماء القرن التاسع عشر^(٥).

ومع كل هذا، لا يزال العلم المادي يتخبّط في تفسيرات تعليل الوجود المادي، فأرجعه الفلكيون إلى الجاذبية، وأرجعه الطبيعيون إلى القوة، وأرجعه الكيميائيون إلى الذرة، وأرجعه الميكانيكيون إلى سنن القوة والطاقة، وغير ذلك من التعليلات^(٦) المستندة إلى العلم المادي في موضوعه، ومنهجه، وهدفه^(٧).

(١) انظر: فلسفة العلوم، بدوي عبد الفتاح محمد، ص ٢٦٤.

(٢) مما أسهم في ذلك: تجربة مايكلسون Michaelson ومورلي Morley عام ١٨٨٧م، واكتشاف عالم الذرة المدهش الذي لا يخضع لقوانين الفيزياء المعهودة، فضلاً عن وجود كهارب كثيرة فيها تكون مغايرة للطبيعة. انظر: إشكالية الزمان في فلسفة الكندي رؤية معاصرة، محمد علي الجندي، ص ١٣٣. مدخل إلى فلسفة العلوم- العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، محمد عابد الجابري، ص ٣٣٩. من نظريات العلم المعاصر إلى المواقف الفلسفية، محمود فهمي زيدان، ص ٣٣. القرآن والعلوم الحديث عبد الرزاق نوفل، ص ١٦٥.

(٣) انظر: فلسفة العلوم، بدوي عبد الفتاح محمد، ص ٢٤٦-٢٤٨.

(٤) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٢/١٤٠٥).

(٥) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٢٢-٢٣.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٥١٦-٥١٧.

(٧) انظر: الإسلام والعلم، مقارنة بين مفهوم العلم الحديث ومفهوم العلم في الإسلام، أحمد عبد الحميد غراب، ص ١٥-١٦.

٢. استغلال النظريات العلمية الحديثة:

اتخذ الملاحدة العلم الحديث وسيلة لتوطيد أركان إلحادهم^(١)، فقد قامت الفلسفات المادية تقنات على الاكتشافات العلمية، فتقدم بها تفسيراً للكون والحياة؛ ليكون بديلاً عن تفسيرات معسكر الإيمان^(٢)، وبررت إلحادها بالكشوفات والنظريات العلمية^(٣)، فاستغلت العلم وخانته^(٤)، وحاولت ستر فساد أدلتها بعبارات التقدم العلمي، والمناهج العلمية، والتقدم الصناعي، والمناهج العقلية^(٥)، وحولت العلم إلى قيمة سلبية^(٦) بزعمها التحالف معه^(٧)، معتقدة أن العلم يثبت فحوى مقولاتها وآرائها، الفكرية^(٨).

والذي يهم الباحث في الموضوع بأن العلم قد تحول من مساره العلمي إلى مسارات أخرى، يقصد أصحابها استغلال العلم في دعم المادية والإلحاد، وإبطال الدين^(٩)، ولم تعد النظريات العلمية تتحرك في إطارها العلمي الصحيح^(١٠)، بعد أن اتكأ الفلاسفة والأدباء على معطيات العلم^(١١)، وباسم المنهج العلمي تُتسج أوهام من الإلحاد، باسم إنكار كل ما لا يخضع للتجربة، وباسم التطور الذاتي، وحتمية قوانين الطبيعة، وعدم قابلية المادة للفناء.. الخ^(١٢).

يقول س. ا. فاينلوف S.A. Finelove: "إن الفيزياء السوفييتية كالعلم السوفييتي، دخلا في حياة الدولة منذ زمن بعيد، ووجها كل قواهما إلى خدمة بلدنا هذا؛ لاستيفاء كل

(١) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (١٠٨/١).

(٢) انظر: العلم والإيمان، مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، إبراهيم أحمد عمر، ص ١٢.

(٣) انظر: دعاوى إلحادية في الفكر العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية لشخصيات عربية ذات فكر إلحادي تمقص ثوب الفلسفة إسماعيل أدهم، عبد الله القصيمي، محمد المزوعي، صادق جلال العظم، إعداد: أسامة العتابي، ص ٢٧.

(٤) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٣٦٤/١).

(٥) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٩٥-٩٦.

(٦) انظر: أفي الله شك؟، حمد المرزوقي، ص ٣٧-٣٨.

(٧) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٠٨-٢١٠.

(٨) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٢٠.

(٩) النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٣٠٨/١).

(١٠) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، رونالد ستروميرج، ص ٤٠٧-٤٠٨.

(١١) انظر: معاول علمية في جدار المادية، عماد الدين خليل، ص ٩٣.

(١٢) انظر: تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٤١٣.

الحاجات اللازمة لبناء مجتمع شيوعي، والفيزياء الشيوعية تبني عملها على ما اعتق العالم من المادية المنطقية^(١).

وهو ما حصل في علم الأحياء أيضًا، حيث يعتقد الباحث سورين لوفتروب Soren Loftrop^(٢) بأن التطور خدعة، ويقول في شأنها: "لا أعتقد أنّ أحدًا يعارضني إذا قلت: إن استسلام تخصص علمي بكامله لصالح نظرية خاطئة يعد مصيبة عظيمة، ولكن هذا هو ما حدث في البيولوجيا"^(٣).

ومن صور استغلال المادية للنظريات العلمية الحديثة: أنها أفادت كثيرًا من تقدم العلوم الطبيعية^(٤)، وأدخلت الفيزياء في معركة الفلسفة، مع أن الفيزياء علم لم يحسم كلمته النهائية بعد في قضايا كثيرة^(٥).

ولقد ركز الماديون القدماء أبحاثهم في ميدان العلوم الطبيعية والرياضية، بمعنى أنهم خاضوا في ذلك الميدان الذي ظنوا أن العقل يستطيع إحراز تقدم حقيقي فيه^(٦). وترتب على ذلك: اعتقاد الماديين بصواب نظرياتهم؛ على اعتبار قيامها على أساس علمي لا يقبل النقض^(٧)، وأصبحت المادية مصدر كثير من النظريات الفلسفية، حيث تشكل البنية الفكرية التحتية لها^(٨).

٣. السيطرة على الإنسان وعقله وتجزئتهما:

تسعى المادية إلى ردّ الإنسان إلى العالم المادي الحتمي، الذي يُعامل فيه معاملة الحيوانات^(٩)، دون الاعتداد بأي مستند لرؤية البشر ككائن أرقى من غيره^(١٠)، وهو النظرة التي يمكن إجمالها فيما يأتي:

(١) مواقف حاسمة في تاريخ العلم، جيمس كونانت، ترجمة: أحمد زكي، ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

(٢) سورين لوفتروب Soren Loftrop : باحث تطوري، سويدي، وُلد في عام ١٩٢٢م، وتوفي في عام ٢٠٠٢م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3tvRYk0>).
(٣) Darwinism The Refutation Of a Myth, Soren Lovtrup, P422.

(٤) انظر: تاريخ المادية للانج، فؤاد زكريا، ص ٣٢-٣٣.

(٥) انظر: فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال؟، أليسترراي، ترجمة: أسامة عباس، المقدمة، ص ١٠.

(٦) انظر: تاريخ المادية للانج، فؤاد زكريا، ص ٢٥.

(٧) انظر: أخطاء الفلسفة المادية، أنور الجندي، ص ٣.

(٨) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٧.

(٩) انظر: كهنة الإلحاد الجديد، هيثم طلعت، ص ٣٦٩.

(١٠) See: Green Rage: Radical Environmentalism And The Unmaking Of Civilization. Christopher Manes.P37.

أ. الهجوم على الطبيعة البشرية، فالإنسان في الفكر المادي عنصر مادي فقط، تستبعد عنه كل خصائصه غير الطبيعية، مثل: تركيبته، وقدرته على التجاوز، واستقلاله عن المقولات المادية، ثم تقوم بتفكيكه إلى عناصره الأولية المادية، وتردّه وتعيد قراءته في كليته إلى مبدأ مادي واحد، وهكذا تُلغي الجوهر الإنساني، وتساوي الإنسان بالحيوانات والكائنات الطبيعية، والفلسفة الغربية بجميع مدارسها تهدف إلى هذه الرؤية التفكيكية^(١)، وبهذا تنفي أن يُولد الإنسان بأية أساسيات إدراكية وقيمية مسبقة؛ بل الإنسان يُولد صفحة بيضاء، ثم يكتب الواقع المادي والخبرة الحسية جُمَلها، وفقراتها، وفصولها، وذلك لاحقًا^(٢).

كما جعلت المادية الإنسان مدفوعًا بالقوانين الآلية التي لا يمكن تجاوزها، وقوّضت علاقته بربّه، واستشكل عليه علاقة عقله بالدين الإلهي^(٣)، واقتنعوا بأن المحرك للإنسان هو المصلحة فقط^(٤)، يقول هربرت سبنسر Herbert Spencer: "إن الدائرة التي تشغلها الاعتقادات الدينية من النفس لا تبقى خالية أبدًا؛ بل تشغلها المسائل الكبرى المتصلة بأنفسنا وبالعلم"^(٥).

ب. تعتمد المادية في نشر فلسفتها على نهاية التاريخ، فهي النقطة النهائية التي ترسمها لكل من يتبنّى النموذج المادي، ويعسى إليه، وهي الحلم الذي يراود الشعوب في تأسيس فردوس أرضي خالٍ من الصراعات والمشاكل، وذلك بالتلاؤم مع ظهور نظام عالمي جديد، يختفي فيه الإنسان، ويظهر الإنسان الطبيعي الذي يشبه الآلة الصماء، يتعامل مع الواقع ونفسه بحيادية كبيرة، تُشبه حيادية الطبيعة، لا يؤمن بالقيم، ولا الهدف، ولا الإنسانية^(٦)، وحينها يتحول الإنسان إلى كائن وظيفي أحادي البعد، مُفرغ خالٍ من المحتوى والجوهر^(٧).

يقول المسيري: "قمع وصول التاريخ إلى نهايته ينتهي الصراع، وتختفي كل المنحنيات، وتتبسط كل التنبؤات، ويظهر بشر ذو بعد واحد، وتختفي الذاتية والعمق والحضارة والإنسان، عالم موت الإنسان بعد أن مات الإله"^(٨).

(١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٦٢-٦٩، ١٧٩.

(٢) انظر: الإلحاد الوهم المستحيل، نور الدين قوطيط، ص ٥٣٢-٥٣٣.

(٣) انظر: جدلية العقل والدين بين الفكر الغربي والدين الإسلامي، عبد الله بن نافع الدعجاني، ص ١٨٥.

(٤) انظر: عجز العقل العلماني، عيد الدويهي، ص ٤٩.

(٥) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٩٠.

(٦) انظر: نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري، محمد أحمد أيوب، ص ١٠٠-١٠٣.

(٧) انظر: رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر، عبد الوهاب المسيري، ص ١٦٣.

(٨) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، (١/٣٤١).

ت. مثل العقل المادي أداة مادية للهجوم على الإنسان، بدلاً من أن يكون علامة انفصاله عنها، وأسبقيته عليها^(١)، وجعله الماديون مرهوناً بالمادة، وقالوا في تعريفه: بأنه صفحة بيضاء، تتراكم عليها المعطيات الحسية، لتصبح أفكاراً بسيطة، ثم تتجمع لتصبح أفكاراً مركبة^(٢)، فهو عقل أداتي، أو ذاتي، أو جزئي، يلتزم على المستوى الشكلي بالإجراءات، دون هدف أو غاية، بخلاف العقل النقدي، أو الكلي، أو الموضوعي، الذي ينظر للإنسان على أنه كيان مستقل، مبدع لكل ما حوله، ويروم إلى الحقيقة الكبرى والغاية من الوجود الإنساني^(٣).

إن العقل المادي عقل تفكيكي عدمي، غير قادر على التركيب والتجاوز، وعاجز عن التوصل للحقيقة الكلية الكبرى التي تقع خارج نطاق التجريب، وينتهي به الأمر بالهجوم على العقل الإنساني والعقل النقدي، لأنهما يتمتعان بقدر من الاستقلال عن حركة المادة، وبذلك يختفي الإنسان بوصفه مرجعية وتختفي كل المرجعيات، وهنا لا يتحرر من الأخلاق وحسب، وإنما من الكليات والهدف والغاية والعقل^(٤).

ثانياً: نقض وسائل المعرفة المادية الإلحادية:

١. مناقشة اعتماد الماديين على العلم المادي والقوانين المحدثة:

تعترف المادية بأنها تبني هيكلها على المقولات الفلسفية، وأن الفلسفة لا العلم هي التي تصوغ المفاهيم العامة^(٥)، ويمكن الرد على اعتمادهم على العلم المادي بما يأتي:

أ. ألغى المادية النصوص الشرعية والتصورات الدينية، حيث يتعامل المنهج المادي مع النصوص الشرعية بإلغاء دلالتها، واعتبارها كأنها غير موجودة، والحصول على المعرفة من مصادر أخرى^(٦)؛ إذ إن الفكر المادي تيار هدمي، يسعى أفرادها إلى هدم التصورات الدينية،

(١) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٨٣.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٨٠-٨١.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٨٧-٩٦.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٣٤-٣٥.

(٥) انظر: العلم في مواجهة المادية، قراءة في كتاب حدود العلم لسوليفان، عماد الدين خليل، ص ٥٧.

(٦) انظر: أخطاء النزعة المادية في العالم الإسلامي: نقد كتابات جودت سعيد، عادل التل، ص ٣-٤.

دون أن يقدّموا فلسفتهم الخاصة للوجود، ومتى ما سعوا في ذلك فمن السهل ملاحظة حالة الضعف والتخبّط، وهو ما يكشف عن مشكلات كثيرة تعصف بهذا الخطاب^(١).

ب. أدى اعتماد الماديين على العلم المادي إلى الانسلاخ من الدين والأخلاق بشكل كامل، ومحاولة الوصول إلى الحقيقة الفلسفية عن طريق التجريب، أو الحواس، أو الحدس، والخيال، أو الوعي، بعيداً عن أية عقيدة أو إيمان بغيث، أو عن طريق العقل الخالص المنفصل عن القلب والخيال^(٢)، ونزولاً بالناس إلى مستوى هابط من الدعوة إلى الشرك وتعدد الآلهة^(٣)، حتى قال أحد العلماء الفرنسيين في القرن التاسع عشر: "الإنسان الملحد لا يمكن أن يكون إلا مجنوناً أو مارقاً"^(٤).

ت. إن الأنظمة المادية في تصوراتها المختلفة تعلن إنكارها للصدق، واليقين، والقداسة، والربط العملي بين الدنيا والآخرة، كما تتجاهل ذلك، وتستخف به، وهذا سرٌّ من أسرار فشل المادية وعدم قبولها^(٥).

٢. مناقشة الماديين في استغلال النظريات العلمية الحديثة:

أ. إن العلوم والنظريات بحد ذاتها ليست ملحدة في حقيقتها، ولكن الإلحاد التصق بها^(٦)، ولقد كان المسلمون أول من اعتمد المنهج العلمي التجريبي في دراساتهم^(٧)، وأسهموا في النهضة الحديثة للمنهج العلمي التجريبي تأصيلاً وتقييداً^(٨)، دون أن يكون العلم بديلاً عن الميتافيزيقيا^(٩).

ولقد "حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطى، فكُتبت أعظم المؤلفات قيمة، وأكثرها أصالة، وأغزرها مادة في تلك العصور باللغة العربية، التي كانت منذ منتصف القرن الثامن الميلادي، حتى نهاية القرن الحادي عشر"^(١٠).

(١) انظر: ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، ص ١٤٨.

(٢) انظر: العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، عبد الوهاب المسيري، (٢/١٢٥).

(٣) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٨٧.

(٤) Exposition Antitheologies Du System Du Monde (Philosophie), Sans Auteur, P5.

(٥) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٦-١٣٧.

(٦) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ١٢٨.

(٧) انظر: التطور نظرية تاريخية وعلمية، وقفات من ذاكرة نشأة التطور وإلى اليوم، محمد صالح الهبيل، ص ٢٤.

(٨) انظر: اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شذوّهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، ص ٣٠٤.

(٩) انظر: أفي الله شك؟، حمد المرزوقي، ص ٣٨.

(١٠) Introduction To The History Of Science, George Sarton, (1/16-17).

ب. يمكن للنظريات العلمية أن تكون مدخلاً للإيمان، كما نص كثير من مفكري الغرب على ذلك، فالفيزيائيين "مثلهم مثل كل الناس، فيهم المتدين، وفيهم اللادري، وفيهم الملحد"^(١)، حيث "أصبح كثير من الماديين يقرُّون بوجود الله أو النفس، وخلودها باسم العلم نفسه"^(٢)، فليس من الضروري إطلاقاً أن يكون علماء الطبيعة ماديين، وفي وسع المرء أن يتبين ذلك بوجه خاص لدى الكبار من بينهم، مثل نيوتن Newton، وبلانك Blanc، وهايزنبرج Heisenberg^(٣).

ويقول أندرو كونواي ايغي Andrew Conway Iggy^(٤): "وجدتُ في قراءاتي ومناقشاتي أن معظم من اشتغلوا في ميدان العلوم من العباقرة لم يكونوا ملحدين، ولكن الناس أساءوا نقل أحاديثهم، أو أساءوا فهمهم"^(٥).

فقد كان أغلب أكابر علماء الطبيعة في الماضي كانوا مؤمنين، والعديد منهم لا يزال يؤمن بالله^(٦)، وهم من عمالقة العلم، حيث لم يكن الإيمان عائقاً أمام عملهم؛ بل محفزاً، مثل: جاليليو Galileo^(٧)، كيبلر kepler^(٨)، باسكال pascal، روبرت بويل boyle^(٩)، نيوتن

(١) حافة العلم عبور الحد من الفيزياء (الفيزيقا) إلى الميتافيزيقا، ريتشارد موريس، ترجمة: مصطفى فهمي، ص ١٧٦.

(٢) المذهب المادي في العصر الحاضر، أحمد فؤاد الأهواني، ص ٨٦-٨٧.

(٣) انظر: تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، ص ١٩٩.

(٤) أندرو كونواي ايغي Andrew Conway Iggy : عالم فسيولوجي، أمريكي، وُلد في عام ١٨٩٣م، وتوفي في عام ١٩٧٨م. انظر: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١٥٠.

(٥) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١٥٦. وفي معناها: ما قاله العالم: ويلارد فرانك لبي Willard Frank Libby . انظر: من حياة العلماء، تيودور بيرلاند، ترجمة: أحمد بدران، ص ٦٤.

(٦) انظر: أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، أحمد حسن (أبو حب الله)، ص ٤٨٩.

(٧) جاليليو جاليلي (غاليليو غاليلي) Galileo Galilei : عالم فلكي، وفيلسوف، وفيزيائي، إيطالي، وُلد في عام ١٥٦٤م، وتوفي في عام ١٦٤٢م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٣٢.

(٨) يوهانس كيبلر Johannes Kepler : عالم فلكي ألماني، وُلد في عام ١٥٧١م، وتوفي في عام ١٦٣٠م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٦٠.

(٩) روبرت بويل Robert Boyle : فيلسوف طبيعي، كيميائي، وفيزيائي، ومخترع، إيرلندي، وُلد في عام ١٦٢٧م، وتوفي في عام ١٦٩١م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢١٨.

Newton، فاراداي faraday^(١)، بابيج babbage^(٢)، مندل mendel^(٣)، باستير Pasteur^(٤)، كلفن kelvin، وماكسويل clerk Maxwell^(٥)^(٦)، وكثير من العلماء، ممن لا يُحصون كثرة، حيث أنكروا المادية، وانتقدوا الصراع بين العلم والإيمان، وطريقة العلم التجريبي في إنكار الغيبيات^(٧).

وقد كانت "نسبة الملحدین الحاصلين على جائزة نوبل بين سنة ١٩٠١م، وسنة ٢٠٠٠م لا تتعدى %١٠.٥، علمًا أن هذه النسبة تدخل فيها حتى تصنيفات اللأدريين، وأصحاب التفكير الحر، في حين أن الغالبية العظمى مما تبقى مؤمنون بوجود خالق، بغض النظر عن ديانتهم"^(٨).

(١) مايكل فارادي Michael Faraday : هو عالم كيميائي وفيزيائي إنجليزي، وُلد في ١٧٩١م، وتوفي في ١٨٦٧م. انظر: موسوعة علماء الفيزياء، موريس شريل، ص١٩٨.

(٢) تشالز بابيج Tstaliz Babbage : عالم رياضي، وفيلسوف، ومخترع، ومهندس ميكانيكي، بريطاني، وُلد في عام ١٧٩١م، وتوفي في عام ١٨٧١م. انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص٣٦.

(٣) غريغور يوهان مندل Gregor Johan Mendel : راهب أوغاستيني، وعالم نمساوي، ومؤسس علم الوراثة الحديث، وُلد في عام ١٨٢٢م، وتوفي في عام ١٨٨٤م. انظر: ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص١١٥.

(٤) لويس باستير Louis Pasteur : عالم كيميائي فرنسي، وأحد أهم مؤسسي علم الأحياء الدقيقة في الطب، وُلد في عام ١٨٢٢م، وتوفي في عام ١٨٩٥م. انظر: ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص١١٣.

(٥) جيمس كليرك ماكسويل James Clerk Maxwell : فيزيائي ورياضي اسكتلندي، صاحب النظرية الكهرومغناطيسية، وُلد في عام ١٨٣١م، وتوفي في عام ١٨٧٩م. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص١٢٢.

(٦) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص٣٦.

(٧) ومنهم: ويلارد فرانك لبيي Willard Frank Libby، وتشارلز هارد تاونز Charles Hard Towns، وجيمس ألفرد ألن James Alfred Allen، وألبرت بروس سابين Albert Bruce Sabine، وفيليب موريس هاووزر Philip Maurice Hauser، ودين أفرت وولدرج Dean Effert Wooldridge، انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى فرغل، ص١٥٧-١٦٣.

(٨) 100 Years Of Nobel Prizes. Baruch Shalev , P57.

ت. تفتقد النظريات الفلسفية التي زعم الماديون أنها مبنية على العلم إلى أدوات البحث العلمي^(١)، وقدموا تبريرات عقلية واهية، ظانين أنها تثبت نظريتهم^(٢)، وإنه لكذب عميق القاع أن يُنسب الكفر والإلحاد إلى الارتقاء العلمي^(٣)، ويكأنّ هذه النظريات صُنعت خصيصاً لدعم الإلحاد، في وقت لا تمتلك فيه النظريات أي أدلة علمية^(٤).

ث. حاول الماديون أن يستمدوا مفهوم المادية من بعض نظريات العلم في القرن التاسع عشر، ومع التقدم العلمي سقطت كثير من هذه النظريات العلمية^(٥)؛ مما أظهر عوار المادية، وعيوبها العميقة^(٦)، ولم تفلح في الاستناد إلى العلم^(٧).

ج. لقد وصف القرآن الكريم الكفار بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧]، فهذا هو الوصف الكامل الشامل الدقيق للإلحاد المادي قديمه وحديثه، وسواءً كان إلحاداً ساذجاً، أو إلحاداً يتخفى بالباطل تحت ستار العلمية وهي منه براء^(٨).

٣. مناقشة موقف الماديين من السيطرة على الإنسان وعقله وتجزئتهما:

أ. إن من أحد عوامل جاذبية الفلسفات المادية: هو التصور الخاطئ عن الإنسان، والعمل على تحويل الإنسان إلى جزء مادي، يتخلّى عن هويته وأخلاقه^(٩)، فالمادية حررت أتباعها من أية أعباء ميتافيزيقية، أو أخلاقية، أو دينية^(١٠)، وصورت الإنسان كشخصية صراعية دموية، توظّف قوانين الحركة لحسابها، أو كشخصية قادرة على التكيف مع الواقع والخضوع لقوانين الحركة^(١١).

(١) انظر: الإسلام والعلم التجريبي يوسف السويدي، ص ٨٧.

(٢) انظر: عجز العقل العلماني، عيد الدويهي، ص ٤٩.

(٣) انظر: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، ص ٥٦.

(٤) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٢٩.

(٥) انظر: أخطاء الفلسفة المادية، أنور الجندي، ص ١٤.

(٦) انظر: كومينيون ما وراء طبيعة المعلومات وويليام ديمبسكي، ترجمة: خليل زيدان، ص ٤٣.

(٧) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٨٨.

(٨) انظر: نقض الإلحاد المادي، محمد عبد الفضيل عبد العزيز، ص ٥٨٦.

(٩) انظر: الفلسفة المادية وتقنيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٢١.

(١٠) انظر: مناظرة الملحدين، هيثم طلعت، ص ٤١.

(١١) انظر: في عالم عبد الوهاب المسيري: حوار نقدي حضاري، مجموعة من الباحثين، (١/٢٣٩-٢٤٠).

ب. أدى موقف المادية من النظرة إلى الإنسان إلى فقدان الذات، ومعنى الوجود، وغلبة الإحباط، وهي نتيجة حتمية لمن لا يؤمن بالبعث والحساب ولا يطمح إلى الخلود في الجنة، ولا مجال لعلاج للقلق الذي يعصف بالإنسان الملحد أو اللاديني إلا بإلهاء عقله، مع علمه بأنه مجرد إلهاء مؤقت، وأصبح كل ما يهم الماديين هو البحث عن ذاتهم المفقودة، واستكناه أسرار النفس، وذلك هو المناخ الخصب الذي استغله اليهود لبذر نظرياتهم الهدامة^(١).

ومما سبق يتبين أن الفكر المادي اتخذ وسائل كثيرة للوصول إلى مبادئه وأفكاره، فهو يستغل النظريات العلمية، ويسايرها، ويعتمد على قوانين مادية يُلبسها ثوب العلم، ويجعل من الإنسان حيوانًا يسيطر عليه ويفككه.

وبعد هذا العرض يتبين لنا الطبيعة التي قام عليها الفكر المادي، ومدى استغلاله لأكبر قدر ممكن من الوسائل لتحقيق أهدافه.

(١) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٩٥.

الفصل الثاني

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الإنسانية عرض ونقض

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان
علم النفس ونقضها.

المبحث الثاني: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان
علم الاجتماع ونقضها.

المبحث الثالث: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان
علم الاقتصاد والسياسة ونقضها.

المبحث الأول

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم

النفس ونقضها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المادية في نظرية التحليل النفسي والرد عليها.

المطلب الثاني: المادية في نظرية الغريزة والرد عليها.

تمهيد:

تُعد المادية نفسها أمًا للنظريات العلمية، فمنها نشأت كل النظريات الغربية الحديثة، وكل الفلسفات المسيطرة عليها منها، وكلها تمثل أصلًا واحدًا، وان اختلفت المظاهر والفروع^(١)، فشكّلت المادية البنية الفكرية التحتية، والنموذج المعرفي الكامن للعديد من الفلسفات الحديثة^(٢)، حيث كانت العلوم الحديثة ذات نزعة مادية، فتغلّبت المادية عليها، سواء في علم النفس أو في علم الاقتصاد أو في علم الأخلاق، أو في علم الاجتماع، فوجهت المادية هذه العلوم نحوها^(٣)، وجميعها تبنت المادية في الفكر والتطبيق^(٤)، وهي تمثل انعكاسات للفكر المادي في ميادين العلم المختلفة^(٥)، يجمعها التصور العلماني للحياة^(٦).

والمدارس تختلف بطبيعتها، من حيث نظراتها، وأفكارها، وأساليبها^(٧)، ولقد "بدأت تظهر حديثًا انتقادات للاتجاه المادي، الذي يغلب على دراسة علم النفس الحديث للإنسان؛ وإغفاله دراسة النواحي الروحية من سلوكه"^(٨)، حيث سادت في دراساته وجهة النظر المادية التي ترجع جميع الظواهر النفسية إلى العمليات الفسيولوجية، وتتنظر إلى الإنسان نظرتها إلى الحيوان^(٩)، حيث جعلوا الإنسان ونفسه ميدانًا للتجريب والمعامل؛ من أجل الخروج بقوانين يحكمون بها النشاط النفسي^(١٠).

وفي هذا الفصل تم الحديث حول أثر المادية في نظريات الإلحاد المعاصر المتعلقة بالعلوم الإنسانية، وذلك في أبرز مجالاتها: علم النفس، والاجتماع، والاقتصاد، والسياسة.

(١) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ١٦.

(٢) انظر: الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٦٦.

(٤) انظر: الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية، سعود بن سلمان آل سعود، ص ١١-١٢.

(٥) انظر: الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية، سلوى محمد علي فريج، ص ٣١-٣٢.

(٦) انظر: الحوار الإسلامي العلماني، طارق البشري، ص ٣٢-٣٣.

(٧) انظر: المدخل إلى علم النفس الحديث، ركس نايت مرجريت نايت، تعريب: عبد الجسماني، ص ٨ وبعدها.

(٨) القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ص ٤٣.

(٩) انظر: القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ص ٢٤.

(١٠) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ٤٨.

المبحث الأول

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم النفس ونقضها

تتوعد النظريات الإلحادية في ميدان علم النفس، وهي تعتمد بشكل كبير على الفكر المادي، وهذا المبحث يتناول بعضًا من هذه النظريات.

المطلب الأول

المادية في نظرية التحليل النفسي والرد عليها

ينتمي فرويد Freud إلى المدرسة الغرضية^(١)، كما ينتمي إليها مكدوجل McDougale^(٢)، وبعض أتباع المدرسة السلوكية الجديدة^(٣).

وقد ظهرت الغرضية أول الأمر في بريطانيا، ثم هاجرت إلى أمريكا، حيث كان علم النفس السلوكي يبدأ خطواته كابين شرعي للحضارة الأمريكية، فكان التصادم بين السلوكية والقصدية^(٤).

ويدور حول نظرية فرويد Freud في التحليل النفسي جدل كثير، فمن الناس من يري أن هذه النظرية تخرج عن إطار الإرشاد النفسي؛ لأنها قامت على أساس عيّنات بحثية مخصوصة بمجموعة من المرضى، وليس علي العاديين الذين يهتم بهم التوجيه والإرشاد،

(١) المدرسة الغرضية (القصدية، الهورمية): مدرسة في علم النفس، سُميت بهذا الاسم؛ لأن مؤسسها مكدوجل McDougale كان يرى أن السلوك الإنساني قصدي، أو هادف، أو يحركه غرض معين، بمعنى أن هذا السلوك وراءه العديد من الدوافع، أما تسميتها بالهورمية؛ فلأن لفظ horne في اليونانية يعنى: نزعة، أو دفعة حيوانية، وقد تُرجمت بالرومانية إلى instinctus، والتي تعرف بالإنجليزية حاليًا instinct، وبالعربية غريزة. انظر: أساسيات علم النفس، نجاه عيسى إنصورة، ص ٣٧. علم النفس المعاصر، حلمي المليجي، ص ٤٨.

(٢) سيأتي الحديث عنه في المطلب التالي من هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

(٣) المدرسة السلوكية الجديدة: يُطلق هذا الاسم على كل مدرسة، أو مذهب، يُنكر أن السلوك يمكن تفسيره تفسيرًا كاملاً على أسس ميكانيكية أو شروط كيميائية فيزيقية، وجعلت الأفعال الخارجية هي مصدر المشاعر الداخلية، وعلى منوالها تسير المدارس التجريبية المعاصرة. انظر: أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، ص ٥١. السلوك الإنساني والإدارة الحديثة، إبراهيم الغمري، ص ٤٧.

(٤) تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٥١.

ومنهم من يرى أنها دائرة حول الجنس، وهناك اتجاه يعتقد أن التحليل النفسي يتنافى مع الدين^(١)، ولقد كان لهذه النظرية في علم النفس أثر خطير، لم يقف عند حد المباحث النفسية والتربية والتعليم؛ بل تعدّاهما إلى كثير من نواحي النشاط الإنساني، أخطرها كان في الجانب الاجتماعي^(٢).

وفي هذا البحث ستتم محاولة إلقاء الضوء على جوانب من حياة فرويد، وشخصيته، ونظريته المتعلقة بالتحليل النفسي، وبيان آراءه فيها والرد على تلك الادعاءات الباطلة.

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية التحليل النفسي:

١. اسمه ونسبه: سيجموند فرويد Sigmund Freud: نمساوي، يهودي من أبوين يهوديين، عاش ما بين: (١٨٥٦-١٩٣٩م)^(٣)، تعصّب ليهوديته^(٤)، وكرهه الناس لذلك^(٥)، وقد كان والد فرويد يكبر أمه بعشرين عامًا، وكان متسلطاً إلى حدّ ما، وقد شعر طفله فرويد بالخوف تجاه هذا الأب، وبالحب والانجذاب أكثر تجاه الأم، وهو ما سماه فرويد بعد ذلك: عقدة أوديب^(٦)^(٧).

٢. تعليمه وبيئته الثقافية: تلقى العلم في مدارس فيينا Vienna^(٨)، ودرس الطب كذلك في جامعتها، واهتم بالأبحاث الفسيولوجية والتشريحية المتعلقة بالجهاز العصبي، كما اهتم

(١) انظر: التوجيه والإرشاد النفسي، حامد زهران، (٢/١١٠-١١٤).

(٢) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ١٩.

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٠.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠٩.

(٥) انظر: حياتي والتحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: مصطفى زيور، عبد المنعم المليحي، ص ٢١.

(٦) عقدة أوديب: مفهوم قدمه فرويد، مستوحى من الفكر الإغريقي، يشير إلى رغبة جنسية لاشعورية لدى الأبناء تجاه الآباء؛ سببها الغيرة، وذلك بالمخالفة في الجنس، والكراهية مع الموافقة، فالابن يميل إلى أمه، وتسمى أوديب، والبنت تميل إلى أبيها، وتسمى عقدة إيلكترا، وقد تكون مع الاتفاق في الجنس، وتشير عقدة أوديب في التحاليل النفسية إلى مجموعة من المشاعر المكبوتة عند الطفل. انظر: الأحلام والجنس نظرياتها عند فرويد، جوزيف كاسترو، ترجمة: فوزي الشتوي، (٢/١٠١-١١٩).

(٧) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٢٧٧.

(٨) فيينا Vienna : عاصمة النمسا، وأكبر مدنها من حيث عدد السكان. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٢ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3hWkARk>).

بدراسة الأمراض العصبية من طرقة في علاج الأمراض النفسية العلاج بالمحادثة،
والعلاج بالتنويم المغناطيسي^{(١)(٢)}.

أيقظت نظرية داروين في النشوء اهتماماته العلمية إلى حد بعيد، ثم اتّجه بعد ذلك إلى
دراسة الطب، وهو لم يقصد بذلك أن يكون طبيباً بقدر قصده إلى الاتجاه إلى البحث العلمي^(٣).
تخرّج فرويد دكتوراً في الطب سنة ١٨٨١م، وعمل مختصاً في الأمراض العصبية،
وممارساً للتنويم المغناطيسي، والإيحاء^(٤)، ولكنه يشعر بالحاجة إلى أن يستكمل معارفه فيعود
إلى فرنسا ١٨٩٨م^(٥)، واستمر في الدعوة إلى المعالجة باستخدام التنويم المغناطيسي^(٦)، وأصبح
فيما بعد معاوناً لجوزيف بروير^(٧) الذي ينشر معه دراسات في الهستيريا، والتي تُعدّ من
الأمراض العصابية النفسية^(٨)، مفسراً أعراضها بأنّها تعبيرات عضوية عن صدمات مكبوتة،
وصراعات نفسية لا شعورية ترجع إلى الطفولة، ثمّ عمل منفرداً، وترك طريقة النّوم، مستعيضاً
عنها بطريقة التداعي الحرّ، مؤكداً أن الطاقة المسببة لأعراض الهستيريا التحوليّة هي طاقة
جنسية، وقد حاول تطبيق آرائه في تفسير نشأة المجتمع، والدين، والحضارة وتطوّرها^(٩).

-
- (١) التنويم المغناطيسي: الحالة المصطنعة الشبيهة بالنوم، يصبح فيها الشخص المنوم تحت تأثير المنوم،
فيوحى إليه ببعض الأعمال أو الكلمات، تنقله إلى حالة شبيهة بالنوم، ولا يفقد شعوره؛ بل يستجيب لإيحاءات
المنوم وأوامره. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عمر، (٢١١٢/٣).
 - (٢) انظر: معالم التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ص ٢٤. حياتي والتحليل
النقسي، سيجموند فرويد، ترجمة: مصطفى زيور، عبد المنعم المليجي، ص ٢٠.
 - (٣) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٢٧٧.
 - (٤) الإيحاء: مصطلح في علم النفس، وهو يشير إلى ما يخطر للإنسان من فكرة، أو اعتناق عقيدة، أو شعور
بميل دون أن يدرك أن ذلك صادر عن فعل خارجي مباشر أو عن إرادة مستقلة عنه. انظر: الموجز في
التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، ص ١٤٠.
 - (٥) انظر: المعجم الموسوعي في علم النفس، نوربير سيلامي، ترجمة: وجيه أسعد، (١٩٧٧/٥).
 - (٦) انظر: مدارس علم النفس، فاخر عاقل، ص ١٧٥.
 - (٧) جوزيف بروير: طبيب نمساوي، وُلد في عام ١٨٤٢م، وتوفي في عام ١٩٢٥م. انظر: المعجم الموسوعي
في علم النفس، نوربير سيلامي، ترجمة: وجيه أسعد، (١٩٧٧/٥).
 - (٨) انظر: المعجم الموسوعي في علم النفس، نوربير سيلامي، ترجمة: وجيه أسعد، (١٩٧٧/٥).
 - (٩) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٠.

٣. **علاقته باليهود:** انضمّ في عام ١٨٩٥م إلى جمعية بناي برث^(١) اليهودية، وكان يعرف هرتزل^(٢)، الذي سعى معه لتحقيق أفكار واحدة لخدمة الصهيونية، مثل: فكرة معاداة السامية^(٣) التي ينشرها هرتزل سياسياً، ويحللها فرويد نفسياً^(٤)، وكان فرويد يولي تيودور هرتزل الاحترام والتقدير، وقد أرسل إليه أحد كتبه مع عبارة: "إهداء شخصي" عليه^(٥).

٤. **مؤلفاته:** لفرويد Freud مؤلفات كثيرة، منها: تفسير الأحلام وهو أول كتبه^(٦)، ثلاث رسائل في نظرية الجنس، مدخل إلى التحليل النفسي، ما فوق مبدأ اللذة^(٧)، مقدمة في التحليل النفسي، حياتي والتحليل النفسي، الذات والغرائز، معالم التحليل النفسي، القلق، الشذوذ الجنسي، الجنس عند فرويد، الذاكرة، تغلب على الخجل، السيكولوجية النفسية، نقطة الضعف، السلوك، تطور المعالجة النفسية، مستقبل وهم، الطوطم^(٨) والتابو^(٩)(١٠).

(١) جمعية بناي برث: من أقدم الجمعيات والمحافل الصهيونية المعاصرة، تأسست في أمريكا عام ١٨٤٣م. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٥٢٧/١).

(٢) تيودور هرتزل Theodore Herzl : مؤسس الصهيونية الحديثة، والمخطط لإقامة دولة لليهود في فلسطين. وُلد في عام ١٨٦٠م، وتوفي في عام ١٩٠٤م. انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، ص ٣٠٩.

(٣) السامية: مبدأ أو موقف من يعادون اليهود ويعملون على إتخاذ إجراءات تمييز عنصريّ ضدّهم "أنهم بتبنيّ اللّاسامية والتحريض عليها". انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر، (١٠٢١/١).

(٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٨٢٣/٢).

(٥) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٢٢١.

(٦) انظر: مدارس علم النفس، فاخر عاقل، ص ١٩٠.

(٧) مبدأ اللذة: مبدأ يسيطر على العمليات النفسية في نشأتها وتطورها. الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، ص ١٥٢.

(٨) الطوطم: لقب حيواني، تتخذه العائلات رمزاً لها، ثم أصبح يمثل البذرة الأولى للدين. انظر: تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات، محمد عثمان الخشت، ص ٨٢.

(٩) التابو: هو تحريم القيام بأفعال معينة، أو استخدام أشياء أو ألفاظ بعينها في الحديث؛ لارتباطها بقوى سحرية أو مقدسة. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣١٤.

(١٠) انظر: المعجم الموسوعي في علم النفس، نوربير سيلامي، ترجمة: وجيه أسعد، (١٩٧٩/٥).

٥. وفاته: عانى فرويد Freud من سرطان الفم بسبب فرط استهلاكه للسجائر^(١)، وعانى من السرطان حتى مات^(٢).

ثانيًا: مجمل أفكار نظرية التحليل النفسي وعلاقتها بالإلحاد:

تأثر فرويد Freud من الاضطهاد العنصري، والتراث الاجتماعي والديني اليهودي، والأيديولوجية^(٣) النصرانية التي سادت في مجتمعه^(٤)، وظهر ذلك من خلال كتاباته التي امتازت بالمادية النابعة من التلمود والتوراة المحرفة^(٥)، وأقبل مهتمًا على دراسة المشاكل الإنسانية بالجدل الفلسفي^(٦).

١. أسس نظرية التحليل النفسي عند فرويد:

يرى فرويد أن العقل الإنساني مركب من شيئين: الشعور^(٧)، وهو مركز الأفكار التي تخطر على قلوبنا، واللاشعور^(٨)، وهو مخزن الأفكار التي مرت بنا، ونسيناها، وتظهر في أحوال معينة، كالجنون، وهذا القسم الثاني أكبر من الأول، وقد اعتقد فرويد أن اللاشعور قد يقبل أفكارًا في الطفولة، وتؤدي إلى أعمال غير عقلية، وهو ما يحدث بالنسبة إلى العقائد الدينية^(٩).

(١) انظر: موقع الجزيرة، يدون حلمه ثم يفسره.. هكذا أثبت فرويد نظريته في تفسير الأحلام، تاريخ الاطلاع:

١٣ يوليو ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/37PIoCk>)، ٦ مايو ٢٠٢٠م.

(٢) انظر: سيجموند فرويد مكتشف اللاشعور، مارغريت ماكنهوب، تعريب: سامر عرار، ص ٢١٤.

(٣) الأيديولوجيا: هو العلم الذي يدرس أفكار الناس، من حيث صحتها وخطئها. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣١٣.

(٤) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٢٩-٣٠.

(٥) انظر: معالم التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ص ٢٤.

(٦) انظر: حياتي والتحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: مصطفى زيور، عبد المنعم المليجي، ص ١٣.

(٧) الشعور عند فرويد: أحد أقسام الجهاز النفسي عند فرويد، ويتألف من مجموع الدوافع والرغبات الظاهرة، والباطنة. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٨٨.

(٨) اللاشعور عند فرويد: أحد أقسام الجهاز النفسي عند فرويد، ويتألف من مجموع الدوافع والرغبات اللاشعورية المكتوبة من قبل رقابة أخلاقية لا شعورية هي الأخرى. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٨٨.

(٩) انظر: الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، ص ١٣-١٤.

٢. مكونات الشخصية الإنسانية عند فرويد Freud:

أ. الهو: وهو مركز النزعات الهمجية الحيوانية التي ورثها الإنسان عن الحيوانات الدنيا، ويعتبر حلقة الوصل بين الإنسان والحيوان من الناحية النفسية، و يتميز بأنه لا شعوري.
ب. الأنا: وهو الجزء العاقل من العقل، والذي يتعامل مع المجتمع الخارجي مباشرة، ويحتوي على القيم الإنسانية المقبولة في المجتمع، وأغلبه شعوري.
ت. الرقيب الأعلى: وهو يقوم بمراقبة النزعات الهمجية غير الاجتماعية في الهو، فيمنعها من الانطلاق للخارج، وهو بمثابة الضمير الذي يحاسب الأنا على تصرفاته، وأغلبه لا شعوري^(١).

ويذكر فرويد أن لكل غريزة^(٢) أربع خصائص: المصدر، وهو الأساس البيولوجي المنتج للتحفيز الغرائزي، والهدف، وهو الحصول على المتعة وخفض التوتر، والطاقة، وهي التي تعبر عن مدى قوة الغريزة، وتعمل وفقاً لقوانين حفظ الطاقة، وأخيراً: الموضوع، وهو الشخص، أو الكائن، أو الشيء الذي يوجه إليه الدافع الغريزي، ومن خلاله يستطيع أن يصل إلى الاشباع والمتعة، والأكثر مرونة وقدرة على التغيير، ومن هنا تتبع أهميته الكبيرة في تطور الغريزة^(٣).

٣. أسباب ظهور وتقبل نظرية التحليل النفسي:

إن التحليل النفسي كحركة في الطب العصبي كان ثورة ضد الاتجاه الجسدي الذي كان سائداً خلال القرن التاسع عشر، حيث كان اتجاهاً نفسياً^(٤).

وقد أكد فرويد على اللاشعور الجنسي لحل المشكلات الإنسانية، وكان ذلك مغريباً للناس، وخاصة في المجتمع البرجوازي الذي كان يجمع كل ما يختص بالثقافة الجنسية^(٥)، وفي المجتمع النصراني الذي كان يكبت ميول الناس، فأصابهم بكثير من الأمراض العصابية^(٦).

(١) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٣٢.

(٢) يستخدم فرويد مصطلح الغريزة للدلالة على الميل البيولوجي من حيث هو موضوع خبرة نفسية، وليس على ميل بيولوجي مجاله الجسم. انظر: الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، ص ١٤٤-١٤٥.

(٣) See: Three Essays On The Theory Of Sexuality. Sigmund Freud. Translation: James Strachey. P85.

(٤) انظر: مدارس علم النفس، فاخر عاقل، ص ١٧٣.

(٥) انظر: العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث وأساليبه وميادين تطبيقه، عبد الستار إبراهيم، ص ٨٩.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٣.

فأغرى الناس بالتحلُّ من القيم، بعيداً عن تعذيب الضمير^(١)، وبنى نظريته على تجارب علاجه للشواذ والمصابين بالاضطرابات النفسية، فهُم الرصيد الذي شكّل من خلاله نظرياته، وكوّن مذهبه^(٢).

وتم تعميم أفكاره على كافة العلوم الإنسانية بما فيها علم الطب والأدب والدين^(٣)، كما وصلت إلى علم الاجتماع، وعلم الأنثروبولوجيا^(٤)، والسياسة^(٥)، وتغلّغت في كافة ميادين الحياة، في التربية، والتعليم، وفي التشريع، والقضاء، وفي التنظيم الاجتماعي، وغير ذلك من الميادين^(٦)، حيث أراد فرويد لها أن تكون عالمية^(٧).

فضلاً عن أن سيطرة الأهواء تهزم قيم الإنسان الفطرية، وينشأ فراغ في الحياة، لا يمكن ملؤه بالجنس فيشعر الإنسان بظماً وضياًع^(٨).

٤. موقف فرويد من الدين والأخلاق والمعرفة:

تقوم نظرية التحليل النفسي على الإلحاد، وإنكار الغيبيات، واعتبار الإنسان ظاهرة ماديّة فقط، بما فيه من فكر ونفس وحياة، وكذلك تقوم على الإباحية الجنسيّة، دون قيود أو أخلاق، وقد انطلق فرويد في دراساته من هذين المنطلقين^(٩).

ولذلك اعتبر فكرة الإيمان بالله وهماً ينبغي طرحه من قبل العقلاء، وهي وسيلة اللاشعور التي كان على علم النفس فكّ رموزها، والله هو مجرد إسقاط للربغات؛ يعبده الناس بسبب إحساسهم بالعجز، كما دعا إلى طرح الدين الذي ينتمي إلى طفولة الجنس البشري، ومثّل

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٨٢٧ / ٢).

(٢) انظر: الفكر المادي الحديث ومقاومته بتطبيق الشريعة، أحمد قاسم أبو حشيش، ص ٣٩.

(٣) انظر: المعجم الموسوعي في علم النفس، نوربير سيلامي، ترجمة: وجيه أسعد، (١٩٧٩/٥).

(٤) الأنثروبولوجيا: ذات أصل يوناني، وتعني الدراسة العامة للإنسان. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٦١-٦٢.

(٥) انظر: مبادئ التحليل النفسي، محمد فؤاد جلال، ص ٢٤.

(٦) انظر: الدراسة العلمية لسلوك الاجتماع، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٣٦.

(٧) انظر: الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، ترجمة: عبد المنعم الحفني، ص ٣.

(٨) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحليم عويس، ص ١٥٩.

(٩) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٢ - ٢٩٣.

مرحلة ضرورية في الانتقال من الطفولة إلى النضج، وخلالها طوّر قيماً أخلاقية كانت أساسية للمجتمع، فلمّا اشتدّ عُوده لم يكن للدين أي فائدة^(١).

وتميّزت فلسفة فرويد بمعالجة المشاكل المكبوتة، وترك الأمور الميتافيزيقية؛ التي رأى أنها لا بد أن تُعرض على التجربة^(٢)، كما اعتبر الدين وهمًا وخطرًا؛ لأنه يميل إلى تقديس مؤسسات إنسانية تحالف معها على مر التاريخ، ويرى أن الأسس الدينية التي قامت عليها الأخلاق أسس مهزوزة؛ لأنه يعتقد أن الاعتقادات الدينية سبيله إلى الانحلال^(٣)، وأن ربط الدين بالأخلاق سيؤدي إلى تحطيم الأخلاق وذلك لسقوط الدين، كما أقرّ بصراع العلم والدين، ولا سيما الكنيسة التي كان يحقد عليها^(٤).

ويرى فرويد أن أصل الدين هو الشعور بالندم الذي استولى على أبناء الأسرة البشرية البدائية الأولى حين قتلوا آباهم، الذي كان يحول بينهم وبين اللقاء الجنسي مع أمهم، فنشأ الدين عبادة للأب، ثم تطور إلى عبادة (الطوتم)، ثم تطور إلى عبادة القوى الخفية في صورة الدين السماوي، وهو في الأطوار كلها ينبع من العقدة نفسها عقدة (أوديب)^(٥).

فلم يُعنَ فرويد على الإطلاق بتقدم العاطفة الدينية، أو قضايا اللاهوت والأديان؛ بل عمل على هدمها^(٦)، يقول فرويد: "إن ما نهدف إليه هو أن نتناول هذه الأمور الغيبية بنفس الطريقة التي نتناول بها أية مادة أخرى ابتغاء فحصها العلمي"^(٧)، ويقول أيضًا: "إن قانون آباء الكنيسة عن الإيمان يركز على أن المذاهب الدينية لا تخضع لمقتضيات العقل والمنطق"^(٨).

(١) انظر: الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر، كارين آرمسترونغ، ترجمة: محمد الجورا، ص ٣٥٦.

(٢) انظر: الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية، سلوى محمد علي فريخ، ص ٢٧٣.

(٣) انظر: الدين والتحليل النفسي، اريك فروم، ص ١٧.

(٤) انظر: الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية، سلوى محمد علي فريخ، ص ٢٧٧.

(٥) انظر: الذات والغرائز، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ص ٧٧-٧٨.

(٦) انظر: في التفسير محاولة في فرويد، بول ريكور، ترجمة: وجيه أسعد، ص ٢٠٥-٢٠٧.

(٧) محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: عزت راجح، ص ٢٧.

(٨) مستقبل وهم، سيجموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، ص ٣٦.

وتظهر ماديته في موقفه من المعرفة، حيث يقول: "الحق أنه ليس ثمة سلطة تعلو على سلطة العقل، ولا حجة تسمو على حجته"^(١)، وهذا يدل على أن غاية فرويد هي غاية مادية تسعى إلى استبعاد كل الجوانب الروحية، حيث أعطى تصورًا شاملاً عن الفلسفة المادية من حيث الوجود والمعرفة والقيم^(٢).

وتُذكر الفرويدية بالأبيقورية، ومذهب أبيقوروس الذي اعتبر أن غاية الحياة هي الحصول على اللذة، والابتعاد عن الألم؛ ولذلك وصف أحد مؤرخي فلسفة فرويد بالأبيقورية العملية^(٣)، واعتبر فرويد Freud أن أي نهضة لحضارة ما لا بد أن تقوم على دعامتين: الانصياع للعمل، وقوة الجنس وسيطرته على الذكر والأنثى^(٤)، ورأى أن أفضل سبيل لتحصيل اللذة هو الحب الجنسي، حيث يقول: "إن أقصى ألوان اللذة يمكن الحصول عليها هي لذّة العملية الجنسية"^(٥)، وهو متزمت نموذجي يعتقد أن الحضارة بمجملها هي نتيجة عدم إشباع الدوافع الغريزية^(٦).

وقد اعتبرت نظرية فرويد أن الجزء الأكبر من الليبيدو^(٧) هي الدوافع الجنسية، وتطور الجنسية الطفولية في مراحل قبل أن تصل إلى مرحلة البلوغ، كما أدخلت فرضية الصراع وآلية الكبت في اللاشعور، واعتبرت الكبت كأساس ومصدر للاضطرابات النفسية، وأهمها العصاب^(٨) والأحلام، وجاءت بنظرية خاصة في تفسير الأحلام وأهمية الأحلام في التحليل النفسي^(٩).

(١) مستقبل وهم، سيجموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، ص ٣٨.

(٢) انظر: الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي، دراسة تحليلية نقدية، سلوى محمد علي فريج، ص ٢٦٧.

(٣) انظر: منازع الفكر الحديث، جود س. أ. م، عربه: عباس فصي خماش، ص ٢٨٢.

(٤) انظر: الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، ترجمة: عبد المنعم الحفني، ص ٥٣.

(٥) ما فوق مبدأ اللذة، سيجموند فرويد، ترجمة: إسحاق رمزي، ص ١٠٤-١٠٥.

(٦) انظر: مهمة فرويد تحليل لشخصيته وتأثيره، أريك فروم، ترجمة: طلال عتريسي، ص ٣٦.

(٧) الليبيدو: طاقة غريزة الحياة، وفي معناها الضيق: البحث عن الإشباع الجنسي. انظر: الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، ص ١٥٠-١٥١.

(٨) العصاب: اضطرابات وظيفية غير مصحوبة باختلال جوهري في إدراك الفرد للواقع، كما هو الحال في الأمراض الذهانية، ويميز التحليل النفسي بين نوعين من الأعصابية: الأعصابية الفعلية مثل النيروساتانيا وعصاب القلق، والأعصابية النفسية وأهمها الهستيريا والعصاب الوسواسي. الموجز في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، ص ١٤٠.

(٩) انظر: الأنا والهو، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ص ١٥-٣٢.

ويرى "أن نشاطنا النفسي يُستثار فعلاً بتهييجات جهازنا العضوي بعضها خارجي، وبعضها باطني، وهذه الأخيرة لها أصل بدني (جسدي)، أي تنشأ داخل جهازنا العضوي بذاته، إن التمثيلات النفسية لهذه التهييجات الحسية الباطنية هي ما يطلق عليه فرويد اسم الغرائز"^(١).
فقضى فرويد جلّ حياته في التركيز على أساس غريزي واحد، ثم عدّل نظريته في مرحلة متأخرة، ورأى أن الحياة النفسية تقوم على غريزتي الحياة والموت، وغريزة الموت تعني أن الإنسان بفطرته يأتي أفعالاً من شأنها أن تؤدي إلى القضاء عليه، أو القضاء على الإنسانية، وأوضح مثال لها الحرب، ومن سماتها العدوان^(٢)، فهو يرى أن الجنس غريزة الحياة، والعدوان غريزة الموت^(٣).

وتجلّت المادية في فلسفة فرويد من انطلاقها في علاج الأمراض النفسية من منطلق مادي، وإهمال الروح؛ ولذلك أصبح علم النفس يفترق إلى موضوعه الأساسي، وهو الروح، واعتنى بالجزء المادي من الإنسان، وتكوينات ردود الفعل والغرائز، دون أن يهتم بالظواهر الإنسانية المميّزة له تمييزاً واضحاً، كالحب والعقل والشعور والقيم^(٤)، وبذلك تكون حياة الإنسان حياة حيوانية بحتة، تحكمه الغرائز، وتسيطر عليه، وعن الجانب العقلي يعتقد أنه طبقة من طبقات النفس، وهو الوعي الذي يواجه الحياة الواقعية^(٥)، ويقول: "إن من المظاهر التي يظهر فيها الحب هو الحب الجنسي، الذي يُكسبنا حالة من الانجذاب والشعور باللذة، وفي النتيجة فإن هذه اللذة تكون قدوة ودليلاً لميلنا نحو السعادة، فأى شيء إذا أقوم من أن نسلك الطريق إلى السعادة في نفس الطريق الذي صادفناه أول مرة"^(٦).

ويرى أن جميع الروابط الاجتماعية ترجع إلى أصل جنسي^(٧)، وأن الشهوة الجنسية تبدأ مع الطفل منذ ولادته، مفسراً كل تصرفات الطفل بأنها نابعة من ميول جنسية^(٨)، حتى إنه يقول: "إن الشهوة الجنسية هي التي تظهر بمظهر الأخلاق تارة، وفي صور العقائد والأديان تارة أخرى، وهي نفسها التي تتشكل أحياناً بحنان الأم، وغضب الأخ، فهي الكل في الكل في

(١) الفرويدية، ميخائيل باختين، ترجم وتقديم: شكير نصر الدين، ص ١٥٦-١٥٧.

(٢) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٣٤.

(٣) انظر: مقدمة في علم النفس، جابر عبد الحميد جابر، وآخرون، ص ٤٢.

(٤) انظر: الدين والتحليل النفسي، اريك فروم، ص ١١.

(٥) انظر: التطور والثبات في حياة البشرية، محمد قطب، ص ٤٦.

(٦) مذكرات فرويد، وقد ترجمت إلى الفارسية تحت عنوان: (انديشه هاي فرويد)، ص ١١٢.

(٧) انظر: مذكرات فرويد، وقد ترجمت إلى الفارسية تحت عنوان: (انديشه هاي فرويد)، ص ٤٧.

(٨) انظر: محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: عزت راجح، ص ٥٦.

هذه الحياة"، فمظاهر الحياة عند فرويد بكل اختلافاتها ومكوناتها، كلها وليدة الحب والجنس واللذة لا أكثر، فالمظاهر وإن اختلفت إلا أنها متحدة في جوهرها ومآلها^(١).

ثالثاً: الرد على نظرية التحليل النفسي:

وُجّه إلى نظرية فرويد انتقادات كثيرة من الأطباء، وعلماء النفس، من أهمها:

١. إن فرويد نفسه يعترف بذلك، وافترق عنه كثير من الأطباء مثل جوزيف بروير Joseph Brewer^(٢).

٢. وصف الأطباء شخصية فرويد بأنه كان يشكو من وهن عصبي واضطرابات نفسية^(٣).

٣. يرى بعض الباحثين أن الفرويدية قامت على أساس غير تجريبي؛ يهدف إلى مساعدة المريض، وليس تفسير ماهية مرضه^(٤).

٤. إن الفرويدية ليست علمًا، وهي تقتصر إلى أساليب القياس^(٥) الرياضية، وتقترب من الفلسفة^(٦)، وبيان الردود كالاتي:

٥. ضمّن فرويد في نظريته بعض المفاهيم الغيبية التي تمتنع على البحث التجريبي، مثل مصطلح "الليبدو"، وهو مصطلح مشتق من النظرية الميكانيكية التي كانت تفرّق بين المادة من جهة والطاقة من جهة أخرى، كما أن تقسيم الشخصية عنده مشتق من أساس غيبي، لا يبين العمليات السيكلوجية^(٧) مثل التعلم والإدراك، معتبرًا أن الأنا أو الذات تحتوي الأفكار المتمدينة والقيم الاجتماعية^(٨)، وبناءً على ذلك فقد ردّ النشاطات الحضارية والفنية الإنسانية إلى أنها من آثار هذا الإعلاء لما أسماه "الليبدو"^(٩).

(١) انظر: الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، تعريب وتعليق: فاضل الحسيني الميلاني، ص ٣٨.

(٢) انظر: معالم التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، ص ٣٤-٣٥، ص ٢٨.

(٣) انظر: سيجموند القلق، بيلي بريسهال، ترجمة: محمد هلال، ص ٥١-٥٢.

(٤) القياس: قول مؤلف من قضايا، إذا سُلمت لزم عنها لذاتها قول آخر. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٦٦.

(٥) القياس: قول مؤلف من قضايا، إذا سُلمت لزم عنها لذاتها قول آخر. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٦٦.

(٦) انظر: فرويد حياته والتحليل النفسي، أحمد عكاشة، ص ٧٩-٨٠.

(٧) السيكلوجية: النفسية، والسيكلوجيا علم يدرس الوظائف العقلية والسلوك الإنساني. انظر: معجم اللغة العربية، المعاصرة، أحمد عمر، (١١٥٠/٢).

(٨) انظر: الدراسة العلمية لسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٣٧-٣٨.

(٩) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٥-٢٩٦.

٦. إن الصورة التي رسمها فرويد للشخصية الإنسانية هي صورة انتهازية وسلبية إلى أبعد الحدود^(١)(٢)، فمن أكبر الأخطاء: حصر دوافع السلوك الإنساني بالدافع الجنسي، وناهض فكره كثير من علماء النفس، مثل مكدوجل McDougle ، الذي ردّ على فرويد وتلاميذه؛ لتحديد دوافع السلوك البشري بدافع واحد أو اثنين^(٣).
٧. استخدم فرويد منطق تفسير السلوك بدافع الغريزة الجنسية، دون أن يستند ذلك إلى أي دليل علمي^(٤)، فالغريزة هي الحاكمة، لا يرتفع الإنسان عن واقع الأرض المادي^(٥)، وأنها المسيرة لسلوكه، وبدون ذلك سيقع فريسة للكبت المدمر للأعصاب^(٦)، وأزال عن الإنسان ما كان يحوطه من كرامة إنسانية، ورفعة، وروحانية، معتبراً تكريم الله تعالى له خرافة^(٧)، وفي تشبيهه للإنسان بالحيوان ردّاً للتكليف واليوم الآخر والحساب والعقاب^(٨).
٨. تأثر فرويد بالنزعة المادية اليهودية وبالمجتمع الأوروبي الذي كان يعيش فيه، وهو مجتمع عريق في المادية^(٩)، وهكذا نظريات علم النفس بصفة عامة، تتعامل مع الإنسان كما لو أنه تتعامل مع الحيوانات، حتى إنها قامت على تجارب أجروها على الكلاب، والقردة، والفئران، وغيرها^(١٠).
٩. وجّه فرويد حرب ضد الدين والقيم، "فهو الذي خلط الدين، وهو موضع القداسة عند جميع البشر بالغريزة الجنسية، التي تجعل الإنسان إذا قادتته دون أن يتحكم بها حيواناً، ويفسّر حب

(١) الحدود: جمع حد، وهو في اللغة المنع، والفاصل. انظر: التعريفات، الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، ص ٨٣.

(٢) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٣٩.

(٣) انظر: صراع مع الملاحظة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٢٣١. كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٠٨.

(٤) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٤١.

(٥) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ٣٠.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤.

(٨) انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١١٦.

(٩) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ٣٦.

(١٠) انظر: الإنسان والعلاقات البشرية، ستيوارت تشيس، تحقيق: أحمد حمودة، ص ٣٢٩.

الإله بحالة التسامي في الحب الجنسي، معتمداً في تفسيره على حالات مرضية شاذة لا تصلح للتعميم^(١).

وبناءً على ما سبق: لم يركز فرويد على الإباحية الجنسية فقط في تحليلاته؛ بل كافح ضد جميع القيود والأوامر الدينية، حيث عدّ الدين مرضاً نفسياً، ووهماً لا دليل عليه.

١٠. وجد فرويد في الكتب والأمور الجنسية حقائق تعبر عن هواه، وتفكيره، فالأمور الجنسية، وعهد الطفولة، والكبت هي مفاتيح سيكولوجية فرويد^(٢).

١١. فسّر فرويد الأحلام تفسيرات تتصل بكبت الدافع الجنسي، وأنكر الرؤى المنامية^(٣)، حيث كان أول من حاول تطبيق المنهج العلمي في تأويل الأحلام، وصاغ نظرية ملتزمة عنها، وكانت مدرسته من أولى المدارس الحديثة التي أكدت وحدة الإنسان وقاومت الثنائية القديمة للجسم والنفس، وهذا منهج باطل، يرد ما وراء المادة وينكره^(٤).

١٢. إن من يُطالع عقائد فرويد بدقة في كتبه المختلفة، يصل إلى نتيجة، وهي أن الإنسان مجموعة من اللحم الحي، الذي يملك غريزتين: حب الذات والدفاع عنها، والشهوة الجنسية، وأن جميع أوجه النشاط البشري الحياتي ترتبط بالشهوة الجنسية^(٥).

١٣. إن ما دعا إليه فرويد من معاناة الطفل من كبت الميول الجنسية ليس إلا أكذوبة، أراد من خلالها تبرير الإباحية، فجاءت نظريته مادية وحيوانية إلى الإنسان؛ مما ينفي عن الإنسان الجوانب الروحية والمثل العليا والأخلاق^(٦)، مما اعتبر دافعاً ومشجعاً نحو الفساد والانحلال^(٧).

يقول يونج Young^(٨) في كتاب سماه (ذكرياتي عن فرويد)، صدر في الستينات: "لقد قال لي فرويد أننا ينبغي أن نحطم كل العقائد الدينية"، وقال لي: "ينبغي أن نجعل من الجنس

(١) الإلحاد وسبب انتشاره، محمود الشوبكي، ص ٧٣.

(٢) انظر: مدارس علم النفس، فاخر عاقل، ص ١٨٥.

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٦.

(٤) انظر: أصول علم النفس، أحمد عزت راجح، ص ٥٢.

(٥) انظر: شبهات الماديين الغربيين حول الأخلاق في ضوء الإسلام، دراسة تحليلية نقدية، محمد محمود نصايرة، ص ٢٦٣.

(٦) انظر: سلام للعالمين، نور الدين أبو لحية، (٩٩/١).

(٧) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٣ - ١١٤.

(٨) كارل يونج: عالم نفس سويسري، وأحد تلميذَي فرويد المقربين، وُلد في عام ١٨٧٥م، وتوفي في عام

١٩٦١م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3xV8nCe>).

عقيدة، ويريد اليهود أن يحطموا الأخلاق، وينشئوا مجتمعاً منحلاً، يسهل فيه تسخير (الحمير) لشعب الله المختار" (١).

١٤. لم يوافق جميع المحللين النفسيين على نظرية فرويد، حيث إن فكرة التخلص من الذات الإلهية ومن الله هو بوابة الإلحاد، وقد ساد القلق كثيراً من الملحدين، فعلى الرغم من دفاع شوبنهاور Schopenhauer - مثلاً - عن أخلاق المحبة لم يستطع الانسجام مع البشر، فأصبح ناسكاً، يتواصل معهم فقط عبر كلبه (٢).

١٥. إن التزام علماء النفس المحدثين بتطبيق المنهج العلمي الذي يطبق في العلوم الطبيعية على دراسة الإنسان دفعهم إلى حصر انتباههم على دراسة نواحي السلوك الإنساني التي يمكن فقط إخضاعها للملاحظة العملية وللبحث التجريبي، وأغفلوا دراسة الجوانب الروحية بشكل كلي (٣).

١٦. لا يُنكر الإسلام أصل فكرة التحليل النفسي، وتأسيس مدارس له، فقد حثَّ على دراسة النفس، والتعرف عليها، ولكن المنكر هو أن يكون ذلك بوابة للإلحاد والمادية (٤).

١٧. دعاء الإسلام إلى الضبط الجنسي بالتوحيد والتربية الصالحة، ومكارم الأخلاق (٥)، والحث على الزواج (٦)، كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الرُّوم: ٢١]، وفي السنة: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ فإنه أغضُّ للبصر؛ وأحصن للفرج؛ ومن لم يستطع فعليه بالصوم؛ فإنه له وجاء" (٧).

(١) انظر: ذكرياتي عن فرويد، يونج، نقلاً عن: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ٥١.

(٢) انظر: الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر، كارين أرمسترونغ، ترجمة: محمد الجورا، ص ٣٥٦-٣٥٧.

(٣) انظر: القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، ص ٤٣.

(٤) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٢.

(٥) انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، (١/٢١٩).

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٨.

(٧) متفق عليه، صحيح البخاري، البخاري، النكاح/ قول النبي ﷺ: "من استطاع منكم الباءة فليتزوج؛ لأنه أغض للبصر وأحصن للفرج"، وهل يتزوج من لا أرب له في النكاح؟، (٣/٧)، رقم الحديث: (٥٠٦٥). وصحيح مسلم، مسلم، النكاح/ استحباب النكاح لمن تاققت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، (١٠١٨/٢)، رقم الحديث: (١٤٠٠).

فالحديث يرشد إلى "تهذيب النفس، وإعفاف المرء وزوجه من الوقوع في الحرام، ويكون ذلك بكسر الشهوة، وغيض البصر، وتحصين الفرج"^(١).

كما حصّن الإسلام المسلم من الكبت بالإيمان والصبر والعبادة والصيام، وغير ذلك من الوسائل الشرعية النافعة^(٢).

كما أن الإشباع الجنسي لا يمكن أبدًا أن يكون مصدر سعادة بالنسبة للإنسان، وليس أدل على ذلك من كثرة حالات الانتحار في المجتمع الغربي، الخالي من السلوك والقيم، والمتشبع جنسيًا.

١٨. استغلّ اليهود نظرية التحليل النفسي لخدمة مخططاتهم، وتزييف الحقائق، وتمجيد اليهود، فمن ذلك ما استغلوه في موضوع معاداة السامية، وفرويد أقوال صريحة وواضحة في هذا المجال، وله تحليلات يزيّنّها وفق أهوائه الخاصة، وقد ذكرها في كتابه "موسى والتوحيد"^(٣).

وهناك توافق بين نظرية فرويد وبين نصوص البروتوكولات اليهودية^(٤)، فمن ذلك ما جاء في البروتوكول الأول: "وعلينا ونحن نضع خططنا ألا نلتفت إلى ما هو خير وأخلاقي، بقدر ما نلتفت إلى ما هو ضروري ومفيد"^(٥)، وكل ذلك تحت ستار العلم^(٦).

ومما سبق يتبين أن الفرويدية تأثرت كثيرًا بالفكر المادي، وأن فرويد أقام نظريته على تقديس الشهوة الجنسية، والانحراف بالإنسان نحو الحيوانية.

(١) النظم الإسلامية، أحمد نياض شويح، وآخرون، ص ١٢٢.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٢٩٩.

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣١٢-٣١٣.

(٤) انظر: مقارنة الأديان، اليهودية، أحمد شلبي، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٥) الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، ص ١١٤، ١١٦.

(٦) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٢/ ٨٢٨).

المطلب الثاني

المادية في نظرية الغريزة (الجبلة) والرد عليها

تُعد نظرية الغريزة من النظريات النفسية التي تستند إلى الفكر المادي، وتعتمد عليه، وقد كان وليم مكدوجل أحد المؤسسين لهذه النظرية، والداعمين لها، وهذا المطلب يعرض فيه الباحث التعريف بمؤسس النظرية الغريزية، وأفكارها، والرد عليها.

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية الغريزة (الجبلة):

١. اسمه ونشأته ووفاته: هو: العالم الانجليزي وليم مكدوجل William McDougale^(١)، ولد في إنجلترا عام ١٨٧١م، وتوفي في الولايات المتحدة الأمريكية، عام ١٩٣٨^(٢).

٢. حياته العلمية: اهتم بدراسة الطب، وعلم الأحياء، والأنثروبولوجيا، واتّجه إلى تدريس علم النفس عام ١٩٠٠م، في جامعتي لندن وإكسفورد، وذهب إلى أمريكا عام ١٩٢٠م، بعد الحرب العالمية الأولى، حيث عمل أستاذاً جامعياً فيها^(٣)؛ وكان سبب تركه للجامعة: الخلاف الذي وقع مع إدارتها؛ بسبب موقفها الراض لكل توجه نفسي سيكولوجي^(٤).

بدأ مكدوجل McDougale بحوثه العلمية بدراسة النشاط العصبي، ونشر كتاباً تحت عنوان: (علم النفس الفيسيولوجي) عام ١٩٠٥م، بالإضافة إلى مجموعة مقالات منها: طبيعة عملية الكف في الجهاز العصبي ١٩٠٣م، والعوامل السيكولوجية لعملية الانتباه ١٩٠٥م، غير أنه سرعان ما تحوّل إلى دراسة المسائل التي تندرج ضمن مادة علم النفس الاجتماعي؛ بسبب إهمال علماء النفس لها^(٥).

ويُعد مكدوجل من أوائل الذين عرّفوا علم النفس بأنه علم السلوك، حيث بدا له أن هذا التعريف ضيق محدود؛ ذلك أنه رأى أن سلوك الإنسان والحيوان تحت الظروف المختلفة من

(١) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٢) انظر: دراسات في الفكر السيكولوجي، صلاح عبد الحميد، ص ٢٧١.

(٣) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٣٧-٣٣٨.

(٤) انظر: دراسات في الفكر السيكولوجي، صلاح عبد الحميد، ص ٢٧١.

(٥) انظر: المرجع السابق.

الصحة والمرض هو موضوع علم النفس، وقد درس الفيسيولوجيا، وكان مُغرماً ومهتماً بالحيوانات، وكان يستعملها في بعض التجارب، ويرى أننا نعرف السلوك على أنه غرضي هادف، وليس ميكانيكياً^(١).

٣. مؤلفاته: من مؤلفاته: تخطيط علم النفس، مدخل إلى علم النفس الاجتماعي ١٩٠٨م، وموجز علم النفس ١٩٢٣م^(٢).

ثانياً: مجمل أفكار نظرية الغريزة (الجبلة) وعلاقتها بالإلحاد:

- ناصر مكدوجل ومثله فرويد نظرية الغريزة في علم النفس، والتي من أهم أفكارها:
١. ترى أن الإنسان عدواني بطبيعته^(٣)، وقد ألف مكدوجل "مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، وحظي كثيراً باهتمام علماء النفس، وأبرز أهمية علم النفس الاجتماعي في ميدان علم النفس بشكل عام^(٤).
 ٢. وقد كان مكدوجل يهدف من نظريته أن يصل إلى الأسس الأولى، أو المحركات الأولية للسلوك؛ إذ كان يستهدف الوصول إلى الرغبات والغايات الأولية للإنسان^(٥)، فجعل الغريزة هي الأساس الأول، الذي يشق منه سلوك الإنسان، على اختلاف أنواع هذا السلوك ومراتبه، وهذه النظرة تمثل نقطة تحول في علم النفس^(٦)، فكل كائن حي من وجهة نظر مكدوجل، يُولد وهو مزوّد بهذه الامكانيات الفرضية التي توجه سلوكه في الحياة، وكل فعل يقوم به الكائن الحي إنما يأتي نتيجه^(٧)، حيث يقول: "وفي كل صحيفة تقريباً قد يجد المرء أحداثاً وميولاً مهمة تُعزى إلى غريزة الناس"^(٨)، ويقول أيضاً: "الإجراء الغريزي يتم تنفيذه

(١) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٣٨.

(٢) انظر: صراع مع الملاحظة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٢٣١. كواشف زيوف، الميداني،

ص ٣٠٨. دراسات في الفكر السيكولوجي، صلاح عبد الحميد، ص ٢٧١.

(٣) انظر: السلوك العدواني لدى طلبة المرحلة الإعدادية، زينة أكرم شهيد، ص ٣٦.

(٤) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ١٤.

(٥) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ١٦.

(٦) انظر: مبادئ التحليل النفسي، محمد فؤاد جلال، ص ١٤.

(٧) انظر: سيكولوجية الطفولة، كامل محمد عويضة، ص ١٧-١٨.

(٨) The Group Mind A Sketch Of The Principles Of Collective Psychology, William McDougall, P35.

بدون خبرة سابقة في الموضوع ؛ لأنه فقط عندما تُمارس غريزة لأول مرة من قبل أي مخلوق يكون الفعل قبل التجربة" (١).

٣. الغريزة في عُرف مكدوجل: "استعداد نفسي، جسمي، موروث، يجعل الشخص يدرك بعض الأشياء المعينة، ثم يخبر عن إدراكه بنوع معين من الاستثارة الانفعالية، ثم يسلك إزاءها على نحو معين، يخبر في نفسه على الأقل نزعة تدعوه إلى أن يسلك هذا السلوك" (٢).

والغريزة عنده استعداد فطري، يشترك فيه أفراد النوع الواحد، وهي خاضعة لهيمنة العقل، كما أنها تتميز بأنها تجعلنا نلتفت إلى أشياء معينة (٣)، وهي تختلف عن الأفعال المنعكسة كاستجابات فطرية منفردة، كحركة بؤبؤ العين، ودقات القلب وإغماض الجفن (٤).

٤. يرى مكدوجل أن الجبلات (الغرائز) التي تعمل في فطرة الإنسان هي التي توجد في الحيوانات، وأن منبع جميع أعمال الإنسان وحركاته هي الجبلات (٥)، فهي استعداد فطري نفسي، يدفع الكائن الحي لسلوك خاص في موقف معين، وإلى الانتباه لمثير معين، بحيث يدركه، ومن ثم يشعر بانفعال خاص عند إدراكه، وعليه فهو يقوم بسلوك يتناسب مع هذا الإدراك (٦)، وعلى الرغم من أن مكدوجل ذهب إلى أن الغرائز موروثة، إلا أنه لم يقلل من أهمية الاكتساب، فهو يرى أن الغريزة يمكن أن تتعدل في كل من جانبيها الإدراكي والنزوعي (٧).

٥. اعتبر مكدوجل أن "الحياة النفسية التي تعتمد على الغرائز وحدها تكون حياة مضطربة، ليس فيها وحدة، ولا استمرار، وإنما يتراوح فيها الشخص بين النقاؤس تراوحيًا دائمًا" (٨).

(١) An Introduction To Social Psychology, William McDougall, P303.

(٢) الدافعية والانفعال، موراي ادوارد، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، محمد عثمان نجاتي، ص ٩٧. انظر: محاضرات وتمارين تمهيدية في علم النفس، لويس مليكة، ص ٤١.

(٣) انظر: مقدمة في علم النفس، نبيهة السامرائي، عثمان أميم، ص ٥٤-٥٦.

(٤) انظر: اتجاهات نظرية في الارشاد، عصام نجيب الفقهاء، ص ٤٢.

(٥) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحلیم عويس، ص ١٣٩.

(٦) انظر: عصر الإلحاد، خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحلیم عويس، ص ١٤٠.

(٧) انظر: سيكولوجية الطفولة، كامل محمد عويضة، ص ١٩.

(٨) مبادئ التحليل النفسي، محمد فؤاد جلال، ص ١٧.

٦. يرى مكدوجل أن كل جِبلة غريزية تنمو في العضو الإنساني بالتدريج، ويمكن أن تظهر الجبلة في صورة ناقصة جزئية، قبل أن تصل إلى درجة الكمال، ويجعل للغريزة قسمين: الإيجابي، وتدخل فيه جميع الجبلات التي تجذب إلى الأشياء التي يتوقف عليها بقاء الحياة وقيامها، والسلبى، وهي التي تنفر وتبعد عن الأشياء التي تضر بالحياة^(١).

والقائلون بنظرية الجبلة لم يفرّقوا بين الإنسانية والجبلة الحيوانية؛ بل إن مكدوجل يبيّن لنا اتصالاً بين جعل الإنسان صنفين، فمنه الإنسان الطبيعي البدائي، الذي دخل في مرحلة الإنسان متطوراً من الحيوان الأعلى، ولم تؤثر فيه العادات والتقاليد الإنسانية، وفي مقابل ذلك هناك إنسان صناعي، تجمّعت فيه العقائد، والأحاسيس، والأفكار، والعلوم التقليدية^(٢).

٧. من مصادر التأثير في نظرية مكدوجل: نظرية دارون، حيث كان لها أثرٌ في ربط الإنسان بسلسلة نشوء الحيوانات، حيث جعلت مكانه في أعلى سلم التطور؛ فكانت دافعاً لمكدوجل وغيره من علماء النفس لدراسة سلوك الحيوانات الدنيا؛ لإلقاء الضوء على سلوك الإنسان^(٣)؛ ولذا فقد استعان بدراسة سلوك الحيوان في فهم النزعات الأولى للإنسان؛ وذلك تمثيلاً مع نظرية التطور التي لا تصنع حدّاً فاصلاً بين الطبيعة الإنسانية والطبيعة الحيوانية^(٤)، وهذا يشير إلى أن نظرية الغريزة قائمة على أن الإنسان صورة متطورة للحيوان؛ مما يلزم منه تحقق المماثلة بين غريزتي الإنسان والحيوان^(٥).

٨. لم يزل مكدوجل يبحث عن الوسائل التي يتعدل بها السلوك، ويدرس الغرائز مفردة ومجموعة حتى وضعها في قائمة^(٦)، لكل غريزة انفعال خاص بها^(٧)، فذكر أنها اثنتا عشرة غريزة، ثم ثماني عشرة غريزة، وانتهى به الأمر إلى الاقتصار على سبع غرائز أساسية هي: الهرب وانفعاله الخوف، حب الاستطلاع وانفعاله التعجب، الوالدية وانفعالها الخنو، الاستغاثة

(١) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحلیم عويس، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحلیم عويس، ص ١٤٢.

(٣) انظر: الدراسة العلمية لسلوك الاجتماعي نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ١٥.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٦.

(٥) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحلیم عويس، ص ١٤٤.

(٦) انظر: الدراسة العلمية لسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٢٠-٢١.

(٧) انظر: مبادئ التحليل النفسي، محمد فؤاد جلال، ص ١٥.

وانفعالها الشعور بالضعف، المقاتلة وانفعالها الغضب، النفور وانفعالها الاشمئزاز، السيطرة وانفعاله الزهُو^(١).

٩. اعتنق علماء مدرسة التحليل النفسي نظرية الطاقة، وهي تتصل إلى حد ما بنظرية الغرائز، حيث رأى علماء التحليل النفسي أن الدوافع هي نوع من الطاقة الحيوية، أو قوى داخلية تحرك الفرد، وتدفعه إلى النشاط^(٢).

ولقد لقيت القصدية غيرة من قبل علماء الاجتماع، حيث مالوا إلى الاعتقاد بأن الدوافع، واللغات، والعادات، وأساليب السلوك، والاعتقادات هي أمور ترجع إلى البيئة الاجتماعية^(٣).

١٠. تعتقد نظرية الجبلة أن الدين وليد عواطف عديدة، وهو من اختراع الإنسان، قد نشأ بطريقة التقديس، الرهبة، والحيرة، وليس هو من أصول الفطرة الإنسانية، ولا أنه غريزة مستقلة^(٤).

وعن الصلة بين الروح والجسم، يقول مكدوجل: "إنه فيما يتعلق بالصلة بين الفرد والمادة أو الروح والجسم، فلقد حاولتُ مجرد أن توجد في الطالب قدرة على النظر في أصل المسألة بقلب مفتوح، ويبدو أنني لم أوفق كثيراً، مع أن هذا ضروري لعلم النفس، ولل فلسفة كليهما"^(٥).

ثالثاً: الرد على نظرية الغريزة (الجبلة):

١. إن الدوافع موجودة في الإنسان، ولا يمكن إنكارها، وهي مفهوم فرضي، يدل على حالة الإثارة الملحة الناتجة عن وجود نقص فسيولوجي أو نفسي، فتدفع الكائن إلى بذل الجهد؛ من أجل سدّ النقص وإشباع الحاجة^(٦).

(١) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٤٠-٣٤٢.

(٢) انظر: علم النفس العام، نبيل الزهار، ص ٩٧.

(٣) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٤٦.

(٤) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد نقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحليم عويس، ص ١٤٦.

(٥) أسس علم النفس، مكدوجل، ص ٦١٥.

(٦) انظر: التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد توفيق، ص ٤٩٤.

٢. إن السلوك وحدة ترمي إلى تحقيق أغراض معينة، وأهداف يسعى إليها الإنسان، أما أن يُنظر إليه من حيث تحليله إلى عناصره الأولية، أو من الناحية الوظيفية فاقصر خاطئ^(١).

٣. أغفل مكدوجل الفطرة السوية، واقتصر على الجبلة والغرائز، وهذا مخالف للشرع، والنظر، والفكر، فحياة الإنسان لا تقوم على المادة أو القول فقط، وإلا أصبح في مرتبة الحيوان^(٢).

٤. كان مكدوجل يطمح إلى إقامة نظرية سيكولوجية جديدة، تضع مبادئ علم النفس في خدمة العلوم المتاحة له، ولكنه لم يلقَ قبولاً من علماء النفس والاجتماع والاقتصاد، إلا من قلة قليلة، فأقروا أن الغرائز توجه سلوك الإنسان في المرحلة الأولى من حياته، ولكن دورها ينحسر أمام ظهور الوعي، وتشكّل الدوافع التي يكتسبها الفرد في مجرى تفاعله مع محيطه الاجتماعي^(٣).

٥. إن هذه النظرية، ومعها نظرية فرويد تشتركان في صرف الاهتمام عن المفاهيم العقلية للإنسان، وتجعلانه خاضعاً لقوى لا شعورية ولا عقلانية؛ مما ينفي عنه الاختيار في أفعاله^(٤).

كما أن فكرته تتنافى مع فكرة التغيير أو التعديل أو التطوير؛ لأن جعل السبب أو المحرك للسلوك غريزي يعني يجعل هذا السبب بعيداً عن متناول البحث العلمي، حيث إنه يصور الانفعال ثابتاً لا يتغير^(٥)، فوصف السلوك بأنه غرضي بشكل نهائي، يجعله فوق مستوى البحث والتجريب، ومن ثم تخرج النظرية عن نطاق التفكير العلمي^(٦)؛ لأن الانفعال يصبح - بناءً على ذلك - عديم التأثير بالنسبة للظاهرة السلوكية التي نقوم ببحثها، وبالذات من حيث تعديلها، في حين أننا نجد أن العلم الحديث يؤمن بأن الكون كله في تغيّر مستمر^(٧).

٦. إن من أكبر الانتقادات التي وُجّهت إلى نظرية الغرائز: وجود عدد يصعب حصره من الغرائز لتفسير العدد غير المتناهي من مظاهر السلوك؛ ولذلك اختلف علماء النفس في

(١) انظر: مدخل إلى علم النفس، كامل محمد عويضة، ص ٣٥-٣٦.

(٢) انظر: عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد نقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحليم عويس، ص ١٤٩.

(٣) انظر: دراسات في الفكر السيكولوجي، صلاح عبد الحميد، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٤) انظر: اتجاهات نظرية في الارشاد، عصام نجيب الفقهاء، ص ٤٢-٤٣.

(٥) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٢١.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٢٦.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢.

حصرتها^(١)، فضلاً عن أن كثيراً من الغرائز غير موجودة في واقع الأمر في بعض الثقافات البشرية كالعُدوانية مثلاً^(٢).

٧. إن ما قام به مكدوجل من تفسير للسلوك على أساس الغرائز الفطرية إنما هو تفسير غيبي، فلم يصنع شيئاً سوى أنه نظر إلى السلوك، ووصفه، ثم أتبع الوصف بالتقسيم أو التصنيف taxonomy، ووضع كل الأنماط المتماثلة في نظره في قسم مستقل، ثم أعطى لكل صنف اسم غريزة ما^(٣).

٨. لا يمكن لعدد الغرائز المفترضة لدى علماء النفس أن تكفي في تفسير سلوك الكائنات الحية، ففي بعض المواقف تتداخل الغرائز وتكثر، وكثير منها مكتسب، فضلاً عن اختلافهم في مفهوم كلمة الغريزة، وفشلهم في تفسيرها علمياً، فقد تُفسر أحياناً بأنماط السلوك المتشابهة، وأحياناً بالقوى الدافعة للسلوك، ففرويد مثلاً يرى أن الغرائز: قوى ديناميكية تتبع عن التركيب الفيسيولوجي للكائن الحي، وهي التي يصدر عنها جميع الظواهر النفسية، شعورية ولا شعورية، سوية ومرضية، إلى غير ذلك من المعاني، بينما يجب أن تكون المصطلحات العلمية محددة ومتفقاً عليها، فضلاً عن أننا لا نستطيع أن نفصل تماماً بين ما هو فطري، وما هو مكتسب؛ لأننا لا نستطيع أن نعزل إنساناً منذ الولادة لكي نثبت ما تقوله نظرية الغرائز^(٤).

٩. إن مكدوجل لم يقدم الأدلة التجريبية على صحة نظريته القصدية، حتى إنه لم يرتق عمادة الغرضية بعد مكدوجل أي عالم كبير من علماء النفس^(٥)، وقد انتقد كثير من المفكرين رأي مكدوجل في اعتقاده بوراثة السلوك المكتسب، سيما وأنه قد فشل في تقديم البراهين والأدلة التي تثبت هذه الناحية^(٦).

(١) فهي ٤٢ غريزة عند ثورندايك، و ٣٢ عند وليم جيمس، واثنان عند فرويد، وواحدة فقط عند ألفرد أدلر (أحد تلامذة فرويد المقربين)، وهي غريزة السيطرة. انظر: سيكولوجية الطفولة، كامل محمد عويضة، ص ٢٠-٢١.

(٢) انظر: اتجاهات نظرية في الارشاد، عصام نجيب الفقهاء، ص ٤٢-٤٣.

(٣) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٢٢.

(٤) انظر: سيكولوجية الطفولة، كامل محمد عويضة، ص ٢١-٢٢.

(٥) انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٥١.

(٦) انظر: موقع كلية التربية للعلوم الانسانية المدرسة الغرضية، جؤذر حمزة كاظم الفتلاوي، جامعة بابل، تاريخ الاطلاع: ١٥ أبريل ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3oFFR2i>)، ٣ مارس ٢٠١٩م.

١٠. انتقد علماء الاجتماع نظرية مكدوجل، وكان تركيز معارضتهم على عدم أهمية الغريزة بالنسبة للمجتمع، كما انتقدوا علماء النفس في عدم اتقافهم على عدد الغرائز؛ مما أدى إلى الشك فيها^(١)، كما وجد علماء الاجتماع أن بعض سكان الجزر لا يهتمون بالنسب الأبوي للأطفال، مما يتنافى مع غريزة والديه، فالتبني بين هؤلاء الناس شائع، ولا يعرف الأطفال نسبهم الحقيقي^(٢).

١١. لم تفعل المدرسة الغرضية شيئاً، ولم تقدم شيئاً، سوى أنها وضعت السلوك الإنساني في أنماط متماثلة، وأعطت لكل غريزة انفعالها الخاص، ثم إن هناك أنماطاً سلوكية لا يصاحبها انفعال، مثل: تناول الطعام^(٣).

ومن كل هذا يبدو إذن أن مفهوم الغريزة بالصورة التي وضعها مكدوجل، وأكد فيها أهمية الثبات النسبي للسلوك تفسير لا يساعد على فهم الظواهر السلوكية، وتتضح من ذلك ضرورة أخذ المجتمع، وثقافته في الاعتبار إذا أردنا أن نفهم مغزى هذه الأنماط السلوكية، ونشأتها، وطرق تعديلها^(٤).

ومما سبق يتبين أن نظرية الغريزة تعد الأساس الأول في السلوك الإنساني من وجهة نظر مكدوجل، وهي نظرية ترفض الدين وترده إلى مجموعة من العواطف، وهذا ما يمثل تأثراً واضحاً بالفكر المادي.

وتبين من خلال هذا المبحث أن هناك تشابهاً بين نظريتي فرويد ومكدوجل في علم النفس، وأن كليهما من النظريات الحديثة في علم النفس التي انحرفت بالإنسان نحو الفكر المادي، البعيد أن تفكير شرعي إنساني.

(١) كما برهن على ذلك برنارد لويس. انظر: تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، ص ٣٤٦.

(٢) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٢٦.

(٣) انظر: موقع كلية التربية للعلوم الانسانية المدرسة الغرضية، جؤدر حمزة كاظم الفتلاوي، جامعة بابل، تاريخ الاطلاع: ١٥ أبريل ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3oFFR2i>)، ٣ مارس ٢٠١٩م.

(٤) انظر: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، وآخرون، ص ٢٧.

المبحث الثاني
المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم
الاجتماع ونقضها

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: المادية في نظرية المذهب الوضعي والرد عليها.**
- المطلب الثاني: المادية في نظرية العقل الجمعي والرد عليها.**

المبحث الثاني

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الاجتماع ونقضها

ظهرت المادية بوضوح في ميدان علم الاجتماع، وذلك في نظريات كثيرة، وفي هذا المبحث بيان لأهم النظريات المتعلقة بعلم الاجتماع، وهي نظرية المذهب الوضعي، ونظرية العقل الجمعي.

المطلب الأول

المادية في نظرية المذهب الوضعي والرد عليها

يتمثل موضع الدراسة في هذا المطلب في أحد أوجه الفكر المادي الذي لا يهتم بالظواهر المدركة بالحس، والوقائع التي تثبتتها التجربة، وما بينها من علاقات أو قوانين^(١)، ورائد هذا المطلب هو أوجست كونت Auguste Conte، وهو فيلسوف أقرب من كونه عالم اجتماع^(٢)، حيث كان له أثر واضح في إحلال الفلسفة الوضعية، بديلاً عن الفلسفة الميتافيزيقية، وكان لهذا الإحلال أثر واضح في تكييف النظريات الفلسفية، وتغيير مصطلحاتها من الأسلوب الميتافيزيقي إلى الأسلوب الوضعي^(٣)، على الرغم من أنه أدان المادية؛ لأنها - على حد زعمه - تُنزل الأعلى إلى الأسفل^(٤).

(١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٧.

(٢) انظر: الدين والمجتمع ونظرية المعرفة، قراءات معاصرة في أعمال إيميل دوركهايم، تنسيق وتقديم، المشاركون: مجموعة من الباحثين، ص ١٤.

(٣) انظر: تاريخ التفكير الاجتماعي، عبد الهادي مجد والي، ص ٢٠٨.

(٤) انظر: فرنسا في القرن الثامن عشر، أوليفيه شالين، ص ٢٢٨.

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية المذهب الوضعي:

١. اسمه ونشأته: أوجست كونت Auguste Conte فيلسوف فرنسي، عاش ما بين عامي (١٧٩٨-١٨٥٧م)، وُلد في مدينة مونتبلييه Montpellier^(١) الفرنسية، في أسرة مسيحية، شديدة التعلق بالكاثوليكية^(٢)، رقيقة الحال^(٣).

ولما بلغ سن الرابعة عشرة من عمره أصبح يؤمن بمبادئ الدين، وكان تلميذًا ممتازًا في الرياضيات، فالتحق بمدرسة الهندسة ببوريس في السادسة عشرة من عمره؛ ولم يواصل دراسته فيها لظروف سياسية، كما أنه عكف على دراسة الفلسفة معتمدًا على كتب خاصة، لا سيما كتب هيوم Hume، وغيره من الفلاسفة وعلماء الاجتماع^(٤).

٢. حياته وعمله: وقد استهل كونت Conte حياته استهلالًا واضحًا بأن أصبح سكرتيرًا للكاتب سان سيمون San Simon^(٥) الذي كان يحلم بإقامة المدينة الفاضلة^(٦)، وذلك لخمس سنين ١٨١٧-١٨٢٢م^(٨)، وهو أحد دعاة المذهب الاشتراكي في القرن التاسع عشر، والذي اشتهر بأرائه ونزعتة في صالح العمال، وكان كونت Conte يميل إلى هذه الأفكار الثورية، فسرعان ما توطدت العلاقة بينه وبين سان سيمون San Simon، وخرج من حضرته وهو يلهج بالثناء عليه وعلى سعة فكره، وقد تركت هذه المقابلة في نفس سان

(١) مونتبلييه Montpellier : مدينة في جنوب فرنسا، وعاصمة محافظة هيرولت في جهة القسطنطينية. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٥ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3fM3Ytb>).

(٢) الكاثوليك: وهم أتباع البابا في روما، وأكثر الأوربيين الغربيين وشعوب أمريكا الجنوبية، وتسمى كنيستهم الكنيسة الغربية. انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ص ٣٧٤.

(٣) انظر: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ول ديوارنت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ص ٤٥٣ . معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٤٠.

(٤) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٥.

(٥) سان سيمون San Simon: فيلسوف فرنسي، وُلد في عام ١٧٦٠م، وتوفي في عام ١٨٢٥م. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣٢٩.

(٦) المدينة الفاضلة: أحد أحلام أفلاطون، وهي مدينة تمتد أن يحكمها الفلاسفة؛ وذلك ظنًا منه أنهم لحكمتهم سوف يجعلون كل شيء في هذه المدينة معيارياً، وبناءً عليه ستكون فاضلة. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٥ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3fdYAjl>).

(٧) انظر: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ول ديوارنت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ص ٤٥٣.

(٨) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢١٥.

سيمون نفس الأثر^(١)، واتفقا على الاشتغال معاً بالعلم والسياسة، إلا أنهما اختلفا في الشغف والإقبال، فكان سان سيمون San Simon مشغولاً بالسياسة، وذا بصر نافذ فيها، وأما أوجست كونت Auguste Conte فقد كان شغوفاً بالعلم، وغير مهتم بالأمور السياسية^(٢). وبعد ذلك "بدأ بتحرير (موسوعة العلوم الواقعية)، وإلقاء المحاضرات فيها، سنة ١٨٢٦م، فأقبل على الاستماع إليه جمهور من العلماء"^(٣)، حيث مزج فلسفته الوضعية واللاهوتية بفلسفة العلوم^(٤).

وبعد أن ألقى ثلاث محاضرات انتابته أزمة عقلية، فغئيت به زوجته، حتى عاد إليه أثرانه العقلي، فاستأنف محاضراته في سنة ١٨٢٩م^(٥)، فأخذ يتابع دروسه في الفلسفة الوضعية، وكان يتردد على سماعها كثير من علماء النفس، وعلماء الطبيعة في ذلك الوقت، وبعد ذلك بدأت فصول المأساة العاطفية التي تركت أثراً عميقاً في حياته، حيث التقى في منزل أحد تلاميذه القدماء بسيدة^(٦) استرعت اهتمامه منذ اللحظة الأولى^(٧)، وكان ذلك سنة ١٨٤٤م، وتوفيت بعد سنتين، وكانت بمثابة شيطانه الذي يحرك هواجسه أثناء تحريره كتابه "مذاهب في السياسة الواقعية"^(٨).

ولكونت Conte نتاج فكري في فلسفة العلوم والرياضيات، وغير ذلك مما لا صلة له بالدين أو بالعقل الإنساني ومراحله، أو الطبيعة البشرية وما وقع لها أو مرّ بها، وهذا نتاج فكري له قيمته ووزنه عند المشتغلين به^(٩).

٣. مؤلفاته: ومن مؤلفاته: (مشروع الأعمال العلمية الضرورية لاعادة تنظيم المجتمع)، نشره عام ١٨٢٢م، (كلام عن مجمل الفلسفة الوضعية)، (أقيسة الفلسفة الوضعية السياسية "بحث فيه ما أسماه: ديانة الإنسانية)، (دروس في الفلسفة الواقعية) في ستة مجلدات،

(١) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٥.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٥ - ٤٠٦.

(٣) المرجع السابق، ص ٤٠٦.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢١٥.

(٥) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٦.

(٦) وتُدعى: كلوتيلدي Cloteldi Fu . انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٦-٨.

(٧) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٦-٨.

(٨) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٦ .

(٩) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢١٩.

(مذهب في السياسة الواقعية)، أو (كتاب في علم الاجتماع)، الذي وضع فيه ديانة الإنسانية، نُشر عام ١٨٥٤م، في أربعة مجلدات، واختصره في كتاب: (التعليم الديني الواقعي)^(١).

٤. وفاته: أُصيب كونت Conte بمرض عقلي، وانهار عصبياً، وحاول الانتحار بإلقاء نفسه في النهر^(٢)، حتى وافته المنية عام ١٨٥٧م^(٣)، وقد أوصى بالمكان الذي يُدفن فيه، وأوصى أن تُوضع على جانبي قبره لوحتان تذكاريتان: إحداها على يمينه، وتحمل اسم عشيقته، والأخرى على يساره، وتحمل اسم والدته، مثال الأم العطوف الوفية^(٤).

أسباب نشأة المذهب الوضعي:

١. جاء المذهب إثر الثورة الفرنسية التي أطاحت بالحكم الكنسي والنظام الاجتماعي القديم، فتملكت كونت Conte رغبة ملحة في الإصلاح والتعمير بعد الدمار الذي حاق بفرنسا بعد ثورتها المدمرة، ورأى كونت Conte أنه ينبغي على التفكير الفلسفي النظري أن يتجه إلى المشاكل الدينية والاجتماعية، وكان يهتم اهتماماً شديداً بالأمور الاجتماعية ثم العلم^(٥).

لقد حاول كونت Conte في نظريته السعي إلى تحقيق حالة من الاتساق العام في المجتمع، فالنظام لا يمكن أن يقوم إلا على أساس نوع من الاشتراك في الأفكار بين أولئك الذي يكونون المجتمع من حيث إن الاتساق العام هو الحقيقة الأساسية في النظام الاجتماعي^(٦)، فهو يعزي أسباب نظريته إلى ما آل إليه عصره من فساد الأخلاق، والتفكير وطرق الفهم^(٧).

(١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٦-٤٠٧.

(٢) انظر: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ول ديوارنت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ص ٤٥٣.

(٣) انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٤٠.

(٤) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ١٠.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢.

(٦) انظر: علم الاجتماع الفرنسي المعاصر، علياء شكري، ص ٥.

(٧) انظر: عبقریات ابن خلدون، علي عبد الواحد وافي، ص ٣١٢.

يقول كونت Conte: "تقدّم الفلسفة الوضعية الأساس المتين الوحيد لإعادة التنظيم الاجتماعي الذي يجب أن يحل محل الجو النقدي الذي تعيش فيه أغلب الدول المتحضرة الآن"^(١).

٢. كانت العقول مهيأة لتقبل الوضعية التي جاءت لتستعيد توازن المجتمع الذي لم تستطع أيّ من الاتجاهات الفكرية السائدة أن تحققه؛ ولذلك كان لها انتشار واسع في الوسط الغربي^(٢)؛ وعبر كثير من الفلاسفة عن مشاعرهم الوضعية إزاء الصراع الفكري والبنائي القائم^(٣)، وهذا التفكير الذي انطلق منه المذهب الوضعي أصبح من العوامل التي أدت لقيام الماركسية^(٤).

٣. فضلاً عن الافتتان بالعلم، والانصراف عن الدين، حيث انتشرت في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر النظريات الإلحادية، وكان كونت Conte ملحدًا، شديد الإلحاد، مفتونًا أشد ما يكون الافتتان بالعلم المادي وطرائقه، من الملاحظة، والتجربة، والفروض، والقوانين، وغير ذلك^(٥).

ثانيًا: مجمل أفكار نظرية المذهب الوضعي وعلاقتها بالإلحاد:

١. يُمثل المذهب الوضعي أحد الأطر المادية الحديثة، التي ترد كل شيء إلى الطبيعة، وتتكسر ما وراء الطبيعة من غيبيات، وتتكسر الدين والوحي، والحقائق المطلقة، والقيم الثابتة^(٦)، وهو ليس وليد القرن الثامن عشر، وإنما ظهر في العصور السابقة له عند اليونان وغيرهم، ولكنه في الوقت المعاصر طفا بقوة على سطح المجتمع الأوروبي^(٧).

(١) The Positive Philosophy, Auguste Comte. Translation: Harriet Martineau And John chapman, (1/14).

(٢) انظر: علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، أحمد زايد، ص ٧٤-٧٥.

(٣) كما قال مداي دي ستيل Maddie De Steel : "أنا لا أعرف بالضبط ما الشيء الذي يجب أن نعتقد فيه، ولكنني واثقة أننا يجب أن نعتقد في شيء ما". انظر: علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، أحمد زايد، ص ٧٢.

(٤) انظر: الفكر المادي الحديث ومقاومته بتطبيق الشريعة الإسلامية، أحمد قاسم أبو حشيش، ص ١٥.

(٥) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود محمد مزروعة ص ٢٢٨.

(٦) انظر: الفكر المادي الحديث ومقاومته بتطبيق الشريعة الإسلامية، أحمد قاسم أبو حشيش، ص ١٦.

(٧) انظر: الفلسفات الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها، إلهام محمد شاهين، ص ٦٥٧-٦٥٨.

ويُطلق على هذا المذهب اسم (المذهب الوضعي)، وكلمة الوضعية مشتقة من الكلمة اللاتينية (بوزيتيفوس)، والتي تعني إيجابي^(١)، وكان أول من استعملها سان سيمون، فقد اعتقد بمبدئٍ إيجابيٍّ وضعيٍّ، هو: "كل إنسان يحب أن يعمل"^(٢).

أراد كونت Conte أن يُضفي كلمة وضعي التي تدل على الرفض للمبادئ النقدية، حيث تحمل معنى البناء، والقدرة على خلق النظام الجديد من قلب الفوضى، حيث تناسب الفترة التاريخية الحالية، وادعى أنها حملت قمة التطور في الفكر الإنساني التي مرتّ بمرحلة التفكير اللاهوتي، أو الخيالي، ثم الميتافيزيقي المجرد، ثم التفكير الوضعي^(٣).

كما يُطلق عليه اسم (المذهب التجريبي)؛ لأن أنصارها يريدون لها أن تتخلى عن مهمة بناء المذاهب الميتافيزيقية وأن تدع للعلم التجريبي مهمة البحث في الظواهر التجريبية؛ لكي تقنع هي بتحليل اللغة، وإيضاح معرفتنا التجريبية، بترجمتها إلى قضايا تنصب على المضامين الحسية، فليس من شأن الفلسفة في نظرهم أن تتعدى التحليل المنطقي للمفاهيم والرموز العلمية؛ بل لا بد من أن تقف عند حدود المعطيات الحسية^(٤)، وهي تريد أن تجعل من المنهج التجريبي المستخدم في العلوم الطبيعية منهجًا للعلوم الاجتماعية والإنسانية كلها^(٥)، أي بجعل علم الاجتماع على غرار العلوم الطبيعية^(٦)؛ باعتباره منهجًا يقينياً، بخلاف اللاهوتي والميتافيزيقي^(٧).

ومن ذات الأسباب والدلائل جاءت تسميتها (بالفلسفة الواقعية)، وهي جملة القوانين المكتسبة فعلاً بالتجربة، وليست هي كل قوانين الوجود^(٨).

٢. لم يأخذ المذهب التجريبي مكانه في تاريخ الفلسفة - كمدسة - إلا على عهد كونت Conte، ومنذئذ عرف (بالمذهب الوضعي) Positivism، وهي الفلسفة التي لا تعتبر شيئاً ما حقيقياً وواقعياً إلا ذلك الموضوع الوضعي، الذي جاء أثراً لتجارب الحس، ويمكن مع

(١) انظر: مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، ترجمة وتأليف: عبد الرازق مسلم الماجد، ص ١٢٩-١٣٠.

(٢) مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ج. بنروبي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، ص ٩.

(٣) See: The Positive Philosophy, Auguste Comte. Translation: Harriet Martineau And John chapman, (1/14).

(٤) انظر: مشكلة الفلسفة، زكريا إبراهيم، ص ١١٠-١١١.

(٥) انظر: نماذج من الفكر المعاصر، سعد عبد العزيز حباتر، ص ٤٤.

(٦) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٢٣.

(٧) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ١٩.

(٨) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٤.

ذلك اختباره بالحس^(١)، فالفكر الإنساني لا يدرك سوى الظواهر الواقعية والمحسوسة، وما بينها من علاقات أو قوانين، والعلوم التجريبية هي المثل الأعلى لليقين، وعلى ذلك لا محل للبحث عن طبائع الأشياء، ولا عن عللها الغائية^(٢).

٣. يقوم مصطلح الوضعي عنده على عنصرين جوهريين، هما: الواقع والنافع، فالواقع هو الذي يوجد في العلم وحده، أما اللاهوت والميتافيزيقا فهما نظامان وهميان، وبذلك جعلت الوضعية العلم أساساً لها، كما نادى بتمييز الشيء النافع من غيره، فالمنفعة والواقع اصطلاحان يستغرقان مضمون المصطلح المسمى وضعي^(٣).

٤. يردُّ كونت Conte الدين بشكل عام إلى عوامل اجتماعية، وله أشكال عند أنصاره، أمثال: سان سيمون San Simon، ودوركايم Dorkaim^(٤)، وغيرهم^(٥)، فقد أعلنت الفلسفة الوضعية أن الدين طُور مختلف من أطوار الفكر البشري، وكذلك الميتافيزيقا، وأن العلم هو الذي سوف يحل محلها بحكم قانون التطور، وتكاثر بعد ذلك أو حول ذلك المذاهب المادية، التي ترتدي مسوح العلم، منكرة للدين مدعية أنها تستغني عنه بالعلم^(٦).

وهنا تتجلى وضعيته في تأكيده على ضرورة أن ينحصر العلم في دراسة الظواهر العينية، ورفض البحث في العلل الأولى، ورفض الدين، وما بعد الطبيعة^(٧)؛ لأنه يعد البحث فيما وراء الطبيعة من الخرافات^(٨).

وكان كونت Count يسعى إلى أن يؤسس علم الاجتماع، أو علم الطبيعة الاجتماعية، حيث سيقضي هذا العلم على اللاهوت والميتافيزيقا، ويسير الانتقال من العلم الوضعي إلى الفلسفة الوضعية، فتتحقق بذلك وحدة العقل؛ فيؤدي ذلك إلى الانسجام الخلقي والديني للإنسانية^(٩)، حيث إن التفسيرات اللاهوتية والميتافيزيقية ستلاشى بالتدرج مع تقدم الإنسان في الدراسة الوضعية للظواهر، فالمعرفة الحقيقية تنصب على الظواهر وقوانينها، وفي

(١) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي محمد البهي، ص ٢٣٥.

(٢) انظر: المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، ص ٢١٤.

(٣) انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٤١-٤٢.

(٤) سيأتي الحديث عنه بالتفصيل في المبحث الثاني من الفصل الثاني إن شاء الله تعالى.

(٥) انظر: علم الاجتماع الديني، زيدان عبد الباقي، ص ٩٥.

(٦) انظر: في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٦.

(٧) انظر: تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات، محمد عثمان الخشت، ص ٧٨.

(٨) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزرودة، ص ٢٢٠.

(٩) انظر: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، مصطفى حلمي، ص ١٧.

جملة القول ستصبح الفلسفة وضعية بالضرورة متى أصبح العلم بأسره وضعياً^(١)، وسوف تبقى القضايا العلمية المثبتة بالحس والخبرة الحسية، أو بالأدلة القطعية والوضعية، وفي ذلك العصر سوف يُمحي الدين من سماحة المجتمعات البشرية^(٢).

وفلسفة أوجست كونت Auguste Conte تهاجم الغيبيات، وتكره الإيمان كراهة عميقة، وتسعى للقضاء على فكرة الأديان^(٣)، وترى أن المجتمع في حاجة إلى مجموعة من العقائد المنظمة التي يتفق عليها الأفراد جميعاً بعيداً عن الإيمان^(٤).

ويستخدم كونت Conte لفظ ميتافيزيقي بمعنى: نمط خاص من تفسير الظواهر، مثل فرضية الأثير لتفسير الظواهر الصوتية، وفرضية الروح في علم النفس، وبالتالي فالتفسير الميتافيزيقي هو التفسير المجرد^(٥).

وبنى كونت Conte مذهبه على "أن العقل النظري الذي يقم تفكيره على الأوليات التي تسبق كل تجربة عاجز عن الوصول إلى معرفة ذات قيمة؛ لأن المعرفة الوضعية التجريبية هي وحدها المعرفة التي علينا أن نعترف بقيمتها، وذهب كونت Conte إلى أن التفكير الميتافيزيقي يمثل مرحلة من مراحل التفكير انقضى عهدا"^(٦)، حيث إنها "تمثل شباب الذات الإنسانية بعدما خرجت من طفولتها، وعندما وصلت إلى رجولتها"^(٧).

وبذلك استبعد أساليب التفكير الميتافيزيقية واللاهوتية، واستبدل مناهج التفكير العملي، كما فعل العلماء الطبيعيون، واتجه إلى وضع قوانين تفسر الظواهر الأخلاقية؛ توطئة للسيطرة عليها؛ والإفادة منها، لم يقنع بمذهب المنفعة والعاطفة^(٨).

٥. رأى كونت Conte أنه لا يمكن قيام أخلاق مطلقة ثابتة، وأن موقف الإنسان إزاء الظواهر الأخلاقية لا بد أن يتغير من مرحلة إلى أخرى، وما دامت الإنسانية في تقدم مستمر، فإن هذه القوانين لا بد أن تتغير أولاً، ثم لا بد لها أن تُسائر التطور، ويكون نصيبها التطور المستمر والإصلاح المطرد؛ ولأن وجود الجنس الإنساني يعتمد إلى درجة كبيرة على عدد

(١) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد مجد بدوي، ص ٣١.

(٢) انظر: البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، شارلين هس، باتريشيا ليفي، ترجمة: هناء الجوهري، ص ٥٧.

(٣) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ١٧-١٨.

(٤) انظر: تاريخ التفكير الاجتماعي، عبد الهادي مجد والي، ص ٢٠٦.

(٥) انظر: العقل الوضعي عند أوجست كونت، الطاهر مولف، ص ١٠٧.

(٦) مقدمة في الفلسفة العامة، يحيى هويدي، ص ٨٧-٨٨.

(٧) كونت، الفلسفة والعلوم، بيار ماشيري، ترجمة: سامي أدهم، ص ٣٥.

(٨) انظر: الفلسفة الخلقية، توفيق الطويل، ص ٢٦٤.

كبير جدًا من الظروف الطبيعية، والفلكية، والبيولوجية، والاجتماعية، وإذا كانت هذه الظروف تتغير باستمرار أيضًا، ولا تبقى على وتيرة واحدة، فلا يمكن أن تستقر أخلاقنا، ويجب أن تتغير باستمرار أيضًا، فهي إذا نسبية مع مركزنا ومع تكويننا^(١).

ورأى كونت Conte أن من العبث البحث عن أسس للأخلاق في الديانة المسيحية؛ لعجزها - في رأيه - عن متابعة العلم، وأخذ يبحث عن أساس جديد ليقوم عليه الأخلاق والدين وهو العلم الوضعي، ورأى أنه ينبغي على التفكير الفلسفي النظري أن يتجه إلى المشاكل الدينية والاجتماعية، وكان يهتم اهتمامًا شديدًا بالأمور الاجتماعية، ثم العلم، فالخدمة التي ينتظرها كونت Conte من الفلسفة هي أن تضع قواعد المجتمع الحديث بناءً على أساس عقلي^(٢). والأخلاق تقوم على العلم الوضعي، وتحقق صفاته، فهي حقيقية تقوم على الملاحظة، لا على الخيال، وتتنظر للإنسان كما هو كائن بالفعل، لا على النحو الذي يتخيل أن يوجد عليه، أي يجب أن تقوم على الواقعية^(٣)، وبذلك جعل كونت Conte الأخلاق فرعًا من فروع علم الاجتماع^(٤).

ويرى أنه يلزم أن تتغلب النزعة الاجتماعية على الشخصية الفردية، ومع تغلبها توجد الميول والمودة والغيرية، فإذا تقرر ذلك ظهرت الأخلاق^(٥).

معنى ذلك: أن عواطف المودة بين الناس تتسبب في نشأة الحاسة الخلقية، وكما يحدث ذلك لدى كثير من الحيوانات، فهي عواطف تلقائية، تتحول إلى حالات وجدانية عائلية واجتماعية، فالأخلاق غريزية؛ طبقًا لجذورها الحيوانية، وتصبح عقلية في تطورها الإنساني^(٦).

٦. تعتمد فلسفة كونت Conte في تصنيف العلوم وترتيبها وفق مبدأ عقلي، فهو يقوم على مبادئ، وليس مجرد تعداد للعلوم القائمة في عصره؛ بل محاولة جادة لترتيب العلوم؛ تبعًا لمبادئ معرفية، ومن بينها: الدور المعرفي الذي يكون لأي علم من العلوم ضمن النسق العام للمعارف؛ ونتيجة لهذه الاعتبارات المعرفية، فهو لا يدمج جميع المعارف في

(١) انظر: أوجست كونت، مصطفى الخشاب، ص ١٢٦.

(٢) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٢-٣.

(٣) انظر: الفلسفة الحديثة عرض ونقد، أحمد السيد علي رمضان، ص ٥٠٣.

(٤) انظر: الفلسفة الأخلاقية نشأتها وتطورها، توفيق الطويل، ص ٢٦٧.

(٥) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٣١٠.

التصنيف، وبالتالي ليست كل معرفة قائمة علمًا؛ لأنها لا تصبح كذلك إلا إذا بلغت المرحلة الوضعية من تطورها^(١).

ونظر كونت Conte إلى العلوم الواقعية، فظهر له منها ستة علوم أساسية مكتسبة بالاستقراء، وهي مرتبة من أكثرها بساطة وكلية، إلى أكثرها تركيبًا وتعقيدًا وهي: علم الرياضيات، فعلم الفلك، فعلم الطبيعة، فعلم الكيمياء، فعلم الأحياء، فعلم الاجتماع الإنساني، وهو أكثر العلوم تركيبًا وأقلها كلية^(٢)؛ فكان بذلك علم الاجتماع رأس العلوم كلها وذروتها، ولا تبرير لوجود العلوم الأخرى إلا بمقدار ما تمدنا من توضيح وشرح لعلم الاجتماع^(٣).

تصور كونت Conte علم الاجتماع على غير التصورات والتأملات الفلسفية التي يعدها متناقضة ومغشوشة^(٤)، وتزعم نسقًا معرفيًا جديدًا فيه، يعتمد على رؤية علمية وضعية، يتم تطبيق المناهج العلمية في دراسة المجتمعات، ويُدرس كما تدرس العلوم الطبيعية كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء، عبر استخدام الملاحظة والتجريب، وفصله عن الميتافيزيقيا بشكل كامل، وغير ذلك من الأدوات^(٥).

كما يُستخدم التاريخ، وتُستخدم المقارنة في التعاطي مع الظواهر الاجتماعية^(٦)، حيث يتم الحصول على نتائج مترابطة ومتجمعة؛ نتيجة استخدام العقل وممارسته^(٧).

ومن هنا فإن المذهب الوضعي يجزم بأن إنتاج المعرفة عن المجتمع ممكنة، وذلك إذا ما اعتمد على الدلائل التجريبية المُستقاة من الملاحظة، والمقارنة، والتجريب^(٨)، فهو يدرس المجتمعات من الناحية الموضوعية والطبيعية، ويعتمد على ملاحظة الظواهر العقلية والأخلاقية التي بها تتكون الجماعات الإنسانية وتترقى، وقد أطلق عليه اسم (الفيزياء الاجتماعية)، أو (العلم الاجتماعي الطبيعي)^(٩)، وهو علم يتخذ من الظواهر الاجتماعية موضوعًا للدراسة؛ باعتبار هذه الظواهر من روح الظواهر العلمية، والطبيعية، والكيميائية، والفيسيولوجية، نفسها من

(١) انظر: ما هي الابستولوجيا، أوقيدي محمد، ص ١٢٦.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٤.

(٣) انظر: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ول ديوارنت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ص ٤٥٤.

(٤) انظر: تاريخ علم الاجتماع، جاستون بوتول، ترجمة وتعليق: غنيم عبدون، ص ٧٢.

(٥) انظر: علم الاجتماع الاتجاهات النظرية وأساليب البحث، تقديم وترجمة: عبد الله شلبي، ص ٨٩.

(٦) انظر: أسس علم الاجتماع، جميل حمداوي، ص ٧٩.

(٧) انظر: نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، نيقولا تيماشيف، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، ص ٣١.

(٨) انظر: علم الاجتماع مع مدخلات عربية، أنتوني غِدْنَر، ترجمة وتقديم: فايز الصياغ، ص ٦٢.

(٩) انظر: أوجست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث، فاروق عبد المعطي، ص ٨-٩.

حيث كونها موضوعًا للقوانين الثابتة^(١)، من حيث إنها يمكن أن تخضع لقوانين عامة؛ بل إنها أكثر تفرّدًا، وأشدّ تعقيدًا من الظواهر التي تدرسها العلوم الأخرى، وذلك بعد أن أهملت الظواهر الاجتماعية من قبل العلوم الموجودة في عصر كونت Conte على حد زعمه^(٢).

أما عن علم النفس، فيرى بعض الباحثين أنه داخل ضمنًا في علم الأحياء^(٣)، وبعضهم يرى أن كونت Conte كان يعتقد أن تفسير الظاهرة النفسية يرجع إلى كل من علمي الحياة والاجتماع^(٤).

وقد وقف كونت Conte ضد أي محاولة تاريخية صرفة في دراسة العمليات الاجتماعية، حيث يرى أن التاريخ يزودنا بركام من الملاحظات، ولكنه لا يقدم لنا النظريات^(٥)، كما أن الأدباء والمؤرخين غريباء عن فكرة هذا العلم^(٦).

إن كونت Conte يسعى إلى إنشاء علم عام للمجتمع، ولقد اعتبر دراسته المطولة عن السياسة الوضعية دراسة في علم الاجتماع، أو أنها تلخيص لعلم دراسة المجتمع الجديد، ومبادئ هذا المذهب الوضعي لن تجعلنا بحاجة إلى الاعتماد على الديانات التاريخية، فالمبادئ الوضعية يجب أن تحل محل المسيحية التقليدية^(٧).

وينقسم علم الاجتماع عند كونت Conte إلى قسمين هما: الأول: الديناميك الاجتماعي، ويدرس الاجتماع الإنساني في جملته، وفي تطوره؛ للكشف عن القوانين التي يسير عليها الاجتماع الإنساني في تطوره، والتي يطلق عليها التغيير الاجتماعي؛ وذلك باعتبار أن القيم والأخلاق متغيرة بناءً على التقدم العلمي، والثاني: الاستاتيكا الاجتماعي: ويدرس الاجتماع الإنساني في تفاصيله بشكل استقراري لا تطوري؛ لشرح أجزاء وعناصر الظواهر الاجتماعية^(٨).

(١) انظر: التفكير الاجتماعي: دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، أحمد الخشاب، ص ٥٤٥.

(٢) See: The Positive Philosophy, Auguste Comte. Translation: Harriet Martineau And John chapman, (1/7).

(٣) انظر: الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي، كميل الحاج، ص ٤٧٥.

(٤) انظر: نظريات ومذاهب اجتماعية، السيد محمد بدوي، ص ١٨٧.

(٥) انظر: عصر الايديولوجية، هنري ايكن، ترجمة: محي الدين صبحي، ص ٨٨.

(٦) انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٤٢.

(٧) See: The Soclological Tradition, Robert Nisbet, P84.

(٨) انظر: مدخل إلى علم الاجتماع، خالد حامد، ص ٧٢-٧٣.

٧. مبادئ الوضعية:

تقوم أبحاث كونت Conte على ثلاثة مبادئ رئيسية:
أ. أن كل عمل عقلائي وفعال يُفترض أن العلم هو موضوعه، وأن أي مجتمع لا يكون مستقرًا وقويًا إلا إذا كانت أخلاقه واحدة.

ب. أن هذا لا يمكن أن يتحقق إلا بتكوين مذهب أو منظومة عقدية عامة في مبادئها الرئاسية لكل المواطنين، وتكوين سلطة روحية لتوحيد المذهب، وهو بذلك يجعل حل المشكلة السياسية من وظيفة الفلسفة الوضعية.

ت. أن هناك مبدأ ثالث يأتي لتنظيم المبدأين الآخرين بإخضاع الثاني للأول، هذا المبدأ هو القانون الشهير بقانون الحالات الثلاث، لإعلان المراحل الضرورية لتطور العقل البشري^(١).

٨. قانون الحالات الثلاث (مراحل تطور العقل البشري والتفكير الإنساني):

يذهب الفيلسوف الفرنسي أوجست كونت Auguste Conte إلى أن تاريخ تطور الفكر الإنساني ينقسم إلى ثلاث مراحل: اللاهوتية والميتافيزيقية والوضعية^(٢)، وأن البشرية مرت بها عبر تاريخها الطويل، وهي مراحل متتابعة ومتوالية، أطلق عليها (قانون التقدم الإنساني)^(٣)، مفترضًا أن تاريخ العالم يسير قدمًا إلى الأمام، وأن المرحلة القادمة أرقى من الحالية أو السابقة، ويتأثر ذلك ظهر مصطلح إنسان القرن العشرين، وكأنَّ معيار التقدم والتأخر يُقاس بالسابق واللاحق^(٤)، فهو يبين لنا كيفية تشكيل المعرفة الإنسانية المعاصرة مرحلة متطورة من مراحل تطور المعرفة الإنسانية، فهي وليدة شروط موضوعية وتاريخية^(٥)، وينظر كونت Conte إلى قانون الحالات الثلاث على أنه قانون ثبتت صحته، وتيقن منه دون أدنى شك^(٦).

أ. الحالة اللاهوتية:

ويقصد كونت Conte بكلمة لاهوتي: خرافي، أو خيالي، أو أسطوري، حيث يعزو المرء إلى الآلهة رغبات وتصرفات إنسانية، ويرجع إليها في تفسير أسباب الظواهر^(٧)، حيث

(١) انظر: العقل الوضعي عند أوجست كونت، الطاهر مولف، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) انظر: الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، ص ١٠. فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٣٥.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٢٠.

(٤) انظر: السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، مصطفى حلمي، ص ١٠.

(٥) انظر: المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، إبراهيم إبراش، ص ٢٢-٢٣.

(٦) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٦١.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ٥٣.

تقدم الآلهة مبدأ التفسير والفعل للإنسان^(١)، وفيها يحاول العقل البشري البحث عن كنه الكائنات، وأصلها، ومصيرها، محاولاً إرجاع كل طائفة من الظواهر إلى مبدأ مشترك بعقل^(٢).
فالحالة اللاهوتية كل اعتقاد بوجود إرادة فوق الطبيعة هي التي تسيّرهما، سواء كانت هذه الإرادة موزعة بين أرواح، أو آلهة كثيرين، أو راجعة إلى إله واحد، وأن الحالة الثابتة تلغي كل اعتقاد بالله وباللاهوت - أي تلغي الحالة الثانية والأولى-؛ بناءً على أن العلم بالظواهر الطبيعية وبأسبابها التي تعللها تعليلاً علمياً، أي مبناه العلم الطبيعي^(٣).
وهذا يعني أن أي تأييد لقوانين الأحوال الثلاث يتضمن تأييد القول بأن الإيمان بالله وبالدين من خصائص العقلية الأسطورية المقضي عليها بالانقراض، وفقاً لحتمية التطور على النحو الذي جاء به هذا القانون، ولا يمكن تصديق تظاهر المؤيدين بقولهم أن الحالة اللاهوتية يفهم منها التفكير الغيبي المحصور في نطاق أرواح الآباء والأجداد والشيطان^(٤).
وزعم كونت Conte أن الحالة اللاهوتية تدرجت وفق ثلاثة درجات: التصورات البدائية، الأولى: الفنتشية أو الفيتشية، وقصد بها الأشياء التي كانت الشعوب البدائية تعتبر أن لها قدرة سحرية، أو قدرة غيبية غير مدركة بالحواس، فهي كالأجسام والتمايم في الجاهلية^(٥).
ولعل كونت Conte يشير إلى ما ذهب إليه ملاحدة علم الاجتماع من أن نشأة التدين لدى الإنسان ترجع إلى بضع نظريات، منها ما يسمونه: غريزة الاستحياء، ويريدون بذلك نفس ما أشار إليه الفيلسوف من أن الإنسان الأول كان يستحيي الأشياء والظواهر، أي يرى أن لها نوعاً من الحياة، وأن لها قوى تؤثر بها في حياته، ومن ثم كان يعبدها^(٦).
والثانية: ثم كانت مرحلة تعدد الآلهة، في تطور العقل البشري، حيث أرجع العقل الظواهر الكونية إلى آثار لموجودات غير منظورة، وهي ذات عالم علوي، والآلهة في نظره علل خارجة عن الكون^(٧).

(١) انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٤٢.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣١٧.

(٣) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ١٧.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ١٧-١٨.

(٥) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٨.

(٦) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٢٢.

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٩.

والثالثة: هي التوحيد، أي: جمع الآلهة المتعددة في إله واحد، مفارق لكل الظواهر المادية الطبيعية، كظهور الدين النصراني والإسلامي على حد زعم كونت Conte^(١). وتتميز الحالة اللاهوتية، بخصائص نظرية، فموضوعها مطلق، وتفسيراتها فائقة، ومنهاجها خيالي، كما تتميز بخصائص عملية، فهي ذات أساس متين، مشترك للحياة الخلقية، والاجتماعية في الاجتماع الإنساني، ورغم أن الحالة اللاهوتية تمثل فترة الطفولة الإنسانية، ففي هذه المرحلة يقنع بالتغيرات اللاهوتية بسهولة^(٢).

ب. الحالة الميتافيزيقية :

يعتقد كونت Conte بوجود تضادٍ عميق جدًا بين كلِّ من الفلسفة اللاهوتية والفلسفة الوضعية، ولا يمكن لذكائنا أن يألف التغير المفاجئ، وبالتالي لا يتم الانتقال من الفلسفة اللاهوتية إلى الفلسفة الوضعية دفعة واحدة على الإطلاق؛ فتستخدم الحالة الميتافيزيقية كمرحلة انتقال^(٣).

وفي هذه الحالة تنوب مناب القوى الإلهية قوى مجردة ولا شخصية^(٤)، حيث صرف العقل عن تصويره العلل المتعددة، وكذلك العلة الواحدة، إذا كانت مفارقة للطبيعية، وجعل بدل ذلك عللاً ذاتية توهمها موجودة في باطن الأشياء الطبيعية من وراء المنظور منها، وهذه العلل ليست أكثر من معان مجردة جسمها له الخيال، مثل العلة الفاعلة، والقوة الحيوية^(٥)؛ لذا تبلغ هذه الحالة أوجها في مذهب وحدة الوجود، الذي يجمع في الطبيعة جميع القوى الميتافيزيقية، وكل الفرق بينها، أما الملاحظة فثانوية فيها جميعاً، والحالة الميتافيزيقية فترة انتقال وأداة انحلال^(٦)، وأن الاجتماع البشري ناتج عن التعاقد الاجتماعي^(٧)، ويزعم كونت Conte أن هذه المرحلة تمثل مرحلة الشباب عند الإنسان^(٨).

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٢٢.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٠٩-٤١٢.

(٣) انظر: فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، ص ٥٩.

(٤) انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٤٢.

(٥) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٠.

(٦) انظر: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (٢٧٣/٥).

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٠.

(٨) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٢.

ويلاحظ كونت Conte أن هذه الحالة الميتافيزيقية شبيهة بالحالة اللاهوتية، من حيث موقف العقل الإنساني منهما، حيث بدأ الإنسان يعتقد في التعدد، ثم انتهى بالتوحيد، مع اختلاف الموضوع في الحالتين^(١).

ومن الملاحظ أن كونت Conte لم يفسر نشأة الدين تفسيراً اجتماعياً، وإنما فسرها تفسيراً يدخل في إطار التفسيرات الحيوية؛ لأن الدين الأول عنده هو الاعتقاد في أن الأرواح تسكن الأشياء الطبيعية؛ وذلك حسب قانون المراحل الثلاث الذي قال به^(٢).

ت. الحالة الواقعية (الوضعية):

وهذه المرحلة من وجهة نظر كونت Conte تمثل سن النضج عند الإنسان^(٣)، وفيها يتخلص العقل من الأوهام التي خلفتها اللاهوتية والميتافيزيقية، ويصل إلى الحقائق المطلقة، وذلك بعد أن كان في مرحلة التجربة والملاحظة^(٤)، وهي حالة تعتمد على الوصف الاستقرائي للظواهر، والأحداث، ومعرفة القوانين الطبيعية الثابتة، ورفض العلل والأسباب الدينية والميتافيزيقية، ومن ثم ينتهي دور الدين على حد زعم كونت Conte^(٥).

ويعتقد كونت Conte أن النصر سيكون في آخر الأمر حليف التفكير الوضعي والفلسفة الوضعية؛ لأن كلاً من اللاهوت، والفلسفة الميتافيزيقية، قد استنفدت موضوعاتها، عندها تفتقد ما يبرر وجودها^(٦).

وبدأ كونت Conte يتقلب في آخر حياته يميناً وشمالاً، وكاد أن يرشح في النهاية دين الإسلام كدين وضعي للحالة الوضعية، وقال إنه لا يمكن لدين أن يتمشى مع الحالة الوضعية إلا الإسلام؛ لأنه دين عارٍ من حماقات، يتميز ببساطته وعقلنته، وبقدرته على إشباع رغبة البحث عن الإله^(٧).

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٢) انظر: العقل والوجود، يوسف كرم، ص ٨٤.

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٣.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٢٤.

(٥) See: Oxford Dictionary Of Philosophy, Simon Blackburn, P72.

محاولات فلسفية، عثمان أمين، ص ٨٠-٨١.

(٦) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٩-١٠.

(٧) انظر: د. رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي في حوار متواصل حول مشاكل العصر، خميس البكري، ص ٥٩.

ويمكن أن نفرق بين الحالات الثلاث، من بيان أن المجرد في الحالة الثانية يحل مع المشخص في الحالة الأولى، وأن الاستدلال الفكري في الحالة الثانية يحل محل الخيال في الحالة الأولى، كما يفرق أيضًا بأن الحالة الثالثة أفلحت في تكوين العلم، وأثرت في قيام علم الاجتماع، وهي تعتمد على الملاحظة للظواهر الكونية، بينما في الأولى فهي للخيال، وفي الثانية الاستدلال الفكري^(١).

ويمثل على الحالات الثلاث بحال الإنسان عندما عدّ النجوم آلهة، أو عربات للآلهة، ثم اعتقد أن النجوم تسير في دوائر؛ لأن الدائرة هي أكمل الأشياء، ثم أنزل علمه منزلة العلم الإيجابي اليقيني القائم على الملاحظة والفروض والتجربة، وأخذ يعلل الظواهر عن طريق قانونية العلة والمعلول^(٢).

ويكاد يكون مذهب كونت Conte مرسومًا على غرار مذهب كانط Kant؛ فإنه يبدأ بنقد العقل، وبيان نسبية المعرفة، وذلك باستعراض تاريخ العقل كما يتخيله هو، وليس بامتحان أفعال العقل ومعانيه ومبادئه، فقد يكون هذا لوثًا مما بعد الطبيعة^(٣).

٩. دين الإنسانية عند كونت Conte:

أ. دافعه في دينه الجديد:

يرى كونت Conte أنه كلما تقدمت الإنسانية فإنها تتخلص تدريجيًا من الفكر الديني؛ لذا دعا إلى دين وضعي، يضع فيه عبادة الإنسانية محل عبادة الله، حيث تكون الإنسانية هي موضوع العبادة، وحيث يعيش الإنسان من أجل الآخرين، لا من أجل إله شخصي^(٤)، فالدين كان في مرحلة منتهية في تاريخ الإنسانية^(٥)؛ وهو السبب الذي دفع كونت Conte إلى أن يعد مذهب الوضعي ديانة جديدة للإنسانية^(٦)، حيث سعى إلى إبطال الأديان، وتوفير المنافع التي كان الدين يحققها للناس^(٧).

(١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١١-٤١٢.

(٢) انظر: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديون، ول ديوارنت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ص ٤٥٤.

(٣) انظر: العقل والوجود، يوسف كرم، ص ٨٤.

(٤) See: Auguste Comte And Positivism The Essential Writings, Gertrud Lenzer, P237.

(٥) See: Oxford Dictionary Of Philosophy, Simon Blackburn, P72.

(٦) انظر: علم الاجتماع الفرنسي المعاصر، علياء شكري، ص ١٠.

(٧) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٣٠.

ب. مضامين دينه:

وتوصّل كونت Conte إلى أن المقابل الوحيد الممكن لمعنى (الله)، ولمعنى (الطبيعة)، هو - حسب دعواه-: الإنسانية، فرأى أن يؤلّه الإنسانية، ويدعو الناس إلى عبادتها^(١)، ويقدّس ذلك الموجود الأعظم من وجهة نظره، الذي تشارك فيه الموجودات البشرية في كل الأزمان، وتساهم في تقدم بني الإنسان^(٢)، ورأى أن توجّه العبادة بالفكر، والعاطفة، والعمل لمحبة الإنسانية وخيرها وتقدمها الارتقائي^(٣).

ت. مكونات دينه:

وقد أمضى كونت Conte أيام كهولته في ابتكار نظام معقّد يحدد فيه معالم دينه الجديد، سواء على صعيد معتنقيه من القساوسة، والطقوس الدينية، أو الصلوات الخاصة به، واقترح تقويمًا جديدًا، يستبدل فيه أسماء الآلهة الوثنية، وقدّيسي العصور الوسطى^(٤) بأبطال الرقي، والتقدم الإنساني^(٥).

ث. الطقوس الخاصة بدينه:

وقد صاغ كونت Conte المعبود في دينه الجديد من ثلاثة أركان: الإنسانية (الموجود الأعظم)، الأرض (الفتش الأعظم)، السماء أو الهواء (الوسط الأعظم)^(٦).

يقول إميل بوترو Emile Putro: "لا تتجّه عبادة المذهب الوضعي إلى ذكرى أبطال الإنسانية فقط؛ بل موضوعاتها الأساسية: الموجود الأعظم أو الإنسانية، والمعبود الأعظم أو الأرض، والبيئة العظمى أو المكان، هذه الأقاليم الثلاثة تكون ثلوث المذهب الوضعي"^(٧).

ج. المعبد الخاص بدينه:

وضع كونت Conte لهذا الدين الجديد معبدًا حقيقيًا، يُعبد فيه تمثال على هيئة أنثى، وذلك بعد وفاة معشوقة كونت Conte بخمسة أيام، حيث بدأ كونت في ١٠/٤/١٨٤٦م بالتأسيس لهذا الدين، وجعل المعبد شقّتها، وجعل قدس الأقداس مقعدها الذي جلست عليه

(١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٤.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٥.

(٤) العصور الوسطى (القرون الوسطى): الفترة الزمنية الكائنة ما بين القرن الخامس والخامس عشر الميلادي في تاريخ أوروبا. انظر: قصة الحضارة، ول ديورانت، (١٤ / ٩٥).

(٥) انظر: قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، ول ديورانت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، ص ٤٥٥.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٩.

(٧) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٣.

عندما زارته لأول مرة في بيته، وجعل للديانة طقوسًا خاصة من صلاة وذكر، وما زالت معابد دين الإنسانية واضحة المعالم في فرنسا، والبرازيل مثلاً، حتى إن علم البرازيل يحمل شعار ديانة الوضعية كما تصوره كونت Conte^(١).

ح. أنواع العبادة في دينه:

والعبادة في دين الإنسانية نوعان: مشتركة، وتكون في أعياد تذكارية؛ تكريماً للمحسنين من الناس إلى الإنسانية، وفردية، وتكون بأن يتخذ الفرد الأشخاص الأعرّاء عليه أو مجموعة من أهله أو عشيرته أو قومه نماذج للمثل الأعلى، فيكرمهم رمزاً لتكريم الموجود الأعظم الذي هو الإنسانية^(٢).

خ. الهيئة التعليمية في دينه:

أما عن الهيئة التعليمية في دين الإنسانية، وهي هيئة مشرفة على العبادة والتربية^(٣) فهم: الفلاسفة والشعراء والأطباء، ومهمة هذه الهيئة: العمل على اكتشاف ما يكفل خير الموجود الأعظم وهو معنى الإنسانية^(٤).

د. طبقات المجتمع في دينه:

وقد قسّم كونت Conte طبقات المجتمع في الدين الجديد إلى: طبقة الفلاسفة مع الشعراء والأطباء، الذي رأى أن تتألف من نخبة منهم الهيئة الدينية العليا، فنهم بمثابة العقل المفكر المدبر الموجّه في الفرد، وطبقة النساء اللواتي هن بمثابة أعضاء العاطفة في الفرد، ورجال الصناعة والمال، ودورهم في المجتمع الإنساني هو بمثابة دور أعضاء التغذية في الفرد، والعمال الذين هم بمثابة أعضاء الحركة في الفرد^(٥).

ذ. شعادر دينه:

أما شعار دين الإنسانية فهو: المحبة؛ باعتبارها مبدأ، وهذا المبدأ مأخوذ من النصرانية، والنظام؛ باعتبارها أساساً، والتقدم؛ باعتباره غاية^(٦).

(١) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٠٨-١٠٩.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٧-٤١٨.

(٣) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٣٣-٢٣٤.

(٤) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٨.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٤١٩-٤٢٠.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٤٢١.

ر. الآخرة في دينه:

وأما الآخرة في دين الإنسانية، فيستطيع الناس أن ينعموا بالخلود الذي يتطلعون إليه، بخلاف الخلود الموضوعي عند الأديان الأخرى، حيث ترفضه الإنسانية؛ إذ ما قيمة الاستمرار المادي في المكان بالقياس إلى الحياة المتصلة في الزمان، وفي الضمائر، هذه الحياة التي تحقّق وحدها أعزّ رغبة لقلب الإنسان، ألا وهي: اتّحاد النفوس في الأزل^(١).

ثالثاً: الرد على نظرية المذهب الوضعي:

١. اقتصر كونت Conte في دراسته على مجتمع واحد، ثم عممه على جميع المجتمعات، وكذا اقتصر على فترة زمنية معينة، وقاس تاريخ البشرية عليها، وهذا خطأ منهجي^(٢).
٢. تجاهل المذهب الوضعي الجوانب الخلقية والروحية؛ باعتبارها نابعة من الجسد، كما عامة النشاط الإنساني، وبالتالي فإن المجتمع والدين والأخلاق كلها سخافات لا موجب لها^(٣).
٣. إن عمر الجنس البشري على ما قرره العلم يبلغ ملايين الأعوام، فكيف يتسنى لأوجست كونت Auguste Conte توزيع الحالات الثلاث على هذه الملايين؟ وكيف يمكن توزيع الحالتين الأوليين^(٤).
٤. نلاحظ معالم الفكر الوثني المتخلف عند كونت Conte، حيث اعتبر التفسير العيني تفسيراً خاطئاً، ومن العلوم ضرورة أن في هذا الوجود أشياء مشاهدة ومدركة بالحواس، وأشياء أخرى غيبية لا تخضع للحواس، فلا يكتمل الأديان الحق إلا بالأديان بالغيب، وهذا ما أشارت إليه الأديان السماوية جميعها^(٥).
٥. أبعد أوجست كونت Auguste Conte عن تصوره قضية الإيمان بالرب الخالق؛ لأنه من الغيبيات التي لا تثبتها العلوم التجريبية المادية، ورفض النظر إلى الأدلة العقلية البرهانية، ورفض تصديق الأخبار الدينية، فلا نجد في مذهبه إلا ادعاءات خرافية لا دليل عليها من العقل، ولا من الملاحظة، ولا من وثائق التاريخ البشري، ولا من تجارب العلوم المادية التي بهرته وتشبث بما تقدمه^(٦).

(١) انظر: العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٥١.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود محمد مزروعة ص ٢٢٩.

(٣) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ٥٣.

(٤) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٢٥.

(٥) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٢٨.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٢٣-٤٢٦.

٦. نلاحظ أن العقلية الغربية يسودها في أيامنا هذه التجسيم بصورة لم تعرفها البشرية من قبل، والتجسيم يتبع الحالات الميتافيزيقية^(١)، وكذلك السحر والشعوذة.
٧. لا يمكن إخضاع المجتمعات لقانون واحد في التقدم أو التطور؛ لأن ذلك شيء من الخيال؛ لاختلافاتها الثقافية والحياتية، بينما يجعل كونت Conte المجتمعات الإنسانية بناء واحد ذو ألبنات متماثلة، أو أنها كل لا يتجزأ، وأنها تخضع لقانون ونمط واحد^(٢).
٨. الناظر في تاريخ الإنسانية يجد أن الحالات الثلاث متعاصرة على مرّ العصور والأزمان المتلاحقة، وليست هناك حالة تتبعها حالة كما زعم أوجست كونت Auguste Conte، ولقد اضطر كونت Conte للإقرار بهذا التعاصر، ولكنه زعم بأن ذلك مؤقتاً وسينتهي عما قريب، ونلاحظ مرور أكثر من قرن ونصف على فكر كونت، وما زال التعاصر إلى يومنا هذا بين الحالات الثلاث^(٣).
٩. أخطأ كونت Conte في جعل الحالات الثلاث متعاقبة في المجتمعات الإنسانية، فهي تختلف اختلافاً كبيراً عن بعضها، ولا يمكن تطبيق الحالات الثلاث على كل المجتمعات، فبعضها يسير الفهم العلمي متساوياً مع الالتزام الديني، وبعضها يسير الفهم العلمي بعيداً عن الدين، وهذه الحالات قد تكون متجاوزة في نفس كل فرد، وتؤدي وظيفة معينة لها، حتى الحالة اللاهوتية عند كونت Conte لا تسير في نفس المراحل التي ذكرها، كما المجتمعات التي تقدمت علمياً، وتحمل عقيدة وثنية^(٤).
١٠. إن التقسيم الذي وضعه كونت Conte للمجتمعات هو أقرب إلى الفلسفة منه إلى العلم؛ فضلاً عن أننا لو أردنا ترتيبها فإننا نعكس ذلك تماماً، فأولها الواقعية والتجريب، ثم الدينية، وتأتي باتساع الأفق، ثم ينتقل العقل إلى تفسير الظواهر بأمر باطنية^(٥).
١١. نرى أن كونت Conte متناقض في فكره وفلسفته؛ إذ أنه بدأ وضعاً علمياً في تفكيره، وعاد دينياً، حيث دعى إلى دين يسميه دين الإنسانية، ودعى إلى تقديسه وعبادته^(٦).

(١) انظر: موسوعة السياسة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (٢٧٣/٥).

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد محمود مزروعة، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٤١٣.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٢٤-٢٢٧.

(٥) انظر: مناهج البحث في العلوم السياسية، محمد محمود ربيع، ص ١٠٥-١٠٧.

(٦) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٢٥.

١٢. من أكبر الأخطاء التي ارتكبتها كونت Conte: محاولة اختراع دين من عنده، بدلاً عن دين يدين به المجتمع، فقد جهل الرجل أن الأديان لا تُقترح، ولا تُطرح على الناس كما تُطرح أيُّ فكرة أو رأي أو مشروع^(١).

١٣. استعار كونت Conte دينه الجديد من النصرانية، حيث يبدو التشابه واضحاً في الثالوث، على الرغم من زعمه أنه كافر بها^(٢).

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن المذهب الوضعي لأوجست كونت Auguste Conte مذهب مادي إلهادي، يقوم على الإيمان بالمادة وحدها، وينكر كل ما وراء المادة والحس، ويرى أن المعرفة اليقينية هي المعرفة الحسية المادية التي تقوم على الملاحظة والتجربة الحسية، وكل معرفة لا تقوم على الحس أو التجربة فإنها عند هؤلاء وهم وخيال، وهذا ما يتوافق مع دلالات الفكر المادي بشكل عام.

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٢٣٥.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣٦.

المطلب الثاني

المادية في نظرية العقل الجمعي والرد عليها

يستأثر علم الاجتماع باهتمام القادة والباحثين؛ نظراً لأهميته المتزايدة في جمع، وتصنيف، وتنظير الحقائق والبيانات عن الواقع الاجتماعي والحضاري، وما يكتنفه من عوامل وقوى موضوعيه وذاتيه، تؤثر في أنشطة الإنسان وتفاعله^(١)، وما زال هذا العلم يتطور، ويكتسب طابعه الخاص، حتى استغله اليهود لخدمة مخططاتهم، وغاياتهم المنشودة، المتمثلة في الإلحاد، وهدم الدين والأخلاق في حياة الشعوب، حتى ظهرت نظرية دوركايم Dorkaim^(٢).

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية العقل الجمعي:

١. اسمه ونسبه: هو عالم اجتماعي فرنسي^(٣)، يهودي، أطلق عليه: إميل دوركايم Emile Durkaim، أو دورك هايم، أو دورك حايميم، وُلد عام ١٨٥٨م^(٤).
 ٢. دراسته وثقافته: أتم دروكايم دراسته الثانوية في مسقط رأسه، وتخرج في مدرسة المعلمين عام ١٨٨٢م، وما لبث أن لفت إليه الأنظار؛ لقيمة أبحاثه، وأصبح شخصية بارزة في المحيط العلمي والجامعي، واشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من ١٨٨٢-١٨٨٧م، كان من بينها سنة قضاها في إجازة علمية، زار فيها ألمانيا؛ للتعرف على نظمها العلمية، وبعد أن عاد منها في عام ١٨٨٧م، عُيّن أستاذاً للتربية في جامعة بوردو؛ إذ لم يكن علم الاجتماع يدرس في ذلك الحين في الجامعات الفرنسية، وصار دوركايم يوزع محاضراته بين التربية والاجتماع، ولم ينقطع طول حياته عن تدريس التربية؛ بل كان يكرس لها ثلث وقته تقريباً، بالرغم من اتجاهه نحو تأسيس المدرسة الاجتماعية فيما بعد^(٥).
- بدت نزعته نحو علم الاجتماع واضحة، حيث كتب رسالة الدكتوراه عام ١٨٩٣، وكانت بعنوان: تقسيم العمل الاجتماعي، وظهرت فيه طريقته المبتكرة في معالجة الموضوع، كما وضح

(١) انظر: المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص ٥.

(٢) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٤.

(٣) انظر: المنجد في اللغة والإعلام، لويس معروف، ص ٢٤٨.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٤.

(٥) انظر: مبادئ علم الاجتماع، وليد شبير، ص ٩٧-٩٨.

فيه أسس الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية^(١)، وقد كانت أبحاثه ودراساته ونظرياته ذات تأثير كبير في أفكار وطموحات علماء الاجتماع من بعده^(٢)، وما تزال تمارس فاعلية واضحة لدى الباحثين والمتخصصين^(٣).

تأثر دوركايم بتعاليم وكتابات أوجست كونت Auguste Conte ، فمنه استعار عدة مفاهيم ومصطلحات اجتماعية، استطاع تطويرها، واعتمادها في نظريته الاجتماعية، ومن أهم هذه المفاهيم: مفهوم الوضعية، ومفهوم الاجتماعية^(٤).

٣. إنتاجه العلمي: من مؤلفاته: الانتحار، ١٨٩٧م، والأشكال الأولية للحياة الدينية، ١٩١٢م، والتربية والاجتماع^(٥)، وأحكام الطريقة الاجتماعية، وعلم الاجتماع والفلسفة^(٦)، والتربية الاخلاقية، والاشتراكية تعريفها نشأتها، وله العديد من المقالات والأبحاث الاجتماعية أبرزها: التصورات الفردية والتصورات الجماعية، وتعريف الظاهرة الدينية، وتحديد الظاهرة الخلقية^(٧).

٤. علاقته بكونت: وعن علاقته بكونت، فقد كان دوركايم يشارك كونت الرأي بلزوم دراسة الحياة الاجتماعية بروح موضوعية، مثلما يفعل العلماء عند دراستهم للعالم الطبيعي^(٨)، وبينما ركز كونت اهتماماته على مشكلات التغيير الاجتماعية، ركز دوركايم على دراسة المشكلات الساكنة، والسيطرة الاجتماعية^(٩)، وأتته كونت بأنه لم يفلح تحقيق البرنامج الذي وصفه لإقامة علم الاجتماع على أسس علمية، معتبراً النزعة القديمة في علم الاجتماع ذات نزعة تأملية غامضة^(١٠).

ولم يُعز دوركايم أهمية للتقدم؛ بل أجهض النظرة التطورية للوضعية، وقلّب مفهومها، وركز على النظام، وذهب إلى أن العلم لم يصل إلى مرحلة من النضج بحيث يمكن أن يتنبأ

(١) انظر: مبادئ علم الاجتماع، وليد شبير، ص ٩٨.

(٢) انظر: المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص ١٥٠ .

(٣) انظر: نظرية علم الاجتماع، السيد علي شتا، ص ٢٨٠.

(٤) انظر: علم الاجتماع ومدارسه، مصطفى الخشاب، (١/٢٢٧).

(٥) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٦) انظر: المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص ١٥١ .

(٧) انظر: مبادئ علم الاجتماع، وليد شبير، ص ١٠١.

(٨) انظر: علم الاجتماع مع مدخلات عربية، انتوني غدنز، ص ٦٣.

(٩) انظر: علم الاجتماع ومدارسه، مصطفى الخشاب، (١/٢٢٧).

(١٠) انظر: علم الاجتماع مع مدخلات عربية، انتوني غدنز ص ٦٣.

بالمستقبل، وهو ما يميزه عن كونت، الذي رفع شعار النظام والتقدم، كما أن دوركايم أضفى طابع العلمانية على العلم^(١)، ولكنه استلهم الروح الوضعية من كونت عندما ركّز على أهمية تحليل العلاقات القائمة بين النظم الاجتماعية وبين البيئة الموجودة فيها، وعندما حاول في نظريته التوازن والاستقرار بين عناصر المجتمع المتصارعة، وأضفى الطابع العلمي على دراسة المجتمع من وجهة نظر محافظة إلى حد بعيد^(٢).

٥. وفاته: بمدينة إبنال Ebenal^(٣)، وتوفي في عام ١٩١٧م^(٤).

ثانيًا: مجمل أفكار نظرية العقل الجمعي وعلاقتها بالإلحاد:

١. يرى دوركايم أن علم الاجتماع هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة وفهم وتحليل الظواهر الاجتماعية^(٥)، وقد كرّس جهوده لدراسة الظواهر الاجتماعية بطريقة تكفل الاحتفاظ بجوهرها وطابعها الخاص، وفصل بين الناحية النظرية والناحية العملية^(٦)، وحاول أن يحوّل علم الاجتماع من موضوع أدبي فلسفي إلى وصفي وعلمي^(٧)، وركز في دراساته على أهمية علم الاجتماع، وبروز الفرد، ونشوء نظام اجتماعي جديد، حيث إن المجتمع أكبر كثيرًا من كونه تجمعًا لأفعال أفراده؛ بل تستقل المجتمعات بكيئونها وذاتيتها، كما اهتم بالنظام الأخلاقي في المجتمع، وجوانب الحياة المختلفة^(٨)، فالفرد منذ ولادته محكم بقوانين اجتماعية لا يستطيع تفسيرها أو التقليل من أهميتها، وليس أمامه إلا طاعتها والاستسلام لأوامرها^(٩)، ومن خلال عملية التنشئة الاجتماعية من مصادرها المختلفة يكتسب الفرد اللغة، والدين،

(١) See: The Coming Crisis Of Western Sociology, Alvin Ward Gouldner, P119, 134.

(٢) انظر: علم الاجتماع النظريات الكلاسيكية والنقدية، أحمد زايد، ص ٨٥-٨٦.

(٣) إبنال Ebenal : مدينة تقع في شرق فرنسا انظر: مبادئ علم الاجتماع، وليد شبير، ص ٩٧.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٤ .

(٥) انظر: علم الاجتماع ومدارسه، مصطفى الخشاب، (١/٢٢٧).

(٦) انظر: مبادئ علم الاجتماع، وليد شبير، ص ١٠٢-١٠٣.

(٧) انظر: المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص ١٥١.

(٨) انظر: علم الاجتماع مع مدخلات عربية، انتوني غدنز ص ٦٣-٦٤.

(٩) انظر: المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص ١٥٢ .

- والعادات، والتقاليد، والطموحات، والمقاييس، وغير ذلك^(١)، والحياة الاجتماعية هي التي تشكل الفرد وتحوله نحو الحياة الانسانية، فكراً وروحاً، وعقيدة ومثلاً علياً^(٢).
٢. يقوم فكر دوركايم على مجموعة من الأسس، وهي: وجود عقل جمعي عشوائي، خارج عن شعور الأفراد، وهذا العقل يُصدر أوامره على شكل ظاهرة اجتماعية، تتقلب وتتغير بطريقة غير منطقية، تقهر الأفراد، وتخصّصهم لسطوتها، شعروا أو لم يشعروا^(٣).
٣. اشترك دوركايم مع فرويد في التسبّب في تحويل الفكر من التركيز على الإرادة والاختيار والوعي الفردي، إلى التركيز على الجوانب غير الاختيارية وغير العقلية، وبما أن دوركايم كان أكثر ثورية من فرويد فقد ركز على الظروف الاجتماعية الخارجية كمصدر للدافع والفكر والسلوك، فالجدير بالاهتمام هو التركيز على مجموعة الحقائق النابعة من أسبقية المجتمع على الفرد، ومن ضبط المجتمع لسلوك الأفراد^(٤)، يقول دوركايم شارحاً العقل الجمعي: "إن الأفراد إنما يجدون أمامهم نوعاً خاصاً من التقويم هو سلم من القيم، يقوم على نحو معين، يعلو به التجريد على التقديرات الشخصية المتغيرة للأفراد، وفي وضع خارجي بالنسبة إليهم، ليس من صنعهم فرادى"^(٥).
٤. ذكر دوركايم ما يدل على الإنسان يتخلّى عن ذاته في سبيل عبودية الجماعة، فقال: "وقد يستغرب المرء أن تكون العلاقة التي تربط الفرد بالجماعة مثل هذا الربط المفرط، واهية إلى الحدّ الذي يسهل معه فصمها ولأمها، ولكن ما يهب العلاقة الاجتماعية جسوءها^(٦)، ليس هو الشيء الذي يهبها قوة المقاومة"^(٧).
٥. تدور آراء دوركايم في علم الاجتماع حول:
- أ. النزعة السيولوجية:

وفيها يقرر دوركايم أن الحقيقة الاجتماعية أعمال فكرية مشتركة، وتصورات ومشاعر جمعية، وهي التي ترجع إليها الظواهر الاجتماعية؛ ولذلك أكد على الضمير الجمعي، الذي هو

(١) انظر: قراءات في علم الاجتماع الحديث، إحسان محمد الحسن، ص ٦٤.
(٢) ومن هنا سُميت مدرسة دوركايم بالمدرسة السيولوجية. انظر: مبادئ علم الاجتماع، وليد شبير، ص ١٠٣.
(٣) انظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، اميل دوركايم، تحقيق: محمود قاسم، ص ٣١، ٥١، ١٠٠، ٢٠٣، ٧٩.

(٤) See: Tradition And Revolt, Robert Nisbet. P68.

(٥) علم الاجتماع والفلسفة، اميل دوركايم، ترجمة: حسن أنيس، ص ١٤٧.
(٦) جسوءها: من الفعل (جَسَأَ)، أي: قوتها وشدتها. انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١/٤٥٧).
(٧) في تقسيم العمل الاجتماعي، إميل دوركهايم، ترجمة: حافظ الجمالي، ص ١٧٥-١٧٦.

تركيب لضمائر الأفراد، وهو ذو طابع خاص^(١)، ووظّفه في فهم وتحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية، كما وظّف الملاحظة والتجربة كطرق منهجية في فهم الظواهر الاجتماعية^(٢).
ويقوم مفهوم العقل الجمعي عند دوركايم على أنه شيء موجود خارج عقول الأفراد، وهو ليس مجموع عقولهم، ولا يُشترط أن يكون موافقاً لعقل أحد منهم، ولا لمزاجه الخاص، وهو يؤثر في عقول جميع الأفراد من خارج كيانهم، وهم لا يملكون إلا أن يطيعوه، ولو على غير إرادة منهم، وبذلك سلب حرية الأفراد، وإراداتهم، وشخصياتهم، وهو في تغير دائم، ولذلك فالدين والأخلاق والقيم من المتغيرات^(٣).

ب. تفسير الظاهرة الاجتماعية:

رُكِّز دوركايم في تفسيره للظواهر الاجتماعية على البعد المادي، لا يعترف بالله، ولا بأية قوى غيبية، أو موجودات وراء العلم المادي^(٤)، بمعنى أن الظاهرة الاجتماعية لا تُعَلَّل إلا بظواهر اجتماعية أخرى^(٥).

وقرر دوركايم أنه لا يمكن اختزال الحقائق الاجتماعية بالظواهر النفسية والسيكولوجية أبداً؛ بل العكس هو الصحيح، فالانتحار مثلاً لا يرجع إلى عوامل نفسية بحتة كالقلق؛ بل إلى عوامل اجتماعية شاخصه، كفشل الفرد في الدراسة، أو السياسة، أو تعرض جماعته لكارثة أو أزمة، أو انزاله عن المجتمع^(٦)، فربط بين الانتحار بدرجة التكامل والتضامن في الجماعات الأسرية والدينية والسياسية بعلاقة عكسية^(٧)، كما أن الزواج لا يمكن تفسير وجوده بعوامل نفسية كالعاطفة والرغبة وغيرها؛ بل يُفسَّر بعوامل اجتماعية بحتة، كتوليد العلاقات الاجتماعية الصميمة مع الجنس الآخر^(٨).

(١) انظر: نظرية علم الاجتماع، السيد علي شتا، ص ٢٨٠-٢٨١.

(٢) انظر: مؤسس علم الاجتماع الحديث إميل دوركايم المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية كأشياء دراسة في علم الاجتماع البنائي، حسام الدين محمود فياض، ص ٣٩.

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٣٨. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص ١١٤-١١٥.

(٤) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٣٧.

(٥) انظر: نظرية علم الاجتماع، السيد علي شتا، ص ٢٨٣.

(٦) انظر: المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص ١٥٣.

(٧) See: Suicide: A Study In sociology, Emile Durkheim, P208-212.

(٨) انظر: المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، ص ١٥٣.

ت. إلغاء الفطرة الانسانية (الدين والقيم):

يرى علم الاجتماع أن أصل الدين يرجع إلى الأرواح، والقوى الطبيعية أو المحرم (التابو)، وابتدأ الإنسان تدينه بالسحر والشعوذة، ثم تطور إلى عبادة آلهة متعددة، ثم تطور إلى التوحيد الذي يمثل آخر حلقة في عصر الدين، وبفعل التطور انتفى الدين بجملته في عصر العلم^(١)، فالنظريات الاجتماعية تكتفي بالحدث الديني العام، وتُهمل العواطف التي تتنازع المؤمن، بخلاف النظريات النفسية التي تهتم بالعاطفة الدينية التي تساهم في دعم وتشديد صرح الديانة^(٢).

أما دوركايم فيرى أن الأفكار الدينية وطقوسها ترمز إلى العقل الجمعي، وأن المجتمع هو المصدر الوحيد للتجربة الدينية، "كما يُعد الدين منشأ مقولات الفكر الرئيسة"^(٣)، ويخالف جميع المذاهب التي تعرضت لنشأة العقيدة الدينية، ويزعم أن التدين وليد أسباب اجتماعية؛ بل يذهب إلى أن عناصر التفكير، وأسس المعرفة العقلية نفسها، ما هي صور ولدتها حياة الجماعة، وطبعتها على غرار النظم الاجتماعية، التي أطلق عليها اسم العقل الجمعي^(٤).

كما أن الدين عنده ليس إلهياً؛ لأن فكرة الألوهية - في نظره - ليست إلا تعبيراً عن البيئة الاجتماعية في مرحلة من مراحل تطورها، ويكون الإله رمزاً للدرجة التي وصل إليها تطوره^(٥)، ثم يصل دوركايم إلى نتيجة خطيرة وهي أن الدين ليس فطرياً، ومثله الأخلاق والأسرة^(٦)؛ بل عدّ الدين والأخلاق بأنهما وليدتا أسباب اجتماعية فقط، وليس لهما أي سند عقلي أو علمي، أو فطري^(٧)، وأن الدين إلزام أدبي من الفرد للجماعة، خيراً أو شراً^(٨).

ويردّ دوركايم كل هذه القضايا إلى العقل الجمعي، وهذا العقل مضطرب ومتطور، وكل ما يصدر عن الأفراد ما هو إلا نتيجة لإملاءات العقل الجمعي^(٩)، وهو بذلك يرى انسحاب

(١) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ٢٠٤. أسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، سايمون كلارك، ترجمة: سعيد العلمي، ص ٦٣.

(٢) انظر: نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، يوسف شلحت، ترجمة: خليل أحمد خليل، ص ١٤٠.

(٣) انظر: اميل دوركايم، قباري محمد إسماعيل، ص ٢٢٥.

(٤) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (١٠٨/٢).

(٥) انظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، اميل دوركايم، تحقيق: محمود قاسم، ص ٥١.

(٦) انظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، اميل دوركايم، تحقيق: محمود قاسم، ص ٢٠٩-٢١٠.

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٣٨.

(٨) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٤-١١٧.

(٩) انظر: التطور والثبات في حياة البشرية، محمد قطب، ص ٧٧ - ٨٠.

الدين من الحياة الاجتماعية، سواء كسجل تفسيري للواقع والعالم، أو كمرجع للقيم الأخلاقية والاجتماعية^(١)، فمرجع الأخلاق إلى العقل الجمعي، حيث يقول دوركايم: "فالأخلاق - إذن - تبدأ هنا، حيث الحياة في جماعة؛ ففي هذا الوضع وحده يصبح للنزاهة والإخلاص معنى"^(٢)، وحينها يصبح المجتمع مجتمعاً لا دينياً، وقد فسر ماهية الإله (الله) بأنه ظاهرة ميتافيزيقية في الدين، وإبداع اجتماعي^(٣).

ومن اعتقاداته في الدين أنه يُشكل الرحم الذي ولدت فيه الحضارة، ويعتبر الشكل البارز للحياة الاجتماعية، فالدين في رأيه يتضمن في ذاته منذ البداية كل العناصر التي أدت إلى انبثاق مختلف مظهرات الحياة الاجتماعية^(٤).

ويرى دوركايم أن للدين وظائف اجتماعية، وله دور في تحقيق التكامل الاجتماعي، وهو يمثل منظومة متماسكة من المعتقدات والممارسات المتعلقة بأمور مقدسة منفصلة محرمة، تنهض على فكرة المقدس، وتوحد بين المؤمنين بهذه المعتقدات في مجتمع ديني اجتماعي له قيم أخلاقية مشتركة، وقد فرق بين المقدس، وهو الجمعي الأخلاقي، وبين الدنيوي وهو الحياة الفردية الحسية^(٥)، يقول دوركايم: "إن القاعدة التي ننطلق منها لا تفترض أي تصور ميتافيزيقي، ولا تتضمن أي نظر تأملي في كنه الموجودات، إن ما تطلبه هو أن يضع عالم الاجتماع نفسه في وضع فكري شبيه بالوضع الذي يكون عليه الفيزيائيون، والكيميائيون، والفيسيولوجيون، حينما ينخرطون في استكشاف منطقة مجهولة عن ميدانهم العلمي"^(٦).

وقد هدف دوركايم من نظريته إلى: إقامة فكرة التطور المطلق التي تمحو مفهوم الإسلام وقيمه، والدعوة إلى فكرة القهر الخارجي، وتفسير الإنسان وفق الفكر المادي، ورفض الدين والأخلاق، والفطرة، والزواج، والمسؤولية الفردية^(٧).

وقد حلّ دوركايم ظاهرة الدين في أبسط الجماعات الإنسانية، فاختار جماعة الأروناتا Aronta، وهي من سكان استراليا الأصليين، وتصور المجتمع كما لو كان وحدة لها استقلال

(١) See: From The Religion Of The Future, Emile Durkheim, P11.

(٢) علم اجتماع وفلسفة، إميل دوركايم، ترجمة: حسن أنيس، ص ٦٢-٦٣.

(٣) انظر: إميل دوركايم والتأسيس السوسيولوجي للحدثة، زكريا الإبراهيمي، ص ٩١-٩٢.

(٤) See: Emile Durkheim. Sociologist And Philosopher, Dominick LaCapra, P236.

(٥) انظر: تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات، محمد عثمان الخشت، ص ٧٩-٨٠.

(٦) A Grammar Of The Social Curriculum. Emile Durkheim. P79.

(٧) انظر: على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم، أنور الجندي، ص ٢٦-٢٧.

ذاتي ووعي خاص، بحيث يتبدى كما لو كان يعمل لحسابه الخاص، فهو يفرض على الأفراد ما يشاء من قيود، عندما يدرك أن ذلك لصالحه الخاص^(١).

وافترض دوركايم أن المجتمع، والجماعة، والعلاقات القلبية، كانت مصدرًا أصيلاً لنشأة الدين، إضافة إلى تقديس الأجداد، واشتراك العشائر في لقب واحد، فيما يعرف الطوطم، وهذا الطوطم يكون لقبًا حيوانيًا في الغالب، اتخذته العائلات البدائية لقبًا لها، وتحول مع الوقت إلى البذرة الأولى للدين^(٢)؛ فهي أصل كل الديانات، ولها رواسب في الأديان الحالية، وهي أصل طرق التفكير، والفن، والقانون، ونظم الحياة الاجتماعية^(٣).

ومن الجدير بالذكر أنه يمكن لأية عشيرة أن تُصدر قانونًا يمنع قتل، أو أكل النوع الذي تتخذه العشيرة طوطمًا لها، ويُعرف أعضاء العشيرة باسم طوطمهم، واعتقدت بعض القبائل في العصور الماضية بقديسية الطوطم وعبثته، واتخاذ الطوطمية عقيدة، ربما كان منتشرًا بين الهنود الأمريكيين، والأفارقة السود في العصور القديمة^(٤).

ويؤدي الطوطم وظيفة اجتماعية في توحيد الجماعة وتكاملها، وقد خلقه الوعي الجمعي للجماعة؛ من أجل بسط نفوذها على أفرادها^(٥).

وقد شارك فرويد دوركايم في الطوطم^(٦)، فقد ربط فرويد نشأة الطوطمية بقتل الأولاد لأبيهم الذي منعهم من الرغبة الجنسية بأبهم، حيث ندموا، وعزموا على تقديس ذكرى قتله، وامتزج شخص الأب في شعورهم ببعض أنواع الحيوان، وتلك عملية نفسية طبيعية، كما يقول فرويد، فقدّسوا هذه الحيوانات، ومنعوا قتلها، وذلك تكفيرًا عن قتل أبيهم، ورغبة في تقديس ذكراه، وبذلك نشأت أول ديانة على ظهر الأرض، وهي الطوطمية^(٧).

ولا ننسى أن دوركايم كان له الدور الأكبر في تدليس المعرفة عند الأوربيين خلال عقود طويلة، عندما طرح حفلات القبائل البدائية كمظهر ديني عندهم، حيث ثبت أن هذه الحفلات

(١) انظر: القانون والمجتمع دراسة في علم الاجتماع القانوني عند اميل دوركايم، فيصل البحيري، ص ١٥٩.

(٢) See: Effects Of varied- Stimulus Training On Fear Reduction And Return Of Fear, Rowe MK, craske MG, P719. And See: Studies In Comparative Religion, Alfred, S ,Geden, P14-16.

(٣) انظر: تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات، محمد عثمان الخشت، ص ٨٢.

(٤) انظر: قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، سامي زبيان وآخرون، ص ٣٠٠.

(٥) انظر: تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات، محمد عثمان الخشت، ص ٨١.

(٦) انظر: قصة الطوفان بين الأسطورة والدين دراسة وصفية تحليلية مقارنة، محمد عثمان الخشت، ص ٨٣.

(٧) انظر: الإنسان بين المادية والإسلام، محمد قطب، ص ٣٨.

كانت تمرّدًا على هيكل الحياة الاجتماعية والدينية للقبيلة، وليس العكس، وأصبحت الآن هذه الحقيقة من أشهر أخطاء دوركايم^(١).

والتركيز على هذه النظرية ومثيلتها في الجامعات وغيرها من ميادين التعليم أنتج شبابًا لا يؤمن بالله، ولا بالقيم الروحية، ولا بما جاء به الإسلام والأديان، ومن هنا جاءت نظريات داعمة الإلحاد، وظهر الملحدون في بلاد الإسلام، وخاصة إذا علمنا أن لهذه المذاهب دعاة متخصصين، يبثون سمومهم في كل مناسبة، وفي كل ميدان بحجة أنها قضايا علمية، وما مثلهم إلا كمثل المبشرين المأجورين الذين يُكونون في البلاد الإسلامية، هم دعاة الاستعمار، ولكنهم تارة يسمون باسم علماء الاجتماع، أو علماء النفس، أو يلبسون ثياب الرهبان، إلى غير ذلك من المظاهر الخلابية ولكنها في حقيقتها تحمل السموم والدمار للشعوب.

ثالثًا: الرد على نظرية العقل الجمعي:

يُعد دوركايم رسول الماركسية في ميدان علم الاجتماع، حيث نقل آراء ماركس من مباحث الاقتصاد والسياسة إلى مباحث الأخلاق، ويرى أن الفرد لا قيمة له، ولا معنى لتنشئته بالحرية الفردية، وإنما ترجع القيمة كلها إلى المجتمع الذي يخلق الأديان، والعقائد، والآداب، والقيم الروحية، وكلها عبث، ولا قيمة لها ما لم تكن نظامًا من نظم الاجتماع^(٢)، وفي ضوء المعطيات السابقة يمكن الرد على نظرية العقل الجمعي بما يأتي:

١. اخترع دوركايم فكرة العقل الجمعي، وهي تحيّل خرافي، مجرد من أي دليل عقلي أو علمي، مستندًا إلى الحركة الغوغائية^(٣) التي تتحكم بالناس عند سيرها في موكب جماعي، أو إلى اشتراك الجماعة في عمل جماهيري، أو تأثرهم بعاطفة مشتركة؛ إذ يعطل أفرادها عقولهم؛ اتكالا على الجماهير، وتُسلب إراداتهم وحياتهم، وتكون حصيلة عقول الجميع وإراداتهم صفرًا أو عددًا يسيرًا، فمغالطته في هذا الموضوع تعتمد عدة عناصر:
أ. تفسير الظاهرة بغير ما يصح أن تفسّر به؛ لخدمة أهدافه، وتفسيره هنا تفسير خرافي.
ب. تعميم الظاهرة الجزئية على كل السلوك الإنساني^(٤).

(١) انظر: الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) انظر: الإلحاد وسبب انتشاره، محمود الشوبكي، ص ٢٠٧.

(٣) الغوغاء: الرعاع من الناس؛ سموا كذلك لكثرة لغتهم وصياحهم، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (٢/١٦٥١).

(٤) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٤١-٣٤٣.

ت. غلوّه في إنكار شخصية الفرد، واعتباره دمية يحركها المجتمع، ويقهرها على قبول أفكاره^(١).

٢. إن نظرية دوركايم من أخطأ النظريات في علم الاجتماع؛ لأنها تفسّر قضايا الاجتماع تفسيراً مادياً، متخذاً من دارون ونظريته قاعدة لهذه التفسيرات الحيوانية، وهي قرينة التفسير الجنسي لفرويد، والتفسير المادي للتاريخ الماركسي^(٢)، حتى إنه استشهد على نظريته من عالم الحيوان^(٣)، ورأى أن الكائن البشري محكوم بنزعة القطيع التي تحكم عالم الحيوان^(٤).
فالحقيقة أن دوركايم هو ربيب المذاهب المادية، والماركسية، ومفاهيمه للدين والأخلاق منافية لكل القيم، ولكل الديانات السماوية؛ فهو الذي نظر إلى الفوضى الجنسية والفواحش على أنها هي الفطرة، كمنظرته إلى القطيع من البهائم^(٥).

وفكرة دوركايم فكرة ذات دوافع يهودية، حيث إنها مبنية على فكرة حيوانية الإنسان وماديته التي لم يستخدمها في الحقيقة إلا اليهود، ودوركايم ممن فعل ذلك في ميدان تخصصه وهو علم الاجتماع^(٦)؛ لأن اليهود يسعون إلى تنفيذ المخطط اليهودي العام الرامي إلى هدم أسس الدين والأخلاق في مختلف الأمم والشعوب^(٧).

٣. أنكر دوركايم الفطرة بدون دليل؛ بل أغفل وطمس الأدلة التي تدل على وجودها، وهي الأدلة المقتبسة من الظواهر الإنسانية، ومن استقراء مشاعر الناس، في مختلف الأمم والعصور^(٨)، كما أنه ألحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطنعة، وسعى إلى إبطال آثارها في تطور الفضائل والآداب^(٩).

علمًا بأنه من المتفق عليه أن الدين يكاد يسيطر على كل شيء في حياة الجماعات القطرية، ومن الخطأ الفادح أن تُلتبس الفكرة الدينية في حالات الشذوذ، وعند أكثر الشعوب

(١) انظر: مجموعة من الدراسات والبحوث في علم الاجتماع، مجموعة من أساتذة الجامعات المصرية، ص ٤٦٩-٤٧٠.

(٢) انظر: الأخطاء والشبهات الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص ٤٦٩.

(٣) انظر: قواعد المنهج في علم الاجتماع، اميل دوركايم، تحقيق: محمود قاسم، ص ٤٢، ٢٢٢.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٤.

(٥) انظر: على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم، أنور الجندي، ص ٢٥-٢٦.

(٦) انظر: مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، ص ١١٤-١١٥.

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٣٦.

(٨) انظر: المرجع السابق، ص ٣٤٣.

(٩) انظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية سالم البهنساوي، ص ٩٨.

تأخرًا، حيث جعل دوركايم الشاذ في حياة البشر قاعدة في الغالب، وأخذ اللون الاباحي اللاديني، وجعل منه حقيقة الدين^(١).

ولقد دلت الدراسات المقارنة للأديان على أن أفراد القبائل المنعزلة المتأخره ذاتها - حتى من كان منها في قلب أفريقيا أو أستراليا- لم يخلُ من غريزة دينية جعلته يفكر ويتساءل للإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى^(٢)، فإيجاد تعليقات مخترعة تخيلية لظواهر التدين في الناس، والظواهر الخلقية المجيدة، واللباس هذه التعليقات منجزات علمية هو تزوير وتزيف^(٣).

٤. يجب أن يُدرس الدين وفق الفطرة السوية، وما جاءت به الأديان الكبرى، فليس الدين ظاهرة اجتماعية بحتة؛ لأن الدين يشتمل على عناصر شخصية فردية واجتماعية، ولو كان الدين ثمرة أسباب اجتماعية لا غير، لكانت العلوم، ومنجزات الحضارة الإنسانية ثمرة أسباب اجتماعية أيضًا، ولطمس دور المفكرين والمبتكرين، باعتبار أن إبداعاتهم راجعة إلى العقل الجمعي، وهو ما يخالف الواقع تمامًا^(٤).

٥. استطاع دوركايم أن يقلب الأدوار بالفعل، فقد جعل علم الاجتماع معه يقوم بدور التوجيه العلماني لكل المؤسسات التي كانت خاضعة للتوجيه الديني^(٥)، حيث كان ينطلق من فلسفة وضعية علمانية تجريبية، دون أدنى اهتمام بالدين أو الأخلاق^(٦)، ورأى أن مدرسة العلمانية خميرة التقدم الاجتماعي، والأداة الأكثر فعالية؛ لضمان المجتمع بفضل أخلاق جديدة، ومن هذا المنطلق شارك في إرساء المدرسة العلمانية ونموها، عبر محاضراته ودروسه، وكان يتصور هذه المساهمة تنويجًا منطقيًا لعمله السوسيولوجي^{(٧)(٨)}، فتمرد على الدين وجعل ذلك مظهرًا دينيًا، ومعياريًا للدين عند الأولين^(٩).

(١) انظر: الأخطاء والشبهات الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، ص ٤٦٩ .

(٢) انظر: الدين، محمد عبدالله دراز، ص ١٥٨ .

(٣) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٤٣ .

(٤) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٤٦-٣٤٨ .

(٥) انظر: منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، محمد محمد امزيان، ص ٤٨ .

(٦) انظر: أسس علم الاجتماع، جميل حمداوي، ص ٨٧ .

(٧) السوسيولوجية Sociological: دراسة وصفية، تفسيرية، مقارنة للمجتمعات الإنسانية، كما تبدو في الزمان والمكان؛ للتوصل إلى قوانين التطور التي تخضع لها هذه المجتمعات الإنسانية في تقدمها وتغيرها. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣١٩-٣٢٠ .

(٨) انظر: دوركايم والانتحار، كريستيان بولدو، وروجيه استابليه، تعريب: أسامة الحاج، ص ٨ .

(٩) انظر: الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبد الله دراز، ص ١٥٦ .

٦. لا يمكن تحليل ظهور الدين في إطار الظاهرة الاجتماعية، ولا اعتبار العقل الجمعي هو المنشئ للدين^(١)؛ لأن الظاهرة الاجتماعية ذات وجود خارجي مستقل عن أفراد الجماعة، في حين أن الدين ظاهرة فردية داخلية ذاتية في المقام الأول^(٢)، فلم يثبت فرديته ولا حتى ارتباطه بالإرادة السماوية^(٣)، وهذه النظرية تصرح في أن الإلحاد هو الأصل، والإيمان هو الفرع، وأن الوثنية سابقة للإيمان والتوحيد، وهذا زعم باطل، يكذبه الشرع والتاريخ^(٤)، فالذي يقرره علماء تاريخ الأديان، أمثال لانج Lang^(٥)، وباسكال Pascal، وألبرت بروس سابين Albert Bruce Sabine^(٦)، وغيرهم، أن التوحيد سابق على التعدد، وصناعة الآلهة الوثنية^(٧).

٧. تقوم النظرية الطوطمية بالبحث عن العقليات البدائية لتقرير الدين، وهي نظرية مشكوك فيها، فلا تعدو أن تكون سفسطة، وتحديات سافرة لما اجتمعت عليه الأديان السماوية^(٨)، وقد أثبتت الدراسات الميدانية للقبائل البدائية أن هناك أمماً كاملة وحضارات، وقارات، لا تعرف شيئاً عن الطوطم، ومع ذلك توجد عندهم عقيدة الإيمان بالله الأعلى بصورة واضحة^(٩)؛ بل إن أبحاثاً قام بها لانج Lang وغيره أثبتت أن الطوطمية منظومة اقتصادية مدنية، وليست دينية كما كان يتخيل دوركايم، وفكرة الدين نشأت بعيداً تماماً عن هذه التصورات الساذجة والتحليلات الواهية، فالطوطم شعار قومي، ورمز يعرف القبائل

(١) انظر: العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص ١٨٣.

(٢) See: A Redefinition Of social Phenomena: Giving A Basis For Comparative Sociology. John Markey, P733-743.

(٣) انظر: تاريخ التفكير الاجتماعي، عبد الهادي محمد والي، ص ٢٣٠.

(٤) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (١١٤/٢).

(٥) يواكيم لانج Joachim Lang : لاهوتي، ألماني، بروتستانتي، وُلد في عام ١٦٧٠م، وتوفي في عام ١٧٤٤م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥٧٣.

(٦) ألبرت بروس سابين Albert Bruce Sabine : باحث طبي أمريكي، وُلد في عام ١٩٢١م، وتوفي في عام ١٩٩٣م. انظر: موقع ويكيبيديا ، تاريخ الاطلاع: ١٤ فبراير ٢٠٢١م، الموقع: <https://bit.ly/3nWWMxQ>.

(٧) See: A Redefinition Of social Phenomena: Giving A Basis For Comparative Sociology. John Markey, P733-743.

(٨) مثل الأبحاث التي أجراها روبرت شميت. انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (١١٠-١١١/٢).

(٩) See: The Making Of Religion, Andrew lang, P85.

بأنسابها، لا أكثر، ويبعث على التعاون والقومية^(١)، لكن القبائل كانت أذكى بكثير من أن تعبد تلك الرسوم، أو مدلولاتها؛ بل كان لهم معبود روحي آخر مستقل تمامًا يعتمدون عليه^(٢).

ومما سبق يتبين أن إيميل دوركايم أحد فلاسفة علم الاجتماع، وقد بلور فكره في القرن التاسع عشر، وذلك بالتوازي مع الحالة العامة في أوروبا، حيث ركز في دراسته على مبدأ العقل الجمعي، وكان له انحراف واضح في موقفه من الدين والأخلاق.

وبذلك فإن الباحث قد وقف في هذا المبحث على أهم المدارس الفلسفية في علم الاجتماع، وهما المدرسة الوضعية، ومدرسة العقل الجمعي، واتضح مما سبق بيانه جنوح هذه المدارس نحو المادية والإلحاد.

(١) القومية: يشير مصطلح القومية إلى مبدأ سياسي اجتماعي، يفصل صاحبه كل ما يتعلق بأمتة على غيرها، أو إلى رابطة اجتماعية تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة والتاريخ. انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (٢/ ٩٠٩).

(٢) See: The Making Of Religion, Andrew lang, P86.

المبحث الثالث

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم
الاقتصاد والسياسة ونقضها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المادية في نظرية الفكر الشيوعي.

المطلب الثاني: المادية في الفكر العلماني.

المبحث الثالث

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الاقتصاد والسياسة ونقضها

ظهر الفكر المادي بشكل واضح جداً في ميدان علم الاقتصاد والسياسة، ومن النظريات التي احتوت هذا الفكر: الفكر الشيوعي، والعلمانية المتطرفة، وهذا المبحث بيان لذلك.

المطلب الأول

المادية في نظرية الفكر الشيوعي

تشكل الماركسية دوراً من أدوار الثقافة السليمة في العصر الحديث؛ حيث إنها تحكمت ببعض التيارات الثقافية، وغدّت بعضها الآخر^(١)، حيث إنها مثّلت المادية في القرن الرابع عشر إلى العشرين الميلادي^(٢)، وقامت على الحماس والإثارة أكثر مما تقوم على المنطق والفكر^(٣)، وسعت إلى تكوين مجتمع جديد^(٤)؛ ما أدى إلى انقسام العالم إلى نظامين متعارضين تماماً، هما: النظام الرأسمالي والنظام الاشتراكي، وأصبح الصراع الضاري بينهما محور التاريخ العالمي برمته^(٥).

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس الفكر الشيوعي:

١. نبذة تعريفية بماركس:

- اسمه ونسبه: كارل ماركس Karl Marx رجل يهودي، ولد في عام ١٨١٨م، في ألمانيا، وقد انحدر من سلسلة طويلة من الحاخامات اليهود، حيث استمدّ منها روح السلطة التي تميز بها، وتأثر بشخصية المسيح المخلص، التي تلعب دوراً مهماً عند اليهود، ولكن والده كان محامياً، وعندما بلغ ماركس السادسة من العمر اعتنقت أسرته المسيحية، ونشأ هو بروتستانتيًا، ولكنه لم يلبث أن تخلى عن الدين^(٦).

(١) انظر: قضايا المادية التاريخية، أنطونيو غرامشي، ترجمة: فواز طرابلسي، ص ٨٨.

(٢) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمر، (١/٣٤٥).

(٣) انظر: الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، محمد البهي، ص ٢٦.

(٤) انظر: المادية التاريخية دراسة في نظرية المجتمع الماركسية، كيلله كوفالسون، ترجمة: إلياس شاهين، ص ٢٤٦. كارل ماركس الماركسية والإسلام، كامل محمد عويضة، ص ٢٨.

(٥) انظر: القوانين الأساسية لبناء الاقتصاد الاشتراكي، جماعة من المؤلفين السوفييت، تعريب: سعيد يوسف، نجاح الساعاتي، ص ٥.

(٦) انظر: الشيوعية نظرياً وعملياً، كاريوهنت، ص ١٧. الشيوعية، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٩-٣٠.

- **حياته الثقافية ودراسته:** درس ماركس دراسة جامعية لم تأهله للعمل الأكاديمي؛ بسبب أفكاره التي حالت بينه وبين هذا العمل، والتحق بكلية الحقوق ببرلين عام ١٨٣٧م، وتأثر فيها بالمذهب التاريخي في القانون لصاحبه كارل فون سافيني Carl von Savini^(١)، كما تأثر بكثير من أساتذة المدرسة الهيجلية^(٢)، ثم انصرف ماركس إلى دراسة الفلسفة، وتأثر بفلسفة هيجل Heigl وفيورباخ Feuerbach^(٣)، وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة، ثم لجأ إلى الصحافة، وأصبح محرراً صحفياً، ثم انتقل إلى باريس مع جمع من المفكرين، والتقى مع انجلز Inglis الذي كون معه الاشتراكية العلمية، والذي كان فكره امتداداً لحياة ماركس^(٤)، واقتبس عن كانط Kant مبدأ سيادة الشخص، وحقّ جميع أفراد الأمة في تسيير شؤون الدولة^(٥).

- **أخلاقه:** كان ماركس رجلاً غير جذاب، فظّ السلوك في كثير من الأحيان، عاش شخصاً غريباً، منعزلاً، معادياً للناس^(٦)، كما أنه كان خبيثاً متناقضاً، مختل النشاط الروحي، متقلّباً، حقوداً، موسوساً^(٧).

- **بيئته:** نشأ ماركس في فترة زمنية مزدحمة بالأحداث والثورات في أوروبا، فعاش الأحداث، وتأثر بكثير من المصطلحات الدارجة، مثل: صراع الطبقات^(٨)، ودكتاتورية البروليتاريا^(٩)،

(١) كارل فون سافيني Carl von Savini : مؤرخ قانوني ألماني، كان أستاذاً للقانون الروماني بجامعة هومبولت في برلين، وكان أول مدير لها. متوفى عام ١٨٦١م. انظر: الملامح السيولوجية في النظرية الاشتراكية، غريب سيد أحمد، عبد الباسط عبد المعطي، ص ٨٤.

(٢) جورج فيلهلم فريدريش هيجل George Wilhelm Friedrich Heigl : فيلسوف ألماني، وُلد في عام ١٧٧٠م، وتوفي في عام ١٨٣١م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٧٢١.

(٣) انظر: الملامح السيولوجية في النظرية الاشتراكية، غريب سيد أحمد، عبد الباسط عبد المعطي، ص ٨٤.

(٤) انظر: الاشتراكية، دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحي، أحمد شلبي، ص ١١٧.

(٥) انظر: المدخل في علم الاجتماع المعاصر، غريب سيد أحمد، وآخرون، ص ٢٧.

(٦) انظر: كارل ماركس، إيسيا برلين، ترجمة: عبد الكريم أحمد، ص ٣-٤.

(٧) انظر: أضواء على المذاهب الهدامة، عبد القادر شيبية الحمد، (١٢٠/٧).

(٨) صراع الطبقات: التحريش بين الأغنياء، والفقراء، والاستئثار بالمال؛ لوصول طبقة البروليتاريا إلى الحكم والسلطة. المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، (١٠٧٧/٢).

(٩) البروليتاريا: طبقة العمال الفقراء، أو نظام التملك العام، ومنع الطبقات، وأما المقصود من دكتاتورية البروليتاريا: أي حكم العمال، أو الفقراء، حينما يتحقق حلمهم بإزاحة طبقة الأغنياء. المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١٠٧٦ / ٢)

وتكتيكاتها في الثورة البرجوازية^(١)، وضرورة تحالف العمال والفلاحين^(٢)، فغربل الكتلة الضخمة من الأفكار، والآراء، والنظريات التي كانت سائدة في القرن الثامن عشر، ثم شيّد على ضوئها أداة جديدة في التحليل الاجتماعي^(٣)، فأصبح ماركس الأب الفكري للماركسية، وأحد الملاحدة البارزين في عصره^(٤)، وقد ساعده في التنظير للمذهب إنجلز، ونشر المذهب كما أنه ظل ينفق على ماركس وعائلته حتى مات^(٥).

٥. مؤلفاته: تميزت حياة ماركس الثقافية بكثرة الكتب والمقالات التي أودعها مذهبه، منها: بؤس الفلسفة، مساهمة في نقد الاقتصاد السياسي^(٦)، نداء إلى الطبقات العاملة في أوروبا^(٧)، البيان الشيوعي، الذي صدر عام ١٨٤٨م، رأس المال، وظهر عام ١٨٦٧م^(٨)، وهما من أهم كتبه التي اعتمد عليها الشيوعيون، وأصبحت مراجع أساسية لهم^(٩).

٦. وفاته: توفي كارل ماركس في الرابع عشر من آذار عام ١٨٨٣م^(١٠).

-
- (١) الطبقة البرجوازية: طبقة الأغنياء، والشيوعيون يستخدمون كلمة البرجوازية، ويريدون بها الرأسمالية. انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١١٠٣/٢)، (١٠٧٦/٢).
- (٢) انظر: المذاهب الاقتصادية الكبرى، عزت السيد أحمد، ص ٢٤٢.
- (٣) انظر: كارل ماركس، ترجمة: عبد الكريم أحمد، إيسيا برلين، ص ١٢.
- (٤) انظر: نفسية الإلحاد إيمان فاقد الأب، بول سي فيترز، ترجمة: مركز دلائل، ص ٢٠٦.
- (٥) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩١٩/٢).
- (٦) الاقتصاد السياسي: هو دراسة الإنتاج والتجارة وعلاقتها بالقانون والعادات والحكومة؛ وبتوزيع الدخل القومي والثروة. انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ٢٧٣.
- (٧) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ١٦.
- (٨) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩١٩/٢).
- (٩) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١٠٧٦/٢).
- (١٠) انظر: المذاهب الاقتصادية الكبرى، عزت السيد أحمد، ص ٢٤٢.

٢. نبذة تعريفية بالشيوعية الماركسية ونشأتها:

الشيوعية حركة ملحدة^(١)، ماسونية^(٢)(٣)، يهودية، قائمة على الإلحاد، وتتنظر إلى الكون والحياة من نظرة مادية، وتسعى إلى تحقيق أهدافها بالحديد والنار، وبكل ما تملكه من وسائل^(٤)، وتفسر التاريخ بصراع الطبقات، وبالعامل الاقتصادي فحسب^(٥).
أما عن نشأة الشيوعية الماركسية، فقد كانت بمثابة التجديد والتحديث للحركات الفكرية المادية التي سادت قبل القرن التاسع عشر، انطلاقاً من العلوم الحديثة، وبشكل جديد^(٦).
وبعد موت ماركس المؤسس للشيوعية، تتابع على القيام بأمر الشيوعية جمعيات، وأفراد، ورؤساء، بتغذية من اليهود، من أشرار الناس، أمثال إنجلز Inglis، وستالين Stalin، ولينين Lenin، فقد تزعم لينين سنة ١٩٠٣م الثورة الشيوعية العارمة على النظام الرأسمالي، ومات سنة ١٩٢٤م، فتصارع ستالين وتروتسكي^(٧)، واستطاع ستالين أن يتآمر على اغتيال تروتسكي سنة ١٩٤٠م، وتم الأمر لستالين، الذي أقام شيوعية قوية عنيفة في روسيا، والبلدان التي دارت في فلكها، وتعززت كذلك بانضمام الصين إلى الشيوعية الماركسية سنة ١٩٥٠م^(٨)، كما ظهرت نماذج مادية عديدة من شرق أوروبا^(٩).

(١) انظر: الإسلام في وجه الزحف الأحمر، محمد الغزالي، ص ١٣-١٤.

(٢) الماسونية Freemasonry : منظمة يهودية، سرّية، هدامة، إرهابية، غامضة، محكمة التنظيم؛ تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد، والإباحية، والفساد، وتتسرّ تحت شعارات خذاعة. انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (١/٥١٠).

(٣) انظر: الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد الدوسري، ص ١٨١.

(٤) انظر: الشيوعية، محمد بن إبراهيم الحمد، ص ١١.

(٥) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩١٩/٢).

(٦) انظر: مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر، نقلته إلى العربية وقدمت له: فهيمة شرف الدين، ص ٢٤.

(٧) ليون تروتسكي Leon Trotsky : ماركسي بارز، وأحد زعماء ثورة أكتوبر في روسيا عام ١٩١٧م، إضافة إلى الحركة الشيوعية العالمية في النصف الأول للقرن الماضي، وُلد في عام ١٨٧٩م، وتوفي في عام ١٩٤٠م، انظر: مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ص ١٠٩.

(٨) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (٢/١٠٧٩-١٠٨٠).

(٩) انظر: بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، ص ٣١٩.

ولكن الماركسية أصبحت الآن في ذمة التاريخ؛ وذلك بعد أن تخلّى عنها الاتحاد السوفيتي Soviet Union^(١)، الذي تفكك إلى دول مستقلة، فتخلّت كلها عن الماركسية، واعتبرتها نظرية غير قابلة للتطبيق^(٢).

ثانيًا: مجمل أفكار الشيوعية وعلاقتها بالإلحاد:

١. تمثّل الفلسفة المادية الماركسية المرحلة العليا من مراحل تشكّل الفكر المادي عبر التاريخ^(٣)، وقد استحدثت بعض المصطلحات الخاصة بها، وتدل المصادر المختلفة على أن ماركس لم ينشئ التفسير الديالكتيكي، ولم يتبلور الفكر المادي في التاريخ البشري دفعة واحدة، وإنما سبقه كثيرون إلى ذلك^(٤)، كفلاسفة اليونان، الذين ابتكروا الديالكتيكية، وصاغها ماركس وإنجلز بروح العصر الحديث^(٥)، فلم يكن بوسع مادية ماركس أن تكون تكرارًا للماديات السابقة^(٦)؛ حيث تأثرت الماركسية بالفكر اليهودي، والتراث الفكري السائد في أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر، ومطلع القرن التاسع عشر، كالفلسفة الكلاسيكية العقلية الألمانية^(٧) في جانبها المثالي، ممثلًا في فلسفة هيغل Heigl، لكن ماركس حوّلها لتخدم الإلحاد، وكذلك تأثرت بالاقتصاد السياسي الإنجليزي، والاشتراكية الفرنسية^(٨) المرتبطة بالتعاليم الثورية الفرنسية بوجه عام، كما تأثرت بمدرسة كونت الحسية الوضعية،

(١) الاتحاد السوفيتي Soviet Union : اتحاد مجموعة من الجمهوريات الاشتراكية الشيوعية، شملت حدودها أغلب مساحة منطقة أوراسيا في الفترة ما بين عامي ١٩٢٢م، وحتى ١٩٩١م. انظر: أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي جريشة، محمد الزبيق، ص ١٢٥.

(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩١٩/٢).

(٣) انظر: أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتز، (١٥/١).

(٤) انظر: التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، ص ٤٠. ما الماركسية؟ تفكيك العقل الأحادي، سلامة كيلة، ص ٢٤.

(٥) انظر: أسس النظرية الماركسية عرض ونقد، أسيد خليل القطو، ص ٢٢.

(٦) انظر: المؤلفات الفلسفية، بليخانوف، ترجمة: فؤاد أيوب، (٥٢٣/١).

(٧) الفلسفة الكلاسيكية الألمانية: حركة فلسفية، نشأت في أواخر القرن الثامن عشر، وبداية القرن التاسع عشر، طورها كانط. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٥١٤-٥١٦.

(٨) الاشتراكية الفرنسية: رؤية سياسية فلسفية، تابعة للفكر الكاثوليكي، وفي ضوئها تأسس الحزب السياسي الديمقراطي الفرنسي. انظر: رؤية دستوفسكي للعالم، ترجمة: فؤاد كامل، ص ١٢٥.

ومدرسة فيورباخ Feuerbach في الفلسفة الإنسانية الطبيعية، ومدرسة باكونين Baconin^(١) الفوضوية^(٢).

إن المادية الجدلية مدينة في تكوينها إلى المثالية الجدلية الهيجلية، وإلى المادية المثالية الفيورباخية، حيث أخذت عنصر الجدلية من الأولى، وعمّته إلى المادة، وإلى كل شيء، وطبقته على الطبيعة بمفهومها المادي، بينما كان لدى هيجل Heigl خاصًا بالفكر فقط، وأخذت من الثانية عنصر المادية القائلة بوجود المادة أولًا، والفكر ثانيًا، وأنه هو من نتاج المادة^(٣).

وهذا التأثير بالهيجلية ليس على إطلاقه، فجدلية هيجل عبارة عن جدلية مثالية مستمرة، تتجه نحو الفكرة المطلقة، بينما جدلية ماركس رأى أن جدلية الأفكار ليست سوى انعكاسًا لجدلية المادة، يقول ماركس: "إن منهجتي الديالكتيكية لا تختلف من حيث الأساس عن المنهجية الهيجلية فحسب؛ بل هي نقيضها المباشر، فهيجل يعتبر أن عملية التفكير التي جعل منها ذاتًا قائمًا بنفسه أطلق عليه اسم: "الفكرة" هي خالق العالم الواقعي، وهذا العالم الواقعي لا يمثل سوى الظاهرة الخارجية لتجلي "الفكرة"، أما عندي فالأمر معكوس؛ إذ ليس المثالي سوى انعكاس وترجمة للعالم المادي في الدماغ البشري"^(٤).

٢. مقومات الماركسية وموقفها من القضايا الأساسية:

أ. الموقف السلبي من الدين:

يقوم الفكر الشيوعي على تقديس المادة، وتسخير جميع العلوم لتثبيت الفكر المادي، والمناداة بأزلية الكون^(٥)، ومادية الحياة، وهكذا الأدب والفن، لا بد أن يلتزما بما سُمي الواقعية

(١) ميخائيل باكونين Mikhail Bakonin : أهم داعية للمذهب الفوضوي في القرن التاسع عشر، فرنسي، وُلد في عام ١٨١٤م، وتوفي في عام ١٨٧٦م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١٤٥.

(٢) انظر: القيمة والبنية الاقتصادية عند كارل ماركس، رشيدة شرقي، ص ٥. حكمة الغرب، برتراند رسل، ترجمة: فؤاد زكريا، (١٧٠/٢). تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٨. الاشتراكية العلمية، نشوؤها ومبادئها، مينايف، ص ١٨. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩٢٢/٢).

(٣) انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمه، ص ١٤٠. من أجل التغيير، مالك بن نبي، ص ١٢. المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١٠٨٦/٢).

(٤) رأس المال، كارل ماركس، ترجمة: فالح عبد الجبار، (٣٨/١).

(٥) سيأتي الحديث عن نظرية أزلية الكون في المبحث الثاني من الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

الاشتراكية^(١)، وهكذا تعامل الماركسيون مع جميع الموضوعات بالمنهج المادي، سواء في دراسة التاريخ، أو في موضوع الرق، وغير ذلك^(٢).

يقول لينين Lenin: "إن الماركسية تمثل نظامًا متناسقًا من وجهات النظر عن العالم ككل، وعن قوانين تطوره، وطرق معرفته؛ ولذا فإننا بدراستنا لهذه الفلسفة سنحصل على تصور متكامل لماهية العالم، وكيفية تطوره، ومكانة الإنسان في هذا العالم، وهل بإمكانه معرفة الواقع، ولما تتبدل الحياة الاجتماعية، وكيف يمكن أن تنظم بشكل أفضل"^(٣).

ولقد توسعت الماركسية في التفسير المادي، حتى أنكرت وجود الله تعالى؛ لأنه خالٍ من المادة^(٤)، وعطلت الحكمة الإلهية، والثواب والعقاب^(٥)، وأضفت صفة الألوهية عليها، وجعلت من فلسفتها دينًا^(٦)، كما توسعت في المفهوم المادي للإنسان، وهبطت به إلى مستوى الحيوان، حيث تقوم مطالبه على تحقيق المطالب الجسدية، من غذاء، وكساء، وإشباع جنسي، وإنكار ما سوى ذلك من عقائد وشرائع^(٧)، واعتبرته ثمرة من ثمرات المادة^(٨)، وفي هذا قمة الاحتقار والبتير للإنسان^(٩)، حيث تفوقت الداروينية عليها في هذا الجانب، فبينما يُرجع دارون أصل الإنسان إلى قرد، أرجعه ماركس إلى المادة الصماء^(١٠).

وقد ظهر كارل ماركس في أول شبابه حريصًا على الدين، فقد أثر عنه أنه كان يقول آنذاك: "الدين أساس الحياة الإنسانية، وهو يلقننا الحكمة والخير"^(١١).

(١) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ٣٠٤.

(٢) انظر: الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين، صابر طعيمة، ص ٨٣. الإعلام الإسلامي للعقل البشري، دراسة في الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة، بليغ حمدي إسماعيل، ص ٤١. التغيير الاجتماعي، محمد فؤاد حجازي، ص ٣٦.

(٣) سيرة مختصرة وعرض للماركسية، فلاديمير لينين، ص ١٢.

(٤) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص ١٦٥.

(٥) انظر: الإسلام في مواجهة الزحف الأحمر، محمد الغزالي، ص ١٨.

(٦) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١١١.

(٧) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ١٥٢-١٥٣.

(٨) انظر: المذهب المادي في العصر الحاضر، أحمد فؤاد الأهواني، ص ٨٩.

(٩) انظر: إله الإلحاد المعاصر، كوستي بندلي، ص ١١٥.

(١٠) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١١٠٨/٢).

(١١) أضواء على المذاهب الهدامة، عبد القادر شيبية الحمد، (١٢٠/٧).

والماركسية تنكر وجود الله تعالى، وتنكر الأديان، وسائر الغيبيات، وتتصابب الدين العدا، وتعدده خرافة وجهلاً؛ اتخذت منه الرأسمالية^(١) ستاراً لمطامعها؛ ووسيلة لتخدير الشعوب المظلومة؛ وإلهائها عن المطالبة بحقها، بمعنى أنه أفيون الشعوب^(٢)، وفي ذلك يقول ماركس: "الدين زفرة الإنسان المضطهد، الدين أفيون الشعوب"^(٣).

كما عدت الماركسية الدين انعكاساً وهمياً في أذهان البشر نحو قوة خارجية تسيّر الكون، وليس حقيقة واقعية^(٤)، كما أنه وسيلة من وسائل الاستغلال، يخدر به أصحاب الثروة والإنتاج الشعب^(٥)، وعلى أساس ذلك نفت العقائد الدينية، والوحي، والنبوة، والشرائع، والقيم^(٦). يقول انجلز Inglis: "إن كل دين ليس سوى انعكاس الوهم في دماغ البشر للقوى الخارجية التي تسيطر على وجودهم الوهمي، هذا الانعكاس الذي تتخذ فيه القوى الأرضية شكل قوى فوق أرضية"^(٧).

وقال انجلز: "لا مكان لوجود الله"، وقال "هوبز: "لا وجود لله"^(٨). وفي ضوء ذلك أنكرت الماركسية اليوم الآخر، والجنة والنار^(٩)، ودعت إلى طي الزمان الذي كان يُقال فيه بوجود روح مستقلة عن المادة^(١٠).

(١) الرأسمالية: نظام اقتصادي، يقوم على الملكية الفردية لموارد الثورة. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جلبي، هاني رزق، ص ٣١٨.

(٢) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٦-٢٧. المذاهب والنظم الاشتراكية، محمود عاطف البناء، ص ١٦٣-١٦٤. المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١٠٦٤/٢). الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية، سعيد حوى، (٥٦٨/٢). كواشف زيوف، الميداني، ص ٤٣٨. الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (١٠٥/١).

(٣) حول الدين، كارل ماركس، وفريدريك انجلز، نقله إلى العربية: زهير حكيم، ص ٣٤.

(٤) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١١٣٠/٢).

(٥) انظر: أضواء على المذاهب الهدامة، عبد القادر شيبية الحمد، (١٢٣/٧).

(٦) انظر: مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني، محمد مهدي شمس الدين، تحقيق: محمد صادق الغريبي، ص ١٨-١٩.

(٧) حول الدين، كارل ماركس، وفريدريك انجلز، نقله إلى العربية: زهير حكيم، ص ١١٢.

(٨) الذاتية الإسلامية وموقفها من الإلحاد الشيوعي، رؤوف شلبي، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(٩) انظر: مقدمة في الفلسفة العامة، يحيى هويدي، ص ١٩٠.

(١٠) مبادئ الفلسفة، أ. س. رابوبرت، ترجمة: أحمد أمين، ص ٩٧.

وقد نصّت الشيوعية على فصل الكنيسة عن الدولة، وفصل المدرسة عن الكنيسة، وأطلقت الحرية الدينية لكل مواطن أن يعتقد أي دين أو لا يعتقد، وحظرت المراسم والاحتفالات الدينية في الدولة^(١).

ولقد واجه الإسلام حملة من الفكر الماركسي ومذاهبه^(٢)، وهذا من الأمور الشائعة والمعروفة^(٣)، وهم يربطون ما حل بالمسلمين من تخلف إلى الإسلام نفسه، والأصل هو النظر إلى دين الإسلام، وليس إلى المنتسبين له، فلا يُعاب الإسلام بانحرافات بعض المسلمين^(٤).

ب. إن الموضوع الرئيسي للمادية الجدلية هو حل المشكلة الأساسية في الفلسفة، أي: علاقة الفكر بالوجود أو الروح بالمادة^(٥)، يقول انجلز: "إن مشكلة علاقة الفكر بالكينونة، أي علاقة الروح بالطبيعة هي المشكلة العليا في كل فلسفة... وهل الله خالق العالم أم أن هذا العالم وجد منذ الأزل"^(٦).

ولذلك أرجعت الماركسية كل شيء للمادة، بما في ذلك الفكر والوعي، فالتصورات، والأفكار، والتعامل بين البشر تظهر على اعتبارها مظهرًا مباشرًا لسلوكهم وأفعالهم المادية^(٧)، فالمادة مقولة فلسفية مستقلة عن وعينا ومنعكسة فيه^(٨)، وأصبح الإنسان، وحياته، ووعيه الواعي ثمرة من ثمرات المادة، ونتيجة من نتائجها^(٩).

وبناءً على ذلك فقد جعلت الماركسية الدين، والقانون، والسياسة، والأخلاق، والنظم الاجتماعية، والفلسفة، والفن، آثارًا في الوعي الإنساني للجدلية في حركة المادة وتطورها،

-
- (١) انظر: الذاتية الإسلامية وموقفها من الإلحاد الشيوعي، رؤوف شلبي، ص ٢٢١.
 - (٢) انظر: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ص ٣٩٩.
 - (٣) انظر: المزدكية هي أصل الاشتراكية، عبد اللطيف الجزائري، ص ١٤٣.
 - (٤) انظر: الإيمان بالله والجدل الشيوعي، فتح الرحمن أحمد محمد الجعلي، ص ٩٨.
 - (٥) انظر: النظم الاشتراكية مع دراسة مقارنة، محمد علي أبو ريان، ص ٢٥١.
 - (٦) لودنيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، فريدريك إنجلز، ص ٢٠١-٢٠٢.
 - (٧) انظر: الايديولوجية الألمانية، كارل ماركس، فريدريك إنجلز، ترجمة: فؤاد أيوب، ص ٣٨. البيان الشيوعي، ماركس- إنجلز، ص ٤٧. الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ٨٦. بحوث في الفكر القومي العربي، حليم اليازجي، (٧٧/٢). طريق الإيمان أو الإيمان بالله عن طريق الفكر المستتير، سميح عاطف الزين، ص ١٣١.
 - (٨) انظر: الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء السوفيتيين، إشراف: يودين روزنتال، ترجمة: سمير كرم، ص ٤٢٨-٤٢٩. الفيزياء الحديثة والمادية الجدلية، بتساكيس، ترجمة: عبد الرزاق السومري، ص ١٤٦.
 - (٩) انظر: أصالة التفكير الفلسفي في الإسلام، عبد المقصود عبد الغني، ص ٢٩١. الفكر الماركسي دراسة تحليلية نقدية، صفوت مبارك، ص ٦٤-٦٥. المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١٠٩٧/٢-١٠٩٨).

وجعلت هذه كلها صناعة إنسانية، كما اعتبر الإنسان نتاج المادة في حركتها الجدلية، وجعلت الفكر فيه نتاجها الأعلى^(١)، وهذا يعني أن الحياة، والإنسان، والكون مادة تتطور من نفسها تطوراً ذاتياً، وقد وُجدت المخلوقات بفعل هذا التطور^(٢).

يقول انجلز Inglis: "إن العالم المادي الذي تدركه حواسنا، والذي ننتمي إليه نحو أنفسنا هو الواقع الوحيد، أما إدراكنا وفكرنا فهما نتاج عضوي مادي جسدي، هو الدماغ، وأن المادة ليست من نتاج العقل؛ بل إن العقل نفسه ليس سوى نتاج المادة الأعلى"^(٣).

ويقول ماركس Marx: "ولا يمكن فصل الفكر عن المادة المفكرة؛ فإن هذه المادة هي جوهر كل التغيرات التي تحدث"^(٤).

وقال ستالين: "الفكر هو نتاج المادة لماً بلغت في تطورها درجة عالية من الكمال، أو بتعبير أدق إن الفكر هو نتاج الدماغ، والدماغ هو عضو التفكير، فلا يمكن بالتالي فصل الفكر عن المادة، دون الوقوع في خطأ كبير"^(٥).

ت. أنكرت الماركسية المبادئ والقيم والأخلاق، وربطتها بتحقيق الأهداف الشيوعية، والعامل المادي^(٦)، فالحزب الشيوعي هو الذي يضع المعايير الأخلاقية^(٧)، ويقولون بأن الأخلاق نسبية، لا ثبات لها، وهي تمثل انعكاساً لآلة الإنتاج^(٨). وفي مقابل ذلك دعت الماركسية إلى إثارة الأحقاد في المجتمعات^(٩)، وحاربت الفطرة، وقهرت المشاعر الإنسانية^(١٠)، ودعمت الإشاعة في النساء^(١١)، وكرّست كل وسائل التحريض

-
- (١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٥٦٩. كارل ماركس، هنري لوفيفر، ترجمة وتحقيق: محمد عيتاني، ص ٦٠. المنطق الشكلي والمنطق الديالكتي، كيدرروف، ترجمة محمد عيتاني، سهيل يموت، ص ١٢-١٣.
 - (٢) انظر: طريق الإيمان أو الإيمان بالله عن طريق الفكر المستنير، سميح عاطف الزين، ص ١٣١.
 - (٣) لودفيغ فوريباغ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، فريدريك انجلز، ص ٢٢-٢٣.
 - (٤) الاشتراكية الخيالية والاشتراكية العلمية، انجلز، ص ١٧.
 - (٥) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، ص ٢٩.
 - (٦) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٧.
 - (٧) انظر: الفكر الماركسي في ميزان الإسلام، محمد رشاد عبد العزيز دهمش، ص ٩٣.
 - (٨) انظر: الشيوعية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد الرحيلي، ص ٣٠.
 - (٩) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ١٥٤-١٦٦.
 - (١٠) انظر: الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها، عبد الرحمن عبد الخالق، ص ١٢-١٣.
 - (١١) انظر: البيان الشيوعي، ماركس - انجلز، ص ٥٠.

والكذب والتضليل^(١)، وباركت شتى الوسائل المناهضة للأخلاق^(٢)، وأنكرت أي صلة بين الدين والأخلاق، مستخدمة السخرية في ذلك^(٣)، ولم تتورّع عن أي خلق ذميم مهما كانت بشاعته^(٤)، وزعمت أن الصراع بين الطبقات سيبقى مستمرًا إلى أن تترث البروليتاريا كل الطبقات، وتسود أخلاقها التي هي أفضل الأخلاقيات^(٥).

ث. أنكرت الماركسية الروابط الأسرية، ورأت فيها دعامة للمجتمع البرجوازي، وبالتالي لا بد من أن تحل محلها الفوضى الجنسية^(٦)، فالأسرة والوطن والدولة مقولات لمضمون مؤقت، ومؤسسات، ومظاهر للطبقة المستغلة ومصالحها؛ ولذا فإنها ستزول بزوال هذه الطبقة^(٧)، وبذلك تصبح الأسرة نشازًا في المجتمع الجديد المتطور، والأولاد ملك الدولة^(٨).

وترى الماركسية أن الأسرة نشأت عن تطورات متلاحقة حسب تفسيرهم المادي للحياة، يتحكم فيها العامل الاقتصادي، فبدأت الحياة بأسرة الحيل، حيث أباحت العلاقات الجنسية بين أبناء الجيل الواحد، ثم أسرة الشركاء، حيث أباحت العلاقة للجميع، ثم الأسرة الزوجية، وفيها عرفت مباشرة الرجل لزوجته واحدة في رباط زوجي، ثم الأسرة الوحدانية، فهي تقوم على سيطرة الرجل لإنتاج أولاد لا يشك في صحة أبوتهم، وينقل لهم إرثه^(٩).

ج. تصورت الماركسية الحرية بأنها انتفاء السيطرة الاقتصادية الطبقية، ويكون ذلك بتملك المجتمع كل وسائل الإنتاج، وبالتالي سقوط المجتمع الطبقي بأسره^(١٠).

-
- (١) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٩٦.
 - (٢) انظر: حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، ص ٢٧-٢٨.
 - (٣) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١١١٣-١١١٢/٢).
 - (٤) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩٢١/٢).
 - (٥) انظر: نظرية القيمة في الفكر المعاصر، صلاح قنصوة، ص ١٠٢.
 - (٦) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩٢١ /٢).
 - (٧) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٧.
 - (٨) انظر: التعاليم اللينينية وطرق التطور أمام الدولة المستقلة حديثًا، فلاديمير فيودروف، ص ٣٨.
 - (٩) انظر: المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١١٢٠-١١١٩ /٢).
 - (١٠) انظر: الحرية وتعدد الأحزاب في فكر الاشتراكية الديمقراطية، وحيد محمد عبد المجيد، هالة أبو بكر سعودي، ص ٣٠-٣١.

ح. يرى الماركسيون أن المعارف والعلوم ترجع إلى حاجة الإنسان المادية الجسدية، منكرين أن يكون لعقله أو وجدانه أي تأثير فيها^(١)، ومستندين إلى الديالكتيك كمصدر أساسي للمعرفة، وسلاح ماضٍ ضد الآراء المثالية واللاهوتية^(٢)، أما العلوم، والمعارف، والنظريات، التي لا تخضع للتفسير الشيوعي فهي - في نظرهم - تضليل، وتخيلات، وأوهام^(٣).

والماركسية تتذرع بالعلمية^(٤)، وتقوم الجانب العلمي على الجانب الاعتقادي، كما قال جيمس كونانت: "إن معتقي المادية الجدلية في كل الأرض، يضعون العلوم الفيزيائية من التقدير في الموضوع العالي، ويتحدثون في زلاقة، وفي ثقة عن المنهج العلمي، ولكن عندما يوجد نصٌ خاص من نصوص المذهب الفلسفي، فيحوّل إلى مبدأ رسمي من مبادئ الحزب، لا يُؤذن لذي رأي مخالف أن يقوم إلى جنبه، وعندئذ لا يمكن أن يكون للعلم استقلال"^(٥).

٣. الأسس التي قام عليها الفكر الشيوعي:

حاول ماركس والشيوعية إيجاد تفسيرات عامة للنظم الاجتماعية في عصره^(٦)، وقد قامت على أسس ثلاثة، وهي: المادية الجدلية، والمادية التاريخية، والاشتراكية العلمية^(٧)، وقد وضع الماركسيون آراءهم، وأفكارهم، في مجال السياسة، والاجتماع، والاقتصاد، والعقائد، والأخلاق، وفق أصلي المادية الجدلية والمادية التاريخية^(٨)، فالأول يشكّل النظرية المادية الطبيعية والمجتمع، وكيفية تحليله عبر قوانين الديالكتيك، والثاني يتمثل في فلسفة التاريخ السوسيولوجي، بالاستناد إلى أدوات التحليل الديالكتيكية لدراسة التاريخ، والمجتمع، والاقتصاد^(٩).

(١) انظر: أضواء على المذاهب الهدامة، عبد القادر شيبية الحمد، (٧/ ١٢٥-١٢٦).

(٢) انظر: أضواء على الفكر الماركسي الكلاسيكي، توفيق سلوم، ص ٢٦٨-٢٦٩.

(٣) انظر: فذائف الحق، محمد الغزالي السقا، ص ١٩٤.

(٤) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (١/ ٢١١).

(٥) مواقف حاسمة في تاريخ العلم، جيمس كونانت، ترجمة: أحمد زكي، ص ٤٩٠.

(٦) انظر: علم اجتماع السياسة، موريس دوفرجه، ترجمة: سليم حداد، ص ٢٥٣.

(٧) انظر: مناهج البحث في العلوم السياسية، محمد محمود ربيع، ص ١٢١.

(٨) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٣.

(٩) انظر: القيمة والبنية الاقتصادية عند كارل ماركس، رشيدة شرقي، ص ٢٣.

أ. المادية الجدلية (الديالكتيك):

يعني مفهوم المادية الجدلية الديالكتيكية: أن الماركسية قامت على نزع المثالية، والاعتقاد بأن العالم مادي بطبيعته، وأن مختلف ظواهر الكون راجعة لها^(١)، فبنت أسلوبها في النظر إلى حوادث الطبيعة، وتعليلها، وطريقتها في المعرفة، على المادية^(٢).

وأما كونها جدلية، فهي: علم القوانين العامة لحركة وتطور الطبيعة، والمجتمع، والفكر الإنساني، أي أنه ينبغي النظر إلى العالم باعتباره مجموعة من العمليات، يطرأ فيها على الأشياء تغير مستمر من الصيرورة^(٣) والفناء، سواء بدت ظاهرة ثابتة، أو استقر في أدمغتنا كصورة عقلية أنها ثابتة^(٤).

ويطلق على المادية الجدلية الماركسية (الديالكتيك)، وهذه الكلمة اشتقت من الكلمة اليونانية القديمة: ديالجو، التي تعني المحادثة والمجادلة، والمصادمة الكلامية؛ للوصول إلى حقائق الأمور؛ لأن المجادلة - برأيهم - تساعدهم على اكتشاف المتناقضات بين الأفكار أو الآراء المختلفة لمختلف المفكرين والفلاسفة، واعتبروا هذا الأسلوب في المجادلة الأمثل للارتقاء بتفكيرهم إلى ما لا نهاية، ومن ثم الوصول إلى حقيقة كل شيء^(٥)، ثم صارت مصطلحًا علميًا عند فلاسفة الإغريق، يدل على حركة التغير والتطور الملاحظة في أشياء هذا الكون؛ فمنهم من أخضع ذلك لعلل وقوى خارجة عن الكون؛ ومنهم من تصور أنها ناتجة عن دوافع ذاتية كامنة في ضمن هذه الأشياء، كأن عناصر الكون تتجادل فيما بينها في حركة دائمة^(٦)، ومن هذا المعنى الثاني كان وصف مادية ماركس بالجدلية الديالكتيكية^(٧).

(١) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٣.

(٢) انظر: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، ص ١٧.

(٣) الصيرورة: انتقال الشيء من حال إلى آخر، أو من زمان إلى زمان. انظر: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٢٦٨.

(٤) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٤-٢٥. الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، نعيم محمود جعيني، ص ٢٥٣.

(٥) انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١٧٥.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٥٦٤-٥٦٥.

(٧) انظر: نقض الاشتراكية الماركسية، غانم عبده، ص ٢. كواشف زيوف، الميداني، ص ٥٧٠.

وقد اصطلح الماركسيون على مفهوم الجدلية أو الديالكتيكية بأنها: "علم القوانين العامة لحركة وتطور الطبيعة والمجتمع البشري والتفكير، علم الروابط العامة بين جميع الظواهر الموجودة في العالم"^(١).

ب. المادية التاريخية:

وتتلخّص رؤيتها للمادية في أن الوقائع الاقتصادية هي أساس كل الظواهر التاريخية والاجتماعية، وهي التي تقوم بتحديدتها، وهي مقابلة للمثالية التاريخية، التي تؤمن بأن للمؤثرات الفكرية والروحية شأنها في تحديد شكل الوقائع الأولى للحياة الاقتصادية، ومن المادية التاريخية ظهرت المادية الجدلية^(٢)، فالمجتمع يخضع في تطوره وتحوله إلى الجانب المادي (العامل الاقتصادي والإنتاج)، على أساس فكرة ماركس في تفسير العلاقة بين الوجود والوعي دون العكس، وذلك على ضوء قناعته بأن اكتمال وتماسك المادية لا يتأتى إلا بجعل علم الاجتماع منسجماً مع الأساس المادي، وإعادة بنائه على هذا الأساس، فالمادية الجدلية عندما تطبق على الحياة الاجتماعية للإنسان، لا بدّ وأن تفسر الوعي الاجتماعي باعتباره نتيجة للوجود الاجتماعي^(٣)، والوضع الاقتصادي لشعب ما هو الذي يحدد وضعه الاجتماعي، ومن ثم فإن الوضع الاجتماعي يحدد بدوره وضع الشعب السياسي، والديني، وهكذا دواليك^(٤).

-
- (١) أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، سبيركين وياخوت، ترجمة: محمد الجندي، ص ١٤.
- (٢) انظر: طريق الفيلسوف، جان فال، ترجمة: أحمد حمدي محمود، أبو العلا عفيفي، ص ١٣٠. محاضرات في تاريخ الماركسية، ريزانوف، ترجمة: جورج طرابيشي، ص ٤. أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشة، محمد شريف الزبيق، ص ٨.
- (٣) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٥-٢٦. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، (٢/٣١٠). الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٢/٩٢٠). أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة، فريدريك إنجلز، ترجمة: أحمد عز العرب، ص ٧. ركائز في فلسفة السياسية، يمني طريف الخولي، ص ٣٥. المسلم في عالم الاقتصاد، مالك بن نبي، تحقيق وإشراف: ندوة مالك بن نبي، ص ١٥.
- (٤) انظر: فلسفة التاريخ المفهوم المادي للتاريخ، بليخانوف، ص ٤٦. رسائل حول المادية التاريخية ١٨٩٠-١٨٩٤م، فريدريك أنجلز، ترجمة: إلياس شاهين، ص ٢٥.

فالمادية التاريخية تدرس القوانين التي تحكم تفاعل المادة، والوعي، والقوانين الكونية للوجود، فيما يتعلق بالحياة في المجتمع^(١)، فالشبكة الاجتماعية كلها ترجع إلى العامل الاقتصادي^(٢).

وفي ضوء ذلك، قسّمت الماركسية الحياة البشرية إلى خمس مراحل حتمية، هي الشيوعية الابتدائية، الرّق، الإقطاع^(٣)، الرأسمالية، الشيوعية الثانية والأخيرة، والانتقال من كل طور إلى طور لاحق يمثل حتمًا من جهة، ومردودًا إلى أسباب مادية واقتصادية من جهة أخرى^(٤)، معتبرين التطور مرحلة يقتضيها العصر^(٥)، فجاءت الشيوعية بزعم الماديين الماركسيين المرحلة الأخيرة الحتمية في حياة البشرية؛ لتغيّر القيم والأخلاق والأفكار جذريًا، حيث تُلغى الملكية الفردية إلغاءً كاملاً، وتختفي الطبقة، وتصبح الدولة هي المالك الوحيد^(٦)، ف"المادية الجدلية في تاريخ المجتمع البشري تظهر بالصراع بين التناقضات القائمة داخل المجتمع"^(٧).

والماركسيون يزعمون أنهم متيقّنون بتحقيق أفكارهم^(٨)، يقول لينين Lenin : "أقرّ كارل ماركس بحتمية تحول المجتمع الرأسمالي إلى مجتمع اشتراكي بصورة تامة"^(٩).

(١) انظر: النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة، ا. ب. شبتولين، ص ١٤٩. لودنيغ فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، فريدريك إنجلز، ص ١٧.

(٢) انظر: ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ص ٣١.

(٣) الإقطاع: النظام الذي كان معترفًا به أيام تسلّط الأباطرة، ورجال الدين النصراني على الفقراء، واقتطاعهم الأراضي الواسعة وحرمان الفقراء منها؛ بل جعلهم عبيدًا لأصحاب الإقطاعيات يباعون مع بقية كائنات الإقطاعية. المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (٢/ ١٠٧٧-١٠٧٨).

(٤) انظر: الإيمان بالله والجدل الشيوعي، فتح الرحمن أحمد الجعلي، ص ٥٥. المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (٢/ ١٠٩٤-١٠٩٥).

(٥) انظر: المادية التاريخية دراسة في نظرية المجتمع الماركسية، كيلله كوفالسون، ترجمة: إلياس شاهين، ص ٢٥١.

(٦) انظر: أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية، فريدريك إنجلز، ترجمة: أديب يوسف، ص ٢٢٨. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٥.

(٧) كواشف زيوف، الميداني، ص ٥٧٨.

(٨) انظر: الفهم الثوري للدين والماركسية، زاهر الخطيب، ص ٨٢.

(٩) حول الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية، لينين، ترجمة: إلياس شاهين، ص ٨٩. لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ، سينفال، ص ١٢.

وقد سعى الماركسيون إلى تنفيذ المهام الخاصة بتطوير حياة المجتمع المادية من خلال النشاط التنظيمي والتحريكي^(١).

يقول ماركس: "تصبح النظرية قوة مادية حالما تستحوذ على الجماهير"^(٢)، فابتكر ماركس نظرية فائض القيمة^(٣)، التي ركز فيها على العمل الإنساني، واعتبره مصدر قيم الأشياء، أو على حد تعبير إنجلز: أن العمل مصدر لكل ثراء، ومقياس لكل القيم^(٤)، وقد استخدم الشيوعيون كل الوسائل لتحقيق ذلك، بما فيها مصادرة الحريات، وكبت المعتقدات، وفرض الأوهام بالحديد والنار^(٥)، يقول لينين Lenin: "إن الثورة البروليتارية غير ممكنة بدون تحطيم جهاز الدولة البرجوازي بالعنف"^(٦).

فلم تعد الماركسية مذهباً فقط، يعتقد به بعض الناس، وإنما أصبحت دولة، تدير بمبادئ مستقاة منها، واستشراف نتائج رصدتها أقطابها^(٧).

وقد بنى ماركس معالم الشيوعية وأركانها ومخططاتها لقيام المجتمع الشيوعي على: خمس مراحل، تبدأ باستيلاء الطبقة الكادحة على مقاليد السياسة، وذلك بعد الصراع بين البرجوازية والبروليتاريا، ثم تأميم مصادر الثورة^(٨)، ووسائل الإنتاج الرأسمالية في البلاد، ثم القضاء على رأس المال، وتوزيع المال كل حسب عمله، ثم القضاء على الطبقات، ثم القضاء على الحكومة بإنشاء حكومة دكتاتورية، قادرة على تحقيق الرسالة التاريخية للمجتمع الاشتراكي^(٩).

(١) انظر: الماركسية والحرية، كوسلابوف، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، ص ٢٤٦.

(٢) دراسات هيجلية، إمام عبد الفتاح إمام، ص ٨٣.

(٣) فائض القيمة: الفصل بين الأجر المستحق عن العمل المبذول، وبين ما يحصل عليه العامل من الأجر، أو هو الزيادة التي يبتزها صاحب العمل من العامل نتيجة إعطائه أجراً لا يساوي جهده المبذول، فإن معدّل ما يقدمه العامل من جهد هو أكبر مما يناله من الأجر. انظر: النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، أمير عبد العزيز، ص ١٤١.

(٤) انظر: الماركسية، فردريك إنجلز، ترجمة: ماهر نعيم، ص ١٠.

(٥) انظر: الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس بن عبد الله الجلعود، (٦٠٠/٢).

(٦) أسس اللينية حول مسائل اللينية، جوزيف ستالين، ص ٥٠.

(٧) انظر: الشيوعية والأديان، طارق حجي، ص ٢٩.

(٨) تأميم مصادر الثورة: جعل مصادر الثروة الطبيعية والمشروعات الحيوية في الدولة ملكاً للأمة، تتوب عنها الدولة في إدارتها واستغلالها. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (١/ ١٢٢).

(٩) انظر: اقتصادنا، محمد باقر الصدر، ص ١٩٠-١٩١. أضواء على المذاهب الهدامة عبد القادر شيبية الحمد، (٧/ ١٢٦).

٤. قوانين الماركسية (قوانين الجدل):

تقوم الجدلية على قوانين وقواعد ثلاثة، وهي: قانون وحدة الأضداد والصراع بينهما، وقانون تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات كيفية، وقانون نفي النفي^(١)، ولقد أوجب الماديون الجدليون دراستها؛ من أجل معرفة قوانين العالم المادي التي ترتبط بالنشاط الإنساني^(٢)، وقد اصطلحوا على تسميتها: مبادئ التحليل الماركسي^(٣).

أ. قانون وحدة الأضداد والصراع بينها:

يُعد هذا القانون هو الأهم في الديالكتيك^(٤)، وهو يشير إلى وجود الأضداد في وحدة ذاتية ضمن المادة، وأجزاء المادة، وأن موضوعات العالم، أو ظواهره جميعاً هي عبارة عن وجود بين أقطاب متتافرة، فكل شيء يحمل نقيضه في ذاته، وهذا التناظر يمثل الدافع الأساسي إلى الحركة والتطور والتغير في كل شيء في الكون المادي، فالعامل الأساسي في التطور هو صراع الأضداد، حيث إن مظاهر الطبيعة تحتوي على تناقضات داخلية^(٥)، فإذا كانت المادة وحدة أضداد ونقائض، فمن الطبيعي أن يحدث صراع بين تلك النقائض، وعن هذا الصراع ينبثق التطور والتغير؛ وبناءً على ذلك تكمل الطبيعة سيرها^(٦)، وهكذا تبقى الطبيعة في حركة دائمة مستمرة، وخاصة مع كثرة أنواع الحركات فيها^(٧).

(١) انظر: تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، ص ٢٤-٢٥. قوانين المادة الجدلية عند ماركس: الأصول الفلسفية للتربية، سعيد إسماعيل علي، ص ٨٥-٨٦.

(٢) انظر: الفلسفات المادية الغربية وأثرها في الفكر الاندونيسي، زين العارفين ابن زكريا، ص ٤١.

(٣) انظر: المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج، نبيل علي صالح، ص ٢١.

(٤) انظر: المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، ص ١٢.

(٥) انظر: إفلاس الفكر الماركسي دراسة نقدية، محمد عبد الفضيل القوصي، ص ١٨٥-١٨٨. لهذا نرفض الماركسية، عبد الرحمن البيضاني، ص ٥٥٢. أسس الاشتراكية العلمية- المادية الديالكتيكية، جماعة من الأساتذة السوفييت، نقله عن الروسية: فؤاد مرعي، وآخرون، ص ٢٦٥. أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتز (١٣١/١). الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ٤٤-٤٥. المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، ص ١٦.

(٦) انظر: الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ٤٧. الفكر الماركسي في ميزان الإسلام، محمد رشاد عبد العزيز دهمش، ص ٤٧. نقض أوهام المادية الجدلية محمد سعيد البوطي، ص ٥٨. ألف باء المادية الجدلية، فاسيلي بودوستنيك، أوفشي ياخوت، ص ٥٩-٦٠. في التناقض، ماوتسي تونج، ص ١٣.

(٧) انظر: هيرقليطس فيلسوف التغير وأثره في الفكر الفلسفي، علي سامي النشار، ص ٣٧٦.

يقول انجلز Inglis: "إن الطبيعة بأجمعها، من أضال الأجزاء إلى أكبر الأجسام، هي في حركة دائمة من النشوء والاضمحلال، وهي مد لا ينقطع في حركة وتغير مستمرين وأبديين"^(١)، ويقول أيضًا: "إننا مغمورون في التناقضات، فالحركة نفسها هي تناقض"^(٢). ولا يبحث هذا القانون في التناقضات باختلاط الأفكار؛ لأن الفكر المتناقض ليس جدليًا، وهو فكر مشوش، لا يُدرك التناقض^(٣).

ب. قانون تحول الكم إلى كيف:

إن قانون تحول التغيرات الكمية إلى تغيرات نوعية عند الماركسيين، يبين طريقة التطور، بينما قانون وحدة الأضداد وصراعها يعرف بالقوة المحركة لقانون التغير ومصدرها^(٤)، حيث تزعم الشيوعية: "أن التغيرات التي تطرأ على كمية الشيء تؤثر أخيرًا في تغير كميته، فالحجارة التي تتراكم شيئًا فشيئًا في مجرى النهر تتحول عند حد معين من تطورها الكمي^(٥) إلى كيف^(٦) جديد، لم تكن من قبل، إذ إنك تنتظر فترى ركام الحجارة، وقد أصبح سدًا، والتغير في الكيفية لا يتحقق بالتدرج تبعًا لما يتم من التدرج في تغير الكمية، وإنما يكون تغير الكمية بمثابة التهيؤ والإعداد لولادة كيفية جديدة منتظرة، حتى إذا جاءت اللحظة الحاسمة تم التغير الكيفي فجأة وبقفزة، إلا أن شكل هذه القفزة تختلف ما بين حالة وأخرى"^(٧).

ويقر الشيوعيون بوجود صلة واضحة بين التحولات الكمية والتحولات النوعية؛ لأن التحول النوعي ليس من قبيل الصدفة؛ بل هو نتيجة للتحول الكمي^(٨).

(١) ضد دوهرنغ، ديالكتيك الطبيعة، كارل ماركس، فردريك انجلز، ص ٤٩١.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٢.

(٣) انظر: أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتز، (١/١٣٤).

(٤) انظر: ألف باء المادية الجدلية، فاسيلي بودوستنيك، أوفشي ياخوت، ص ٥٦-٥٧.

(٥) الكم هو: الظواهر التي تحدد بالوزن، أو العدد، أو الحجم، أو القياس، وهو ينقسم إلى كم متصل، وهو: ما يحدد بالحجم وأحيانًا بالوزن، كالسطح مثلًا، وكم منفصل، وهو: ما يحدد بالعدد، وأحيانًا بالوزن، كالأعداد مثلًا. انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن الميداني، ص ٣٢٩-٣٣٠. مدخل إلى الفلسفة الماركسية، غازي الصوراني، ص ٤١.

(٦) كيف هو: السمات الجوهرية للشيء، والمقولة التي تبحث في هيئة الشيء، وفي عوارض الجسم، سواء كانت بدنية أو نفسية، ولا تخضع لضوابط العدد والحجم والوزن، مثل: الصلابة، والليونة، والخجل، والانفعال، والحرارة والبرودة، والقوة والضعف، والبقاء والزوال انظر: ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن الميداني، ص ٣٢٩-٣٣٠. مدخل إلى الفلسفة الماركسية، غازي الصوراني، ص ٤١.

(٧) نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد البوطي، ص ٣٥.

(٨) انظر: أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتز (١/٥٦).

يقول ستالين: "إن الديالكتيك خلافاً للميتافيزيا، لا يعتبر حركة التطور حركة نمو بسيطة، لا تؤدي التغييرات الكمية فيها إلى تغييرات كيفية؛ بل يعتبرها تطوراً ينتقل من تغييرات كمية ضئيلة وخفية إلى تغييرات ظاهرة وأساسية، أي: إلى تغييرات كيفية، وهذه التغييرات الكيفية ليست تدريجية؛ بل هي سريعة فجائية، وتحدث بقفزات من حالة إلى أخرى، وليست هذه التغييرات جائزة الوقوع؛ بل هي ضرورية، وهي نتيجة تراكم تغيرات كمية غير محسوسة وتدرجية"^(١).

وهكذا تبقى قفزات التطور إلى الكيف سائرة في الطبيعة، يقول إنجلز Inglis: "وهكذا برهنت العلوم أن الطبيعة تعمل في النتيجة بصورة ديالكتيكية، لا بصورة ميتافيزيقية، وأنها تتحرك في دائرة تبقى هي ذاتها دائماً، وتكرر إلى الأبد؛ بل إن لها تاريخاً واقعياً"^(٢).

ت. قانون نفي النفي:

تنظر المادية الجدلية إلى الطبيعة على أنها في حركة دائمة، وتطور مستمر^(٣)، وخلال هذه العملية تنفي كل درجة عليا، وتزيح الدرجة السابقة، لكنها ترفعها في الوقت نفسه إلى مستوى جديد وتصون كل المضمون الايجابي المكتسب أثناء تطورها^(٤)، فهي عملية متكررة متجددة، يهلك فيها القديم، أو الذي مضى زمانه، ويحل محلها ظواهر جديدة، أعلى وأرقى، حتى إن الظاهرة الجديدة تصبح فيما بعد قديمة بالية يجري نفيها من قبل ظاهرة أقوى وأكثر جدة وعطاءً، وهذه العملية تمر في الطبيعة والمجتمع^(٥).

ويتميز هذا القانون بالاستمرار الذي لا توقف له، فهو دستور التطور الدائم، مع بقاء عناصر القديم الذي تم نفيه، وتسير هذه العملية بشكل دائري لولبي متصاعد مستمر، وليس سيراً ميكانيكياً مستقيماً، بحيث يرتد نفي النفي إلى أطروحته الأولى بشكل أغنى وأفضل وأرقى^(٦).

وترى الماركسية في نظرية التطور لدارون أكبر ثروة في مجال الاستشهاد على صحة هذا القانون، وحتميته على حد تعبيرهم^(٧).

(١) المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، جوزيف ستالين، ص ٢٧.

(٢) ضد دوهرنغ، ديالكتيك الطبيعة، كارل ماركس، فردريك إنجلز، ص ٢٥.

(٣) انظر: أصول الفلسفة الماركسية، جورج بوليتز، (١/٥٠-٥١).

(٤) انظر: ألف باء المادية الجدلية، فاسيلي بودوستنيك، أوفشي ياخوت، ص ٦٦.

(٥) انظر: النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، أمير عبد العزيز، ص ٤١-٤٢.

(٦) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد البوطي، ص ٣٧، ٧٤.

(٧) انظر: قراءة في هزيمة الفكر الشيوعي، صابر طعيمة، (٢/٢٣٣).

ثالثاً: الرد على المادية الشيوعية:

١. عرض ماركس نظريته الشيوعية قبل عصر الفيزياء الذرية^(١)، بما يقرب من قرن من الزمان، عصر بلانك Blanc وشروندجر Shrodeng، وهايزنبرج Heisenberg، واينشتاين Einstein، حيث تهاوت جدران المادية، واختلط الصواب بالخطأ والاحتمال^(٢)؛ مما جعلها ضعيفة أمام العلم، تتلون وتترجع مع كل تطور علمي، وتتنازل عن حقائقها شيئاً فشيئاً^(٣)، وخاصة مع ازدياد المعارف حول الدين والكون^(٤).

وليس أدلّ على ذلك عجزهم عن تحديد ماهية المادة^(٥)، وإعادتهم صياغة تعريفها في مطلع القرن العشرين؛ ليتلاءم مع الاكتشافات العلمية الحديثة^(٦)، فتم اكتشاف انقسام المادة، وفناءها، وغير ذلك^(٧).

هذا فضلاً عن اختلافها مع العلم، وقيامها على التعصب، ومظاهرة الضلال والجهل^(٨)، فهم يجدون صعوبة في التعبير عن إلههم المزعوم، كما قال لينين Lenin: "نحن لا نستطيع أن نحقق الحركات، أو أن نعبر عنها، أو أن نمثلها بدون أن نعطل التيار المتصل، وبدون أن نعدم إلى تقسيمها، وقتل الحساسية فيها"^(٩)، ولكنهم يتناقضون مع أنفسهم هنا عندما يرفضون هذه الصعوبة في مجال اللاهوت، ويتقبلونها في مجال المادة^(١٠).

٢. يقول الشيخ عبد الرحمن الميداني: "الشيوعية عقيدة جبرية، مادية إلحادية، غير أخلاقية، استبدادية (ديكتاتورية)، شاملة تحت ستار مصلحة المجتمع، وأن الفرد للمجتمع والمجتمع للفرد، أنانية استثنائية بامتلاك كل شيء، حتى الكتل البشرية التي تستطيع أن تخضعهم

(١) الفيزياء الذرية: دراسة بنى وخواص ونشاطات الذرة. أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصره جي، ص ٧.

(٢) انظر: العلم في مواجهة المادية، قراءة في كتاب حدود العلم لسوليفان، عماد الدين خليل، ص ٥٨.

(٣) انظر: الماركسية في مواجهة الدين، حقائق ووثائق، عبد المعطي محمد بيومي، ص ٦٥.

(٤) انظر: منازع الفكر الحديث، جود س. أ. م، عربه: عباس فصي خماس، ص ١٦-١٧.

(٥) انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ٢٠٦.

(٦) انظر: حوار مع الشيوعيين في أقيية السجون، عبد الحليم خفاجي، ص ٧١.

(٧) انظر: الفكر الماركسي في ميزان الإسلام، محمد رشاد عبد العزيز دهمش، ص ١٢٢. الماركسية في مواجهة الدين، حقائق ووثائق، عبد المعطي محمد بيومي، ص ١٦٤-١٦٦.

(٨) انظر: الشيوعية في الميزان، محمد علي عبد السمیع، ص ١١٠.

(٩) مجلة ديوجين "مصباح الفكر"، تيودور بابادوبولس، ع ٨، ص ١٤٢.

(١٠) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١١١-١١٢.

لسلطانها، فهي تمثل الربوبية البشرية بأقبح صورها من جهة، والعبودية الذليلة البائسة بأقبح صورها من جهة أخرى^(١).

٣. مناقشة قوانين الماركسية (قوانين الجدل):

أ. الرد على قانون وحدة الأضداد وصراعها:

- إن الحركة لا تُعد صراعًا بين التناقضات في المحتوى الداخلي للأشياء؛ إنما هي اتحاد وتشابك بين القوة والفعل^(٢)، فلا مستند لدليل التناقض من الفكر أو الواقع^(٣)، ووجود الحركة في المادة وتغيرها - على زعمهم - يدل على وجود الفاعل الخالق^(٤)، كما أن التناقض يحصل بين النفي والإثبات إذا تحققت شروطهما^(٥)، وهذا ما لا يحصل في الحركة، التي تسير من درجة إلى درجة، إلى مقابلة لها، من دون أن تجتمع تلك الدرجات المتقابلة في مرحلة واحدة من مراحل الحركة أو التطور^(٦).
- إن ماركس اختزل تاريخ المجتمعات في تاريخ الصراع بين الطبقات، وهو ما يعني أنه يرد كل أنواع الصراع إلى هذا النوع الأخير^(٧).
- إن الكون مليء بالمتناقضات والأضداد، وهذا مشاهد معلوم، ولكنها لا تجتمع في وحدة مكانية مهما تصغر^(٨).
- إن تحوُّل المادة إلى تركيبات مختلفة يتم عن طريق اندماج الذرات، وبتأثير خارجي، في حين ترى الماركسية أن التحوُّل يحدث في الباطن الداخلي للمادة^(٩).
- أثبت العلم اليوم أن الذرة مركبة، أي ليست أصغر جزئيات المادة، وأنها تنقسم، وليس كما توهم ماركس وإنجلز وغيرهما من أئمة الشيوعية^(١٠).

(١) الكيد الأحمر، عبد الرحمن حسن الميداني، ص ١٣.

(٢) انظر: الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ٥٣.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٦٥.

(٤) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود محمد مزروعة ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٥) انظر: الدين والفلسفة المادية الجدلية، أحمد علي حيشي، ص ٥٨.

(٦) انظر: المرجع السابق، ص ٥١.

(٧) انظر: الاشتراكية، رفعت المحجوب، ص ٤.

(٨) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد البوطي، ص ٥٩.

(٩) انظر: المرجع السابق، ص ٣٩. تهافت العلمانية في الصحافة العربية، سالم البهنساوي، ص ١٠١-١٠٢.

(١٠) انظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية، سالم البهنساوي، ص ١٠١. بواتق وأنابيق، برنارد جافي، ترجمة: أحمد زكي، ص ١٥١، ٣٢٠، ٣٢٧، ٣٣٤، ٣٣٥. انتصارات العلم الحديث، ميلفين برجر، ترجمة: =

- زعمت الماركسية أن العناصر الأساسية للكون قد وُجدت في خلال التناقضات الداخلية، ومثّلوا على ذلك بالهيدروجين^(١) وتناقضاته، وتوليد الهليوم، وتناقضات الهليوم، وتوليد مواد أخرى، حتى يصل التطور إلى ذروته، والسؤال هنا: لماذا لم تتكامل جميع ذرات الهيدروجين وتتحول إلى هليوم؟ ولماذا تحول بعضها وبقي الآخر محتفظاً بخواصه؟ وإذن فليست المادة ديناميكية بذاتها تُؤدّ تفاعلاتها، وتنوعاتها، وظواهرها بنفسها؛ لأن كل ذلك - حتى ماديتها - شيء عرضي لها^(٢).

ب. الرد على قانون تحول الكم إلى كيف:

- إن الكم المتصل يتحول إلى كيف، ولكن ذلك ليس قانوناً حتمياً، فتراكم الحجارة في مجرى النهر قد تتحول إلى سد إذا اتحدت في كتلة واحدة، ولكنها قد تقف عند حدود كميّات بسيطة لا تتحوّل فيها، وجميع التحولات الكيميائية، والقوانين الهندسية، والطاقات الحياتية تخضع لقانون ملازمة الكيف للكم، ولكن بشرط أن يكون الكم متصلاً بما بذاته، أو عن طريق الصهر والتأليف^(٣).

- لا يلزم أن يتحول الكم المنفصل إلى كيف، فالماء المتحول بخاراً فوق أسطح البحار، وتحمله السحب، ليس شرطاً أن يتحول إلى ماء هائل، إلا إذا هبطت درجة الحرارة فيها إلى مستوى يسمح لها بأن تُحيل تلك الأبخرة إلى أمطار هائلة، وكذا يُقال في كمية الأسعار الحرارية التي تدخل الجسم عن طريق الغذاء، طالما تناسبت مع حاجة الجسم وإنفاقه لها، وهكذا أشعة الشمس تنتشر وتتبدّد، ولا تحدث القفزة إلا عند تهيؤ سببها، كأن تتجمع الأشعة في سطح معين، ثم تنعكس على أفران معينة^(٤).

- ليس من شرط قفزة التحول أن تتجه إلى الأعلى والأفضل دائماً؛ بل حسب السبب، فربما كانت إلى الخلف، فمن السهل مثلاً أن تتحول ألف وحدة من طاقة النور إلى ألف وحدة

=ثابت قصبجي، عبد العزيز محمود، ص ١٠٧-١٠٨. المذهب المادي في العصر الحاضر، أحمد الأهواني، ص ٨٧-٨٨. هذا الكون ماذا نعرف عنه؟، راشد المبارك، ص ١١٣.

(١) الهيدروجين: العنصر الأكثر شيوعاً في الكون، يتألف من بروتون واحد في نواته، يدور حولها الكترون واحد. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٩٧.

(٢) انظر: مطارحات في الفكر المادي والفكر الديني، محمد مهدي شمس الدين، تحقيق: محمد صادق الغريبي، ص ٨٨-٩٠.

(٣) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد البوطي، ص ٧١-٧٢.

(٤) انظر: المرجع السابق.

حرارية^(١)، مع أن طاقة النور أغنى من طاقة الحرارة كما هو معلوم، وهكذا خلايا الجسد تتجه للركود، وهو خط سير الطبيعة المنحدر عمومًا^(٢).

ت. الرد على قانون نفي النفي:

- يفقد القانون إلى الأسس العلمية والواقعية والحسية، فالملاحظ أن خط سير الطبيعة منحدر إلى الأدنى، ففي عالم النبات مثلًا نرى أن التصاعد يرتد في عملية التطور إلى أصله، دون إضافة جدية أو الحصول على تركيب أغنى وأفضل من ذي قبل، وفي عالم الطبيعة والفلك نجد أن مادة الكون آخذة في الانحلال والتلاشي أثناء تحولها إلى إشعاع، وكذا وزن الشمس نقص آلاف الأطنان عبر تاريخها، وكذا يحصل في خلايا الجسم، حيث تتقاصر أجهزة الجسم كلها عن أداء وظيفتها، وصولًا بالإنسان إلى الموت^(٣).

- إن الماركسيين لا يستطيعون تطبيق قوانينهم على كثير جدًا من الأمثلة والنماذج، فمثلًا: حبة الشعير هي ذاتها لم تتغير إلى نوعية أجود وأفضل منذ خلقت، ولم تحقق عمليات الزرع المتلاحقة لها إلا رجوعًا دائريًا إلى أصلها ذاته، وما يُقال عن الشعير والقمح ينطبق بذاته على كل أصناف النبات والأشجار المثمرة^(٤).

تلك فقط أمثلة من جملة أمثلة كثيرة جدًا التي تؤكد بالبيان والبرهان عدم صدق قوانين الماركسية ومبادئها.

ومن خلال ما سبق يتبين أن الفكر الماركسي فكرٌ مادي، يرفض الدين والأخلاق، ويمجد المادة، ويسعى إلى التخلص من أي معانٍ غيبية.

(١) الوحدة الحرارية: وحدة بريطانية لقياس الحرارة وقيمة الطاقة. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر، (١/ ٤٦٩).

(٢) انظر: نقض أوهام المادية الجدلية محمد سعيد البوطي، ص ٧٣، ٧٧.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٧٧-٧٩.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٧٩-٨١.

المطلب الثاني

المادية في الفكر العلماني

إن الفكر العلماني فكر قديم معاصر، له أشكاله، وله أحكامه، وقد تبلور عبر الزمن، حتى صار فكرًا ماديًا ملحدًا، يعتمد على المادية، ويفصل الدين عن شؤون الحياة المختلفة، وهذا المطلب يعرض فيه الباحث التعريف بالعلمانية، وأفكارها، والرد عليها.

أولاً: مفهوم العلمانية وبيان أقسامها:

١. مفهوم العلمانية ودلالاتها ونشأتها:

أ. العلمانية لغة: يعود أصل كلمة العلمانية إلى اللغة اللاتينية، وهي مأخوذة من كلمة: Secularism، أو secularity بالفرنسية، وتعني: الدنيا، أو الدنيوية، أو اللادينية^(١)، وهناك من ينطقها بكسر العين؛ نسبة إلى العلم نسبة خاطئة لا سند لها من تاريخ أو لغة؛ لأن Science العلم، النسبة إليه بالإنجليزية: Scientific، وبالفرنسية: Scientifique، والصحيح أنها تُنطق بالفتح؛ نسبة إلى العلم، بمعنى العالم أي: الدنيا^(٢).

ب. العلمانية اصطلاحًا: يُعد مصطلح العلمانية الأكثر تداولًا في الحوارات الفكرية المعاصرة^(٣)، وهو اصطلاح جاهلي غربي، يشير إلى انتصار العلم على الكنيسة النصرانية، التي حاربت التطور باسم الدين^(٤).

وعند تتبُّع المصطلح في المراجع والمصادر، فإن العلمانية منظومة فكرية، متكاملة، لرؤية الواقع والعالم، والكون، وفلسفة الحياة، تقوم على التحرُّر من الأديان، والثوابت، والأعراف الاجتماعية، وتستهدف عزل الدين عن الحياة، وإلغاء كل مرجع ديني منها، ورفضه، وعدم

(١) انظر: العلمانية في الإسلام، إنعام أحمد قدوح، ص ٩-١٠. الكنز، معجم فرنسي-عربي، جروان السابق، ص ١٠٣٠.

(٢) انظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى المغربي، ص ٣٣. الكنز، معجم فرنسي-عربي، جروان السابق، ص ١٠٢٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، (٢٢٤/٢). العلمانية تاريخ الكلمة وصيغتها، عبد الصبور شاهين، ص ١٢٤. قصة دخول العلمانية في المعجم العربي، عدنان الخطيب، ص ١٦٦.

(٣) انظر: أطروحات التوفيقيين حول قضايا المرأة بين الإسلام والعلمانية دراسة نقدية، محمد إبراهيم العوضي، ص ٢٤٠.

(٤) انظر: الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة، ناصر القفاري، ناصر العقل، ص ١٠٣.

المبالاة به؛ ولذلك سرّبت مصطلح (رجال الدين) إلى العالم الإسلامي، فهي في مجملها تعني: اللادينية^(١).

والفارق الجوهرى بين العلمانية الشاملة والعلمانية الجزئية هو أن العلمانية الشاملة تمحو من الدين كل شيء، حتى أثره في أفراد الناس، في ضمائرهم وخلواتهم، أما الجزئية فتجود على الدين بفسحة من المكان الضيق، على ألا يغادره، فإن عصى فقد استجوب المحاسبة والمحاربة^(٢).

ت. نشأة العلمانية وظروفها: نشأت العلمانية ومن بعدها الماركسية، وذلك بالتزامن مع ميلاد الثورة الفرنسية ١٧٨٩م، ثم انتشرت العلمانية كالتعاون في القرن العشرين، وقد روجت الماسونية، والصهيونية، والشيعوية لمبادئ العلمانية، فاعتنقتها شعوب الأرض، وتبنّتها حكوماتهم^(٣).

نشأت العلمانية في أوروبا كردّ فعل لصكوك الغفران^(٤)، والطغيان الكنسي بشكل عام، وكأثرٍ للفصل بين الدين والعلم، ومحاربة الكنيسة للعلماء والنظريات العلمية^(٥)، فنشأت في أوروبا بهذه الظروف والمناخات، وبروح التخلى عن الدين، ثم خطّط أعداء الإسلام لنقلها إلى

(١) انظر: التطرف العلماني في مواجهة الإسلام، يوسف القرضاوي، ص ١٥-١٦. العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً، فتحي القاسمي، ص ٤٧. مداخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، سيد محمد العطاس، ترجمة: محمد طاهر الميساوي، ص ٤٢-٤٣. العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً، فتحي القاسمي، ص ٤٧. العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري، ص ٧٢. التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منى محمد الشافعي، ص ٤٤.

(٢) انظر: العلمانية طاعون العصر، كشف المصطلح وفضح الدلالة، سامي عامري، ص ٢٣٩.

(٣) انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١٧٢. الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، ترجمة: عفيف البعلبكي، ص ٨٢.

(٤) صكوك الغفران: صكوك يصدرها أهل السلطة في الكنيسة، يُغفر بمقتضاها لحاملها ما اقترفه من الذنوب في حياته، مقابل مبالغ مالية للكنيسة، تم إقرار هذه الفكرة في المجمع الثاني عشر سنة ١٢١٥م، ونصّ على أن الكنيسة الكاثوليكية تملك حق الغفران للذنوب، وتمنحه لمن تشاء. انظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ص ٣٤٤.

(٥) انظر: تهافت العلمانية في الصحافة العربية، سالم البهنساوي، ص ٧٤. الإسلام والمذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة، مصطفى حلمي، ص ٨٧. في العلمانية والدين والديمقراطية، رفيق عبد السلام، ص ٢٦. زخرف القول، عبد الله بن صالح العجيري، فهد بن صالح العجلان، ص ٢٢٤.

البلاد الإسلامية^(١)، وكان ديكرت هو أول من دعا إلى فصل سلطة الدين عن السياسة الحكم، ثم تبعه بيرون^(٢)، ثم سبينوزا ثم جوك لوك^(٣).

ث. مراحل العلمانية وصورها:

- مرحلة العلمانية الرخوة، وهي مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر، وهذه المرحلة اعتبرت الدين أمرًا شخصيًا، لا شأن للدولة به، وإن كانت الدولة مطالبة بحماية الكنيسة، وطالبت هذه المرحلة بالفصل بين الدولة والكنيسة، ولم تسلب المسيحية كدين من كل قيمة منها، ولكنها طالبت بإخضاع تعاليمها للعقل ومبادئ الطبيعة؛ فنشأ بسبب ذلك مذهب الربوبيين الذي يعترفون بوجود الله كأصل للعالم، ولكنه ينكر الإعجاز والوحي وتدخّل الله في العالم^(٤).

ومن دعاة هذه المرحلة: فولتير^(٥)Voltaire في فرنسا، وشفتسيري^(٦)Shaftsiri في إنجلترا، وليسنينغ^(٧)Lising في ألمانيا^(٨)، ولايبنتز^(٩)Leibniz في ألمانيا^(٩)، وحاول أصحاب هذه الصورة التوفيق بين الإيمان بوجود إله خالق للعالم، وبين العلمانية التي ترى العالم مكتفياً

(١) انظر: مصادر الدراسات الإسلامية، يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، (٥٨٦/٢). العلمانية مفاهيم ملتبسة، حسن وريغ، أشرف عبد القادر، ص ٣٢٨. قدر العلمانية في العالم العربي، كمال عبد اللطيف، ص ١٤١. قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، ص ٢١٢.

(٢) بيرون Outside : فيلسوف يوناني، وُلد في ٣٦٥ ق.م، وتوفي عام ٢٧٥ ق.م، يُعتبر مؤسس مذهب الشك الذي نُسب إليه فُعرف بالبيرووية. انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص ٢٧٧-٢٧٨.

(٣) انظر: الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ١٦٩.

(٤) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي ص ٩٢. العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاکر الشریف، ص ١٥-١٦.

(٥) فرانسوا ماري آروويه (فولتير Voltaire): كاتب، وفيلسوف فرنسي، عُرف بنقده الساخر، وُلد في عام ١٦٩٤م، وتوفي في عام ١٧٧٨م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٧١.

(٦) انطوني اشلي كوبر شفتسيري Anthony Ashley Cooper Shaftesiri: فيلسوف وأديب انجليزي، وُلد في عام ١٦٧١م، وتوفي في عام ١٧١٣م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٣٩٥.

(٧) غوتهولد إفرايم ليسنينغ Guthold Ephraim Lissing : كاتب ألماني، وفيلسوف، وُلد في عام ١٧٢٩م، وتوفي في عام ١٧٨١م. انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي ص ٩٢.

(٨) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي ص ٩٢. العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاکر الشریف، ص ١٥-١٦.

(٩) غوتفريد فيلهيلم لايبنتز Leibniz: فيلسوف وعالم طبيعة وعالم رياضيات، ألماني، وُلد في عام ١٦٤٦م، وتوفي في عام ١٧١٦م. انظر: مصادر الدراسات الإسلامية يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، (٥٨٩/٢).

بذاته^(١)، وهو تصوّر مؤسّس على تصور أرسطو، حيث رأى أن عناية الله موقوفة على ذاته، ولا تدخل له في الأحداث الجزئية في العالم والطبيعة، حيث أودع في العالم والطبيعة الأسباب المؤدية لتدبيرها ذاتياً^(٢).

- مرحلة العلمانية الصلبة لا العادية، وهي مرحلة العهد المادي، أو ما يسمى بالثورة العلمانية، وهي مرحلة القرن التاسع عشر وما بعده، وعلمانية هذا العصر تُلغي الدين إلغاءً كاملاً، وتؤمن بالمحسوس فقط، وتدفع للاستتار بسلطة جماعة العمل، أو المجتمع، أو الدولة، أو الحزب، وذلك من خلال إلغاء الدين، ومن دعاة هذه المرحلة: هيجل Heigl، وفيرباخ Verbach، وكارل ماركس Karl Marx، وأضرابهم^(٣).

ثانياً: مجمل أفكار العلمانية المادية وعلاقتها بالإلحاد:

١. تقوم العلمانية على مجموعة من الأسس والقواعد، وهي: الرؤية المادية، وإقامة الحياة عليها، وإنكار كل ما وراء المادة، وتُحْيِي الغيب والميتافيزيقا، ونزَع القداسة عن المقدّس، والعقلانية المطلقة، والنسبية المطلقة، وفصل الدين عن الحياة، وإلغاؤه تماماً من المنظومة المعرفية أو السلوكية^(٤).

٢. وللعلمانية أركان معلومة، فهي تقصر الاهتمام الإنساني على الدنيا فقط، وتأخّر منزلة الدين في الحياة، وتفصل العلم، والأخلاق، والفكر، والثقافة عن أي جانب ديني، وتسعى إلى إقامة دولة ذات مؤسسات سياسية على أساس غير ديني^(٥).

(١) انظر: مصادر الدراسات الإسلامية يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، (٥٨٩/٢).

(٢) انظر: موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، ص ١٠٤-١٠٦.

(٣) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي ص ٩٢. العلمانية وثمارها الخبيثة، ص ١٥-١٦.

(٤) انظر: العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، ص ٢٧٥. الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام، جمعة الخولي، منها ص ٩١. العلمانية المنشأ والأثر في الشرق والغرب، زكريا فايد، ١٣٣. العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد الرحيلي، ص ٤٠٧.

(٥) انظر: العلمانية- الليبرالية- الديمقراطية- الدولة المدنية في ميزان الإسلام، اللجنة العلمية بجمعية الترتيل، ص ٩-١٠.

٣. تقوم العلمانية على تطبيق مبدأ النفعية البراجماتية مع كل شيء في الحياة^(١)، كما أنها تطبق مبدأ الميكافيلية في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق، وهو مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، مهما كانت الوسيلة منافية للدين والأخلاق^(٢).

٤. إن التيار العلماني لا يعترف بأن الحاكم هو الله، ومن ثم فإنه أطلق للعقل دوره دون قيود أو حدود يرسمها له الشرع، حيث يعتد بالمصالح فقط، وينظر إلى الدين باعتباره فرعاً للمصلحة الدنيوية، ويحصر زمن المصلحة في الدنيا فقط، مع تقويمها بقيمة اللذة المادية فقط^(٣)، وما يتعلق بالنصوص الشرعية فهي تقيد النصّ بطروف نزوله وأسبابه، وتقتصر معناه بزمن ظرفه ونزوله فقط^(٤).

٥. لا تكتفي العلمانية بتحرير الدولة أو الفضاء السياسي عامة من سيطرة الدين، بقدر ما تعمل على إحلال دين علماني وثوقي محل الديانات القائمة، فهي تحاول فرض رؤية دهرية، وغرس قيم وسلوكيات علمانية صلبة، تحل محل التصورات والقيم الدينية بقوة الدولة، وأجهزتها الإيديولوجية العنيفة^(٥)، ومن خلال تلك المبادئ والأسس نلاحظ أن العلمانية قد صُبغت بصبغة إلحادية واضحة^(٦).

ثالثاً: الرد على الفكر المادي في العلمانية:

١. العلمانية المتطرفة فكرة إلحادي عملي معادية للإسلام^(٧)، غيّبت الدين، وجنحت نحو المادية، وبذلك بدا التصارع واضحاً بين الدعوة الدينية والدعاوى العلمانية في البلدان التي تتنادي بأي شكل من أشكال العلمانية^(٨)، يقول الفيلسوف الإنجليزي جود: "سألتُ عشرين طالباً وتلميذة، كلهم في أوائل العقد الثاني من أعمارهم: كم منهم مسيحي بأي معنى من

(١) انظر: الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي، ص ٦٦، ٦٨.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٨٠. مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب ص ٤٦٦.

(٣) انظر: التجديد السياسي في الخبرة الإسلامية - نظرة في الواقع العربي المعاصر، سيف الدين عبد الفتاح، ص ٣٩٥.

(٤) انظر: الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية رؤية معرفية، هشام أحمد جعفر، ص ١٢٢.

(٥) انظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى المغربي، ص ٥١.

(٦) انظر: الإلحاد الوهم المستحيل، نور الدين قوطيط، ص ١٠٩. طلاس نجسة: الإلحاد وإهانة الجنس البشري، محمد الهبيلي، ص ٣٨.

(٧) انظر: العلمانية في الإسلام، إنعام أحمد قدوح، ص ١٤.

(٨) انظر: الدولة الإسلامية وحدة العلاقات الخارجية في الإسلام، نادية محمود مصطفى، (٤/٢٧-٢٨).

معاني الكلمة؟ فلم يجب بنعم إلا ثلاثة فقط، وقال سبعة منهم: إنهم لم يفكروا في هذه المسألة أبدًا، أما العشرة الباقية فقد صرّحوا أنهم معادون للمسيحية^(١).

٢. إن العلمانية نظام وثني حديث، يسعى للقضاء على الجانب الروحي من الإنسان، في كافة مجالات حياته^(٢)، فضلًا عن سعيها لهدم معظم حقائق الدين على وجه العموم^(٣)، ومخالفتها لقواعد البحث العلمي، عبر استنادها إلى الأوهام، والفرضيات المغلوطة^(٤)، ف"المجتمع الحداثي استحال مجتمعًا ماديًا، بمعنى أنه مجتمع صار لا يُحكّم في مبادراته المتعددة الاعتبار التقليدية، روحية كانت أو خلقية، وإنما صار يحتكم إلى العوامل المادية وحدها، دون سواها"^(٥).

٣. العلمانية تُعادي الأديان بشكل عام، وقد صبّت غضبها على الإسلام بشكل خاص؛ لاستعصائه على فكرها^(٦)؛ ولأنه جاء بطرح لا يحل المشكلة^(٧)؛ ولأنها تريده أن يختزن أيديولوجيا فاعلة في حياة الفرد والجماعة^(٨)، وتؤطر تؤطر المجتمع، وتوجّهه بطريقتها، أما أن يُطبّق الإسلام بنظمه وتشريعاته الشاملة، والمتوازنة، في ظل منهج علماني فهذا أمر مستحيل^(٩)، حيث إنها تمزّق الإنسان؛ بناءً على تمزّق مصيره، وتزدوج شخصيته؛ اعتمادًا على الثنائية التي اصطنعها بين المادة والروح، والجدران التي أقامتها بين تجربتي الحس والوجدان^(١٠)؛ وهذا يُحدث صعوبة في تطبيقها^(١١).

-
- (١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ١٦٣.
 - (٢) انظر: الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها، يوسف محمد الأحمد، ص ٢٥٧.
 - (٣) انظر: العلمانية وضلالة فصل الدين عن السياسة، محمد الخضر حسين، ص ٣٦.
 - (٤) انظر: العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى المغربي، ص ١٥٦.
 - (٥) ما معنى أن يكون المرء حداثيًا، محمد الشيخ، ص ٣٨.
 - (٦) انظر: الغرب والإسلام أين الخطأ؟ وأين الصواب؟، محمد عمارة، ص ١٦.
 - (٧) انظر: حوار المشرق والمغرب مواقف، محمد عابد الجابري، ص ٨٠ - ٩٠.
 - (٨) انظر: العلمانية طاعون العصر، كشف المصطلح وفضح الدلالة، سامي عامري، ص ٢٣٩.
 - (٩) انظر: العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، مصطفى المغربي، ص ٨-٩. العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد الرحيلي، ص ٤١٢. العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد بن عبد الله الزغبيني، (٣/٦١٢-٦١٣). في العلمانية والدين والديمقراطية، رفيق عبد السلام، ص ١٣١. الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، يوسف القرضاوي، ص ٥٠.
 - (١٠) انظر: تهافت العلمانية، عماد الدين خليل، ص ٨٨-٨٩.
 - (١١) انظر: هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، جورج طرابيشي، ص ٢٠٨.

بينما نجد الإسلام غير معنى الدنيوي عبر وصله بالجانب الروحي والديني، بما يجعل الواحد منهما وثيق الصلة بالآخر^(١)، ف"السلوكيات، والقوانين، والعلاقات الإنسانية، والنظام الاجتماعي لأي مجتمع نشأ فيه أعضاؤه جميعاً على جهل تام مطبق بالدين، ستكون مختلفة اختلافاً جذرياً عن أي شيء يعرفه الناس اليوم، سواء في المجتمعات المتديّنة، أو في المجتمعات التي تعيش تحت سطوة وتأثير أفكار إلحادية؛ بل لعل كثيراً من الناس غير المتدينين سيُصدمون إذا أطلعوا على أفكار أو قوانين مجتمع إلحادي تام الإلحاد، أو إذا واجهتهم فجأة صورة عالم ثابت الإلحاد"^(٢)، ومن يعجز عن التدين يعجز عن الثورة^(٣).

سادساً: ظهر البعد المادي في العلمانية، حيث انتشر الفساد، والإباحية، وعمت الأمراض بأنواعها، والفوضى الأخلاقية، والجرائم، والفتن^(٤)، وتم إقصاء الشريعة، وتمييع الولاء والبراء، وهُدمت الأسرة، ومواكبة الحضارة الغربية في أسوأ مخرجاتها^(٥)، كما سيطرت المادة وحب التكبّس على الإنسان^(٦)، واستُغلت وسائل الإعلام، وحُورب الحجاب، وفُرض السفور والاختلاط، إلى غير ذلك من العوامل^(٧).

ومما سبق يتبين أن العلمانية المتطرفة تسعى إلى فصل الدين عن الحياة، وتعمل على تغييب الدين، وإضاعة الأخلاق، وهي من مصادر العلمانية الحديثة في العصر الحالي. واتضح أن الفكر المادي تغلغل في العلوم الاقتصادية والسياسية بشكل عام، كما هو الحال في الفكر الماركسي، والفكر العلماني.

(١) انظر: في العلمانية والدين والديمقراطية، رفيق عبد السلام، ص ١١١.

(٢) الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، ص ٢٠٩.

(٣) انظر: الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، ص ١١٥.

(٤) انظر: العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد الرحيلي، ص ٣٦٢.

(٥) انظر: العلمانية وثمارها الخبيثة، ص ٢١ وما بعدها. العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد الرحيلي، ص ٣٨٧-٣٩٣.

(٦) انظر: عجز العقل العلماني، عيد الدويهي، ص ٧٣.

(٧) انظر: جذور الفكر القومي والعلماني، عدنان محمد زرزور، ص ٤٢-٤٣.

الفصل الثالث

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الكونية عرض ونقض

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الأحياء ونقضها.

المبحث الثاني: المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الفيزياء والفلك ونقضها.

المبحث الأول

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم

الأحياء ونقضها

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المادية في نظرية التطور والرد عليها.

المطلب الثاني: المادية في نظرية التولد الذاتي (الجرثومة

الكونية) والرد عليها.

تمهيد:

إن من المؤشرات الدالة على تطور المادية وتغلغلها في الحياة وفي شتى العلوم أنها أصبحت واضحة في أبرز علمين، وهما الأحياء والفيزياء؛ ولذلك "يمكن القول إن العلوم الحديثة، وخاصة الفيزياء وعلم الأحياء قد أضعفت الإيمان بالله عن طريق افتراض أن الكون يمكن تفسيره من خلال مجموعة من القوانين التي يمكن التعبير عنها في أشكال منطقية أو رياضية"^(١)، فافترضت هذه العلوم أن الكون أزلّي، وأن النظام المبهر نشأ من العشوائية، والحياة نشأت من اللاحياة، وأن الأخلاق المدنية نشأت من طبائع الغابية الحيوانية^(٢)، فضلاً عن مآربها السياسية والاقتصادية الخفية^(٣).

وفي هذا الفصل سيكون الحديث حول أثر المادية في نظريات الإلحاد المعاصر، المتعلقة بالعلوم الكونية، على صعيد علم الأحياء، والفيزياء.

(١) أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ٥٩.

(٢) انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ١١٦.

(٣) انظر: تدهور الحضارة الغربية، أسوالد اشبنغلر، ترجمة: أحمد الشيباني، (٢٠/٢).

المبحث الأول

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الأحياء ونقضها

دخل الفكر المادي إلى علم الأحياء، وبدا ذلك واضحاً في بعضٍ من نظرياته، والتي أهمها: التطور، والتولد الذاتي، وهذا ما يعرضه هذا المبحث.

المطلب الأول

المادية في نظرية التطور والرد عليها

لم يتوقف الجدل بشأن صحة الداروينية، أو صيغة التطور الحديثة، وذلك منذ أن وضع تشارلز داروين Charles Darwin كتابه الأشهر "في أصل الأنواع" on the origin of species، في العام ١٨٥٩م، ولن يتوقف مستقبلاً؛ لدواعٍ تتجاوز حيز العلم بكثير، وتمس عقائد وأديولوجيات لدى الطرفين^(١).

لقد أصبحت الداروينية قطب الرحي للإلحاد المعاصر، وأحد النظريات المتزعمة لمخالفة الأديان في مسألة خلق الإنسان^(٢)؛ لأن الملحد يقرّ بالتطور؛ من أجل رد الخلق المباشر الذي يثبت وجود الله^(٣)، وهذا يدل على أن النظرية يعتريها توجّهان: توجّه علمي وهو هشٌّ وضعيف، وتوجّه فلسفي، يقوم على الإلحاد^(٤).

أولاً: نبذة تعريفية بمؤسس نظرية التطور:

١. داروين اسمه ونسبه وحياته:

- اسمه ونسبه: هو "تشارلز داروين Charles Darwin"، بريطاني، عاش ما بين عام (١٨٠٨م و١٨٨٢م)^(٥).

(١) انظر: أربعون خطأ في نظرية التطور، هيثم طلعت، ص ٣٩.

(٢) انظر: شك داروين، ستيفن ماير، ترجمة: موسى إدريس و آخرون، مقدمة الكتاب، ص ٨.

(٣) انظر: أربعون خطأ في نظرية التطور، هيثم طلعت، ص ٣٩.

(٤) انظر: أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية، موريس بوكاي، ترجمة: فوزي شعبان، ص ٣٩.

(٥) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣١٧.

- **حياته الثقافية ومؤلفاته:** بدأ دراسة الطب ثم لم يكمل مسيرته، وانتقل إلى دراسة اللاهوت، وكان شغفه بالرحلات العلمية الاستكشافية وراء البحار، وفي علم الأحياء بشكل عام، ألف كتابه الشهير "أصل الأنواع"، وقدمه إلى إحدى الجمعيات العلمية، وصدرت الطبعة الأولى منه في ١٤/١١ سنة ١٨٥٩م، ثم كتب كتابًا آخر سماه: "أصل الإنسان"، ونشره سنة ١٨٧٤م، وقد خصص هذا الكتاب لموضوع التطور الإنساني^(١).

- **عقيدته وفكره:** لكن الباحث يوسف كرم^(٢) ذكر أن داروين كان مؤمنًا بالله، ثم تطور شيئًا فشيئًا، حتى أعلن أسفه لاستعماله لفظ الخلق مجازة للرأي العام، وصرح بأن الحياة لغز من الألغاز، وذكر أنه وصل إلى مذهبه (لا أدري)، فهو لا يقول بالعناية الإلهية، ولا يقول بالمصادفة، وأن الكلمة الأخيرة عنده هي أن: المسألة خارجة عن نطاق العقل، ولكن بوسع الإنسان أن يؤدي واجبه^(٣).

٢. نشأة النظرية:

أحدثت نظرية داروين انقلابًا فكريًا ضخمًا في معظم حقول المعرفة الأوروبية؛ نظرًا للاستغلال الكبير الذي قام به المغرضون والهدامون، ولاسيما اليهود^(٤)؛ واشتماله على أفكار جديدة تخالف المعتقدات السائدة^(٥)، حيث اعتبر أن أصل الحياة خلية كانت في مستنقع آسن^(٦) قبل ملايين السنين، وقد تطورت هذه الخلية^(٧) ومرت بمراحل منها عديدة، إلى أن وصلت للإنسان؛ مما زرع القيم الدينية، وترك آثارًا سلبية على الفكر العالمي^(٨).

(١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣١٧.

(٢) يوسف كرم: أستاذ الفلسفة المصري، وُلد في عام ١٨٨٦م، وتوفي في عام ١٩٥٩م. انظر: موسوعة الفلسفة والفلاسفة، عبد المنعم حفني، (٢/١٥٦٧-١٥٦٨).

(٣) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٤) انظر: موقف الإسلام من نظرية ماركس، أحمد العوايشة، ص ٦٠٨.

(٥) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣١٧.

(٦) آسن: فاسد ومتغير. انظر: معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، (١/١٠٤).

(٧) الخلية: كتلة صغيرة من مادة حية، تحتوي عادة على نواة أو مادة نووية، وهي الوحدة الأساسية في بناء وعمل النباتات والحيوانات. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٩٢.

(٨) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٢/٩٢٥).

وترجع أصول فكرة التطور الحيوي إلى كتابات بعض فلاسفة الإغريق، ولا سيما أرسطو Aristotle^(١)، واستمرارًا لما بدأه الفيلسوف اليوناني اناكسيماندر Anaximander، الذي زعم أن أصل الإنسان يرجع إلى حيوانات مائية مختلفة عنه بالنوع^(٢)، إلا أن دارون قدم براهين أقوى مما قدمه انكسيمندر^(٣).

ويذكر باحثون أن دارون ليس الأول في هذه الفكرة؛ بل سبقه إليها جده لأبيه إيراسم داروين Irasem Darwin^(٤)، حيث كان له أشعار تدور حول فكرة التطور، فجاء دارون الحفيد، وأعاد صياغتها، ودوّّلها، وأضاف إليها آلية التطور^(٥).

ومع مرور الزمن تحولت النظرية إلى نظام عقائدي، ورؤية عالمية^(٦)، وواصلت انتشارها حتى وصلت معظم بلدان العالم، ومعظم فروع المعرفة الإنسانية، وكبرى الجامعات العالمية^(٧).

٣. أسباب نشأة النظرية وانتشارها:

١. جاءت نظرية دارون استجابة لبيان سبب التنوع في أشكال الحياة، حيث أرجعت التنوع إلى التغيرات الفجائية العشوائية، فضلًا عن الانتقال الطبيعي، وغير ذلك من العوامل المُحدّثة^(٨).

(١) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٢.

(٢) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص ٢٨.

(٣) انظر: حكمة الغرب، برتراند رسل، ترجمة: فؤاد زكريا، (١٦٥/٢-١٦٦).

(٤) إيراسم دروين Irasem Darwin : طبيب، وعالم طبيعي، وشاعر، وفيلسوف، وُلد في عام ١٧٣١م،

وتوفي في عام ١٨٠٢م. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ١٦٦.

(٥) انظر: داروين، مايكل ريوس، تقديم وترجمة: فتح الله الشيخ، ص ٩.

(٦) انظر: التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟، عرفان يلماز، ترجمة: رشا حسن، محسن هويدي، ص ١٨.

(٧) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩٣٠ / ٢).

(٨) انظر: الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن، نيومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: لجنة الترجمة في دار رسلان، ص ٤٥.

٢. محاولة حل الصراع الذي وقع بين علماء الجيولوجيا^(١) ونظرياتهم، حيث برز عدد من النظريات، منها: أن الأرض كانت مغمورة بالمياه، ثم انحسرت عن اليابسة، فظهرت حفريات بحرية على اليابسة^(٢).
٣. متابعة دارون لعلوم الطبيعة (الحيوان والنبات والجيولوجيا) لمادة تزيد عن عشرين عامًا، وسعيه إلى الوصول إلى نظرية فلسفية تفسر وجود الحياة وخلق الكائنات^(٣).
٤. تأثر دارون بكتاب "مقالة حول المبدأ الخاص بعدد السكان"، عام ١٧٩٨م، للاقتصادي البريطاني توماس روبرت مالثوس Thomas Robert Malthus^(٤)، الذي اعتبر أن التعداد السكاني الإنساني يزيد بمعدل سريع أكبر من إنتاج الطعام؛ مما يؤدي إلى تنافس الناس من أجل الطعام؛ وإلى عدم فاعلية الإحسان والصدقة^(٥).
٥. الظروف التاريخية السيئة في أوروبا، من الصراع بين العلم والكنيسة، وطبيعة الإيمان المسيحي^(٦)، ورغبة الناس في التحلل من الكنيسة، ومن سلطانها البغيض^(٧)، فاستقبلها الناس بالقبول، لا كنظرية علمية؛ بل كدين بديل للمسيحية^(٨)، حيث لم تستطع الكنيسة أن تُجابه التيار الجارف من أفكار الناس وأذواقهم المخالفة لها، لدرجة أن الكنيسة كَرّمت دارون يوم موته بأن أذنت بدفنه في محل دفن الرجال الدينيين^(٩).

-
- (١) الجيولوجيا Geology: علم يبحث في تركيب الأرض البنائي، وفي مظاهرها السطحية، وتاريخها، وتطورها. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جلبي، هاني رزق، ص ٣١٦.
 - (٢) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، رونالد سترومبج، ص ٤٠٨ - ٤١٠.
 - (٣) الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي، سلوى محمد فريخ، ص ١٦٩.
 - (٤) توماس روبرت مالثوس Thomas Robert Malthus: باحث سكاني، واقتصادي، سياسي، انجليزي، وُلد في عام ١٧٦٦م، وتوفي في عام ١٨٣٤م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٤ فبراير ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3o6Arhy>).
 - (٥) انظر: سرد أحداث رحلة البيجل خمسة أعوام حول العالم، دارون، ترجمة: مجدي المليجي، (١/٣٣).
 - (٦) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٨٨-١٨٩.
 - (٧) انظر: معركة التقاليد، محمد قطب، ص ١٢.
 - (٨) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٩٠.
 - (٩) انظر: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، أبو الحسن الندوي، ص ١٧١.

٦. الاستغلال البشع للنظرية من قبل اليهود والقوى الهدامة، حيث وجدوا ضالّتهم فيها^(١)، وعلى ذلك نصّت بروتوكولاتهم^(٢)(٣)، فقاموا بإخراجها في ثوب علمي^(٤)، وتمجيدها، كما وصف أرنست هيكل Ernest Heikal^(٥) دارون بأنه أطلّس، يحمل عالم الفكر على منكبيه، ووصفه آخر بأنه قاهر للطبيعة؛ بل إن بعضهم ليشبهه بالمسيح^(٦)، كما استغلوا جميع الوسائل الصحفية في نشرها^(٧).

ثانيًا: الأفكار المادية التي قامت عليها فكرة التطور وعلاقتها بالإلحاد:

١. مفهوم نظرية التطور وتفسيرها لنشأة الحياة:

أ. مفهوم كلمة (التطور): كلمة التطور كلمة فضفاضة، تُطلق على التغير عبر الزمن، وقد تستخدم بمعنى أن كل أشكال الحياة تحدر من سلف مشترك، دون تحديد آليات التغير، أما المعنى الكامل للتطور ومن وجهة نظر بيولوجية، وفي الأوساط العلمية، وهو ما اعتمده دارون، فهو أن التطور عملية ظهرت فيها الحياة من مادة غير حية، ثم تطورت كليًا بوسيلة طبيعية^(٨).

ب. فكرة التطور: تنص فكرة التطور على أن الكائنات الحية تطورت من مادة ميتة، بواسطة ولادة كائن حي بطريقة الصدفة على شكل خلية بسيطة حية^(٩)، نشأت منذ أكثر من ٣,٥

(١) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩٢٨ / ٢).

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون: وثائق محاضرة، ألقاها زعيم صهيوني على مجموعة من الصهاينة؛ ليستأنسوا بها؛ ويسيروا عليها في إخضاعهم للعالم؛ والسيطرة عليه. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود الخلف، ص ١٢٥.

(٣) انظر: الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي، ص ١٢٣.

(٤) انظر: العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٩٢.

(٥) أرنست هيكل Ernest Heikal : فيلسوف، مؤسس علم تطور الكائنات، وأستاذ علم الحيوان المبتكر للمورفولوجيا العامة للكائنات الحية، له كتب عديدة، منها: الدين والتطور، وُلد عام ١٨٤٠م، وتوفي عام ١٩١٩م. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢١٠.

(٦) انظر: نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضها، قيس القرطاس، ص ٤٢-٤٣.

(٧) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٩٠-١٩١.

(٨) انظر: صندوق داروين الأسود، مايكل بيهي، ترجمة: مؤمن الحسن وآخرون، ص ١٤.

(٩) انظر: نظرية التطور الداروينية خرافة باسم العلم، طالب الجنابي، ص ٧١.

مليار سنة مضت^(١)، حصل لها خبط عشوائي عبر أخطاء في نسخ الحمض النووي الوراثةي DNA^(٢)(٣)، وأخذت تتغير تكوينياً بفعل البيئة؛ مما أدى إلى نشوء صفات جديدة فيه، ثم أخذ هذه الصفات في التوارث في الأبناء، حتى تحولت مجموع هذه الصفات الصغيرة الناشئة من البيئة عبر ملايين السنين إلى نشوء صفات كثيرة راقية، وذلك حسب قانون الانتقاء الطبيعي، وبقاء الأنسب، واستمر ذلك النشوء للصفات بفعل البيئة والارتقاء في المخلوقات، حتى وصل إلى هذه المخلوقات التي انتهت بالإنسان^(٤)، فأنتجت صور الحياة التالية بواسطة عملية الانحدار مع التعديل، وهي مرتبطة بعضها ببعض عن طريق سلسلة نسب متفرعة، أي شجرة الحياة، وأقرب الكائنات إلى البشر قرود الشمبانزي والغوريلا، حيث كان يجمع الإنسان بهما سلف مشترك من ٦ إلى ٧ ملايين عام مضت^(٥)، وأصبحت الداروينية فرصة للماديين للزعم الموهوم في أصل الحياة ونشأتها^(٦).

ويرى علماء التطور أن هذه التعليلات والتفسيرات لنشأة الحياة، تمتاز بالعلمية، والقوة، والرسوخ، والشمولية، التي تستدعي الاهتمام بها في المدى القريب والبعيد من الجانب العلمي^(٧).

وبعد سلسلة من الانتقادات الموجهة للداروينية في العصر الحديث، وبعد ما يزيد عن أربعين عامًا من البحث في التطور، غير الداروينيون في بعض مبادئ النظرية، فنشأت

-
- (١) انظر: لماذا التطور صحيح، جيرى أ. كوين، ترجمة: لؤي عشري، ص ١٩.
- (٢) الحمض النووي: جزيء ضخم، يتواجد داخل خلايا كل الكائنات الحية، يحتوي على المعلومات الوراثية التي تسمح بعمل وتكاثر، وتطور هذه الكائنات. انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٥٩.
- (٣) انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٥٩.
- (٤) انظر: العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٨٤. أضواء على نظرية النشوء والارتقاء، طلعت غنام، ص ٥-٦. أساسيات الجيولوجيا الفيزيائية، محمد أحمد هيكل، عبد الجليل عبد الحميد هويدي، ص ١٢-١٣. كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٣٠-٣٣١. نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريسنتباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ص ١٨٣. العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٧٨-١٧٩. المذاهب الفكرية المعاصرة، غالب عواجي، (١٠٩٨ / ٢).
- (٥) انظر: التطور مقدمة قصيرة جداً، برايان تشارلزورث، ديورا تشارلزورث، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ١١. تطور الإنسان مقدمة قصيرة جداً، برناردود، ترجمة: زينب عاطف، ص ٩.
- (٦) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٣٠٦ / ١).
- (٧) انظر: أعظم استعراض فوق الأرض أدلة التطور، تشارلز دوكنز، ترجمة وتقديم: مصطفى إبراهيم فهمي، (٣٨ / ١). الجديد في الانتخاب الطبيعي (بيولوجيا)، ريتشارد دوكنز، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، مقدمة المترجم، ص ٩.

الداروينية الجديدة، أو التركيبية الحديثة، وكان أول استعمال لهذا المصطلح لآراء العالم الألماني وايزمان Wiseman^(١) الذي نشر أبحاثه في هذا الموضوع من عام ١٨٦٨ إلى ١٨٧٦م^(٢).

وقد نصّت التركيبية الحديثة على أن التطور مختلف السرعة في الأنواع المختلفة من الكائنات، وقد تتفاوت سرعة التطور في النوع الواحد، وليس من شرطه أن يكون إلى كائنات أكثر تعقيداً، وأن الإنسان تطور من مخلوق بدائي له سمات أقرب إلى سمات القردة العليا، وإن كان الإنسان متفرداً بيولوجياً، كما أقرّت ببطلان الارتقاء الطبيعي، واستحدثت قانون التحولات المفاجئة، أو الطفرات^(٣)، وخرجوا بفكرة المصادفة، وأرجعت الكائنات إلى عدة أصول، بدلاً من أصل واحد^(٤).

ت. أسباب قبول النظرية: ويرى الداروينيون أن أهم أسباب قبول نظرية الارتقاء تتمثل في: "أولاً: هذه النظرية توافق جميع الحقائق المعروفة، ثانياً: في هذه النظرية تفسير لكثير من الوقائع التي لا يمكن فهمها إلا عن طريقها، ثالثاً: لم تظهر بعد نظرية تتناسب وتوافق الحقائق بهذه الدقة"^(٥).

يقول ريتشارد دوكنز: "التطور حقيقة علمية، فوق التشكك المنطقي، فوق الشك التقوي، فوق كل شك، فالتطور حقيقة علمية... إنها لحقيقة علمية واضحة أننا أقارب وراثياً للشمبانزي، وأقارب أبعد نوعاً ما لباقي أنواع القردة، وأقارب أكثر بعداً لآكلي النمل وأبقار البحر، وأقارب أكثر بعداً للموز واللفت... استمر في القائمة ما تشاء"^(٦)؛ ولذلك نجده يحتاج من سمّاهم

(١) أوغست وايزمان: عالم أحياء، تطوري، ألماني، وُلد في عام ١٨٣٤م، وتوفي في عام ١٩١٤م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٩ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/2SF4l0N>).

(٢) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٥٠.

(٣) الطفرات: تغيرات فجائية تؤدي إلى ظهور أنواع جديدة متطورة من أنواع قديمة. معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٢٩٣.

(٤) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٥٠-٥٣. الطريق الطويل للإنسان، روبرت. ل. ليرمان، ترجمة: ثابت جرجس، ص ١٩٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٢/ ٩٢٩).

(٥) الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٥٦-٥٧.

(٦) الأدلة على صحة التطور أعظم العروض على الأرض، ريتشارد دوكنز، ترجمة: لؤي عشري، ص ٦.

منكري التاريخ deniers History، الذين يجحدون التطور، وينكرون وجاهته، وقدرته العلمية على التفسير^(١).

ويقول داروين: "ما يُقال بأن كل نوع من الأنواع خُلِقَ مستقلاً بذاته خطأ محض، وإنني لعلّي تمام الاعتقاد بأن الأنواع دائمة التحول"^(٢).

٢. أصول النظرية الداروينية:

سوّق دارون للتطور بمجموعة من حيثيات وآليات التي تسير عليها^(٣)، فمن خلال النظر في مفهوم التطور والداروينية نجد أن المسألة تدور حول: "التطور، والتدرجية، والاستنواع (الانقسام إلى أنواع)، والسلف المشترك، والانتخاب الطبيعي، وآليات التغير التطوري غير الانتخابية"^(٤)؛ ولذلك فإن دارون بنى نظريته على عدة أصول، تدل في ظاهرها على مسلك الداروينية العلمي، وهي:

١. إن الحياة ذات أطوار وتغيّرات بها ترتقي من حال إلى حال آخر، وضمن مراحل تاريخية متدرجة، ومتعاقبة، وذلك حسب العوامل الخارجية، دون أن يكون خط سيرها ممنهجاً؛ لعدم عقلانية الطبيعة

٢. إنّ هذه التطوّرات تنتقل بالوراثة إلى النسل، عن طريق التعاقب، خلال عملية التطور البطيئة، فنكتسب الذرية ما وقع للكائن الحي نتيجة المواءمة بينه وبين البيئة^(٥).

٣. إنّ الأحياء جميعها بينها تنازع في البقاء، فالكائنات الحية تنمو بأسرع مما ينمو القوت أو الغذاء، فيقع الصراع على الغذاء، فيستحوذ عليه الأقوياء، ويفنى الضعفاء، كما يقع الانتخاب الجنسي عند ميل الكائنات إلى التزاوج من الأقوى.

٤. إن ما كان أتمّ وجوداً وأقوى وأكمل فهو الأصلح للبقاء، وأما الأضعف فهو محكوم عليه بالفناء، فجميع المخلوقات تسير في سلسلة واحدة، الإنسان قمتها، لم يدخل في مرحلة من مراحل نموه أي جوهر أو تأثير روحي.

(١) انظر: أشهر ١٠ خرافات حول التطور، كاميرون سميث وتشارلز سوليفان، ترجمة: سامر حميد، ص ٤٧.

الجديد في الانتخاب الطبيعي (بيولوجيا)، ريتشارد دوكنز، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ١٦.

(٢) أصل الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ١٢٢.

(٣) انظر: أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي، محمد بن عبد العزيز السديس، ص ١١٦.

(٤) لماذا التطور صحيح، جيري أ. كوين، ترجمة: لؤي عشري، ص ١٩.

(٥) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني،

(٩٢٦/٢). العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٨٤. مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٣٨١-

٣٨٣. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٧-٢٩.

٥. إن لدى الكائنات الحية مجموعة من الآليات المساعدة لحصول التطور، منها: تتلاءم الكائنات الحية مع البيئة التي تعيش فيها، وقانون الانتخاب الطبيعي، حيث تمتد الطبيعة الكائن الحي بأعضاء جديدة تتناسب معها، كما أن العضو المستعمل يبقى ويقوى، ويضعف أو يضمر ويفنى، وذلك بإهماله وعدم استعماله^(١).

٣. أدلة الداروينية:

- تعتمد النظرية على مجموعة من الأسس الموهومة، وهي:
١. الحفريات^(٢) الأرضية: فقد وجدوا أنّ الطبقات القديمة تحتوي على كائنات أولية^(٣)، وأنّ الطبقات التي تليها تحتوي على كائنات أرقى فأرقى، وهكذا تسير الطبقات في تسلسل وتدرج.
 ٢. علم الأجنّة، حيث تتشابه جميع أجنّة الحيوانات في أدوارها الأولى، إذ تظهر الصفات العامة بحيث لا يمكن الجزم في هذه المرحلة بنوع الجنين، ثم تظهر الصفات الخاصة في أطوار لاحقة.
 ٣. الأعضاء الأثرية: حيث إن الزائدة الدودية^(٤) في الإنسان التي هي المساعد في هضم النباتات، وليس لها الآن عمل في الإنسان؛ مما يوحي بأنها أثر بقي من القرود لم يتطور؛ لأنها تقوم بدورها في حياة القرود.

(١) انظر: مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود مزروعة، ص ٣٨١-٣٨٣. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٧-٢٩. الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري المصري، (١٤٧/٦). العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٣٩١-٣٩٢. العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٨٥. الجنس البشري في معرض الأحياء، أحمد البطرواي، ص ٨٦. إرادة الاعتقاد، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، ص ٤٣.

(٢) الحفريات: طابع لكائن مدفون في التراب، أو في الصخور بأسباب طبيعية، في ماضي العصور الجيولوجية القديمة، وقد يكون في صور متحجرة. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٦٤.

(٣) الكائنات الأولية Primary organisms : كائنات حية مجهرية، وحيدة الخلية. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٤٠٠.

(٤) الزائدة الدودية Appendix : قطعة صغيرة في نهاية المصمران الأعور، اسطوانية الشكل، مسدودة النهاية، تقع في بداية الأمعاء الغليظة، ولها فائدة مناعية. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٥٠.

٤. يدل علم التشريح المقارن الذي يقارن بين الكائنات على تشبه جميع أعضاء الكائنات الحية بمختلف أنواعها، سواء في مظهرها الخارجي، أو في أعضائها الداخلية.

٥. إن تصنيف الحيوانات إلى أقسام يشبه إلى حد كبير فروع شجرة العائلة؛ وهذا يُوحى بأنها نشأت بواسطة التحور كل من المرتبة التي سبقته^(١).

وهناك مجموعة من الأدلة الأخرى، وهي مستمدة من علوم مختلفة، كعلم التوزيع الجغرافي للكائنات الحية، ودراسة توزيعها في البيئات المختلفة، ومن علم وظائف الأعضاء، وعلم الوراثة^{(٢)(٣)}.

وبذلك سعت الداروينية الحديثة إلى الهروب من الحلقات المفقودة عبر الطفرات، وهي تغيرات في نسق الجينوم Genome^(٤)، ينتج عنها وظائف جديدة، ثم تتكاثر الطفرات لتغير خصائص الكائن الحي بالكلية^(٥).

يقول جوليان هكسلي: "هكذا يضع علم الأحياء الإنسان في مركز مماثل لما أنعم عليه كسيد المخلوقات، كما تقول الأديان"^(٦).

٤. موقف النظرية من الأخلاق والقيم:

وفي موقف النظرية التطورية من الأخلاق، فقد وضع دارون الإنسان في سلم التطور^(٧)، وجعلت مبدأ (البقاء للأصلح) مبدأً أخلاقياً لها، دون مفايزة بين عالمي الإنسان والحيوان^(٨).

(١) انظر: العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٨٤. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٤٥-٢٤٦.

(٢) علم الوراثة: العلم الذي يبحث في انتقال الصفات الوراثية من جيل لآخر، وتفسير الظواهر المتعلقة بذلك. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ١٩٧.

(٣) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٤٧.

(٤) الجينوم: المادة الوراثية الخاصة بالكائن الحي، وتوجد هذه المعلومات في الحمض النووي أو في الحمض الريبسي النووي في حالة بعض الفيروسات. انظر: نهاية كل شيء من الإنسان إلى الكون، كريسي إمبي، ترجمة: إيناس المغربي، ص ٣٢٢.

(٥) انظر: أربعون خطأ في نظرية التطور، هيثم طلعت، ص ٦٤.

(٦) معركة التقاليد، محمد قطب، ص ٥٣.

(٧) انظر: نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، تشارلز دارون، ترجمة وتقديم: مجدي محمود المليجي، (١/٣٥٧).

(٨) انظر: وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ص ٨٢.

يقول وليم جيمس William James : "إن فلسفة النشوء والارتقاء قد ألغت المعايير الأخلاقية التي سبقتها كلها؛ لأنها رأتها معايير ذاتية شخصية، وقدمت لنا بدلها معياراً آخر، نتعرف به الخير من الشر"^(١).

ويقول كارل بوير Carl Boyer^(٢): "إنني أشعر بشيء من الإرهاب مما يميل إليه أصحاب مذهب التطور، من إصاق تهمة الوقوف في وجه الإصلاح والتتوير، بكل من لا يشاركونهم موقفهم العاطفي إزاء التطور؛ باعتباره تحدياً جريئاً ثورياً للفكر التقليدي"^(٣).

ثالثاً: الرد على مادية نظرية التطور:

١. منذ خروج النظرية إلى العلن رحب الماديون بها، واعتبروها من القواعد الثابتة، وأنها حيطت بموافقة عامة من قبل العلماء والمنقذين، ولم يكن الدافع لتبني هذه الفكرة هو الأدلة العلمية، وإنما المذهب السياسي الأعمى^(٤)؛ ولذلك سعى الماديون إلى إثباتها بكل وسيلة^(٥). يقول إرنست ماير^(٦): "لم يعد هناك إنسان يجادل صحة ما يسمى بنظرية التطور التي نعرفها الآن، بصفتها حقيقة بسيطة"^(٧)، وهو ما يُظهر عنصرية واضحة في عدم فهم الحياة إلا من خلال التطور فقط^(٨).

٢. تفتقد النظرية إلى الأسس العلمية والمنهجية الصحيحة، حيث تواجه النظرية إشكالات منهجية وعلمية^(٩)، ولقد "عرف أحد المعاجم العلمية نظرية داروين بأنها: "نظرية قائمة على

(١) العقل والدين، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، ص ٦٨.

(٢) كارل بوير Carl Boyer : أستاذ الاقتصاد بجامعة لندن، وُلد في عام ١٩٠٢م، وتوفي في عام ١٩٩٤. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٢١٣.

(٣) نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضها، قيس القرطاس، ص ١٥٤.

(٤) انظر: الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة، صالح إسحاق صالح، (٣١/١، ٣١٢).

(٥) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٣٠٦/١).

(٦) إرنست ماير: عالم بيولوجيا ألماني، وُلد في عام ١٩٠٤م، وتوفي في عام ٢٠٠٥م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٥١٦.

(٧) القضية... الخالق، لي ستروبل، ترجمة: سليم إسكندر، حنا يوسف، ص ٣٩.

(٨) ومن هؤلاء أيضاً: لاري هاتفيلد، وثيودور دوجانسكي. انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٧٣. القضية... الخالق، لي ستروبل، ترجمة: سليم إسكندر، حنا يوسف، ص ٣٩.

(٩) انظر: خلق آدم ونظرية التطور (سلالة من طين)، محمد علي البار، ص ٢٧.

تفسير بلا برهان^(١)، ومن هذا المنطلق يرى جمهور أهل البحث العلمي المعاصرين، والمشتغلين بعلم الأحياء، أن ما يسمى بنظرية التطور، لا ترقى إلى مستوى النظرية؛ بل هي أعجز من أن تفسر النظام الكوني بها، فلا دليل عليها؛ وهي قائمة على الافتراضات، والقول بالصدفة، واعتمدت على افتراضات وتخمينات جدلية غير ملزمة، كالتشابه بين الأطوار^(٢)، الذي إن ثبت فهو ليس لاجئاً للإرادة الإلهية والدين^(٣)، وإهمال الفروق الكثيرة الموجودة بين الكائنات^(٤)، والتركيز على التشابه الظاهري والخارجي بين الكائنات الحية^(٥). وليس للداروينية أي دليل مباشر على الانتقاء^(٦)، ولا أي نظرية معقولة للوراثة وعلم الجينات^(٧)، كما ليس لها القدرة على تفسير الغرائز، كما قال دارون: "إن في كثير من الغرائز ما يبعث على العجب، حتى إن نشوءها وتطورها قد يكون من الصعوبة، بحيث يدفع القارئ إلى نظريتي جملة"^(٨).

وعلى نهج دارون في الافتقار إلى الأسس العلمية للنظرية سار أتباعه من الداروينيين المتعصبين، فبعضهم عبّر عن جهله بكثير من قضايا النظرية^(٩)، وبعضهم اعتبرها فكرة تافهة،

(١) الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، ص ٦٦.

(٢) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢١. إعادة المحاكمة القصة الخفية لقضية دوفر، جون بول، مايكل بيهي، ترجمة: سارة بن عمر، ص ١١٤. العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٩٢-٩٣. القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ٢٥٢. الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية، سعود بن سلمان آل سعود، ص ٤٤٨. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٥٨، ٢٧٣. عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس العقاد، ص ٥٨. نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريستباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، ص ١٧٩. الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، ص ٣٦. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٦١.

(٣) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٦١.

(٤) انظر: نظرية التطور الداروينية خرافة باسم العلم، طالب الجنابي، ص ٥٠.

(٥) انظر: أربعون خطأ في نظرية التطور، هيثم طلعت، ص ٩٦.

(٦) انظر: داروين، مايكل ريوس ص ٩٥.

(٧) انظر: المرجع السابق، ص ٣١.

(٨) أصل الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٤١٩.

(٩) منهم: جوردون تايل Gordon Tyler.

See: The Great Evolution Mystery, Gordon Rattray Taylor, Harper & Row, P222.

تم رفعها إلى مستوى نظرية علمية، تحكم البيولوجيا الحديثة^(١)، وبعضهم اضطرّ لكتابتها من جديد؛ هرباً من خيار الإيمان بالخلق الخاص المباشر^(٢).

ومن أشهر هؤلاء المحدثين: ليكونت دي نوي Le Lynette de Noi، يقول: "أما تطور الكائنات الحية بجملتها، فإنه يناقض علم المادة الجامدة تناقضاً تاماً، وهو يتنافى مع المبدأ الثاني من مبادئ علم القوة الحرارية، وهو حجر الزاوية في علمنا المرتكز على قوانين المصادفة، فلا سبب التطور، ولا حقيقته يدخلان في نطاق علمنا الحاضر، وليس من عالم يستطيع إنكار ذلك"^(٣).

٣. ومن إشكالياتها العلمية: إعطاء الطبيعة القول الفصل في الإيجاد والتأثير، ورفض الإقرار بأية صلة بين المخلوقين وخالقهم^(٤)، وإخضاع قوانين الداروينية على الدين وجميع الظواهر الإنسانية، والتاريخية، والاجتماعية^(٥)، كما تردد دارون في جعل أصل الأحياء واحداً أو أربعاً أو خمسا؛ وهذا التردد يدل على فساد نظريته^(٦)؛ لأننا إذا سلمنا بأفعال خلق خصوصية لثمانية أو عشرة أزواج أصلية، فليس هناك ما يمنع من إطلاق هذا الخلق على جميع الأحياء، وليس داعٍ لتفسير ظهورها على سبيل طبيعي^(٧).

٤. إن فكرة الانتقاء الطبيعي فكرة لا تستند إلى أي من الدلائل العقلية الصحيحة، وهي تصوّر يفقد إلى الأدلة؛ قال بها داروين انطلاقاً من فكره المادي القائم على التعامل مع ما هو محسوس، وترك الاعتقاد بما هو غيبي غير مشاهد؛ ولذلك اصطدمت النظرية بالضبط

(١) منهم: مايكل إيجنور. Michael Ignor.

See: A Beginner's Guide to Scientific Method, Stephen S. Carey, P135.

(٢) منهم: آرثر كيث Arthur Keith. انظر: الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، ص ٣٦. مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين، منيرة علي الغاياتي، ص ٦-٧.

(٣) مصير الإنسان، ليكونت دي نوي، ترجمة: خليل الجر، ص ٣٢٣.

(٤) انظر: حقيقة الخلق ونظرية التطور، محمد كولن ترجمة: أورخان محمد علي، ص ٧٨ وما بعدها.

(٥) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٢٠٨/١). تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة: شوقي جلال، ص ٢٢٢. الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، ص ٩٨. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٩٥. العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٨٣.

(٦) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٥٥.

(٧) انظر: فلسفة النشوء والارتقاء، شبل شميل، ص ١٢١-١٢٢.

الدقيق، وعجزت عن تفسيره، حيث كتب داروين في عام ١٨٦٠م: "إن منظر ريشة في ذيل الطاووس يجعلني أشعر بالمرض"^(١)؛ ذلك لأنه لا يتلاءم مع نظريته حول الانتقاء الطبيعي؛ باعتبار أن الذيل لا فائدة منه؛ بل معيق للطاووس من الهروب من المفترسات، وعلى الرغم من ذلك لا يزال موجوداً^(٢)؛ ولأن الإلتقان واضح في خلقه، الأمر الذي يستبعد أن يكون نتيجة لعمليات عشوائية^(٣).

يقول ابن القيم - رحمه الله -: "ثم تأمل هذه الألوان والأصباغ والوشى التي تراها في كثير من الطير، كالطاووس، وغيره، التي لو حُطَّت بدقيق الأقلام، ووشيت بالأيدي لم يكن هذا؛ فمن أين في الطبيعة المجردة هذا التشكيل والتخطيط والتلوين؟"^(٤).

وفوق كل ذلك: يصرُّ الداروينيون على مذهبهم، منكرين الخلق الخاص، فهم يؤمنون بالنشوء، لا كنتيجة للملاحظة، أو الاختيار، أو الاستدلال المنطقي؛ ولكن لأن فكرة الخلق المباشر فكرة بعيدة عن التصور في نظرهم^(٥).

٥. تتعارض النظرية بشكل واضح مع الأخبار التي جاء بها الإسلام، فيما يتعلق بقضية خلق آدم عليه السلام، والتي تدل على أنه وجد بالخلق الخاص، وفي أعلى مراحل النضج البشري، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ * وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ

(١) Size Doesn't Always Matter For Peacocks. Ewen Callaway. Nature International Weekly journal. Retrieved 13 December 2020, From: (<https://go.nature.com/2NiJGNc>), 18 April 2011.

(٢) انظر: موقع الباحثون المسلمون، داروين: مشهد ريشة في ذيل الطاووس يجعلني أشعر بالمرض، تاريخ الاطلاع: ١١ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/34MIZTq>).

(٣) انظر: موقع فيسبوك، صفحة الملحدون زادوني إيماناً، تاريخ الاطلاع: ٤ نوفمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2KYrw22>)، ١٦ يوليو ٢٠١٥.

(٤) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيم، (١/٢٤٥).

(٥) انظر: مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين، منيرة علي الغاياتي، ص ٦-٧.

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿البقرة: ٣٠-٣٣﴾^(١).

وحدثنا عن المادة التي خلقه منها، فقد خلقه من تراب ﴿فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ [الحج: ٥]، وفي الحديث عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبْضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ الْأَحْمَرُ وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالسَّهْلُ وَالْحَزْنُ، وَالْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ"^(٢) (٣).
وجاء الرسل ليؤكدوا على إنسانية الإنسان، ورفعته لمكانته التي شرفه الله تعالى بها، ولكن جاء دارون ليضرب عرض الحائط كل هذه الأدلة، فزعم عملية النشوء والارتقاء، وأكد على حيوانيته، وهذا بدوره سيهبط بالإنسان وفكره وقيمه وأخلاقه^(٤).
ومما سبق يتبين أن نظرية التطور تحمل الصبغة المادية في أفكارها، وأسسها، وأدلتها، وهي نظرية متعارضة مع الشرع والعقل.

(١) انظر: الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، عبد العظيم المطعني، ص ١٤٠-١٤١.

(٢) سنن الترمذي، الترمذي، أبواب تفسير القرآن/ ومن سورة البقرة، (٢٠٤/٥)، رقم الحديث: (٢٩٥٥). قال الألباني: صحيح.

(٣) انظر: العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٩٤-٩٦.

(٤) انظر: جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، ص ٩٣.

المطلب الثاني

المادية في نظرية التولد الذاتي (الجرثومة الكونية) والرد عليها

يسعى الإنسان لاكتشاف الكون من الذرة إلى المجرة، وهذا ما يقوم عليه محور الوجود الإنساني كله^(١)، ومن أهم تلك المساعي البحثية والعلمية: محاولة الإنسان لاكتشاف أصل الحياة، ولا تزال الإجابة عن سؤال: كيف بدأت الحياة على الأرض؟ يمثل مشكلة كبيرة لدى الباحثين، وهذا من وجهة نظر البيولوجيين، والكيميائيين، وعلماء الأحياء، وعلماء الفلك والفيزياء^(٢)، فمنذ القدم والعلماء يدرسون ويبحثون عن الحياة ومصدرها، ولكنهم لم يصلوا بعد إلى حل لهذا السر، وربما لم يصلوا إليه إلى الأبد^(٣)، ولعل هذه المسألة تلقي الضوء على فكر الماديين، ومنهجهم في محاربة الدين باسم العلم والفطرة^(٤).

يقول كونانت Conant: "إن الباحث في هذا الأمر لن يجد إلا آراء قليلة، لا يمكن - إلا بشيء من الكرم- أن نسميها فروضًا مثمرة نافعة"^(٥)، ويقول: "إن الآراء التي تخرج تحاول تفسير أصل الحياة كثيرة، كل عشرة منها بقرش، وأنا لا أستطيع أن أسميها بأكثر من خواطر"^(٦).

ويقول أنتوني فلو Anthony Flo: "ثلاثة أبعاد من التحقيق العلمي كانت على وجه الخصوص مهمة بالنسبة لي، سأضعها في الحسبان كلما تقدمت في هذا الكتاب، في ضوء الأدلة المتداولة اليوم: أول هذه الأبعاد هو السؤال الذي حير، ولا زال يحير كثيرًا من العلماء اللامعين، وهو: من أين جاءت قوانين الطبيعة؟ والثاني هو السؤال الواضح للجميع: كيف

(١) انظر: الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي، ص ٧٣.

(٢) See: Debating Evidence For The Origin Of Life On Earth, P40.

البدايات ١٤ مليار عام من تطور الكون، نيل ديجراس تايسون ودونالد جولدميث، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ١٩٩. الأدلة على وجود الله تعالى، عمر سليمان الأشقر، ص ٧. الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ٨٨. أربعون خطأ في نظرية التطور، هيثم طلعت، ص ١٣٤. رحلة عقل، عمرو شريف، ص ١٠٣. آيات الله في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان وفي البحار والمحيطات والأنهار، ماهر أحمد الصوفي، ص ٦٠.

(٣) انظر: شبهات الملحدين والإجابة عنها، محمد جواد مغنية، ص ٥٠.

(٤) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ٣٤٣. نظرية التطور وأصل الإنسان، سلامة موسى، ص ٣٧.

(٥) مواقف حاسمة في تاريخ العلم، جيمس كونانت، ترجمة: أحمد زكي، ص ٤٠٦.

(٦) المرجع السابق، ص ٤٠٧.

جاءت الحياة كظواهر عضوية من اللاحياة؟ والثالث: هو السؤال الذي يوجهه الفلاسفة لعلماء الكون: كيف جاء الكون - بكل ما يحتويه من أشياء مادية - إلى الوجود؟^(١).

فهذه الأسئلة لا زالت موضع حيرة بالنسبة إلى الماديين، فما زالوا يعجزون عنها، إضافة إلى عجزهم عن الإجابة عن كيفية اكتساب المادة غير الحية الغائية، حتى تصبح كائنًا حيًا، وكيفية اكتساب المادة غير الحية، وحتى المادة الحية الأولية، قدرتها على التكاثر، التي تضمن استمرار الأنواع وترقيتها في سلم التطور، وكيفية اكتساب المادة غير الحية آلية التشفير، ومعالجة المعلومات المميزة لجميع الكائنات الحية؟، وكيف تتحول المعلومات المكتوبة بالحبر إلى كائنات حية^(٢).

أولاً: التعريف بنظرية التولد الذاتي، وأبرز روادها:

لقد صيغت كثير من النظريات حول أصل الحياة^(٣)، وقد ذكر ريتشارد دوكنينز Richard Dawkins بعضًا منها في كتابه: الجين الأناني the selfish gene^(٤).

وتزعم فرضية التولد الذاتي اكتشاف سر نشوء الحياة على الأرض، ينص على أنه قبل حوالي أربعة ملايين سنة مضت؛ ونتيجة عمليات كيميائية طبيعية تولدت الخلايا الحية الأولى من مادة غير حية^(٥)، وأن الأشياء تخلق خلْقًا ذاتيًا لا يحتاج إلى خالق؛ بدليل ظهور الديدان في الطعام الفاسد، وعلى البراز^(٦)، فأرجعوه إلى تطور كيميائي عشوائي، وليس بيولوجيًا، من

(١) هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيته؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٢٤-١٢٥.

(٢) انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ١٠٣.

(٣) ومع اختلافها إلا أنها تتفق على أن الحياة قد استقرت على سطح الأرض بعد أن اكتمل تكوين جزيئات الحياة، (الرنا RNA - الدنا DNA - البروتينات)، وآلية تخليق الغذاء بالتمثيل الضوئي باستخدام الأصباغ في الخلايا النباتية، وآلية الحصول على الطاقة من الغذاء عن طريق الميتوكوندريا في الخلايا الحيوانية. انظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ١١٢.

(٤) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ٢١٩.

(٥) انظر: الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن. نيومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: لجنة الترجمة في دار رسلان، ص ٤٣. النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (١ / ٣٥٧). ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، ص ٥٨. الكون في القرآن الكريم دراسة مقارنة، إسماعيل قرني، ص ١٧٥.

(٦) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، ص ١٠٩-١١٠.

وجهة نظر الماديين، ينجبهم من دلالة أصل الحياة على وجود خالق^(١)، وكل ذلك باسم المنهج العلمي^(٢).

ولقد أسهم القصور العلمي في أجهزة الكشف والقياس في إنضاج فكرة التولد الذاتي، والتوجه نحو الخيال في تفسير الأشياء^(٣)، فقد كانوا في السابق يطلقون التولد الذاتي على الأحياء الدنيئة، من حيوانات ونباتات، كالدباب والديدان، وبعد اكتشاف المجهر تبين أن أصل هذه الكائنات من بيضات أو جراثيم صغيرة جدًا، واطلعوا على سر تكوينها، وعلى تكوين حيوانات صغيرة جدًا، تسمى النقيعية؛ مما عمق الجدل حول ذاتية ظهورها وعدم ذاتيتها^(٤).

ثانيًا: تاريخ نظرية التولد الذاتي ومراحلها، وعلاقتها بالإلحاد:

١. تَرَجِع أصول التولد الذاتي إلى القدم، حيث ساد الاعتقاد بأن الحياة نشأت من مادة غير حية، عن طريق التولد الذاتي عند قدماء المصريين، والهنود، وأرسطو، وكثير من مفكري الإغريق من قبله، ورأى أفلوطين^(٥) أن جميع الكائنات الحية نشأت نتيجة لتسامي المادة بواسطة روح تهب الحياة، وقد حاول بعض كبار رجال الكنيسة في القرون الوسطى، والقديس أوغسطين^(٦)، أن يجمع بين فكرة التولد الذاتي والإرادة الإلهية، فزعم أن الأرض أخرجت الحياة عندما أذن الله لها بذلك، وفي أواخر القرن الماضي راجت فكرة أن الحياة انتقلت إلى الأرض من الكواكب الأخرى مع الشُّهب^(٧) والنيازك^(٨)، والرماد الكوني المتساقط

(١) انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ١٧٨.

(٢) انظر: نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، ص ١٠٩-١١٠.

(٣) انظر: الوراثة البشرية، اشيلي مونتاجيو، ترجمة: زكريا فهمي، ص ٩٣-٩٤.

(٤) انظر: فلسفة النشوء والارتقاء، شبل شميل، ص ١٢٣.

(٥) أفلوطين Aflotin : فيلسوف يوناني، مؤسس الأفلاطونية الحديثة، وُلد في عام ٢٠٣ م، وتوفي في عام ٢٦٩ أو ٢٧٠ م، انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٧٦.

(٦) أوغسطين Augustine : كاتب، وفيلسوف من أصل نوميدي-لاتيني، وُلد في عام ٣٥٤م، وتوفي في عام ٤٣٠م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ١١٧.

(٧) الشُّهب: ذرات الغبار الصغيرة تخرق الغلاف الغازي الأرضي، مولدة حرارة عالية، وأصلها من المذنبات، تصل الغلاف الجوي للأرض، فتظهر على شكل أسهم نارية لامعة. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٧٣.

(٨) النيزك: قطعة صخرية كبيرة، مكون من معادن، أصله من كويكبات، وليس من مذنبات، يدخل الغلاف الجوي، فيحترق جزء منها، ويصل آخر إلى الأرض. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ١٢٥.

على الأرض، ويُقال: إن أول من نادى بذلك في الفكر الغربي: ريشتر Richter^(١) عام ١٨٧٠م، ومن بعده هلمهولتز Helmholtz^(٢)، وكان ذلك عن طريق جرثومة انسلت من الفضاء، وبقيت مدة غير محدودة، ووصلت إلى الأرض دون أن يصيبها أي تلف^(٤).

٢. وفي القرن الثامن عشر ذاع مذهب يسمى: مذهب التكوين، يرى أن كل جرثومة حية تحوز كل الأعضاء والصفات التي تمتاز بها الصورة في حال بلوغها، وغاية ما في الأمر أن المجهر المستعمل آنذاك، ليس في مستطاعه أن يكشف عن تلك الأعضاء الكائنة في البيضة الأولى؛ لصغر حجمها؛ وضعف قوة الكشف في المجهر، وفي ١٧٥٩م وُضعت نظرية مضادة لها، وعُرفت بنظرية الخلق أو التكوين الجرثومي^(٥)، تتلخص في أن تطور الجنين يحدث بطريقة تلقائية تمامًا، وينحصر خطؤها في الاعتقاد بأن الجرثومة تخلو تمامًا من أي تكون عضوي^(٦).

٣. كان من ضمن هذه السيناريوهات: ما وضعه الأكاديمي السوفيتي ألكسندر أوبارين Alexander O'Barin^(٧)، والانكليزي ج. ب. س. هولدين^(٨)، حيث زعموا أن الخلايا تشكلت في المحيط الأول على الأرض، والذي كان بمثابة مَرَق كيميائي حقيقي، في ذلك الوقت كان الغلاف الجوي^(٩) للأرض خاليًا عمليًا من الأكسجين، وتشكل من مجموعة من الغازات، وفي عام ١٩٨٤م حصلت مجموعة علماء هولنديين - من خلال تجربة نفذوها-

(١) ريشتر Richter : عالم ألماني، عاش في القرن التاسع عشر. انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٣٢.

(٢) هيرمان فون هلمهولتز Helmholtz : عالم طبيعي، وفسولوجي، (١٨٢١-١٨٩٤م). انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٤٢٢. الدقائق الثلاث الأخيرة، بول ديفيز، ترجمة: أحمد رمو، ص ١٤.

(٣) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٣٢.

(٤) انظر: العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: صالح محمود صالح الفلكي، ص ٧٢-٧٣.

(٥) لصاحبها: العالم الألماني: كاسبار فلف. انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٢-١٣٣.

(٦) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٢-١٣٣.

(٧) ألكسندر أوبارين Alexander O'Barin : أستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة موسكو، وعضو الأكاديمية الروسية للعلوم، وُلد في عام ١٨٩٨م، وتوفي في عام ١٩٨٠م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٥١.

(٨) ج. س. هالدين: عالم بيولوجيا بريطاني، من أنصار التطور الدارويني، وُلد في عام ١٨٩٢م، وتوفي في عام ١٩٦٤م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٢٧٥.

(٩) الغلاف الجوي: طبقة الاكسوسفير، وهي الطبقة في الغلاف الغازي الأرضي، التي تمتد من ارتفاع ٥٠٠-٧٥٠ كلم. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٧١.

على جزئيات عضوية معقدة، وهذا يعني أن مثل هذه التراكيب يمكن أن تتشكل بدون أي محيط^(١).

٤. وفي القرن التاسع عشر كانت نظرية دارون التي انطلقت من كون الحياة وُجدت في البيئة المائية بطريقة ما، ثم تدرجت على مر الأجيال إلى أن وصلت إلى خلق الإنسان، وعلى الرغم من أنه لم يتطرق إلى بيان من أين نشأت الحياة؛ بل إلى نشوء العضويات بعد وجود الصورة الأولى، إلا أن نظريته حفّزت العلماء البيولوجيين للبحث عن نشأة الحياة الأولى؛ مما أوجد شرحًا بين علماء الفلاسفة واللاهوت من جانب، وفلاسفة العلم والمادة من جانب آخر^(٢)، ثم جاءت الماركسية، وتزعمت القول بأن لغز الحياة يرجع إلى المادة ذاتها، دون تدخلات خارجية^(٣).

٥. بالإضافة إلى ذلك: يرى بعضهم أن الفراغ الذي نراه مملوءًا بجراثيم الصورة الحية، كالجواهر الفردة التي تتكون منها المادة الصماء، كلاهما في تجدد مستمر، ولا يتطرق لهما العدم، وبنى قاعدته في أصل الحياة على أن كل حي أبدي، ولا يتولد إلا من خلية، وهذا الرأي يتضمن أن تطورات المادة من المادة، وتطورات الحياة من الحياة^(٤).

٦. بقي الأمر كذلك إلى أن تمخضت نظرية التولد الذاتي لدى بعض الباحثين الماديين؛ في محاولة فاشلة للوصول إلى سرّ أصل الحياة، وأيدها بعض من باحثي الغرب وعلمائه^(٥).

(١) انظر: الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن، نيبومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: لجنة الترجمة في دار رسلان، ص ٤٣-٤٤.

(٢) انظر: قصة الإنسان، جورج حنا، ص ٩-١٠. ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٥٦، ٦٥.

(٣) انظر: موجز تاريخ الفلسفة، جماعة من الأساتذة السوفيات، ترجمة وتقديم: توفيق سلوم، ص ٤٥٥-٤٥٧.

(٤) ويُنسب هذا القول إلى هيرمان أبير هارد ريختر. انظر: أصول الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٣٦.

(٥) كان من أشهر أبطال النظرية من إنجلترا: جيمس جينز، وبرتداند رسل، وباستيان، ولا تزال من أوسع النظريات انتشارًا بين علماء الأحياء المعاصرين، ولاسيما في أمريكا. انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ٣٣٩-٣٤٠. أصول الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٣٦.

ومن هؤلاء المؤيدين:

أ. فريمان دايسون Freeman Dyson^(١)، حيث يقول: "إنني شخصيًا مسرور؛ لأن أصدقائي من علماء الأحياء، أكدوا لي أن علماء الأحياء البكتيرية^(٢) باتوا قادرين حاليًا على تقديم نظريات في التطور بخصوص المادة الحية الأولى، وأن العديد من هذه النظريات تتوافق مع جميع الدلائل العلمية المؤكدة"^(٣).

ب. أيّد النظرية أرنست هيكل Ernst Heikal ، الذي زعم أن "أبسط أنواع الحيوان نشأت من مادة غير حية بطريق التولد الذاتي، يقدر هيكل تقديرًا أن أصل الحياة نشأ من توازن نسبي بين مقادير خاصة من العناصر المادية، ولكن هذا التوازن دقيق جدًا، إلى حد أنه قد يكون نقص جزء واحد، أو زيادة جزء واحد من أحد العناصر سببًا في نشوء الحياة، أو تعطل نشوئها"^(٤).

ت. كان من مؤيدي التولد الذاتي، وأشهر الباحثين فيها، أوبارين Aubarin ، حيث حاولت روسيا أن تبرهن على إمكانية نشأة الحياة كيميائيًا، فكلفت بهذا الموضوع أوبارين، رئيس المعهد الكيميائي في الاتحاد السوفياتي، وطلبت منه أن يتفرغ للبحث في أمر واحد، وهو مدى إمكانية إيجاد الحياة عن طريق التفاعل الكيميائي^(٥)؛ حتى يدعم بذلك العقيدة الرسمية للدولة^(٦)، فأحدثت نظريته أثرًا لا يقل شأنًا عن الأثر الذي أحدثته نظرية داروين من قبل^(٧). لقد بدأ أوبارين واثقًا من إجراء هذه التجارب العملية، وتزعم القول بإمكانية خلق كائنات حية بسيطة بطرق صناعية في المستقبل القريب^(٨)، ورأى أن ما يستطيع الإنسان أن يأتيه في

(١) فريمان دايسون Freeman Dyson : أستاذ الرياضيات والفيزياء النظرية، مهتم بالهندسة النووية، وُلد في عام ١٩٢٣م. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٩٥.

(٢) الأحياء البكتيرية: مجموعة من الكائنات الحية الدقيقة وحيدة الخلية. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٦٤.

(٣) Disturbing The Universe, Freeman Dyson, P250.

(٤) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر، ص ١٨٨-١٨٩. أصل الأنواع، تشارلز داروين، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٣٦-٣٧.

(٥) انظر: الله ﷻ، سعيد حوى، ص ٥٣-٥٤. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٣٢-٣٣.

(٦) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ٣٤٢.

(٧) انظر: الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ٣٣.

(٨) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٧٤.

المختبر من الأولى أن تستطيعه النواميس الطبيعية^(١)، وظل الناس يتربون هذا الوعد، حتى مات ستالين قبل أن تقرّ عينه بتحقيقه^(٢).

ففي عام ١٩٣٨م أسس أوبارين نظرية مبتكرة عن التطور الكيميائي، تصور فيها ظهور الحياة بعمليات بطيئة من التحولات، بدأت بمواد كيميائية بسيطة في أثناء البداية المبكرة للأرض، وهو بذلك يخالف الداروينية التي تعتقد أن تفسير أصل وتنوع أشكال الحياة المعقدة الجديدة والكثيرة كان من شيء أبسط موجود من قبل^(٣)، ونصّت أبحاثه التي استغرق فيها قرابة ثلاثين سنة في مختبره بموسكو، أن أول مظهر للحياة باستخراج مادة البروتين بواسطة التفاعل بين مادة عضوية ومادة غير عضوية^(٤)، ما دامت المادة دائمة التحرك والتحول والتدرج، وهذه المادة البروتينية لبّ كل حياة، وتخضع لناموس النمو والتحول والارتقاء، وبمقتضى هذا الناموس أصبحت على ممر الأجيال، وملايين السنين قادرة على الاستحالة الغذائية، حيث إنها أدنى من تركيب الخلية، ولكن بظهورها ظهرت النباتات وحيدة الخلية، والبكتريا والأميبيا^(٥)، ظلت الأرض أربعة أخماس عمرها أي خلال مدة تقرب من أربعة آلاف مليون سنة خامدة وكان تطور المادة خلال هذه المادة المذكورة بعمليات غير حيوية بطيئة للغاية^(٦).

وقد أعلن أوبارين فشله في المؤتمر الدولي للبحار بنيويورك، سنة ١٩٥٩م، بقوله: "إن جميع المحاولات التي أجريت لتوليد الحياة من مواد غير عضوية، سواء تحت ظروف طبيعية، أو في المعمل قد باءت بالفشل"^(٧)، حيث وصل إلى نتيجة تقول: يستحيل إنشاء حياة من لا

(١) انظر: قصة الإنسان، جورج حنا، ص ١٠.

(٢) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ٣٤٢.

(٣) انظر: العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي، وليم ديمبكي، ستيفن ماير، ترجمة: رضا زيدان، ص ٨٣.

(٤) مادة غير عضوية: المركبات التي لا يكون الكربون في تركيبها، وليس من نواتج احتراقها. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٣٣٠.

(٥) الأميبيا Amoeba : حيوان أولي مكون من كتلة بروتوبلازمية (جبلية) دقيقة ذات نواة، وليس لها جدار شكلها غير ثابت، ويتغير تبعًا لامتداد الرجليات (الأقدام الكاذبة)، وانكماشها. معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٣٣.

(٦) انظر: قصة الإنسان، جورج حنا، ص ١٠. انظر: ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، ص ٥٨. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٤٩-٢٥٢.

(٧) سلسلة تراث الإنسانية، مجموعة من الأساتذة، (٢/ ١٨٠). ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، ص ٥٨.

حياة^(١)، ولكنه لم يعترف بوجود الخالق، حيث أجاب على سؤال كانت صيغته: هل التفاعل في المادة قادر على بعث الحياة كما انبعثت الحياة الأولى منذ ملايين السنين، وعلى الصورة التي ادعاها أرنست هيكل Ernst Heikal؟ إن هذا ممكن ولكن في كواكب أخرى غير كوكبنا هذا، وهذا تهرب واضح من السؤال حتى لا يخرج، وإذن لم لم نستطع صناعة الحياة وكل شيء متوفر؟^(٢).

وعلى ذلك بقوله: "ففي هذا الكوكب لم يعد له مكان، ما دام هذا البعث أصبح يحدث عن طريق أسرع وأقرب، وهو طريق التوالد البشري الزواجي، ويقول: إذا كان هناك كواكب لا نعرفها ليس فيها حياة، ويجري فيها تفاعلات عضوية، كالتي كانت في كوكبنا الأرضي قبل ملايين من السنين، فلا يستبعد أن تنبعث الحياة من هذه التفاعلات، كما انبعثت في أرضنا التي قطعت مرحلة التفاعل البدائي، ووصلت إلى مرحلة التفاعل الأعلى، وهي مرحلة بعث الحياة بواسطة التزاوج بين الجنسين^(٣)."

وهذا التعليل من أوبارين في غاية السخافة والغرابة، فمن المفترض أن يتكرر مشهد التولد الذاتي في أي مكان أو كوكب تنهياً له القوانين والنواميس المعينة، وهو ما لم يقع^(٤). ث. وقد كان من مؤيدي التولد الذاتي، وأشهرهم، وأكثرهم إصراراً عليها: جورج والد George Wald^(٥)، الذي تحدث عن النظرية كثيراً، واعتقد بها، رغم اعترافه بتقويضها من قبل النظريات الأخرى^(٦)، وكان مما قاله: "وإني لأعتقد أن ليس ثمة اعتقاد بأنه اختيار أمام المشتغل بالعلوم، سوى أن يتفهم أصل الحياة عن طريق فرض التولد الذاتي، على الرغم من أن نظرية التولد الذاتي ضرورة فلسفية عجز العلم عنها"^(٧).

(١) انظر: الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٣٩.

(٢) انظر: الله ﷻ، سعيد حوى ص ٥٤.

(٣) انظر: قصة الإنسان، جورج حنا، ص ١٠.

(٤) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٦٤.

(٥) جورج والد George Wald : أستاذ البيولوجيا الأمريكي، حاصل على جائزة نوبل عن أبحاثه في شبكية العين، وُلد في عام ١٩٠٦م، وتوفي في عام ١٩٩٧م. رحلة عقل، عمرو شريف، ص ١٠٤.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٧.

(٧) انظر: العلم أسرار وخفاياه، هارلو شابلي، وآخرون، ترجمة: محمد صابر سليم، محمد جمال الدين الفندي، (٣٠٤/١).

واقترض جورج والد George Wald : أن العلم لو استطاع أن ينتج مادة حية في المعمل، من أبسط المواد تركيبياً، وهي مادة (D.N.A)، فإن معضلة النشوء الذاتي ستحل، وسترتقي الفرضية إلى درجة الحقيقة العلمية^(١).

ورأى جورج والد George Wald أن العقل الأزلي، الذي سماه: مصفوفة الواقعية الفيزيائية التي يتكون منها الكون هو الذي وهب الحياة^(٢).

وأصرّ على أن النظرية ممكنة عملياً للأجيال القادمة، وفي المستقبل المنظور، واشترط لذلك أن تكون التجارب على غير هذا الكوكب، حيث قال: "إذا عجزنا عن تحقيق ما نتمناه، فليس معناه أننا فقدنا كل شيء، فسلالتنا البشرية سوف تحاول مرة أخرى في غير هذا المكان"^(٣).

٧. حاول بعض أنصار التولد الذاتي الاستدلال على التولد الذاتي بعدة أدلة، منها:

أ. التخمير^(٤)، وتطبيق النظرية على الكائنات العضوية المجهرية، التي ينشأ بسببها الاحتمار^(٥)، ووجود البكتيريا في كل مكان، حيث من المرجح أن تتولد ذاتياً داخل أي وسط عضوي^(٦)، كما قام فليكس أرشميدس بوشيه Felix Archimides Bouchet^(٧) بتقديم بحث لأكاديمية العلوم في ديسمبر ١٨٥٨م حول نماذج لأجسام تولد تلقائياً في الهواء^(٨)، ولكن سرعان ما رد العلماء على تلك المزاعم.

(١) انظر: العلم أسراره وخفاياه، هارلو شابلي، وآخرون، ترجمة: محمد صابر سليم، محمد جمال الدين الفندي، (٣١٨/١).

(٢) See: Life And Mind In The Universe. George Wald. P218.

(٣) العلم أسراره وخفاياه، هارلو شابلي، وآخرون، ترجمة: محمد صابر سليم، محمد جمال الدين الفندي، (٣١٨/١).
(٤) التخمير: هي عملية كيميائية، يتم فيها تحلل المواد العضوية، يحدث بفعل الميكروبات، مثل البكتيريا والعفن والخميرة. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ١٧٦.

(٥) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٦٣.

(٦) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٧) فليكس أرشميدس بوشيه Felix Archimides Bouchet : عالم طبيعة فرنسي، وُلد في عام ١٨٠٠م، وتوفي في عام ١٨٧٢م. انظر: تاريخ العلوم اختراعات واكتشافات وعلماء، كلود بريزنسكي، ترجمة: سارة رجائي يوسف، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٨) انظر: تاريخ العلوم اختراعات واكتشافات وعلماء، كلود بريزنسكي، ترجمة: سارة رجائي يوسف، ص ٢٢٦-٢٢٧.

ب. كما حاول أنطوني فان ليفينهوك Anthony Van Levenhoek^(١) أن يبرهن على نظرية التولد الذاتي، بذلك بصناعته أول مجهر مركب، حيث اكتشف فيه أن قطرة الماء خالية من الجراثيم، وأن هذه الجراثيم تتولد ذاتيًا، واستمر الجدل قائمًا إلى القرن التاسع عشر^(٢).
ومما اعتمدوا عليه في التولد الذاتي، وسرعان ما ثبت وهمه: أن هكسلي Huxley اكتشف في قاع البحر مادة هلامية جيلاتينية هي حلقة الانتقال من عالم الجماد إلى عالم الحياة، ونظر فيها فاعتقد أنها بروتوبلازما^(٣)، ودعاها بذلك الاسم، ثم اتضح أنها طين، لا أكثر، أو راسب جرف مواد عضوية، وقد اعترف بذلك في دعاية لطيفة أثناء مؤتمر علمي في شيفيلد Schofield^(٤) في سنة ١٨٧٩م، وأعلن أسفه؛ لأنه كان السبب في تضليل كثيرين اعتمدوا على شهرته، واستشهدوا به في تأييد التولد الذاتي^(٥).

ثالثًا: الرد على المادية في نظرية التولد الذاتي:

١. تتعارض نظرية التولد الذاتي مع الموقف العلمي، حيث إن المتفق عليه عمومًا: أنه لا يمكن للبيئة، ولا المادة، ولا أي اتفاق في الظروف الكيماوية والطبيعية أن تأتي بالحياة إلى الوجود^(٦)، ومن هذه النظريات والأدلة العلمية:

أ. ما قام به فرانيسكو ريدي Francisco Reddy^(٧) بشكل حاسم نشوء الديدان الموجودة على اللحم الفاسد من بيوض الذباب، حيث لم تظهر تلك الديدان عند تغليف اللحم بقطعة

(١) أنطوني فان ليفينهوك Anthony Van Levenhoek: باحث وعالم هولندي، (١٦٣٢م-١٧٢٣م). انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٩ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3hoLW2D>).
(٢) انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية بإشراف: مانع الجهني، (٩٢٩ / ٢).

(٣) البروتوبلازم Protoplasm : المادة الزلالية الحية التي تتكون منها خلية الاجسام النباتية والحيوانية، وقد رأينا أن نترجمها بكلمة (النطفة) انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٣٩٩.

(٤) شيفيلد Schofield : مدينة في جنوب يوركشير في إنكلترا. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٣ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3fak2o7>).

(٥) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٣٨٧.

(٦) انظر: العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: صالح محمود صالح الفلكي، ص ٧٢-٧٣.

(٧) فرانيسكو ريدي Francisco Reddy : طبيب، وعالم بيولوجي، وشاعر، إيطالي، وُلد في عام ١٦٢٦م، وتوفي في عام ١٦٩٧م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٩ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3ttgulZ>).

شاش دقيقة، لدرجة تكفي لمنع الذباب من وضع بيوضها على اللحم، فكانت ضربة قاسية لنظرية التولد الذاتي، إلا أن تجربة قام بها العالم جون نيدهام John Needham^(١) عام ١٧٤٩م بغلي أنماط من المرق (broth) النقيع (Infusions) المختلفة، وبعد غلقها بمادة الغلّين قد أعطت نمو أحياء مجهرية، ثم قام سبالانزاني Spallanzani^(٢) عام ١٧٦٦م بغلي النقيع (Infusions) لفترات زمنية أطول، ثم ختم الدورق (القارورة)، وذلك بصهر أعناقها الزجاجية، وهكذا أوضح هذا العالم بقاء النقيع خاليًا من الأحياء المجهرية، ولكن عند كسر عنق الدورق استنتج حتمية دخول الميكروبات إلى النقيع مع الهواء غير المعقم^(٣)، ولم تعد نظرية النشوء الذاتي تحظى باحترام البيولوجيين، بعد تجارب ريدي Reddy وسبالانزاني Spallanzani^(٤).

ب. وفي خضم هذا الاختلاف خاض العالم الفرنسي باستير Pasteur التجارب، فكان له الأثر الكبير في دحض نظرية التولد الذاتي، حيث قام بمجموعة من التجارب التي استمرت على مدار ستة أعوام من التجارب، وكان مما فعله أن اصطحب بالونات معقمة، وذهب وزملاؤه إلى شامونيكس Chamonix^(٥) عند بحر الجليد، وأثبت أنه وفقًا للارتفاع والمواقع، فإن الهواء لا يحتوي دائمًا على نفس الكمية من الجراثيم، وفي السابع من أبريل ١٨٦٤م عرض باستير Pasteur نتائج أثناء مؤتمر ضخّم في جامعة السوربون في باريس، ودحض نظرية التوالد التلقائي، وفي عام ١٨٦٣م قام باستير Pasteur بدراسة أمراض النبيذ، فقام

(١) جون نيدهام John Needham : عالم الأحياء الانجليزي، وُلد في عام ١٧١٣م، وتوفي في عام ١٧٨١م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٠ فبراير ٢٠٢١م، الموقع: <https://bit.ly/2RDGQEW>.

(٢) سبالانزاني Spallanzani : عالم أحياء إيطالي، وُلد في عام ١٧٢٩م، وتوفي في عام ١٧٩٩م. انظر: علم الاحياء المجهرية Microbiology، أسامه عبد الكاظم العجيلي، موقع: جامعة بابل، تاريخ الاطلاع: ٣ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: <https://bit.ly/3udDuWV>، ٩ ديسمبر ٢٠١٥م.

(٣) انظر: علم الاحياء المجهرية Microbiology، أسامه عبد الكاظم العجيلي، موقع: جامعة بابل، تاريخ الاطلاع: ٣ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: <https://bit.ly/3udDuWV>، ٩ ديسمبر ٢٠١٥م.

(٤) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٦.

(٥) شامونيكس Chamonix ، الجبل الأبيض: بلدة وبلدية في شرق فرنسا، على سفح الجبل الأبيض. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٣ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: <https://bit.ly/33yPffk>.

بتسخين النبيذ ليقتل أي جراثيم، وقضى من ثم على مشكلة حفظه ونقله، كان هذا ما يسمى بالبيسترة^(١).

ت. كما أثبت باستير Pasteur أن الدود المتكون والبكتيريا المتكونة لم تتولد ذاتياً من الطبيعة، وإنما من أصول صغيرة سابقة لم تتمكن العين من مشاهدتها، فوضع غذاء، وعزله عن الهواء، إلا من خلال أنبوبة شعرية ملتوية، تصطاد الجزيئات الصلبة، وأمات البكتيريا بالغليان، وجعل الغذاء معرضاً للهواء، فما تكونت بكتيريا جديدة، ولم يفسد الطعام، وهذه النظرية التي قامت عليها صناعة الأغذية المحفوظة (المعلبات)^(٢)، فهو بذلك يدحض اعتماد العلماء على تخمير الطعام^(٣)، وأبطل الفكرة المادية الدخيلة^(٤)، ووافق فريق من العلماء، منهم أغاسيز Agassiz^(٥)، صاحب كتاب: تصنيف العضويات^(٦)، فاستغل المثاليون واللاهوتيون والماركسيون في الرد على فكرة التولد الذاتي الكيميائي^(٧).

يقول باستير Pasteur: "إذا قيل لي: إنني بما وصلت إليه من هذه النتائج قد ذهبت إلى ما وراء الوقائع المحسوسة، فإنني أقول: نعم إنني وجدت نفسي في خضم من الأفكار التي لا يمكن دائماً إثباتها إثباتاً قاطعاً، وتلك هي طريقي في النظر إلى الأشياء"^(٨).

ومع كل هذه التجارب والأبحاث ظل الماديون يرغبون في اعتقاد أن الحياة ظهرت نتيجة التطور الذاتي، واعتبروا ذلك اعتقاداً فلسفياً؛ لأنه لا بديل بعد رفض هذا الاحتمال إلا

(١) انظر: تاريخ العلوم اختراعات واكتشافات وعلماء، كلود برينزسكي، ترجمة: سارة رجائي يوسف، ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٢) انظر: العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، ص ٨٠. العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ٢٢٠. نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، ص ١٠٩-١١٠. العلمانية، سفر الحوالي، ص ٣٤٣. الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، (١٦ / ٣٦٨). كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٦-٣٢٧.

(٣) انظر: فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٦٣.

(٤) انظر: العلمانية، سفر الحوالي، ص ١٩٤.

(٥) لويس أغاسيز Luis Agassiz: عالم أحياء، وجيولوجي، أمريكي، وُلد في عام ١٨٠٧م، وتوفي في عام ١٨٧٣م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٩ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/33qHFmX>).

(٦) انظر: أصول الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٣٦.

(٧) انظر: موجز تاريخ الفلسفة، جماعة من الأساتذة السوفيات، ترجمة وتقديم: توفيق سلوم ص ٤٥٦ - ٤٥٧.

(٨) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١٦٨.

الإيمان بالخلق الخاص المباشر، وهذا أمر يرفضونه^(١)؛ ولأنهم لم يستطيعوا التوفيق بين الخلق وبين نظرتهم المادية^(٢).

ث. إن تركيب البروتينات^(٣) والخلايا الحية، وضبطها الدقيق يستحيل معه أن تكون متولدة بشكل ذاتي^(٤)، يقول رسل تشارلز أرنست Charles Ernst^(٥): "إنني أعتقد أن كل خلية من الخلايا الحية، قد بلغت من التعقيد درجة يصعب علينا فهمها، وإن ملايين من الخلايا الحية الموجودة على سطح الأرض تشهد بقدرته شاهدة، تقوم على الفكر والمنطق؛ ولذلك فإنني أؤمن بوجود الله إيماناً راسخاً"^(٦).

وهذا التصميم الذكي للخلية الذي لا يستطيعه أحد، يستحيل معه أن تتخلق من مادة ميتة، فالحي لا بد أن يتولد عن حي أو يشتق من حي، ولا يمكن تصور أن الخلية الحية يمكن أن تتولد بشكل ذاتي وعشوائي؛ وبنتيجة تفاعلات كيميائية عشوائية، غير منضبطة، أو مجرد تجمع بعض الذرات والجزيئات عن طريق المصادفة^(٧)، يقول ويليام هارفي William Harvey^(٨): "كل بيضة تتشأ عن بيضة، وكل خلية وكل حياة من شيء حي"^(٩).

(١) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٦.

(٢) انظر: ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٦١. العلمانية، سفر الحوالي، ص ٣٤٠.

(٣) البروتينات: جزيئات حيوية ضخمة تتكون من سلسلة أو أكثر من الأحماض الأمينية. انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٣٩٩.

(٤) انظر: الله، عباس العقاد، ص ٢١٥-٢١٦. الله ﷻ، سعيد حوى ص ٥٧.

(٥) رسل تشارلز أرنست Charles Ernst : عالم الأحياء، والنبات، والبيولوجيا. انظر: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ٧٩.

(٦) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ٨٣. الله ﷻ، سعيد حوى، ص ٥٥.

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٥. الله ﷻ، سعيد حوى ص ٥٨. الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن، نيومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: لجنة الترجمة في دار رسلان، ص ٤٤. فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٦٣. الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ٨٣. العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، فرج الله عبد الباري، ص ٦٨.

(٨) ويليام هارفي William Harvey : طبيب إنجليزي، وُلد في عام ١٥٧٨م، وتوفي في عام ١٦٥٧م. انظر: ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ٦٣.

(٩) الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٣٩.

ويقول ج. ب. س. هولدين J.P.S. Holden : "ليس ثمة أي احتمال لاستخلاص العضوي من غير العضوي"^(١).

وهذا الموقف الناقد لنظرية التولد الذاتي لم يكن حكرًا على هؤلاء العلماء؛ بل وافقهم كثيرون، متسائلين عن كيفية نشأة البروتوبلازم^(٢)، التي تدخل في تركيب جميع الكائنات الحية^(٣).

وأمام ذلك ليس أمامهم إلا القول بالمصادفة^(٤)، يقول الدكتور واين اولت Wayne Ault: "النظريات التي ترمي إلى تفسير الكون تفسيرًا أليًا فإنها تعجز عن تفسير كيف بدأ الكون، ثم ترجع ما حدث من الظواهر التالية للنشأة الأولى إلى محض المصادفة"^(٥)، حتى إن الداروينية الحديثة أقامت ردودًا علمية على نقض الافتراضات المتعددة للتولد الذاتي^(٦).

٢. تدل النصوص الشرعية من القرآن والسنة على أن سر الحياة سر من أسرار الخالق^(٧)، فالكون، وكل ما في الوجود إن هو إلا فعل للإله الخالق، الذي بيده كل شيء^(٨)، وهو ما يتوافق مع أدلة علم الأحياء، التي نقضت أية نظرية تقول بأن الحياة تتشأ عن الجماد، وقررت بأن الحياة إنما خلقت خلقًا في الكائنات الحية، والذي خلق الكائنات بأي طريقة

(١) الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٣٩.

(٢) البروتوبلازم Protoplasm : المادة الزلالية الحية التي تتكون منها خلية الاجسام النباتية والحيوانية، وقد رأينا أن نترجمها بكلمة (النطفة) انظر: معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، ص ٣٩٩.

(٣) ومن هؤلاء: جوستاف بونيه Gustav Bonnet ، وباستير Pasteur، وأغاسيز Agassiz، وألبرت ماكومب Albert Macomb ونشستر Chester. انظر: الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٣٩. أصول الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٣٦. الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١١١-١١٢.

(٤) انظر: العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلم، يحيى هاشم فرغل، ص ٤٧٢.

(٥) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١٣٧-١٣٨.

(٦) انظر: الله يتحدى الملحدين، أدلة علمية معاصرة لإثبات وجود الله، محمد شيخاني، ص ٥-٦.

(٧) انظر: كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٣-٣٢٤.

(٨) انظر: الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن. نيومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: دار رسلان، ص ٧.

الإسلام ونظرية داروين، محمد باشميل، ص ٤٢-٤٣. الله ﷻ، سعيد حوى، ص ٥٥-٥٦.

ولأي غرض هو الخالق سبحانه وتعالى، ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ
تُؤَفَّكُونَ﴾ [غافر: ٦٢] (١).

يقول ألفرد روسيل وولاس Alfred Russell Woolas (٢): "إنهم الطبيعيون الماديون يتجاهلون القوة المدبرة الخفية التي تستطيع الخلية الحية بفضل تأثيرها، من الدور في سلسلة من التحولات، يستحيل إيضاحها بأية طريقة كيميائية أو ميكانيكية" (٣). وهذا ما يدعونا إلى ضرورة إعادة النظر في مدى صلاحية العلم الحديث لشرح العلل والأسباب وراء خلق الكون (٤).

٣. عجز العلم عن معرفة أصل الحياة، فليست القضية من وجهة نظر العلم في المكان الذي ظهرت فيه أول خلية حية، وإنما في سبب حدوث ذلك (٥)؛ ولذلك واجه العلم ظاهرة نشوء الحياة من المادة، ويتعثر في تفسيرها، وينتابه القلق، والاضطراب، والتخبط، ويلوذ بالغموض والفروض التي لا دليل عليها، حيث يواجه معضلة مختلفة عن قوانين الكهرومغناطيسية (٦) والذرة وقوانين الكيمياء والطبيعة (٧).

-
- (١) انظر: الله والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٤٠.
- (٢) ألفرد روسيل وولاس Alfred Russell Woolas : مهندس مساحة وعمارة، وعالم في التاريخ الطبيعي، وُلد في عام ١٨٢٣م، وتوفي في عام ١٩١٣م. انظر: أصل الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: مجدي المليجي، ص ٨٧٨.
- (٣) ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٥٦-٥٧.
- (٤) انظر: الإسلام يتحدى، مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، ص ٢٩-٣١.
- (٥) انظر: الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن، نيبومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: لجنة الترجمة في دار رسلان، ص ٤٤.
- (٦) الكهرومغناطيسية: القوة التي تنشأ بين الجسيمات ذات الشحنة الكهربائية، وهي التي تبقي على الإلكترونات في مدارها حول النواة، وتجعل ذرات المادة تبدو جامدة، وهي المسؤولة عن موجات الراديو (اللاسلكي) والضوء. الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٠.
- (٧) انظر: الطاقة الإنسانية، أحمد حسين، ص ١٧٦-١٧٧. الوجه الحقيقي للإلحاد، رافي زكرياس، ترجمة: ماريانا كنتوت، ص ٤٩. تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى الزمن الحاضر، سينثيا ستوكس براون، ترجمة وتقديم: أيمن توفيق، ص ٤٧. ويمكن الاستشهاد بقطين من علماء الأحياء، وهما يوتسن وكريك الحائزان على جائزة نوبل، والذان اكتشفا الشيفرة الوراثية، يؤكدان على أن أي تصور حول القوانين التي تشكلت وفقها أجديات هذه الشيفرة تبقى مجهولة بالنسبة إلى العلم. انظر: الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن، نيبومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: دار رسلان، ص ٤٤.

ولم يجد أصحاب نظرية التولد الذاتي أي دليل على إثباتها سوى الافتراضات والتخمينات والخواطر، التي لم تخضع لدليل علمي أو عقلي أو تجريبي^(١).

يقول تشارلز تاونز Charles Towns^(٢): "سيجادل كثير منا بالفعل بأن الدليل يمنح الأفكار العلمية نوعاً من الإطلاق والشمول الذي يفتقر إليه الدين، ولكن الحقيقة أنه لا يمكننا على الإطلاق إثبات أي شيء تماماً وحتى علمياً ورياضياً لا يمكننا أن نتأكد بالمطلق من صحة استنتاجاتنا؛ فعلما يعتمد على الفرضيات أو التوقعات، وهي كالإيمان الديني، قد نؤمن بها بشكل جازم، ولكن لا يمكننا إثباتها تماماً"^(٣).

وهذه المعضلة التي واجهت أصحاب التولد الذاتي لم تقتصر عليهم؛ بل واجهت كل من تكلم عن أصل الحياة بمنظوره العقلي، بعيداً عن الوجهة الإسلامية، ولم يستطع أحد من هؤلاء الماديين إثبات هذه المزاعم بالطرق العلمية، أو العملية الحسية^(٤).

وقد أنفق الاتحاد السوفييتي خلال ستين عاماً من الشيوعية، ستين ملياراً على مختبرات علوم الحياة؛ ليثبتوا أن الحياة ما هي إلا تفاعل كيميائي، فباؤوا بالخيبة، وصدر قرارهم العلمي في سنة ١٩٦٩م الذي قدم إلى القيادة السوفييتية، وقد تضمن ما يلي: "ليس للعلم قدرة على أن يثبت أن الحياة نتيجة تفاعل كيميائي"^(٥)، وابتهج بهذا القرار السوفييتي علماء مختبرات علوم الحياة في أمريكا، فدعوا العلماء السوفييت إلى أمريكا وعقد الفريقان اجتماعاً، نتج عنه إصدار بيان مشترك، جاء فيه: "العلم عاجز عن إيجاد الحياة، وعاجز عن أن يعرف إلا بعض مظاهر المادة"^(٦).

(١) انظر: الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ٢٧٥، ٤٧١. ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، ص ٥٦. كواشف زيوف، الميداني، ص ٣٢٨. فلسفتنا، محمد باقر الصدر، ص ٣٦٢-٢٦٣. أصول الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٣٦. صراع مع الملاحظة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ١٠٥-١٠٦.

(٢) تشارلز تاونز Charles Towns : عالم فيزيائي أمريكي، مكتشف ال Maser الذي مهد لاكتشاف أشعة الليزر، وُلد في عام ١٩١٥م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٠٣.

(٣) الإيمان بالخالق والعلم اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث، جوردون ليدنر، ترجمة ونشر: مركز دلائل، ص ٦.

(٤) انظر: الإسلام ونظرية داروين، محمد أحمد باشمیل، ص ٤٣.

(٥) كواشف زيوف، الميداني، ص ٥١٣.

(٦) المرجع السابق.

ومنذ سنوات قليلة اجتمع بُحاث من مختلف بلاد العالم في موسكو في مؤتمر دولي، خُصص عن نشأة الحياة، وخلال انعقاد المؤتمر، وصلتهم برقية من علماء الهند، يعتذرون فيها عن عدم الحضور ويبررون - ممازحين - عذرهم بقولهم: "إننا نخبركم أننا قد شيدنا لتونا المادة الحية في معملنا، أفضل تمنياتنا بنجاح المؤتمر"^(١)، ولم يفتن أحد المراسلين إلى تلك الممازحة، فأذاعها وتناقلتها صحافة العالم، واحتلت عناوينها الرئيسية، وأثارت تفسيرات واعتراضات هائلة^(٢).

وبالتالي فإن كل ما يقدمه العلماء حول أصل الحياة إنما هو ناتج عن فلسفة مادية، لا أساس علمي^(٣).

حتى إن دارون نفسه لم يستطع معرفة شيء عن نشأة الحياة الأولى، وكيف نشأت؛ بل صرح دارون في آخر كتابه أصل الأنواع بأن هذه الحياة قد نفخها الخالق^(٤)، كما أهاب بعلماء الطبيعة أن يبحثوا عن نشأة الحياة الأولى^(٥).

وقد استشهد أنتوني فلو بآراء عدد ممن وصفهم بأقطاب البيولوجيا في العالم، على عجز العلم عن معرفة أصل الحياة، وهم: أندني نول Andy Knoll^(٦)، وأنتونيو لازكانو Antonio Lazcano^(٧)، وجون مادوكس John Maddox^(٨)، وجيرالد شرويدر Gerald Schroeder^(٩)^(١٠).

(١) انظر: بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، جون فايفر، ترجمة: محمد الشحات، ص ١٦٤.

(٢) انظر: المرجع السابق.

(٣) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١١١.

(٤) انظر: أصل الأنواع، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، ص ٦٩٤.

(٥) انظر: الإسلام ونظرية داروين، محمد أحمد باشميل، ص ٤٢.

(٦) أندني نول Andy Knoll : أستاذ علم الأحياء في جامعة هارفارد، وُلد في عام ١٩٥١م، ومؤلف كتاب: الحياة على كوكب ناشئ: أول ثلاثة مليار سنة من الحياة، انظر: هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٧٧.

(٧) أنتونيو لازكانو Antonio Lazcano : رئيس الجمعية الدولية لدراسة أصل الحياة، وُلد في عام ١٩٥٠م، انظر: هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٧٨.

(٨) جون مادوكس John Maddox : رئيس التحرير الفخري لمجلة الطبيعة، انظر: هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٧٨.

(٩) جيرالد شرويدر Gerald Schroeder : عالم أمريكي، متخصص في الفيزياء النووية. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٦٨.

(١٠) انظر: هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٧٧-١٧٨.

- وهذه بعض من أقوال العلماء في العجز عن إدراك سر الحياة، وأصلها:
- أ. اعترف بذلك صراحة عمدة الإلحاد بوخنر Buchner^(١)، الذي شن هجومه على دارون، واتهمه بمصانعة رجال الدين^(٢).
- ب. يقول بوخنر Buchner: "إن البت في أمر التولد الذاتي للكربية الأولى التي نشأ عنها الأصل الأول أمر غير يسير"^(٣).
- ت. يقول ستيوارث كوفمن Stuart Kauffman^(٤): "أي شخص يخبرك أنه يعرف كيف بدأت الحياة على الأرض منذ حوالي ٣,٤٥ مليار سنة، إما أحمق أو مخادع، لا أحد يعلم"^(٥).
- ث. يقول جاك مونود Jacques monod^(٦): "ليست لدينا أدنى فكرة عن بنية أي خلية أولية"^(٧).
- ج. يجيب جون مادوكس John Maddox عن تساؤل: "متى وكيف نشأ التكاثر الجنسي؟" قائلاً: "لا أدري"^(٨)، ويقول: "السؤال الرئيسي هو متى، ثم كيف، تطور التكاثر الجنسي بذاته؟ على الرغم من مرور عقود من التخمين، ما زلنا لا نعرف"^(٩).
- ح. يقول جوناثان ويلز Jonathan Wells^(١٠): "فقد عجز الباحثون في مجال أصل الحياة عن شرح كيفية تكون وحدات البناء الجزيئية للحياة على سطح الأرض، وحتى إن نجحوا في اكتشاف أصل وحدات البناء، فسيبقى أصل الحياة غامضًا؛ إذ يستطيع الكيميائي أن

-
- (١) لودفيغ بوخنر Ludwig Buchner : فيلسوف، وطبيب، وفسولوجي ألماني، من أكبر دعاة الداروينية، وُلد في عام ١٨٢٤م، وتوفي في عام ١٨٩٩. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٤٢٥.
- (٢) انظر: الإسلام ونظرية داروين، محمد أحمد باشميل، ص ٤٣.
- (٣) قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر، ص ١٨٩.
- (٤) ستيوارث كوفمن Stuart Kauffman : أستاذ البيولوجيا الأمريكي، وُلد في عام ١٩٣٩م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٦٣.
- (٥) العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كنتوت، ص ٢١٣.
- (٦) جاك مونود Jacques monod : عالم البيولوجيا والأحياء الفرنسي، وحاصل على جائزة نوبل في الطب، وُلد في عام ١٩١٠م، وتوفي في عام ١٩٧٦م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٤١.
- (٧) Chance Necessity, Jacques Monod, P134.
- (٨) رحلة عقل، عمرو شريف، ص ١٠٤.
- (٩) What Remains To Be Discovered, John Maddox, P252.
- (١٠) جوناثان ويلز Jonathan Wells : دكتور البيولوجيا الجزيئية، والدراسات الدينية، وُلد في عام ١٩٤٢م، وهو من أشهر دعاة نظرية التصميم الذكي المؤمنة لا الملحدة. انظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ١٩٧.

يخلط كل الوحدات الكيميائية البنائية للحياة في أنبوب اختبار، ولن يحصل على خلية حية، بالرغم من توفر هذه الجزئيات، وهكذا فلا زلنا نجهل تمامًا كيفية نشأة الحياة على الأرض^(١).

خ. يقول العالم الأشهر ماكس بلانك Max Planck: "لا يمكن للعلم أن يحلّ اللغز المطلق للطبيعة؛ وهذا لأننا جزء من الطبيعة، وبالتالي جزء من هذا الغموض الذي نحاول حله"^(٢)، وهذا يدل على أن العلم لا يلزم العالم أن يكون ماديًا، فماكس بلانك Max Planck كان يؤمن بالخالق، وهو حاصل على جائزة نوبل الفيزياء ١٩٤٨م^(٣).

د. يقول أميل بوترو Emile Putro: "مهما تفترض امتداد التجربة فإنها لا يمكن أن تبلغ الأصول ولا الغايات الأخيرة"^(٤).

وهذه النتائج التي توصل إليها العلماء هي التي دعّتهم إلى التوجه نحو الإيمان بالغيبيات، وألجأت آخرين إلى الإيمان بالله تعالى، ف"وجود السبب الكافي، أو العلة التامة، هو وحده الذي ينبغي التوقف عنده؛ لأنه هو الضرورة المطلقة لوجود الأشياء؛ وهو علة كونها ما هي وأساسه، كما نجد ذلك في الأشكال الهندسية، فينبغي أن نتوقف عند هذا الأساس وهذه العلة، أما السؤال عما هي علة العلة التي هي أقصى العلل جميعًا فمتناقض"^(٥).

ذ. يقول الدكتور ليكونت دي نوي Le Lynette de Noi: "نكرر القول بأنه لا توجد حقيقة واحدة، أو نظرية واحدة في يومنا هذا تقدم تفسيرًا قاطعًا لمولد الحياة، وتطور الطبيعة، ولقد درسنا مسألة أصل الحياة، فوجدنا أننا مضطرون إلى أن نقبل فكرة تدخل قوة سامية، يدعوها العلماء أيضًا "الله"، وهي عكس الصدفة"^(٦)، ويقول أيضًا: "إننا لا نستطيع أن نبحث عن سبب ابتدائي ما لم نترك مجال العلم، وندخل في عالم العقائد"^(٧).

(١) أيقونات التطور علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ترجمة: أحمد ماضي، ص ١٢ وما بعدها.

(٢) Where Is Science Going, Max Planck, Albert Einstein, James Murphy, P217.

الإيمان بالخالق والعلم اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث، جوردون ليدنر، ترجمة ونشر: مركز دلائل، ص ٦.

(٣) انظر: أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، أحمد حسن (أبو حب الله)، ص ٦٤.

(٤) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ١٨٩-١٩٠.

(٥) انظر: سلسلة الوجود الكبرى، آرثر لفتنجوي، ترجمة: ماجد فخري، ص ٢٣٠.

(٦) مصير البشرية، ليكونت دي نوي، ترجمة، تحقيق: أحمد عزت طه، عصام أحمد طه، ص ١١٠.

(٧) المرجع السابق، ص ١٢١.

ر. يقول تشارلز تاوونز تاوونز Charles Towns: "لا شك أن السؤال عن بداية نشأة الكون سيظل دون إجابة علمية؛ لذلك أعتقد أن هناك حاجة إلى التفسيرات الدينية الغيبية، ومن ثم فإنني أؤمن بالإله الذي خلق الكون"^(١).

ز. يقول هربرت سبنسر Herbert Spencer: "فجوهر الأشياء، وتكونها، ونهايتها خافية علينا، وينتهي سائر علمنا إلى الغيب"^(٢).

س. يفر دوكنيز Dawkins إلى غيبيات غير مبرهنة، ولا يعرف كيف تبدأ الحياة، حيث يقول: "ليست عندنا أدلة توضح ماهية الخطوة الأولى لصناعة الحياة، لكننا نعلم أن الخطوة التي يجب أن تكون، إنها يجب أن تكون شيئاً يسمح للانتخاب الطبيعي بأن يبدأ العلم"^(٣).

٤. خامساً: تناقضها مع مبادئ العلم الحديث:

في منتصف القرن التاسع عشر جاء شارل أوجين جي Charles Eugene G^(٤)، وأثبت بطلان نظرية التولد الذاتي، وأثبت بالأساليب الرياضية عدم علمية النظرية على الإطلاق، وأن حجم الكون الذي يمكن أن تنشأ فيه أدنى درجة من الحياة بطريق المصادفة والتولد الذاتي، هو أكبر من حجم كوننا حسب تقدير (ألبرت آينشتاين) بأرقام خيالية، لا يُعبر عنها، وهي:

(كرة نصف قطرها = $10^{(٨٢)}$ سنة ضوئية^(٥))، أي: (١٠) أمامها (٨٢) صفراً، وهذا يدل على استحالة ذلك^(٦).

ومما يدحض حجة التولد الذاتي أن القائلين بدليل الجرثومة الفضائية من العسير عليهم أن يثبتوا أن الجرثومة جاءت من الفضاء، وبقيت حية في درجة حرارة الصفر المطلق^(٧) في

(١) خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٠٣.

(٢) العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، ص ٧٦.

(٣) The Greatest Show On Earth: The Evidence For Evolution, Richard Dawking, P419.

(٤) شارل أوجين جي Charles Eugene G: عالم سويسري، فيزيائي، وُلد في عام ١٨٦٦م، وتوفي في عام ١٩٤٢م. انظر: مصير الإنسان، ليكونت دي نوي، ترجمة: خليل الجر، (٦٥ - ٦٦).

(٥) السنة الضوئية: المسافة التي يقطعها الضوء في سنة واحدة، فهي مقياس للمسافة وليست للزمن. انظر: قصة الكون، جون جريبين، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٨٩.

(٦) انظر: مصير الإنسان، ليكونت دي نوي، ترجمة: خليل الجر، (٦٥ - ٦٦).

(٧) الصفر المطلق: أقل درجة ممكنة، حيث لا تحوي طاقة حرارية، وتتوقف حركة كل الجزيئات، وهي

٢٧٣م. الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٤٩.

الفضاء، حتى وإن بقيت حية فإن الإشعاع سيقتلها، وإن وافق ووُجدت بيئتها للتوالد، فإننا سنرجع إلى ذات المربع، ونقول: "وكيف بدأت الحياة على أي كوكب من الكواكب"؟^(١)

ومما سبق يتبين أن التولد الذاتي فكرة لا حجة لها ولا برهان، وهي من النظريات القديمة التي دحضها العلم، وكانت بمثابة الرؤية الداعمة للفكر المادي، المستند على أزلية المادة، وإنكار الغيب.

وبهذا يتّضح أن النظريات المتعلقة بعلم الأحياء، والتي تستند إلى الفكر المادي هي نظريات لا علمية، تبقى حبيسة الوهم والخرافة، كما هو الحال في التولد الذاتي.

(١) انظر: العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: صالح محمود صالح الفلكي، ص ٧٢-٧٣.

المبحث الثاني

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم
الفيزياء والفلك ونقضها

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المادية في نظرية أزلية الكون والرد عليها.

المطلب الثاني: المادية في نظرية الأكوان المتعددة
(المتوازية).

المطلب الثالث: المادية في نظرية (إم) والرد عليها.

المبحث الثاني

المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان علم الفيزياء والفلك ونقضها

ظهر الفكر المادي في ميدان علم الفيزياء، وتأثر كثير من الفيزيائيين بالفكر المادي، ويبدو الفكر المادي أكثر ما يبدو في نظريتي أزلية الكون والأكوان المتعددة، وما ما يعرضه هذا المبحث.

المطلب الأول

المادية في نظرية أزلية الكون والرد عليها

وفي هذا المطلب سيعرض الباحث نظرية أزلية الكون، مع بيان معناها، ومبرراتها، والرد عليها.

أولاً: التعريف بنظرية أزلية الكون:

احتلت فكرة بداية الكون من عدمه مكاناً كبيراً في عقول العلماء والباحثين، قديماً وحديثاً، فهي تمثل أهمية جوهرية لتاريخ الفكر، فضلاً عن ارتباطها بطبيعة الحقيقة النهائية^(١). ولقد كانت الرؤية السائدة قديماً تزعم أن الكون ساكن وثابت، لا بداية له زماناً ومكاناً، وهذا ما كان عليه الفلاسفة اليونان من أن الكون أزلي قديم^(٢)، نشأ من عناصر مادية، يختلفون في عددها وتحديدها، وهي الماء، والهواء، والنار، والتراب، أو أنها مجتمعة، كما هو مذهب إنبادوقلس^(٣) Inbazkels من فلاسفة اليونان^(٤)، وذهب امبيدوكل^(٥) Ampedocle إلى أن

(١) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا ككتوت، ص ١١٤. العدم مقدمة قصيرة جداً، فرانك كلوس، ترجمة: فايقه جرجس حنا، ص ٤٨.

(٢) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ١١٢. براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٨٥.

(٣) إنبادوقلس الإغريغنتي Inbazocles Egrigante : فيلسوف يوناني، وُلد نحو ٤٩٢ ق. م، وتوفي في عام ٤٣٠ ق. م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٩٧.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، ص ٥٢.

(٥) امبيدوكل Ampedocle : فيلسوف يوناني، من الفلاسفة الأوائل، وشاعر، مهندس، وطبيب، وُلد في عام ٤٧٣ ق. م، وتوفي ٤٢٣ ق. م. انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ١٨٨.

العناصر المادية كانت مجتمعة ساكنة، راكدة، متوازنة، ثم تنافرت بالصدفة، فحدث العالم من تجاذبها، وتنافرها، وتدافعها، ثم توالت الحركات بعد ذلك^(١).

وقد بقي الاعتقاد بثبات الكون وسكونه قائمًا، وظهور المادة على الدوام، منذ عصر الفلاسفة اليونان، وصولًا إلى نيوتن، والنهضة العلمية الحديثة خلال القرن السابع عشر، فيم عُرف بعد ذلك بالحالة المستقرة^(٢)، وفي منتصف القرن العشرين قدم ثلاثة من كبار علماء الفلك، كانوا يعملون في جامعة كامبردج بلندن^(٣)، نظرية تتوافق مع الحالة المستقرة، وعُرفت بنظرية الحالة الثابتة، أو الحالة المستديمة، وتصدت لنظرية الانفجار العظيم، ونصّت على أن الكون موجود أزلًا، والمادة كانت تُنتج باستمرار؛ لتجديد المادة المستهلكة، وتعويضها؛ وللحفاظ على كثافة^(٤) الكون المتمدّد^(٥) ثابتة، ومعدل الانتاج اللازم معدل في غاية البطء، يعادل ذرة واحدة لكل متر مكعب، في كل عشرة مليار سنة، وهو ما يعني بالصدفة استحالة إخضاع النظرية للاختبار عن طريق الملاحظة^(٦)، وهي محاولة للجمع بين القول بتمدد الكون، وكون بدون بداية أو نهاية^(٧).

-
- (١) انظر: عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، ص ١٨٨-١٩٠.
 - (٢) انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٢٨.
 - (٣) وهم: فريد هويل، وهيرمان بوندي، وتوم غولد. انظر: أقدم لك ستيفن هوكينج، ج. ب. مالك ابغوي، أوسكار زاريت، ترجمة: ممدوح عبد المنعم محمد، ص ٧٢.
 - (٤) الكثافة: هي صفة فيزيائية للأجسام، تعبّر عن علاقة وحدة الحجم بوحدة الكتلة لمادة أو جسم ما، ومدى التقارب بين أجزاء الجسم الواحد. انظر: معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ١٢١.
 - (٥) الكون المتمدّد: اتساع الكون وزيادته. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٧١.
 - (٦) انظر: الموسوعة الكونية الكبرى، ماهر أحمد الصّوفي، (٥٧/٣). أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، أحمد حسن (أبو حب الله)، ص ٢٤٢-٢٤٣. العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١١٧. أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ١٥٧-١٥٨. هل لك في الكون نقيض؟ أصل الكون والكون المعكوس، عبد المحسن صالح، ص ١٢٣. العلم أسراره وخفاياه، هارلو شابلي، وآخرون، ترجمة: محمد صابر سليم، محمد جمال الدين الفندي، (٩٦/١). الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ١٣٠. التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ١٥٣، ١٦٥. أقدم لك ستيفن هوكينج، ج. ب. مالك ابغوي، أوسكار زاريت، ترجمة: ممدوح عبد المنعم محمد، ص ٧٢.
 - (٧) انظر: المعرفة والتساؤل، فكتور فايسكوف، ترجمة: سيد رمضان هدارة، ص ٢١٠-٢١١.

وتميزت النظرية في نظر عدد من منظريها بالسهولة والوضوح^(١)، واكتسبت زخمًا كبيرًا في ذلك الوقت^(٢)، إلا أن النظرية شهدت نكسات على المستوى الأرصادي؛ إذ لم يجد الفلكيون تطابقًا بين ما تقتضيه النظرية، وما هو مشهود في السماء^(٣).

إلا أن هذا الفكر قد تجدد في العصر الحديث بالفكر المادي، وبفكر أكثر إلحاحًا من الفلسفة اليونانية، التي ترى أن الله هو المحرك الأول، وذلك قبل اكتشاف فيزياء الكوانتم، حيث نادى بعض الجهات الفلسفية الأوروبية بأن الكون واجب الوجود^(٤)، وأن العالم لا يحتاج إلى الله لتفسير حوادثه؛ بل يعمل في إطار ما اكتُشف في الفيزياء المعاصرة، وأن الطبيعة مادية جوهرية، لا يلزم الاعتقاد بأي شيء غيبي فيها^(٥)، وأن فرضية وجود الله يلزم منها أن يكون الكون عشوائيًا يعمل بالمعجزات، على حد تعبير ستيفن واينبرغ Stephen Weinberg^(٦) في مناظرته الشهيرة مع جون بولكينجهورن John Polkinghorne^(٧)، عام ٢٠٠٢^(٨)، وهو ما يعبر عن النزعة المادية في صورتها الحديثة، كما قال دولباك Dulbak^(٩): "إن كل شيء يفسر بالمادة والحركة، وأنها أزليتان أبديتان، والعالم مدبر بقوانينهما، وأن الكون ليس مدبرًا من إله"^(١٠)، في مقابل المثاليين الذين يرون أسبقية الروح على الطبيعة، ويؤمنون بخلق العالم^(١١).

(١) انظر: علم الكونيات، بيتركونز، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ٦٢.

(٢) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٢، ١١٧.

(٣) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ١٥٧-١٥٨.

(٤) انظر: كهنة الإلحاد الجديد، هيثم طلعت، ص ٢٠٣.

(٥) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ٢٣٤. صراع مع الملاحظة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٩٨. نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، ص ١٩.

(٦) ستيفن واينبرغ Stephen Weinberg : عالم فيزياء نظرية أمريكي، وُلد في عام ١٩٣٣م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٤٦٢.

(٧) جون بولكينجهورن John Polkinghorne : عالم الفيزياء الرياضية البريطاني، وُلد في عام ١٩٣٠م. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٢٨.

(٨) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ٢٣٦-٢٣٧.

(٩) بارون دولباك Baron Dolbock : فيلسوف تنويري، فرنسي ألماني، وُلد في عام ١٧٣٣م، وتوفي في عام ١٧٨٩م. انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٢٠٣.

(١٠) انظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، ص ٢٠٣.

(١١) See: Friedrich Engels, Ludwig Feuerbach, P 21.

ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية أزلية الكون وعلاقتها بالإلحاد:

١. يرى التفسير المادي أن الكون يفسر نفسه ذاتياً، مثلما رأى بيتر آتكينز Peter Atkins^(١) أن عنصر الزمكان^(٢) يوَلد مادته في عملية تجميعه الذاتي لنفسه الخاصة به^(٣)، ولا سبب لوجود الكون، فهو واحد من الأشياء التي تحدث من آنٍ لآخر^(٤).
- وقال لورنس كراوس Lawrence Krauss: "الكون ظهر من لا شيء، وصنف كتاباً سماه: شيء من لا شيء"^(٥)، أي أن الكون لا بداية له، قد وُجد منذ الأزل، وعلى ذلك فلا خالق له، ولا نهاية له؛ زعموا ذلك حتى يفروا من إثبات الخالق^(٦)، ومن نظرية الخلق المستمر التي قال بها الملاحدة قديماً^(٧)، حيث زعموا أن المادة أزلية، وبأزليتها أصبح الكون أزلياً^(٨)
- ويقول آرثر إدينغتون Arthur eddington^(٩): "إن فكرة وجود بداية للنظام الحالي للطبيعة أمر بغيض فلسفياً، وإنني أفضل إيجاد بديل آخر لها"^(١٠).

(١) بيتر آتكينز Peter Atkins : أستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة أكسفورد، وُلد في عام ١٩٤٠م. انظر: خرافة الإلحاد، ص ٥٦.

(٢) الزمكان: space – time: مفهوم في الفيزياء يؤكد وجود اتحاد بين الزمان والمكان، عرضه آينشتاين في نظرية النسبية، يعبر عن الفضاء رباعي الأبعاد، ليكون فضاء الحدث بدلاً من المكان المطلق الفارغ في نظرية الكم. انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كنتوت، ص ١١١. موسوعة الفيزياء الكونية والعلوم الفضائية، علي مولا، ص ٧٣.

(٣) See: Creation Revisited: The Origin Of Space, Time And The Universe, Peter Atkins, P143.

(٤) See: Is The Universe A Vacuum Fluctuation?. Edward P, Tryon, P396.

العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كنتوت، ص ١١٠.

(٥) لماذا يلحد علماء الطبيعيات الغربيون؟ محمد باسل الطائي، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2WOM5Rm>)، ٤ فبراير ٢٠١٥م.

(٦) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ٧١. صيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، محمد باسل الطائي، ص ٢١٠. هل تحدث القرآن عن نشأة الكون؟، محمد أحمد داود، ص ٢٦، ٦٤.

(٧) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ٩٩-١٠٠.

(٨) انظر: عرض موجز للمادية الديالكتيكية، بودويتنيك وياخوت، ص ٣٩.

(٩) آرثر إدينغتون Arthur eddington : عالم وفيلسوف انجليزي، وُلد في عام ١٨٨٢م، وتوفي في عام ١٩٤٤م. انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٤٦.

(١٠) The End Of The Wold: From The Standpoint Of Mathematical Physics. Arthur S. Eddington, P450.

وصرح جون مادوكس John Maddox "أن فكرة وجود بداية للكون غير مقبولة أبدًا؛ حيث إنها تتطوي على خالق للعالم؛ وتعطي المؤمنين بنظرية الخلق مبررًا وافرًا لمعتقداتهم"^(١). ويقول بول دافيز Paul Davies^(٢): "لم أعجب إطلاقًا بفكرة الصنعة الإلهية، إن مجموعة من القوانين الرياضية تتمتع بدرجة عالية من الذكاء، تمكنها من إيجاد كل هذه الأشياء"^(٣).

كما اعترف دوكينز Dawkins بأنه لا يملك دليلًا يثبت ما يعتقده عن نشأة الكون، وزعم أن الكون نشأ تلقائيًا من العدم^(٤)، حيث يقول: "من المؤكد تقريبًا عدم وجود الله بعيدًا عن فكرة المصمم، والوهم عن تصميم الحياة يمكن تفسيره بطريقة أكثر عقلانية ومنطقيًا؛ بناءً على نظرية الانتخاب الطبيعي لداروين"^(٥).

وزعم فيكتور ستينجز Victor Stings^(٦) وغيره بأن العدم هو شيء، وأن الكون "نشأ تلقائيًا من هذا الذي هو العدم"^(٧).

٢. اعتمد الملاحظة في القول بالألزلية على بعض التكهّنات، منها:

أ. "وجود فضاء فارغ خالٍ من كل شيء، أي: فراغ محض، فراغ خالٍ من المادة والطاقة"^(٨).

(١) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١١٧. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١١١-١١٤.

(٢) بول دافيز Paul Davies : عالم بريطاني، متخصص في علوم الكون، وُلد في عام ١٩٤٦م. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٩٠.

(٣) Scientists Who Glimpsed God, Clive cookson, P20.

(٤) انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٤١.

(٥) وهم الإله، ريتشارد دوكينز، ترجمة: بسام البغدادي، ص ٥.

(٦) فيكتور ستينجز Victor Stings : أستاذ الفيزياء الأمريكي بجامعة هاواي، معارض لمفهوم التصميم الذكي، وُلد في عام ١٩٣٥م. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ١١٤.

(٧) رحلة عقل، عمرو شريف، ص ١١٤-١١٥.

(٨) مغالطات أذنوبة أن الكون نشأ من لا شيء دون الحاجة إلى خالق، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://www.alukah.net/sharia/0/95709>) /١٤٣٧هـ-٢٠١٥م.

ب. وكذلك استندوا إلى بعض اكتشافات علماء الكيمياء، أمثال: بريستلي Priestley، ولافوازييه Lafaoisier^(١)، فهذا إنجلز يستشهد بأمثلة من الكيمياء حين يشرح قوانين المادية الجدلية^(٢).

وعلى سبيل المثال فإن نظرية لافوازييه أحد شواهد الكيمياء، قامت على أبعاد زمانية ومكانية وإدراكية، وزعم فيها لافوازييه أنه لا يمكن أن يُخلق شيء من العدم المطلق، ولا يُعدم شيء موجود، وإنما هي تحولات من مادة لطاقة، أو من طاقة لمادة، أو من مادة لمادة^(٣).
ت. ومما اعتمدوا عليه أيضًا في أزلية الكون: نظرية نيوتن، وأنه يمكن تفسير ميكانيكيته بقوانين تُقضي حاجة العالم إلى افتراض وجود خالق، على الرغم من أن نيوتن نفسه لا يقول بهذا، إلا أن الفيزياء الحديثة أصبحت تختلف عن النظرة المادية الميكانيكية للكون^(٤).

فقد نفى لابلاس قيام الإله بأي دور كوني^(٥)، فعندما سُئل: "من الذي فعل كل هذا النظام" (mechanism)؟، أجاب لابلاس: "إنني لست في حاجة إلى هذه الفرضية"^(٦)، وأسس لفكرة عدم وجود تأثيرات غيبية لمن بعده، بما في ذلك وجود الإله ودوره في الكون^(٧)، وعدم الإيمان إلا بما يتوافق مع الاستنتاجات العلية التي تبدأ من قوانين محسوسة^(٨)، في حين نيوتن نفسه ترك دورًا للإله في علاقته بالكون، يتمثل في تعديل مدارات الكواكب من حين لآخر^(٩).

(١) أنطوني لافوازييه Anthony Lafaoisier : عالم فرنسي في تاريخ الكيمياء، والتمويل، والأحياء، والاقتصاد، وُلد في عام ١٧٤٣م، وتوفي في عام ١٧٩٤م. انظر: ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ٩٣.

(٢) انظر: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، رونالد ستروميرج، ص ٤٠٨ .

(٣) انظر: صراع مع الملاحظة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ١٠٣.

(٤) انظر: النظريات العلمية الحديثة، حسن الأسمرى، (٢/١٢٥١).

(٥) انظر: الإلحاد مشكلة نفسية، عمرو شريف، ص ٣٤. الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ص ٦٦.

(٦) وقد وجه السؤال له نابليون. انظر: قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، (ملحق/ ٣١٢). تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، رونالد ستروميرج، ص ٢٨٧.

And See: God Created The Integers, Stephen Hawking, P 417.

(٧) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ٢٣٤-٢٣٦.

(٨) انظر: عالما المجنون، مجموعة أبحاث ومقالات لبرتراند رسل، ترجمة: نظمي لوقا، ص ٦٩-٧٠.

(٩) انظر: الإلحاد مشكلة نفسية، عمرو شريف، ص ٣٤.

ثالثاً: الرد على مادية نظرية أزلية الكون:

إن أي نظرية تخالف الشريعة والعقيدة الإسلامية هي بلا شك مرفوضة، ومن ذلك: أزلية الكون والصدفة التي ثبت بطلانها بالبراهين العقلية والفلسفية والعلمية^(١)، فهي مجرد فلسفات لا تحظى بالأدلة العلمية المطلوبة لإثباتها^(٢)، قد بدأت تتلاشى في الربع الأخير من القرن العشرين^(٣)، وبدأ ينتشر الاعتقاد ببداية الكون ونشأته من العدم^(٤)، ويمكن الرد عليها من خلال النقاط الآتية:

١. الرد على وجود فضاء فارغ: ينص مبدأ عدم التأكد لهايزنبرج على أنه يستحيل أن يخلو الفراغ من الطاقة؛ بل إنه سيبقى حد أدنى من الطاقة zero point energy لا يمكن النزول عنه، وهذا القدر من الطاقة يعدُّ شيئاً من ضمن الأشياء، مع العلم أن المادة والطاقة وجهان لعملة واحدة^(٥)، فالطاقة في الخواء vacuum أمرٌ حقيقي، وليس الخواء في الفيزياء الحديثة جيباً لا يحوي شيئاً؛ بل يمحض بنشاط غير مرئيٍّ، حتى في درجة حرارة الصفر المطلق^(٦)، وحفظ الطاقة لا يدل على أن الطاقة باقية منذ الأزل^(٧)، كما لا يدل على أزلية المادة^(٨).

٢. الرد على نظرية لافوارزيه: اتخذت نظرية لافوارزيه أبعاداً زمانية ومكانية وإدراكية، ولكنها عند التحقيق العلمي، ستبدو ضعيفة؛ لأنها لا تتناول الزمن الأول لبداية الكون؛ ولأن أنصار هذه النظرية لم يرصدوا أجزاء الكون في كل الأزمان، والأماكن، كما لم يرصدوا أبعاده الغيبية^(٩).

(١) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٩٦-٩٧. الدين في مواجهة العلم، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، ص ٥٠. كواشف زيوف، الميداني، ص ٥١٨.

(٢) انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٣٣. براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٨٥.

(٣) انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٥٣. العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، فرج الله عبد الباري، ص ٦٥. عيادة الملحد، هيثم طلعت، ص ١٧.

(٤) انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٨٠.

(٥) انظر: تأملات في الفيزياء الحديثة، علي الشوك، ص ٢٤٤.

(٦) انظر: اتجاهات في الفيزياء استغلال طاقة نقطة الصفر، مجلة العلوم، م ١٤، ع يوليو، ص ٢.

(٧) انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٥٤.

(٨) انظر: تاريخ المادية للانج، فؤاد زكريا، ص ٣٨.

(٩) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ١٠٣-١٠٥.

ويُتَّضح البعد المادي في موقف لافوازييه في إنكاره لإمكانية خلق الأشياء من العدم، أما نحن المسلمون فنعتقد أن الله تعالى هو خالق الأشياء من العدم، وليس أن الأشياء تُخلق من العدم المحض، وفرق بين التعبيرين أن الأول يعزو الخلق إلى خالق أزلي ذي إرادة وقدرة، أما الثاني فيعزو الخلق إلى العدم^(١)، فيستحيل أن يتحول العدم المطلق بنفسه إلى الوجود^(٢)، قال ابن تيمية - رحمه الله -: "وقد عُلم بالاضطرار أن ما أخبرت به الرسل من أن الله خلق كل شيء، وأنه خلق كذا إنما أرادوا بذلك أنه خلق المخلوق، وأحدثه بعد أن لم يكن كما قال: ﴿وَقَدْ خَلَقْتَك مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ [مريم:٩]"^(٣).

٣. إن فكرة أزلية الكون من فكرة ذاتية وبديهية الدحض والرفض^(٤)، وذلك لا يمنع من سرد الأدلة العقلية على بطلانها، وهي كثيرة جداً، منها:

أ. إن الزعم بأن المادة أزلية يقتضي أن تكون واجبة الوجود عقلاً لذاتها، وليست قابلة للتغيير، وهو ما لم يحصل في المادة سواء في ذاتها أو صفاتها^(٥).

ب. إن أربعة احتمالات لنشأة الكون، فإما أن يكون هذا الكون مجرد وهم وخيال، أو أنه نشأ من تلقاء نفسه من العدم، أو أنه أبدي ليس لنشأته بداية، أو له خالق، وقد ثبت بالأدلة القاطعة بطلانها سوى رابعها^(٦).

ت. تدل النظرة العلمية على أن كلاً من المادة، والطاقة، والمكان، والزمان قد حدثت في وقت واحد، وكانت لها بداية محددة، ويلزم من هذا أن يكون هناك شيء غير مادي موجود على الدوام، ولا يعقل أن يكون هو المادة؛ لأن المادة لها بداية^(٧).

(١) انظر: الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ٩٩-١٠٠.

(٢) انظر: صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ١٠٠. مغالطات أكذوبة أن الكون نشأ من لا شيء دون الحاجة إلى خالق، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://www.alukah.net/sharia/0/95709/>) ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م.

(٣) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، (٤٦/١٢).

(٤) انظر: ليظمن عقلي، أحمد خيرى العمري، ص ٧٧.

(٥) انظر: الوجود الحق، حسن هويدي، ص ٨.

(٦) انظر: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ١١-١٢.

للكون إله قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور، صبري الدمرداش، ص ٢٤٩.

(٧) انظر: العلم في منظوره الجديد، روبرت م، أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة: كمال خليلي، ص ٥٩.

ث. إن كل شيء حادث لا بد له من محدث، وهذه حقيقة علمية مثبتة بكثير جدًا من الأدلة العلمية^(١)، أما إنكار المنكرين فيرجع إلى سوء فهمهم لقوانين الطبيعة حين اعتقدوا أنها تفعل الحوادث بذاتها^(٢).

ج. إن التحولات غير المعكوسة في أطوار الكون تدل دلالة واضحة على أن للكون بداية، ووسطًا، ونهاية محددة^(٣).

٤. تشير الأدلة، والحقائق، والاكتشافات العلمية إلى الحقائق الروحية وقد قدم العلم كثيرًا من الشواهد في هذا الجانب^(٤)، وقد تحول الفكر الحديث عمومًا إلى الاعتقاد بأن الكون لا نهائي، من حيث عمره واتساعه، وذلك عقب كوبرنيكوس، وجاليليو، ونيوتن، ومن منتصف القرن التاسع عشر بدأت هذه الفكرة تتلاشى، وتحل محلها فكرة بداية الكون؛ وذلك بناءً على كثير من الدلائل العلمية التي بُنيت على قضايا الفيزياء، والتي قادت العلماء إلى صياغة النموذج القياسي للكون المعروف باسم الانفجار الكبير^(٥)، فنتائج كثيرة توصل إليها العلماء من خلال المكتشفات العلمية، وقادتهم إلى أن الكون له بداية، وأصبحت بمثابة القضية المُجمع عليها^(٦)، وأُخرجت جموع الماديين^(٧).

(١) انظر: سفينة اليقين ضد الإلحاد وشبهاته، فريق عمل صفحة البيان لمقارنة الأديان، ص ٦-٩. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١١٦-١١٧.

(٢) انظر: لماذا يلحد علماء الطبيعيات الغربيون؟ محمد باسل الطائي، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2WOM5Rm>)، ٤ فبراير ٢٠١٥م.

(٣) انظر: العلم في منظوره الجديد، روبرت م، أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة: كمال خليلي، ص ٥٩.

(٤) See: A Theory Of Everything, Ken Wilber, P 62.

(٥) وذلك مثل: الانزياح نحو الأحمر red-shift الضوء الصادر من المجرات البعيدة، وخلفية الموجة الصغيرة الكونية cosmic microwave background، والديناميكا الحرارية انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١١٥-١١٦.

And See: God And The Astronomers, Robert jastrow, P15.

(٦) انظر: العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلم، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٤. وهم الإلحاد، عمرو شريف، ص ٥٩-٦٠. العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٢٠، ١٣٣. أفي الله شك؟، حمد المرزوقي، ص ١٢١. توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، (٢٦/٣-٢٧). موقع مدونة نسف الإلحاد، لماذا البيج بانج شيء محرج للملاحظة ولماذا سقطت الأزلية وسناريوهات الملاحظة الهزلية؟، تاريخ الاطلاع: ٥ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3nUZva7>)، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥م.

(٧) انظر: شك داروين للنشوء المفاجئ لحياة الكائنات وحجة التصميم الذكي، ستيفن ماير، ترجمة: موسى إدريس وآخرون، مقدمة الكتاب ص ٨. الإلحاد يسم كل شيء، هيثم طلعت، ص ٧٥.

يقول أنتوني فلو Anthony Flo: "إن نموذج بداية الكون شيء محرج جدًا بالنسبة للملحدين؛ ذلك لأن العلم أثبت فكرة دافعت عنها الكتب الدينية"^(١).

فالأدلة العلمية التي ترد على موضوع الأزلية كثيرة جدًا، يقول روبرت جاسترو: "الآن لدينا ثلاثة محاور: حركة المجرات، قوانين الديناميكا الحرارية"^(٢)، وقصة حياة النجوم، كأدلة تشير جميعها إلى استنتاج واحد: أن للكون بداية"^(٣).

ويمكن عرض أدلة العلم الحديث على أن للكون بداية من عدد من النتائج التي توصل إليها العلم أخيرًا، فمن ذلك:

أ. الانفجار العظيم (Big Bang) :

وهي النظرية الأكثر قبولًا في علم الفلك الحديث، مع وجود ظواهر كونية تدعمها، وضعها أولًا إدوارد لاميتير Lemaitre Edward^(٤)، منطلقًا من نظرية أينشتاين العامة؛ ومعادلات الفيزيائيين، واستنتج بناءً على تقهقر المجرات الحلزونية^(٥)، أن الكون قد بدأ من انفجار ذرة بدائية، أو بيضة كونية comic egg، والتي تمتاز بكثافة لانهائية، حيث تركز الكون كله في مكان واحد، في لحظة تُقدر ما بين عشرة وثمانية عشر مليار سنة، ودرجة حرارة هائلة تقدر بمليون مليون أعلى من درجة حرارة نواة الشمس، وسموا تلك النقطة التي بدأت منها نشأة الكون اسم المفردة Singularity^(٦)، وفي يوم لا أمس له انفجرت تلك المفردة، فتمدد الكون بسرعة كبيرة، وقلت معها كثافة المادة، ثم تابع هذه النظرية، وطورها من بعده الفلكي

(١) Cosmos, Bios, Theos. Henry Margentau, Roy A. Vargesse, P241.

(٢) الديناميكا الحرارية: علم يبحث العلاقة بين خواص المادة وتفاعلاتها التي تتأثر بالحرارة، وتحول الطاقة من وجه لآخر. الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٦.

(٣) God And The Astronomers, Rabobert Jastrow , P111.

(٤) إدوارد لاميتير Lemaitre Edward : كان بلجيكي تحول إلى دراسة علم الفلك. انظر: الكون طريقي إلى الله، عماد مجاهد، ص ٤٤.

(٥) المجرات الحلزونية (القرصية): منظومة مؤلفة من مئات مليارات النجوم، أغلبها يقع في قرص مسطح، حيث يمكنها أن تشكل بنية حلزونية مثل مجرة درب التبانة. انظر: المجرات، مقدمة قصيرة جدًا، جون جريبين، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ١١٥.

(٦) المفردة (الفردنة): نقطة في الزمان- المكان يصبح انحناء المكان- الزمان عندها لا متناهٍ، وهي نقطة من الكثافة اللامتناهية، ونظرية المفردة: نظرية ترى أن المفردة لا بد أن توجد في ظروف معينة، حسب النسبية العامة، وبالذات أن الكون بدأ ولا بد بمفردة الانفجار العظيم. انظر: الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٥.

جورج جامو George Jammo^(١)، وأعلن عن النظرية الجديدة سنة ١٩٣٦م، وسميت أيضًا: الضربة الكبرى، أو الفرقة الكبرى^(٢)، لكنها لا تدل على ثوران هائل وضخم، أو انتشار غير متجانس لشظايا في فراغ؛ وإنما هي انبثاق للنظام الحي؛ لأن الانفجار هو من أوجد الزمان والمكان، والفراغ، والمادة والطاقة^(٣)، فهو انفجار للفضاء وليس في الفضاء^(٤). يقول الفريد هويل Alfred Howell^(٥): "تقول نظريته الانفجار الكبير أن الكون نشأ نتيجة الانفجار الكبير، و لكننا نعلم أن كل انفجار يشتمل المادة، ويعتبرها دون نظام، ولكن

(١) جورج جاموف (جامو) George Jammo : عالم فيزياء روسي المولد، أمريكي الأصل، وُلد في ١٩٠٤م، وتوفي في عام ١٩٦٨م. انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٥١.

(٢) انظر: الموسوعة الكونية الحديثة، قصة نشأة الكون، عماد مجاهد، ص ٥١١-٥١٢. تاريخ العلوم اختراعات واكتشافات وعلماء، كلود بريزنسكي، ترجمة: سارة رجائي يوسف، ص ٩٤. قصة الكون، جون جريبين، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٦٥. الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ٩٣. الفيزياء ووجود الخالق، جعفر شيخ إدريس، ص ٨٨. فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ١٠٧. العلم ودليل التصميم في الكون مايكل بيهي، وآخرون، ترجمة: رضا زيدان، ص ٢٣٨. وهم الإلحاد، عمرو شريف، ص ٦٠. للكون إله قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور، صبري الدمرداش، ص ٢٤٩.

And See: The Last Three Minutes: Conjecures About The Ultimate Fate Of The Universe, Paul davies, P22-24.

And See: The Creator And The Cosmos: How the Latest Scientific Discoveries Reveal God, Hugh Ross. P24.

And See: National Academy Of Sciences, Teaching About Evolution And The Nature Of Science, National Academy, P7.

And See: The Nature Of Space And Time, The Isaac Newton Institute Series Of Lectures, Stephen Hawking and Roger Penrose, P20.

(٣) انظر: وهم الشيطان الإلحاد ومزاعمه العلمية، ديفيد بيرلنسكي، ترجمة وتعليق وتوثيق: عبد الله الشهري، ص ١٠٤-١٠٥. كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ٤١. الانفجار العظيم للنظام نظرية كل الأشياء، محمد ياسين الأخرس، ص ٨٤.

And See: The Cosmic Blueprint: New Discoveries In Nature's Creative Ability To Order The Universe. Paul Davies, P123.

And See: Universe an Introduction To The Most Remarkable Scientist Of Our Time, Stephen Hawking, P64.

(٤) انظر: الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة، بول ديفيز، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ٤٣.

(٥) فريد هويل Alfred Howell : عالم فلك بريطاني، متخصص في تطوير أجهزة الرادار أثناء الحرب العالمية الثانية، وُلد في عام ١٩١٥م، وتوفي في عام ٢٠٠١م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ٣٤١.

الانفجار الكبير عمل عكس هذا بشكل محفوف بالأسرار؛ إذ عمل على تجميع المادة معًا لتشكل المجرات"^(١).

وكان الفيزيائي البريطاني فرد هويل fred hoyle أول من استعمل تعبير الانفجار الأعظم، في الخمسينيات؛ بغرض السخرية^(٢)، لكن الأدق في المعنى: أن نطلق على هذه النظرية الحديثة اسم: نظرية الانفجار العظيم الحار؛ للفرقة بينها وبين نظرية أخرى كانت منافسة لها (وهي المرفوضة حاليًا) كانت تفترض وجود مرحلة مبدئية باردة^(٣).

والعلماء مجمعون على هذه النظرية، لكن الاتحاد السوفياتي هو المشغب الوحيد على هذه النظرية؛ للوازها الميتافيزيقية غير أن انهيار الاتحاد السوفياتي عجل بنهاية الجدل المضاد لهذه النظرية^(٤).

يقول الفيزيائي الملحد لورانس كراوس Lawrence Krauss: "جميع الأدلة الآن تدعمه بقوة"^(٥).

ويقول جيم سويتزر Jim Switzer^(٦): "كل طرق الأدلة تقود إلى الانفجار العظيم، لا توجد نظرية تملك أن تضاهيها في وجاهتها"^(٧).

(١) The Intelligent Universe: A New View Of Creation And Evolution, Fred Hoyle, P184.

(٢) انظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ٤١. الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة، بول ديفيز، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ٣٨. وهم الشيطان الإلحاد ومزاعمه العلمية، ديفيد بيرلنسكي، ترجمة وتعليق وتوثيق: عبد الله الشهري، ص ١٠٥. أقدم لك ستيفن هوكينج، ج. ب. مالك ايفوي، أوسكار زاريت، ترجمة: ممدوح عبد المنعم محمد، ص ٧٢.

(٣) انظر: علم الكونيات، بيتركونر، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ٦١.

(٤) انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٩٧. فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ١٠٠. شموع النهار، عبد الله بن صالح العجيري، ص ١٣٠.

And See: A Matter Of days: Resolving A creation Controversy, Hugh Ross, P144.

(٥) A Universe From Nothing: Why There Is Something Rather Than Nothing, Lawrence M. Krauss, P5.

(٦) جيم سويتزر Jim Switzer : عالم الفيزياء الفلكية النظرية الأمريكي. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٩٧.

(٧) Do You Belive In The Big Bang?, Jim Sweitzer, P36.

ويقول جورج سموت George Smoot^(١): "ما وجدناه هو برهان ميلاد الكون، وكأننا ننظر إلى فعل الله"^(٢).

ويقول ويليام رو William Rowe^(٣): "لا بد من الاعتراف أن ظهور الانفجار العظيم المتعلقة بنشأة الكون، قد أضافت ثقلاً جديداً إلى حجة وجود ما يمكن أن يكون خالقاً"^(٤).

ويقول بول دافيز Paul Davies : "لو أن نظرية الانفجار الكبير كانت تقوم على عمل هابل وأينشتاين فقط، لما استطاعت أن تحوز هذا الدعم الواسع، لحسن الحظ، توجد أدلة تأكيدية مقنعة حقيقة أن الكوسمولوجيا^(٥) الحديثة وفرت أدلة فيزيائية صلبة لصالح الخلق، هو أمر مرضٍ جداً للمفكرين المتدينين"^(٦).

ب. القانون الثاني للديناميكا الحرارية (قانون الطاقة المتاحة أو ضابط التغير):

تعتمد العلوم المختلفة على هذا القانون، كما يقول بول دافيز Paul Davies: "القانون الثاني للديناميكا الحرارية ليس قاصراً في عمله على الأمور الهندسية، إنه قانون أساسي للطبيعة، لا يوجد سبيل للفرار منه"^(٧)، حيث يقول عالم الكوسمولوجيا آرثر إدغتون Arthur eddington: "إنه القانون الأول لكل العلوم، وإن أي نظرية علمية تتعارض مع هذا القانون لا تملك أملاً في البقاء، وإنها ستتهار ضرورة"^(٨).

وهذا الدليل من أعظم الأدلة على نقض الأزلية والتطور وتغييب العناية الإلهية والضبط الدقيق^(٩).

(١) جورج سموت George Smoot : عالم الفيزياء النظرية الأمريكي وكوسمولوجي. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٩٨.

(٢) God And The New Cosmology: IS the Anthropic Design Argument, Michael Anthony Corey, P53.

(٣) ويليام رو William Rowe : فيلسوف أمريكي، عُني بفلسفة الدين، وُلد في عام ١٩٣١م، وتوفي في عام ٢٠١٥م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٩٩.

(٤) Cosmological Arguments: The Blackwell Guide To The Philosophy Of Religion, William mann, P115.

(٥) الكوسمولوجيا Cosmology : العلم الذي يهتم بدراسة الكون برمته، وكل ما يتعلق به. انظر: الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٣٢٣.

(٦) God And the New Physics, Paul davies, p20-24.

(٧) The Fifth Miracle: The Search For The Origin And Meaning Of Life, Paul davies, P51.

(٨) The Nature Of the Physical World, Arthur Eddington, P74.

(٩) انظر: الإلحاد يسم كل شيء، هيثم طلعت، ص ٧٩.

أما نقضه للأزلية فمن وجهين: الوجه الأول: أن القانون ينص على أن الحرارة تسري دائماً من الأجسام الساخنة إلى الأجسام الباردة، ولا يحدث العكس بتاتاً، وليس بالإمكان تحويل الحرارة إلى طاقة ميكانيكية^(١) من غير أن يكون لدينا فائض، أو مزيد من الحرارة الهابطة من مكان ساخن إلى آخر بارد^(٢)، فحسب هذا القانون فإن الكون يستحيل أن يكون أزلياً، طالما فيه حرارة نابغة من طاقة^(٣)، ولو كان أزلياً لبلغ نهاية الفوضى وخلق الطاقة والحرارة، وانتهى منذ زمن، وهذا مخالف لما نشاهده من انضباط الكون وطاقته^(٤).

وأما الوجه الثاني: أن الكون نهائي، وسائر إلى الزوال، وأنه منبسط مسطح ببعدين فقط^(٥)، فالكون متناهٍ في كلِّ من الحجم، والزمان الماضي والمستقبل^(٦)، وذلك عندما تنتهي العمليات الكميائية والطبيعية، وتنتهي تلقائياً مع هذه النتيجة الحياة^(٧)، حيث تتلاشى الجاذبية؛ بفعل اتساع الكون، فتخرج الأجرام عن أفلاكها، ويصطدم بعضها ببعض^(٨)، ففي عام ١٨٥٦ أعلن بعض الباحثين نبوءة تزعم فيها أن الكون يحتضر؛ استنتاجاً من هذا القانون^(٩).

(١) الطاقة الميكانيكية Mechanical energy : شكل من أشكال الطاقة الساكنة، تتعلق بالتشكيل البنوي الناتج عن الروابط الكيميائية بين الجزيئات. انظر: أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصمه جي، ص ١٤.

(٢) انظر: قصة الفيزياء، جورج جاموف، ترجمة: محمد جمال الدين الفندي، ص ١٥٦-١٥٨. صراع مع الملاحظة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٩٧-٩٨. براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٨٨. وهم الإلحاد، عمرو شريف، ص ٥٩-٦٠.

(٣) انظر: الله يتحدى الملحد، أدلة علمية معاصرة لإثبات وجود الله، محمد شيخاني، ص ٧-٨.

(٤) See: The Souls Upward Yearning: Clues to our Transcendent Nature From Experience And Reason, Robert Spizer, P301.

السفر في الزمان الكوني، باري باركر، تعريب: مصطفى محمود سليمان، ص ١٦٣-١٦٤.

براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٨٩.

(٥) انظر: هل تحدث القرآن عن نشأة الكون؟، محمد أحمد داود، ص ٣٥. خلق الكون بين العلم والإيمان، محمد باسل الطائي، ص ١٠٢. النهاية الكوارث الكونية، فرنك كلوز، ص ١٠-٢٢. كواشف زيوف، الميداني، ص ٥٤٣. الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٤.

(٦) انظر: العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلم، يحيى هاشم فرغل، ص ١٣٨. الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، ص ١٤٧-١٥١. الكون، كارل ساغان، ترجمة: نافع أيوب لبس، ص ١٩.

(٧) انظر: الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، ص ٥٤-٥٥. الله والفيزياء الحديثة، بول دافيز، تعريب: هالة العوري، ص ٢٢-٢٣.

(٨) انظر: الفكر الماركسي في ميزان الإسلام، محمد رشاد عبد العزيز دهمش، ص ١٣١-١٣٢.

(٩) وترجمها: هيرمان فون هلمهولتز. انظر: الدقائق الثلاث الأخيرة، بول ديفيز، ترجمة: أحمد رمو، ص ١٤.

وهذا القانون يتوافق مع قانون تحطم الشمس، الذي ينص على أن ذرات الشمس تتحطم باستمرار، وبهذا التحطم تتولد الطاقة الحرارية^(١)، وتفقد جزءًا من كتلتها، وهكذا حتى تستنفذ الشمس كتلتها نهائيًا^(٢).

وقال إدوارد لوثر كيسيل Edward Luther Kessel^(٣): "يرى بعض المفكرين أن الاعتقاد بأزلية هذا الكون ليس أصعب من الاعتقاد بوجود إله أزلي، ولكن القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية يثبت خطأ هذا الرأي، فالعلوم تثبت بكل وضوح أن هذا الكون لا يمكن أن يكون أزليًا"^(٤).

وقد لخص بول دافيز Paul Davies دلالة القانون الثاني بقوله: "إذا كان للكون مخزون محدود من النظام، وهو يتغير دون رجعة نحو الاضطراب، فيلزم من ذلك مباشرة أمران، الأول: أن الكون سوف يموت في نهاية المطاف، هذا هو المعروف بين علماء الفيزياء باسم الموت الحراري للكون، والثاني: أن الكون لا يمكن أن يكون موجودًا من الأزل؛ إذ لو لم يكن كذلك لبلغ توازنه الترموديناميكي^(٥) النهائي منذ زمن لا متناهٍ في الماضي، الخلاصة: الكون لم يوجد منذ الأزل"^(٦).

وينبغي هنا أن نفرق بين القانون الثاني والأول للديناميكا الحرارية، فالأول ينص على أن المادة لا تفتنى ولا تستحدث من العدم، وهو ما لا ينطبق على قضية خلق الكون^(٧).

ت. الضبط الدقيق والتصميم الذكي:

إن الفكرة القائلة بوجود مسبب ذكي وراء الكون ليست حديثة على الإطلاق؛ بل قديمة قدم الفلسفة والدين^(٨)، فقد أثبت العلم الحديث وجود ضبط دقيق، وتصميم ذكي، وخلق متقن،

(١) الطاقة الحرارية: طاقة ناشئة نتيجة إزدياد درجة الحرارة ؛ بسبب زيادة نشاط أو سرعة جزيئات جسم ما. انظر: أطلس الفيزياء، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصمه جي، ص ١٤.

(٢) انظر: الله ﷻ، سعيد حوى، ص ٢٦-٢٧.

(٣) إدوارد لوثر كيسيل Edward Luther Kessel : عالم أحياء، وحيوان، وحشرات، أمريكي، وُلد في عام ١٩٠٤م، وتوفي في عام ١٩٩٧م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٠ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: [.https://bit.ly/3vOc5eY](https://bit.ly/3vOc5eY).

(٤) الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش سرحان، ص ٣٣.

(٥) التوازن الترموديناميكي Thermodynamic balance : حالة من النظام، تجمع بين التوازن الحراري، والميكانيكي، والكيميائي. انظر: معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية بدمشق، ص ٤٨٣.

(٦) God And the New Physics, Paul davies, p11.

(٧) انظر: خلق الكون بين العلم والإيمان، محمد باسل الطائي، ص ١٠٢.

(٨) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٨.

في هذا الكون، فقد ظهر الكون إلى الوجود بمعايرة دقيقة لآلاف الثوابت الفيزيائية والطبيعية، التي سمحت بوجود الحياة، والتي لو اختلفت ثابت منها بمقدار جزء من مليار مليار جزء لاختل الكون، أو لتوقف عند مرحلة الذرة البدائية الأولى (البيضة الكونية cosmic egg)^(١)، فالصنع الإلهي المتقن لم يعد دعوى دينية فحسب، وإنما أصبح قوة علمية، تزداد وضوحًا بشواهدنا كل يوم، قال تعالى: ﴿سُنُّرِهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَّهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]^(٢).

وهذا الضبط الدقيق يدحض فكرة الأزلية، والصدفة، ويستلزم وجود خالق، ولا يزال يزخر بالمفاجآت والاكتشافات العلمية^(٣)؛ ولذلك حظيت باهتمام كبير؛ فمنذ ٢٠٠٥م وهذه النظرية العلمية تحظى باهتمام إعلامي واسع، ولا سيما في كبرى الصحف العالمية^(٤)، وفي العصر الحالي تنظر الهيئات التدريسية، ومشروع الولايات، والمحاكم في أمريكا إلى إمكانية تعليم

(١) انظر: هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيته؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٦١. عيادة الملحد، هيثم طلعت، ص ١٩.

(٢) انظر: أربعون خطأ في نظرية التطور، هيثم طلعت، ص ٥٩.

(٣) انظر: البدايات قصة نشوء الإنسان - الحياة - الأرض - الكون، إسحاق عظيموف، ترجمة: ظريف عبد الله، ص ٦١. الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي، ص ٢٩-٣٠. العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٢٣. خلق الكون بين العلم والإيمان، محمد باسل الطائي، ص ٨٨. لماذا الإسلام؟، أبو محمد مور كبي، ص ٣٣. مناظرة الملحد، هيثم طلعت، ص ٣٨. سباق نحو الله، أحمد بن صالح الغيث، ص ١٦. في الرد على الصدفة وأن الطبيعة ليست خالقة: ردود علماء المسلمين على شبهات الملحد والمستشرقين، محمد ياسين، ص ١٥. سابغات كيف نتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، أحمد يوسف السيد، ص ٧٨. إنك على الحق المبين، محسن حسين العواجي، ص ٢٨٢. الجانب المظلم للكون عالم يستكشف أغاز الكون، جيمس تريفل، ترجمة: رؤوف وصفي، ص ٢٣٩. أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ١٩٦. كواشف زيوف، الميداني، ص ٥٢٢. آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، أبو الفداء ابن مسعود، ص ٣٦٥. الإلحاد يسم كل شيء هيثم طلعت، ص ١١٢. صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، ص ٩٠. And See: I don't Have Enough To Be An Atheist, Norman L. Geisler, Frank Turek, David Limbaugh An Crossway, P106.

(٤) انظر: التصميم الذكي فلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ترجمة: محمد طه، وعبد الله أبو لوز، ص ٩-١٣. التصميم الذكي ومراجعة الأقران، تحرير: كيسي لسكين، ترجمة: أسماء الخطيب وآخرون، مقدمة مركز براهين، ص ٥.

الصنع المتقن في المدارس الحكومية ضمن المناهج التعليمية^(١)، كما احتلت الفكر العام طوال القرن الثامن عشر تقريباً^(٢).

ولقد قام الفلكي مارتن ريس Martin Rees^(٣) بتأليف كتاب، أوضح خلاله أهمية بعضاً من ثوابت ذات قيم ومقادير محددة، ومصنوعة بعناية، بحيث تشكل أساس الخواص الفيزيائية الأساسية للكون، وإن كانت الأرقام قد تبدلت حتى ولو لأدنى درجة، فلن تكون هناك نجوم، ولا عناصر معقدة، ولا حياة^(٤).

ث. التمدد الكوني:

أثبت العلم الحديث أن الكون حركة مستمرة، وأن كل ما فيه يتحرك بالنسبة لغيره، ولا يمكن أن تجد في هذا الكون مكاناً واحداً في حالة ثبات أو سكون، فالفضاء الواسع الذي تنتشر في أرجائه ملايين الملايين من النجوم والكواكب ليس له حدود ثابتة^(٥)، قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]، أي إشارة إلى التوسع الدائم، وهي حقيقة لم يدركها الإنسان إلا في القرن العشرين، حيث تتباعد المجرات عن بعضها بسرعات تقترب من سرعة الضوء، والمقدرة بحوالي ثلاثمائة ألف كيلو متر في الثانية، كما أن المسافات بين الأجرام السماوية^(٦) مليئة بالغازات، والجسيمات المتناهية في الصغر، والغبار، وغير ذلك^(٧)؛ مما حدا بالعلماء إلى التعبير عن عجزهم عن معرفة بدء الأزل، ونهاية الأمد، وتخيل أول المكان وآخره^(٨).

(١) انظر: تصميم الحياة، ويليام ديمبسكي، جوناثان ويلز، ترجمة: موسى إدريس وآخرون، ص ١٦.

(٢) See: God Created The Integers, Stephen Hawking, P 412.

(٣) مارتن ريس Martin Rees : عالم فلكي بريطاني، وُلد في عام ١٩٤٢م. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٩٦.

(٤) See: Just Six Numbers: The Deep Forces that Shape the Universe, Martin Rees, p2-3.

(٥) انظر: الإنسان والنسبية والكون، عبد المحسن صالح، ص ١١.

(٦) الأجرام السماوية: كل ما له جرم مشاهد، كالشمس، والنجوم، والكواكب، وغيرها. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٩٢.

(٧) انظر: من آيات الإعجاز العلمي - السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب النجار، ص ٨٦-٨٨. المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم براهين ساطعة وأدلة قاطعة، علي محمد الصلابي، ص ٣٠-٣٣. الفكر الماركسي في ميزان الإسلام، محمد رشاد عبد العزيز دهمش، ص ١٣١-١٣٢.

(٨) انظر: القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، ص ١٦٤.

وقد أسهمت الارصادات التي كشفها أودين هابل Odin Hubble^(١)، ونجاح نماذج فريدمان Friedman^(٢) في تفسير تلك الارصادات، في الإقرار بتوسع الكون، وتمدده^(٣)، وخلق المادة والطاقة بطريقة مستمرة؛ ليملاً المسافات الناتجة عن تباعد المجرات بسرعات مذهلة^(٤). إلا أنه من الأهمية بمكان أن نشير إلى أن هذا التمدد والتوسع الكوني لا يدل على أزلية الكون، أو أبديته، كما نصت على ذلك نظرية الحالة الثابتة؛ بل غايته أن يثبت القدرة الإلهية في خلقه، وأن يبقى ممتدداً إلى أن يأذن الله تعالى بزواله، كما هو معروف في القانون الثاني للديناميكا الحرارية.

ج. مفارقة أولبرز (مفارقة السماء المظلمة):

يقول هاينريش أولبرز^(٥): "لو كان الكون غير متناهٍ في تمدده المكاني والزمني لكان الضوء الآتي من النجوم اللامتناهية^(٦) منهماً على الأرض من السماوات، ويظهر الحساب البسيط أن السماء لا يمكن أن تكون مظلمة في مثل هذه الظروف، يمكن حل المفارقة بافتراض سن محدود للكون؛ إذ إننا في هذه الحال سنكون قادرين فقط على رؤية النجوم التي أخذ ضوءها زمناً للسفر عبر الفضاء إلى الأرض منذ البداية"^(٧).

ح. عمر الكون:

إن عمر الكون لا يمكن أن يكون عشوائياً^(٨)، حيث تقدر معادلات أينشتاين Einstein وفريدمان Friedman أن بداية الكون كانت عبارة عن فرن ساخن جداً، حيث تبلغ حرارته الملايين، وربما كانت بحدود عشرة آلاف مليون درجة، عندما كان عمر الكون

(١) أودين هابل Odin Hubble : فلكي أمريكي، وُلد في عام ١٨٨٩م، وتوفي في عام ١٩٥٣م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٩٣. ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، ص ١٦٩.

(٢) ألكسندر فريدمان Alexander Friedman : فيزيائي ورياضياتي روسي، وُلد في عام ١٨٨٨م، وتوفي في عام ١٩٢٥م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٩٣.

(٣) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد الطائي، ص ١٢١. وهم الإلحاد، عمرو شريف، ص ٥٩-٦٠.

(٤) انظر: من آيات الإعجاز العلمي - السماء في القرآن الكريم، زغول راغب النجار، ص ٨٨-٨٩.

(٥) هاينريش أولبرز Heinrich Opplers : فلكي ألماني، وُلد في عام ١٧٥٨م، وتوفي في عام ١٨٤٠م.

See: The Mind Of God: The Scientific Basis For A Rational World, Paul Davies, P46.

(٦) اللامتناهي: ما لا حد له ولا نهاية. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، ص ٣٩٠.

(٧) The Mind Of God: The Scientific Basis For A Rational World, Paul Davies, P46.

(٨) See: Dirac's Cosmology And Mach's Principle, Dicke, R. H, P440-441.

واحدة، ثم بدأت الحرارة بالانخفاض تدريجياً مع اتساع الكون^(١)، ثم تكونت النجوم خلال أول ١٥% من عمر الكون، أي ما يعادل أكثر من ٢ مليار سنة، ثم تكونت الكواكب وغيرها بعد ذلك بشكل تدريجي^(٢).

وبحلول نهاية القرن العشرين أدى اكتشاف أدوات المراقبة الدقيقة مثل: المسبار WMAP وتلسكوب الفضاء هابل إلى إثبات أن الزمن الذي مرّ منذ حدث الانفجار الكبير يقرب من ١٣,٧ مليار (بليون) سنة ضوئية، في كل من الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والارتفاع) مضروبة في ١٣,٧ بليون سنة في البعد الزمني، ويعتبر الرقم الوسط، أي (١٥) مليار سنة أقرب إلى التصديق، وتزداد هذه القياسات بينما نحن نكتب ونقرأ، وبغرض المقارنة نذكر بأن عمر كوكب الأرض هو ٤,٥٦ مليار عام^(٣).

وهذه المدة الزمنية الهائلة تمثل من وجهة نظر الفلكيين الحد الأدنى من الوقت اللازم لإعداد الحياة البشرية الصالحة، وجعلها ممكنة للإنسان^(٤)، بينما يرى الفيزيائي أنتوني فلو Anthony Flo أن الأعمال الحديثة التي تعكس وجهة نظر علماء الفيزياء في عمر الكون تعطي وقتاً قصيراً لهذه النظريات في مجال الأحياء البكتيرية لوقوع ما يدعون^(٥). وهذا العمر المقدّر للكون يدل على تحييد الأزلية، ومع كل هذه الاجتهادات يبقى السؤال على طاولة الفيزيائيين، والذي لا إجابة له: ماذا كان قبل هذا العمر المقدّر؟ ولماذا كانت ظروف الانفجار والخلق بهذه الطريقة ولم تكن بغيرها؟^(٦).

(١) انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ١٢٢.

(٢) See: Rare Earth: Why Complex life Is Uncommon In The Universe, Peter Ward And Donald Brownless, P39.

(٣) انظر: قصة الكون، جون جريبين، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٦٥-٦٦. أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ١٥٦. كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ٤٠. الموسوعة الفلكية، خليل البدوي، ص ٥. الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة، بول ديفيز، ترجمة: محمد فتحي خضر، ص ٣٨. تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى الزمن الحاضر، سينثيا ستوكس براون، ترجمة وتقديم: أيمن توفيق، ص ٢٧. الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، ص ٢٦٢. الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، ص ٨٤-٨٥.

(٤) انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٢٤٤.

(٥) انظر: هناك إله، كيف غير أشهر ملحد رأيه؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٦٨.

(٦) انظر: موسوعة سؤال وجواب: الكون، براين ويليامز، ص ٨. العدم مقدمة قصيرة جداً، فرانك كلوس، ترجمة: فايقة جرجس حنا، ص ٤٨.

خ. بطلان مبرهنة (BGV):

تفترض هذه المبرهنة وجود أكوان متعددة أو متوازية، وهو من المآخذ المسجلة عليها، وإن كانت تحظى بقبول كبير من العلماء الكوسمولوجيين^(١)، وهي تقرّر أن كل كون أو أكوان تتمدد بدرجة أعلى من الصفر، فلا ريب أنها تعود إلى بداية، ولا يمكن أن تكون أزلية، ولخص الثلاثي أصحاب المبرهنة دراستهم بقولهم: النموذج الكوسمولوجي المتضخم، أو حتى المتوسع بسرعة كافية، لا بدّ أن يكون غير تام في الاتجاهات الماضية للعدم والزمان timelike^(٢)؛ ونظرًا لعدم وجود أدلة على صدقها، فقد أعرب الفيزيائي جون بارو John Barrow^(٣) عن امتعاضه منها، كما أكد الباحثان أرفن بورد، وألكسندر فلنكن Alexander Flecken^(٤) أن كل نظريات التمدد، لا يمكنها أن تتلافى المفردة التي نشأ منها الكون^(٥).

يقول ألكسندر فلنكن Alexander Flecken وهو من مناصري نظرية الأكوان المتعددة^(٦): "الآن وبعد أن قامت الأدلة لم يعد بإمكان الكوسمولوجيين الاختباء خلف إمكانية وجود كون أزلي، فلم يعد هناك مفرّ، ويجب عليهم أن يواجهوا مشكلة بداية الكون"^(٧).

(١) سُميت بهذا الاسم نسبة إلى أسماء الكوسمولوجيين الثلاثة الذين طوّروها سنة ٢٠٠٣م، وهم: أرفيند بورد (Arvind Borde)، وآلان غوث (Alan Guth)، وألكسندر فيلنكن (Alexander Vilenkin).

(٢) See: Inspace: times Are Not Past- Complete, Phys, A. Borde, Guth And A. Vilenkin, P1-4.

مسألة وجود الله مناظرة بين ويليام لاين كريغ وبيتر ميليكان، أدار النقاش: المؤرخ والكاتب: كارل شين، ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٣) جون بارو John Barrow : عالم فيزياء بريطاني، وأستاذ الفيزياء بجامعة كندا، وُلد في عام ١٩٥٢. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٩٢. براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٤٦٧.

(٤) ألكسندر فلنكن Alexander Flecken : كوسمولوجي شهير، من أصول روسية، وُلد في عام ١٩٤٩م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٣٩٤.

(٥) انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ١١١-١١٢.

(٦) سيأتي الحديث عن نظرية الأكوان المتعددة في المطلب الثالث من هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

(٧) Many Worlds In One: The Search For Other Universes, Alexander Vilenkin, P176.

د. توزيع الهيدروجين والهيليوم^(١) بشكل متساوٍ:

يُثبت وجود العناصر الخفية (الهيدروجين والهيليوم)، وتوزيعها بشكل متساوٍ في مختلف أرجاء الكون أن الكون نشأ بحادث واحد مهول منتج للحرارة، وهو الانفجار الكوني الأعظم^(٢)، حيث يحتاج تشكيلها من الجسيمات تحت الذرية (أي أنها أصغر من الذرة) إلى درجات حرارة عالية جدًا، وهذا يعني أن الكون نشأ بحادث واحد مهول، منتج للحرارة، وليس بأحداث متكررة متشابهة في أماكن مختلفة^(٣)، وهذان الغازان موجودان في الكون بنسبة أكثر من ٩٨% من مادة الكون المنظور، بما يتطابق مع حسابات نظرية الانفجار العظيم، ولو كان الكون أزلّيًا لاحترق جميع الهيدروجين، وتحول إلى غاز الهيليوم^(٤).

قال الباحث: ومما يجدر التنبيه له: أن الملاحظة في إصرارهم على أزلية الكون، مع كثرة الأدلة العلمية، يدل على فقدان البوصلة المنهجية العلمية في التعامل مع قضايا العلم، وغلبة التعصب في كثير من المواطنين؛ "ولذا اعترف الملحد ستيفن واينبرغ Steven Weinberg أنه كان يتمنى هذه النظرية؛ لأنها أكثر جاذبية؛ وأبعد عما نادى به الأديان"^(٥). وكذا الفيزيائي البريطاني دينيس شياما Dennis Scaima^(٦) الذي أقر بأنه لم يدافع عن نظرية الكون المستقر لكونها صحيحة؛ بل لأنها تمثل رغبته^(٧)، وقد كان قد دعمها في كتابه الأول The Unity of the Universe ١٩٥٩م^(٨).

(١) الهيليوم Helium : غاز ناتج عن اتحاد أربع ذرات هيدروجين، ويُرمز له بالرمز H2. معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٩٣.

(٢) انظر: وهم الإلحاد، عمرو شريف، ص ٥٩-٦٠.

(٣) انظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف ص ٤٠. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٠٢.

(٤) انظر: الملحد ووهم أزلية المادة والكون، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ١٧ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2WO642r>)، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.

(٥) انظر: عيادة الملحد، هيثم طلعت، ص ١٨.

(٦) دينيس شياما Dennis Scaima : أستاذ هاوكنغ، وأحد من يعدون آباء لعلم الكون الحديث، متوفى سنة ١٩٩٩م. انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ٩٧.

(٧) انظر: عيادة الملحد، هيثم طلعت، ص ١٨.

(٨) See In His Book: The Unity Of The Universe, Dennis William Sciamia.

وبعد اكتشاف إشعاع الخلفية الكونية الميكروي^(١) تحول عن مذهب الحالة الثابتة، وأصبح من أهم المدافعين عن نظرية الانفجار العظيم^(٢). يقول شياما: "لكن لما تراكمت الأدلة اتضح بجلاء أن اللعبة قد انتهت، وأنه يجب التخلص من نظرية الحال الثابتة"^(٣). ويقول روبرت ويلسون^(٤): "لقد أحببت فلسفياً نظرية الحال الثابتة وعلّي بوضوح أن أتراجع عن ذلك"^(٥). وبعد هذا العرض يتبين مدى الانحراف الذي وصل إليه القائلون بأزلية الكون، وأن إصرارهم على ذلك -مع وضوح الأدلة على بطلانه- لهو من أكبر الأخطاء التي وقع فيها هؤلاء.

(١) إشعاع الخلفية الكونية الميكروي: خلفية للكون من موجات الميكروويف (موجات راديو طول الموجة منها سنتيمترات معدودة)، وهي تسقط باستمرار على الأرض من كل اتجاه في الفضاء، وهذا الإشعاع بقية من إشعاع توهج الكون المبكر في الانفجار العظيم. الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٣.

(٢) انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ٩٧.

(٣) Stephen Hawking's A Brief History Of Time: A Reader's Companion, Stephen Hawking, Gene Stone, P62-63.

(٤) روبرت ويلسون: فيزيائي أمريكي، حاز على جائزة نوبل للفيزياء عام ١٩٧٨م، مع زميله أرنو بينزياس؛ لاكتشافهما إشعاع الخلفية الميكروني الكوني. انظر: موسوعة علماء الفيزياء، موريس شربل، ص ٣٢٦.

(٥) show me god, fred heeren, P157.

المطلب الثاني

المادية في نظرية الأكوان المتعددة (المتوازية)

انبرى كثير من الفيزيائيين المعاصرين لنصرة فكرة وجود أكثر من كون في هذا العالم؛ بل إلى وجود أكوان لا حصر لها، وهي فكرة مادية ملحدة؛ تهدف إلى التغلب على فكرة الضبط الدقيق للكون، وهذا المطلب يشرح هذه النظرية، ويرد عليها بالشرع والعقل.

أولاً: التعريف بنظرية الأكوان المتعددة:

١. تاريخ النظرية: ظل الاعتقاد بوجود كون واحد، ساكن، لا نهائي منذ عصور متقدمة، وذلك قبل أن يتم اكتشاف التمدد الكوني والاعتقاد بالانفجار العظيم في القرن العشرين، فالقول بالكون الواحد فكرة متقدمة جداً اعتقد بها أرسطو Aristotle ، فيما رأى نيوتن Newton قدرة الله على خلق عوالم متنوعة في أجزاء مختلفة من الكون^(١).

فبعد هذه المكتشفات العلمية تولّد عند بعض العلماء فكرة القول بأن "كوننا المرصود بحجمه الهائل الذي يبلغ مليارات السنين الضوئية، هو مجرد كون ضمن عدد لا نهائي من الأكوان الأخرى"^(٢)، وقد ابتكر هذا المفهوم من قبل الفيلسوف وعالم النفس الأمريكي ويليام جيمس William James في عام ١٨٩٥م، وقد نشأت القاعدة العلمية الخاصة بهذه النظرية من دراسة القوى الكونية كالثقوب السوداء^(٣)، والمشاكل التي نتجت عن نظرية الانفجار العظيم^(٤)، ويُعد أول من طرح هذه الفكرة في الأوساط العلمية هو: هيو إيفيرت Hugh

(١) انظر: الصنع الممتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ١٣٨-١٣٩.

(٢) Relative State' Formulation Of Quantum Mechanics, Hugh Everett, P454-462.

(٣) الثقب الأسود Black hole : جرم عالي الجاذبية، لكن ليست جاذبية لا نهائية، منكمش إلى حيز صغير، ويظهر بكتل مختلفة ومتطورة، تصير عند سطحه سرعة الإفلات مساوية لسرعة الضوء تمامًا، ينتج عند موت النجوم، وعند نفاد قوة الدفع النووي التي تمسك النجم عن الانهيار، تتمكن من ابتلاع كل ما حولها من أشياء، وحتى الضوء لا يفلت من جاذبيتها، محاطة بسطوح تحدها عن باقي الفضاء، وتظهر كبقعة سوداء فيه، لا يُرى، وإنما يُعرف بآثاره. انظر: أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ٢٢٨.

معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ٣١. موسوعة الفيزياء الكونية والعلوم الفضائية، علي مولا، ص ١٤٠.

(٤) Site: Universe Today Space And Astronomy News. What Is The Multiverse Theory?. Retrieved 5 August, 2020. From: (<https://bit.ly/3ky6cOR>).

Everett^(١)، في عام ١٩٥٧م، حيث كانت أطروحته للدكتوراه من جامعة برنستون في ولاية نيو جيرسي New Jersey^(٢) الأمريكية تشير إلى وجود أكوان متوازية^(٣).

وكان ماكس تيغمارك Max Tegmark^(٤) اقترح هذا النموذج، والذي يجعل من كل احتمال ممكنًا موجودًا في كون من الأكوان، تمامًا كما نضرب قطعة النرد، فكل ما يمكن تخيله من الاحتمالات فهو موجود قائم في أحد تلك الأكوان الأخرى اللامتناهية والمتوازية^(٥). وقد علّق عليها العلماء آملًا كبيرة، حيث تقول أماندا جفتر^(٦): "إذا لم تنجح هذه النظرية فخيرنا الوحيد الخارق للطبيعة هو التخلي عن العلم نفسه"^(٧).

٢. مفهوم النظرية: إن نظرية الأكوان المتعددة هي أحد فروض نظرية الأوتار^(٨)، ونظرية الأوتار String Theory هي: مجموعة من الأطروحات تزعم أن المادة ليست مكونة من جسيمات؛ بل من مجموعة أوتار من الطاقة صغيرة الحجم، ذات بعد واحد، وطبيعة اهتزازية^(٩)، يشكل طولها ١٠ أس -٣٣ سم، وأن ذبذبة^(١٠) تلك الأوتار هو الذي يحدد هذا الشيء، وتقع الأوتار في مجال متعدد الأبعاد، أي يتجاوز الطول والعرض والارتفاع، مضافًا إليه الزمن، لتصل الأبعاد المقترحة إلى ١٠ أبعاد، زيادة على بعد الزمن، أو أكثر في بعضها، وبالتالي فإن الأوضاع التي يمكن أن تتخذها تلك الأوتار تشكل عددًا هائلًا، تم

(١) هيو إيفيرت Hugh Everett: فيزيائي أمريكي، وُلد في عام ١٩٣٠م، وتوفي في عام ١٩٨٢م. انظر:

موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٥ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3uzwR1J>).

(٢) نيو جيرسي New Jersey : ولاية في المنطقة الشمالية الشرقية، وإقليم الأطلسي الأوسط من الولايات

المتحدة. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٥ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3oelA4I>).

(٣) See: 'Relative State' Formulation Of Quantum Mechanics, Hugh Everett, P454-462.

(٤) ماكس تيغمارك Max Tegmark : فيزيائي، أمريكي، وُلد في عام ١٩٦٧م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ

الاطلاع: ٥ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3twzfFh>).

(٥) انظر: شموع النهار، عبد الله بن صالح العجيري، ص ٢٤٥.

(٦) أماندا جفتر Amanda Haftar: كاتبة متخصصة في مجال الفيزياء، وتعمل مستشارة لدى مجلة نيو

ساينتيست. انظر: موقع مؤسسة هنداوي، تاريخ الاطلاع: ٥ أبريل ٢٠٢١م، الموقع:

(<https://bit.ly/3txqril>).

(٧) Why It's Not As Simple As God Vs The multiverse, Amanda Gefter, P48.

(٨) انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٣٦.

(٩) انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ١١٢-١١٣.

(١٠) الذبذبة: حركة دورية ترددها كبير حول وضع توازن جيئةً وذهابًا. معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة

العربية بدمشق، ص ٥١٦.

تقديره ب ١٠ أس ٥٠٠ تقريبًا، وأن كل واحد من تلك النماذج يمكن أن يشكل كونًا يكون فيه الوتر بوضعيته الخاصة المخالفة للكون الآخر^(١)، فهي لا تنتبأ بصيغة واحدة فقط للزمكان؛ بل بنحو ١٠٥٠٠ صيغة، لكلٍ منها قوانينه الفيزيائية الخاصة به^(٢)، بمعنى أنها جعلت الكون عزفًا موسيقيًا ذا أوتار وأنغام، وتختلف مادة الكون حسب الذبذبات التي تصدرها الأوتار^(٣).

وقد رأى راسل ستانارد^(٤) أن اختبار صحة نظرية الأوتار غير ممكن^(٥).

ثانيًا: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية الأكوان المتعددة:

١. ترى هذه النظرية أن الكون الذي نعيش فيه هو واحد من عدد كبير جدًا من الأكوان، والتي وصل عددها حسب ستيفن هوكينج Stephen Hawking^(٦)، وهو شريكه السابق في الكتابة العلمية الكونية إلى ١٠ أس ٥٠٠ احتمال^(٧)، وبعضهم اقترح العدد ١٠ مرفوعة إلى الأس ١٦ مرفوعة إلى الأس ١٦^(٨).

٢. ويُطلق على هذه النظرية الأكوان المتوازية؛ بسبب افتراضها بوجود أكوان موازية للكون الذي نعيش به^(٩)، كل كون فيها قائم بذاته وسط كون كبير، ولكل منها قوانينه الخاصة به، وعدم قيامها على التسلسل هو ما يميزها عن نظرية الكون المتذبذب^(١٠).

(١) انظر: شموع النهار، عبد الله بن صالح العجيري، ص ٢٤٤.

(٢) انظر: نظرية الأوتار قد تعني وجود أكوان أقل بكثير مما كان معتقدًا، بقلم: كلارا موسكوفيتز، موقع: للعلم، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/34My9LP>)، ٢٨ سبتمبر ٢٠١٨م.

(٣) انظر: الكون بين التوحيد والإلحاد، نور الدين أبو لحية، ص ٧٩.

(٤) راسل ستانارد: عالم فيزيائي، بريطاني، وُلد في عام ١٩٣١م. انظر: معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، ص ١٧٠.

(٥) انظر: الكون بين التوحيد والإلحاد، نور الدين أبو لحية، ص ٤-٥.

(٦) ستيفن هوكينج Stephen Hawking : عالم فيزياء بريطاني، وُلد في عام ١٩٤٢م، وتوفي في عام ٢٠١٨م، له العديد من المؤلفات والكتب، منها: التصميم العظيم، الكون في قشرة جوز. انظر: انظر: كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، ص ٤٢. الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، جواد بشارة، ص ١٠٩.

(٧) انظر: التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ١٤٦.

(٨) انظر: ليظمنن عقلي، أحمد خيرى العمري، ص ١٣٠.

(٩) Site: Universe Today Space And Astronomy News. What Is The Multiverse Theory?. Retrieved 5 August, 2020. From: (<https://bit.ly/3ky6cOR>).

(١٠) انظر: الكون بين التوحيد والإلحاد، نور الدين أبو لحية، ص ٥٣.

ولعل السبب المباشر في ابتكار هذه الفرضية: هو قطع الطريق على السببية، والاستدلال على وجود الله تعالى، ومحاولة تقديم تفسير مادي اعتباطي للضبط الدقيق^(١).
٣. ومن خلال ما تم عرضه في فيما سبق يتبين أن نظرية الأكوان المتعددة، التي هي أحد فروض نظرية الأوتار، تنطوي على مجموعة من الفرضيات والأنواع، مثل: الكون المتذبذب، أو الدوري، أو الخلق الدائم، والكون الفقاعة، ويمكن أن يلحق بالأكوان المتعددة ما يأتي:

- إنَّ هناك خمسة أنواع مختلفة من الأكوان المتعددة، يمكن أن إجمالها فيما يأتي:
١. الأكوان المتكررة (اللانهائية): وتعتمد على وجود كمية لا نهائية من الوقت والفضاء، وبالتالي فإنه يُمكن للجسيمات تكرار نفسها في النهاية، وتشكيل كون آخر متكرر.
 ٢. الأكوان الوليدة: وتعتمد على فكره نشوء أكوان في كل مره توجد لدينا احتمالات، يتفرع الكون لفرع آخر؛ لتحقيق كل الاحتمالات الممكنة.
 ٣. الأكوان الرياضية: تُعد الرياضيات أداة تُستخدم لوصف معالم الكون؛ ولذلك فإنه من الممكن أن يكون هناك بناء رياضي مختلف، يؤدي لتكوين كون آخر مختلف كلياً^(٢).
 ٤. التضخم: وهو من اقتراح فيلنكن Flecken، وينص على تمدد الكون وتضخمه بسرعة هائلة بعد الانفجار العظيم، حيث نقل الكون في جزء ضئيل جداً جداً من الثانية، من كون مقداره ١٠ أس -٢٥، إلى ١٠ أمتار طولاً، ليعاود الكون تمدده بصورة أقل وتيرة، وليكون الأمر متوافقاً بعدها مع نموذج الانفجار الكبير، بمعنى آخر، فالكون تمدد وفقاً للعامل ١٠ أس ٣٥ في جزء ضئيل جداً من الثانية، وأخذت هذه الفكرة، وطورت لتقول بأن هذه الظاهرة تتكرر بشكل لا متناهٍ في أجزاء مختلفة من الكون، وفي كل مرة تقع فإنها تخرج لنا بقائمة جديدة من الثوابت^(٣).

(١) انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص١٣٥-١٣٦. كبسولات إسكات الملحدين، هيثم طلعت، ص١٧-١٨.

(٢) See: Site: Thoughtco, Multiverse Definition And theory, what is Multiverse? Can It Be Real? Andrew Jones. Retrieved 7 November 2020, From: (<https://bit.ly/3pzHzm1>), 28 March 2019.
And See: 5 Reasons we May live In amultiverse . moskowitz Clara , Retrieved 3 November 2020, From: (<https://bit.ly/34RNGKE>), 7 December, 2012.

(٣) انظر: شموع النهار، عبد الله بن صالح العجيري، ص٢٤٤.

٥. التضخم الأزلي Eternal Inflation: حيث اقترح أندري لينده Andrei Linde^(١) ما يعرف بنموذج التضخم العشوائي chaotic inflation، حيث تنشأ من جوانب الكون الأم أكوان جديدة تتوسع، وتنشأ من جوانبها أيضًا أكوان أخرى، وهكذا إلى ما لا نهاية^(٢). وهذه الأنواع المتعددة لفكرة الأكوان المتعددة تدور جميعها في فلك الفكر المادي، الذي يرفض وجود الإله والغيبيات.

ثالثًا: الرد على المادية في نظرية الأكوان المتعددة:

١. تُعد فرضية الأكوان المتعددة من الخيال العلمي، وليست من الفيزياء؛ إذ من المستحيل التأكد منها علميًا، حيث تفترض أن هناك تريليونات تريليونات تريليونات الأكوان الأخرى ١٠ أس ٥٠٠ كون، وستظل بحاجة إلى تفسير كيفية نشأة الأكوان، وتعليل سبب مناسبة ظروف إحداها لمتطلبات نشأة الحياة دون غيرها^(٣).
 ٢. كما أن هذه النظرية يستحيل إثباتها تجريبيًا؛ لأن وجود أكوان متعددة رصدًا يكسر حاجز أفق الجسيم^(٤)، والتي ما أن تصل للراصد يكون عمر الكون قد انتهى منذ مليارات السنوات الضوئية، وهو أمر ممنوع فيزيائيًا؛ لأن وجود أكثر من كون سيتبع نفس particle horizon، يعني خارج أفق الجسيم، وهذا ممنوع رياضيًا^(٥).
- يقول بول دافيز Paul Davies : "النظرية التي تقوم على عناصر من حيث المبدأ غير قابلة للرصد لا يمكن وصفها بأنها علمية"^(٦).

(١) أندري لينده: هو: أندريه ديميترييفيتش لينده، عالم فيزياء نظرية، روسي، وُلد في عام ١٩٤٨م. انظر: براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، ص ٤٥٤.

(٢) انظر: فمن خلق الله؟، سامي عامري، ص ١١١-١١٢.

(٣) انظر: وهم الإلحاد، عمرو شريف، ص ٦٦-٦٧. ليطمئن عقلي، أحمد خيرى العمري، ص ١٣١. العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٢.

(٤) أفق الجسيم: وهو أقصى مسافة من تلك الجسيمات التي تحمل المعلومات. انظر: العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص ١٦١-١٦٢.

(٥) انظر: كبسولات إسكات الملحدين، هيثم طلعت، ص ١٧-١٨. عيادة الملحدين، هيثم طلعت، ص ٢٥.

العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص ١٦١-١٦٢. اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٣٤-١٣٥.

(٦) The Goldilocks Enigma: Why Our Universe Is Just Right For Life, Paul Davies.P173.

ويقول الفيلسوف ريتشارد سوينبرن Richard Swinburne^(١): "إن نظرية الأكوان المتعددة تمثل قمة اللاعقلانية"^(٢).

٣. إن نظرية الأكوان المتعددة تناقض شفرة أوكام Occam's razor^(٣)؛ حيث إن هؤلاء الفيزيائيين يختارون أعقد نظرية، يختارون ١٠ أس ٥٠٠ كون، وخمس معادلات صحيحة، وملايين الطرق لكل معادلة؛ كل هذا حتى يتسنى لهم أمام هذه التريليونات (ألف مليار) تريليونات تريليونات الأكوان أن يفترضوا صدقوية نشأة كون مميز للغاية ككوننا"^(٤).

ولذلك فلا عجب من المقال العلمي النقدي اللاذع الذي وجهه عالم الكونيات الشهير جورج إيليس^(٥) للسخرية من فرضية الأكوان المتعددة التي لا يمكن إثباتها^(٦)، والتي وصل عددها حسب ستيفن هوكينج Stephen Hawking وهو شريكه السابق في الكتابة العلمية الكونية إلى ١٠ أس ٥٠٠ احتمال^(٧)، حيث وقفوا عاجزين أمام الاتقان المحكم للكون. وهذه طائفة من أقوال العلماء والباحثين في نقض نظرية الأكوان المتعددة؛ بناءً على الجانب العلمي:

أ. قال عالم الكونيات جيم بيبلز Jim Peebles^(٨) أن كل تلك "الأطروحات إنما هي افتراضات، وليست نظريات علمية تقف وراءها حقائق، أو معلومات، أو حتى ملاحظات مقبولة، إنها أقرب إلى الخيال العلمي منها إلى العلم"^(٩).

(١) ريتشارد سوينبرن Richard Swinburne : أستاذ الفلسفة البريطاني، والمهتم بفلسفة الأديان والعلم، وُلد في عام ١٩٣٤م. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص ٥٨.

(٢) The Existence Of God, Richard Swinburne, P165.

(٣) شفرة أوكام: مبدأ منطقي، يُستخدم لحل المشاكل المختلفة، ينص على أن أبسط التحليلات لمشكلة معقدة هي الصحيحة، وينبغي اختيار أبسط نظرية تناسب حقائق المعضلة. انظر: العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص ١٦٣.

(٤) انظر: العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص ١٦٣.

(٥) جورج إيليس: رياضياتي، وعالم فلك، جنوب أفريقي، وُلد في عام ١٩٣٩م. انظر: موقع ويكيبيديا ، تاريخ الاطلاع: ١٤ فبراير ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/2RzgrIf>).

(٦) See: Does the Multiverse Really Exist?. George Ellis, P38-43.

(٧) انظر: التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ١٤٦.

(٨) جيم بيبلز: عالم فلك، وعالم فيزياء فلكية، وأستاذ جامعي من كندا، وُلد في عام ١٩٣٥م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ٩ أبريل ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3hiSvmW>).

(٩) رحلة عقل، عمرو شريف، ص ١٣٣.

ب. يقول ادوارد هاريسون Edward Harrison^(١): "يقدم الضبط الدقيق للكون دليلاً بديهياً على التصميم الربوبي، لك أن تختار بين صدفة عمياء تستلزم أكوان متعددة، أو تصميم يستلزم كوناً واحداً... حين يُدلي علماء كثر بأرائهم؛ يميلون إلى الحجة الغائية أو التصميم"^(٢).

ت. يقول جون بولكينجهورن John Polkinghorne: "علينا أن نعترف بحقيقة هذه التخمينات، فهي في الحقيقة ليست فيزياء؛ بل ميتافيزيقا بالمعنى الأضيق، فما من سبب علمي محض يدعونا للاعتقاد بمجموعة من الأكوان"^(٣)، ويقول أيضاً: "هناك تفسير ممكن وله احترام فكري مساوٍ لهذا - بالنسبة لعقلي أكثر جدوى وأناقاة- أن هذا الكون الواحد على حاله الذي يوجد عليه؛ لأن خالقاً خلقه، وكانت له غاية أن يمهد له لوجودنا"^(٤).

ث. يقول الفيلسوف ريتشارد سوينبرن Richard Swinburne: "إنه من الجنون افتراض وجود مليارات الأكوان"^(٥).

ج. يقول روجر بنروز Roger Penrose^(٦): "ليس لدينا نظرية بحيث يكون هذا التخمين مدرك رياضياً، لكنها احتمال"^(٧).

ح. تراجع العالمان الروسيان اللذان قدما هذه النظرية عام ١٩٦٣م، وذلك بعد سبع سنوات فقط من طرحها؛ لعدم استطاعتها تقديم الدليل عليها^(٨).

(١) ادوارد هاريسون Edward Harrison : أستاذ الفلك البريطاني، وُلد في عام ١٩١٩م، وتوفي في عام ٢٠٠٧م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص١٢٨.

(٢) Masks Of The Universe, Edwrdr Harrison, PP 252,263.

(٣) God? A Debate Between A Christian And An Atheist, William Lane Craig And Walter Sinnott-Armstrong, P13.

(٤) One world, John polkinghorne, P80.

(٥) هناك إله كيف غير أشهر ملحد رأيته؟، أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، ص ١٦١.

(٦) روجر بنروز Roger Penrose : أستاذ الفيزياء الرياضية البريطاني بجامعة أكسفورد، وُلد في عام ١٩٣١م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص١٢١.

(٧) رجور بنروز يحبط دوكينز الأكوان المتعددة مجرد احتمال بلا اثبات [DVD]، شركة اليوتيوب، تاريخ الاطلاع: ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3przvn9>)، تم نشره بتاريخ: ٨ يناير ٢٠١٦م.

(٨) والعالمان الروسيان هما: لفجيني ليفشيتز وإسحاق خالاتنيكوف Evgenii Lifshitz and Isaac Khalatnikov. انظر: رحلة عقل، عمرو شريف، ص١٣٢-١٣٣. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص١١٤-

وخلص ما ذكره العلماء فيها أنها: فكرة متطرفة، غريبة، وعلم افتراضي^(١)، ولا تسمح بها الرياضيات التجريدية^(٢).

٤. يكمن وراء نظرية الأكوان المتعددة أيديولوجيات مادية إحادية واضحة^(٣)؛ حيث إنها جاءت لتكون بديلة عن المعايير الدقيقة للكون fine-tuning of universe، وهي الحل الوحيد المتاح من أمام الرد عليه من وجهة نظرهم؛ لأنه لم يكن بوسعها أن تجابهه^(٤)؛ بل تركت الأمر للمصادفات^(٥)، وحتى مع وجود المصادفة في أن يكون كوننا مناسباً للحياة، بحيث كانت القوانين والأبعاد والقوى به ملائمة لتطور الحياة والبشر، فهذا لا يزال يستدعي التساؤل عن من حدد ذلك ومكنه من الحدوث^(٦)، يقول الفيزيائي فرانك كلوز^(٧): "لو أنّ الأكوان المتعددة نشأت نتيجة التذبذبات، وتصادف أنّ كانت فقاعتنا محظوظة، بحيث كانت القوانين والأبعاد والقوى بها ملائمة تماماً لتطور الحياة والبشر، فهذا لا يزال يستدعي التساؤل عن من أو ماذا حدد القواعد التي مكّنت كل هذا من الحدوث؟ وأين؟"^(٨).

وبالتالي فإن هذه الفرضية لا تتجنب وجود بداية حقيقة للكون، ولم تستطع نفيها، أو إثبات أزلية للكون في حال صحتها^(٩).

ويستنتج مما سبق أن الملاحظة قد وقعوا في مأزق كبير، فإذا كانت المشكلة في تفسير الضبط الدقيق في كون واحد، فيلزم عليهم أن يفسروا الضبط الدقيق في ١٠ متبوعة ب ٥٠٠

(١) انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٢٠٥.
And See: Serious Talk: Science And Religion In Dialogue, John Polkinghorne, P6.
And See: Eugenie C. Scott. Evolution Vs, Creationism, An Introduction, P227.
And See: One World. John polkinghorne, P80.

(٢) انظر: كبسولات إسكات الملحنين، هيثم طلعت، ص ١٧.

(٣) انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٣٦.

(٤) انظر: العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، ص ١٦٠. دقيق الكلام الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة، محمد باسل الطائي، ص ١٥٩-١٦٢. الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ١٤٠-١٤١. وص ١٨٣-١٨٤. ليطمئن عقلي، أحمد خيري العمري، ص ١٣٠-١٣٢. سابغات كيف نتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، أحمد يوسف السيد، ص ٨٥. شموع النهار، عبد الله بن صالح العجيري، ص ٢٤٣.

(٥) See: The Goldilocks Enigma: Why Our Universe Is Just Right For Life, Paul Davies. P197.

(٦) See: Nothing: A Very Short Introduction. Frank Close. P144.

(٧) فرانك كلوز: فيزيائي، وكاتب غير روائي، وأستاذ جامعي، بريطاني، وُلد في عام ١٩٤٥م. انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٩٩.

(٨) Nothing: A Very Short Introduction. Frank Close. P144

(٩) انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ١٨٥-١٨٦.

صفر من الأكوان، وهذا يدل على أن الأكوان المتعددة لا تحل المشكلة؛ بل إنها تزيدها تعقيداً، وتبقى فرضية غيبية لا يمكن إثباتها.

يقول ريتشارد دوكنيز Richard Dawkins : "إذا اكتشفت هذا الكون المدهش المعد فعلياً بعناية .. أعتقد ليس أمامك إلا تفسيرين اثنين: إما خالق عظيم، أو أكوان متعددة"^(١)، ويقول أيضاً: "من المغري التفكير بأن العالم المتعدد الأكوان نوع من الترف المسرف التي لا يجب السماح بها، ولو سمحنا بتعدد الأكوان المسرف تقول الحجة، فدعونا نسمح بالوجود الإلهي أيضاً"^(٢).

٥. إذا كان كل شيء ممكن منطقياً فهو موجود فعلاً، فيلزم من ذلك أن يوجد كون فيه الله؛ لأن وجوده ممكن منطقياً، وهو ما يرفضه الملحدون، وبما أن الله كلي القدرة فلا بد أن يوجد في كل كون، وهذا على حد تعبير الفيلسوف آلفن بلانتينجا Alvin planting^(٣)^(٤).

٦. إن مفهوم الأكوان المتعددة مليء بالمشكلات العلمية والمنطقية، والأخلاقية كذلك، فإن كان كل كون ممكن أخلاقياً موجوداً بالفعل، إذن يفترض وجود كون أنا موجود فيه أو نسخة مني؟ وأنا في هذا الكون قاتل، أو أسوأ، ولذلك يبدو أن المفهوم يؤدي أيضاً إلى نوع من العبثية الأخلاقية^(٥).

٧. إن فكرة الأكوان المتعددة فكرة متناقضة، ف"كل شيء يمكن أو لا يمكن حدوثه، سيحدث فافتراض وجود كون له خالق، هو أمر مقبول الحدوث، واحتمال وجود كون ليس خارجه أكوان أخرى، هو أمر مقبول أيضاً، وهي أشياء تناقض الفكرة نفسها"^(٦)، ويلزم منها لوازم باطلة، منها:

(١) دقة قوانين الكون ترحح الملاحدة- ريتشارد دوكنيز مع ستيفن وينبرج [DVD]، شركة اليوتيوب، تاريخ الإطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: <https://bit.ly/3mWAD0u>، تم نشره بتاريخ: ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦م.

(٢) وهم الإله، ريتشارد دوكنيز، ترجمة: بسام البغدادي، ص ١٤٩.

And See: God's Undertaker: Has Science buried God?, John C. Lennox, P181.

(٣) آلفن بلانتينجا: أستاذ الفلسفة الأمريكي بجامعة نوتردام، وُلد في عام ١٩٣٢م. انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١٩.

(٤) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٣٢.

(٥) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ١٣٢. صلاة ملحد، محمد حامد، ص ٢٠٧.

(٦) الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ٢٠٦.

أ. ضرورة وجود أكوان تكون فيها فكرة الأكوان المتعددة غير صحيحة، بمعنى أن يكون هناك وجود فعلي لكون يكون فيه وجود أكوان متعددة أخرى هو مجرد خيال.

ب. مما يلزم عنه كذب الفرضية ونقضها، وهذا تناقض ظاهر.

ت. فكل فكرة يلزم عن التصديق بها التناقض، فتكون في الأصل متناقضة^(١).

ث. إن أصحاب النظرية سيُجابهن بالإزمات ما ورائية أعظم بكثير مما لو كانوا تخلوا عن تلك الفكرة^(٢)؛ فإن أي كون يتم إثباته يلزم أن يكون مهيباً لأن يكون كوناً حيوياً، تتوفر فيه جميع مستلزمات الحياة، والقوانين الفيزيائية، حسب تعبير عالم الكونيات مارتن ريس^(٣).

ج. الحصول على مجموعة لا نهائية من الكيانات ليس فيه ضمان بأنه سيكون في أي منها صفات معينة، حيث لا يوجد عدد لا نهائي من الأعداد الصحيحة، لكن لن تتلاءم أي منها مع صفة الغرابة؛ فقد تكون المادية انقادت إلى فرضية الأكوان المتعددة للتعامل مع الضبط الدقيق للكون، ولكن يوجد في الإيمان تفسير اضطراري جاهز مسبقاً، يحوي ضمنه نظرة شاملة للعالم.

وإذا كان كوننا مجرد عضو عشوائي في مجموعة من العوالم، فستصبح الأكوان الممكنة مشاهدتها ببساطة هي الأكثر وفرة بكثير في مجموعة العوالم تلك، مع مقارنتها بعالم مثل عالمنا، وبالتالي يجب أن نتمكن من مشاهدتها ولكن - في الواقع - لا يمكننا مشاهدتها، وتلك الحقيقة تثبت بطلان فرضية الأكوان المتعددة^(٤).

ومما سبق يتبين أن نظرية الأكوان المتعددة اتخذت أشكالاً متعددة، وكلها معتمدة على القول بنفي وجود الإله، وهي فكرة لا تتجاوز حدود الخيال العلمي.

(١) انظر: الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، ص ١٨٥.

(٢) انظر: كبسولات إسكات الملحدين، هيثم طلعت، ص ١٩.

(٣) See: Numerical Coincidences and Tuning in Cosmology. Martin J. Rees. Journal of High Energy Physics. Retrieved 28 September 2020, From: (<https://bit.ly/2ZSCLgw>), Astrophysics and Space Science volume 285, pages375–388(2003)Cite this article

(٤) God Is Great , God Is Good Why Believing In God Is Reasonable And Responsible, William. L. Craig And Chad Meister, P72.

المطلب الثالث

المادية في نظرية (إم) والرد عليها

أولاً: التعريف بنظرية (إم):

إن الحصول على نظرية كاملة وشاملة بين قوى الطبيعة تفسر كل شيء، وتخضع لها جميع القوانين الفيزيائية، وتفسر ولادة الكون من خلالها، وتشرح خاصيات الطبيعة، هو ما كان يطمح إليه هوكينج Hawking لسنوات كثيرة، وهو حلم أينشتاين Einstein ودوكينز Dawkins من قبله^(١)، ووافقهم بول دافيز Paul Davies الرأي في أن قوانين الفيزياء استطاعت إيجاد الكون بدقة هائلة^(٢).

يقول هوكينج Hawking : "وقد ننجح في التوصل إلى نظرية كاملة عن الكون، وفي هذه الحالة سنكون حقاً سادة هذا الكون"^(٣)، وهو بذلك يقترب من طرح اليونانيين بخصوص المادة الأولى التي خلقت منها الكون^(٤).

ثانياً: الأفكار المادية التي قامت عليها نظرية (إم):

تعد نظرية (إم) واحدة من الحلول المقترحة لنظرية كل شيء، وقد كان أمل هوكينج Hawking في النظرية (إم) لأن تكون هي نظرية كل شيء، وذلك سيراً على نهج أينشتاين Einstein في تأمله بنظرية إم^(٥).

(١) انظر: العلم ووجود الله، جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كتكوت، ص ٢٢٤-٢٢٥. ص ١١٢ من الكتاب نفسه. تاريخ موجز للزمان، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٨٦-٢٨٧. الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، جواد بشارة، ص ١١٠. الكون في قشرة جوز، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ١٥٧. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١١٢. التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة: أيمن أحمد عياد، ص ٣٨. محاضرة العالم ستيفن عن وجود الله، عادل أحمد، ص ٥١.

(٢) See: Scientists Who Glimpsed God, Clive Cookson, P20.

خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١١٢.

(٣) الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٧. ص ٥٥-٥٦ من الكتاب نفسه.

(٤) انظر: تاريخ الفلسفة، فرديريك كاپلستون، ترجمة: سيد جلال الدين مجتبوي، (٣١/١-٣٨).

(٥) انظر: التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة: أيمن أحمد عياد، ص ٢١٧.

يقول هوكينج Hawking: "النظرية (إم) هي النظرية الوحيدة المرشحة لأن تكون النظرية الكاملة للكون، فلو كان هذا الكون محدودًا - وهو ما لم يتم إثباته بعد- فسوف تكون نموذجًا للكون الذي يخلق نفسه، ويجب أن نكون جزءًا من ذلك الكون؛ لأنه لا يوجد نموذج آخر متماسك"^(١).

وقد افترض هوكينج Hawking أن قانون الجاذبية يُعد نتيجة لنظرية (إم)^(٢)، حيث جاءت نظرية (إم) لتضمين الجاذبية^(٣)؛ وعليه افترض أن قانون الجاذبية يكفي لظهور الكون؛ باعتبارها الفاعلة والخالقة^(٤)، حيث يقول: "لأن هناك قانون مثل الجاذبية، فإن الكون يمكنه أن يخلق نفسه من لا شيء"^(٥).

ثالثًا: الرد على المادية في نظرية (إم):

وبنظرة سريعة للقارئ يستطيع أن يدرك الأخطاء التي وقع فيها هوكينج Hawking؛ وذلك لاعتبارات، منها:

١. أن نظرية إم لا تزال لغزًا يبعد حله، حيث يقول: "ويبدو أنه لا أحد يعرف ما ترمز له إم M، قد تكون من سيد master، أو معجزة miracle، أو لغز mystery، وقد تدل على الثلاثة، فما زال البشر يحاولون لأن حل شفرة طبيعة النظرية إم، لكن هذا قد لن يكون ممكنًا"^(٦).

(١) التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ٢١٦-٢١٧. ص ١٦-١٧، ١٩٩-٢٠٠ من

الكتاب نفسه. بطلان نظرية (إم) من منظور فيزيائي، حسن يوسف شهاب الدين، مقدمة البحث، ص ١.

(٢) انظر: نقد العقل الملحد، خالد كبير علال، ص ١٢١.

(٣) انظر: التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ١٩٩.

(٤) انظر: كيف تدعو ملحدًا بونديًا هندوسيًا كتابيًا إلى الإسلام، سؤال وجواب، هيثم طلعت، ص ١٥. أو هام

الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، ص ٢٣٤. الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، جواد بشارة، ص ١١١.

المصمم الأعظم، قراءة نقدية في كتاب التصميم العظيم لستيفن هوكينج، حسن بن أحمد اللواتي، ص ٨٩. نقد

العقل الملحد خالد كبير علال، ص ١٢١.

(٥) التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ٢١٦. ص ٣٨، و ٢١٥-٢١٧ من الكتاب

نفسه.

(٦) التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ١٤٤-١٤٥.

٢. إن مسألة الوصول إلى النظرية الجامعة قضية مستحيلة، وتخليية، ولا تخضع لأي معيار علمي^(١)، وإذا كانت النظرية الجامعة مستحيلة فإن الزعم بأن الجاذبية هي الخالقة أمر مستحيل أيضًا؛ لأنها ليست شيئًا مستقلًا؛ بل هي وصف لحدث طبيعي، ليس باستطاعتها أن تكون متسببة في وجود الكون^(٢)؛ بل إنها كغيرها من قوانين الفيزياء ظهرت بعد خلق الكون، أما قبله فلم تكن موجودة^(٣)، فالطبيعة أعجز من أن تنظم نفسها، أو تسيطر على نفسها^(٤).

٣. إن هوكينج Hawking نصّ في عدة مواطن من كتبه على أن من شروط النظرية أن تكون قابلة للاختبار، وما دون ذلك فإنها تُعد فرضية^(٥).

وقد زعم القول بأن هذه النظرية الجامعة قابلة للاختبار^(٦)، وهو ما لم يتحقق في نظر كثير من الفيزيائيين، أمثال عالم الفيزياء مارسيلو جليسر Marcelo Glyser^(٧)، الذي اعتبر فكرة النظرية الجامعة مما تتنافى مع أساسيات وأبجديات الفيزياء والعلم التجريبي^(٨)، والعالم الفيزيائي روجرز بنروز Rogers Penrose، الذي أنكر تملك نظرية إم أي إثبات مادي

-
- (١) انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٥٣. الكون بين التوحيد والإلحاد، نور الدين أبو لحية، ص ٨٤. أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، أحمد حسن (أبو حب الله)، ص ١٣١.
- (٢) انظر: كيف تدعو ملحدًا بوذيًا هندوسيًا كتابيًا إلى الإسلام، سؤال وجواب، هيثم طلعت، ص ١٥. شموع النهار، عبد الله بن صالح العجيري، ص ١٤٧. العلم ووجود الله، أحمد حسن (أبو حب الله)، ص ٣٣. الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، ص ٩٧.
- (٣) انظر: كهنة الإلحاد الجديد، هيثم طلعت، ص ٣٨-٣٩. أزلية الكون بين العلم والزيغ، مصطفى قديح، ص ١٧-٢٠. خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ١١٢.
- (٤) كما يرى ذلك الفيزيائي الأمريكي: كلود هاتواي. انظر: الله يتجلى في عصر العلم، نخبة من العلماء الأمريكيين، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، ص ٩٦.
- (٥) انظر: التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ٩٢-٩٣، ص ١٧٤ تاريخ موجز للزمان، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٣٤-٣٥.
- (٦) انظر: التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة أيمن أحمد عياد، ص ١٧٣.
- (٧) مارسيلو جليسر Marcelo Glyser : عالم فيزيائي فضائي، برازيلي، وُلد في عام ١٩٥٩م، فائز بجائزة Templeton لسنة ٢٠١٩م. انظر: موقع للعلم، ما هو حجم ما نستطيع معرفته، مارسيلو جليزر، تاريخ الاطلاع: ١٥ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/38HYwE9>)، ٢٤ يوليو ٢٠١٨م.

(٨) See: Hawking And God: An Intimate Relationship . Marcelo Gleiser, Retrieved 20 September 2020, From: (<https://n.pr/3nVU4rM>), 2010.

إطلاقاً^(١)، والعالم الفيزيائي فرانك كلوز، الذي اعتبر نظرية إم أقرب إلى أن تكون أسطورة، لا تضيف إلى الجدل حول الله ذرة واحد^(٢).

٤. وقد كان العالم غودل Goodell^(٣) يرى أن الحصول على نظرية كل شيء غير ممكن، وقد تأسف لذلك هوكينج Hawking في محاضرة بعنوان Gödel and the end of physics ألقاها في عام ٢٠٠٢م^(٤)، وهو رأي يُضاف إلى كثير من الفيزيائيين المعاصرين، الذين سَخروا منها، ومن عدم فاعليتها، وعدم ثبوتها بشكل علمي^(٥).

٥. إن هوكينج Hawking نفسه صرَّح بعدم وجود نظرية كاملة، متماسكة، بإمكانها أن تجمع ميكانيكا الكم والجاذبية^(٦)، مقرراً بأنه على فرض فهمها فإنها لن تخبرنا عن كيفية بداية الكون، وأبعاد الزمان، وغير ذلك من قضايا الفيزياء والكون^(٧).

٦. وقع هوكينج Hawking في التناقض في مرات عديدة، منها: أنه حصر قوى الطبيعة في أربع أنواع، وهي: الجاذبية، الكهرومغناطيسية، القوة النووية الضعيفة^(٨)، القوة النووية

(١) See: The Grand Design, Roger Penrose, financial times, Retrieved 4 November 2020, From: (<https://on.ft.com/37LkMNB>), 4 september 2010.

(٢) See: Stephen Hawking And God . John Lennox. Retrieved 10 November 2020, From: (<https://bit.ly/3aQsRDb>). 2010.

(٣) كورت غودل Kurt Goodell : فيلسوف، ومنطقي، ورياضياتي، ألماني، وُلد في عام ١٩٠٦م، وتوفي في عام ١٩٧٨م. انظر: موقع ويكيبيديا، تاريخ الاطلاع: ١٠ مارس ٢٠٢١م، الموقع: (<https://bit.ly/3vZtPUZ>).

(٤) انظر: اختراق عقل، أحمد إبراهيم، ص ١٤٠.

And See: The World On A String, Freeman Dyson, P16-19.

And See: An Incompleteness Theorem For The Natural World: In Irreducibility and Computational Equivalence, Rudy Rucker, P185-198.

(٥) ومن هؤلاء أيضاً: غراهام فارميلو، وكريج كالندر، وبيتر ويت، وجون بترورث. انظر: العلماء والخبراء يردون على هوكينج بشأن غياب الخالق، صلاح أحمد، موقع صحيفة إيلاف، تاريخ الاطلاع: ٥ نوفمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3qEkMWu>)، ٤ سبتمبر ٢٠١٠م.

And See: Reasonable Faith: Christian Faith and Apologetics, William Lane Craig, P162-163.

And See: Hawking Gives Up. Peter Woit. Retrieved 4 November 2020, From: (<https://bit.ly/3aRQHhb>), 7 September 2010.

And See: Stephen Hawking And God . John Lennox. Retrieved 10 November 2020, From: (<https://bit.ly/3aQsRDb>). 2010.

(٦) انظر: تاريخ موجز للزمان، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٢٤.

(٧) See: Cosmology From The Top Down, Stephen Hawking, P4-5.

(٨) القوة النووية الضعيفة: ثانية أضعف قوة من القوى الأربع الأساسية، ومدها قصير جداً، وهي مسؤولة عن التحلل الإشعاعي. الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٧.

القوية^(١)، واعتبر الجاذبية أضعفها، وهذا مما ينقض فكرة خلقها للكون^(٢)، وكذلك زعمه أن الكون خلق نفسه بنفسه، بينما يجعل الجاذبية هي الخالقة^(٣).

٧. أنكر الفيزيائيون وعلماء الرياضيات على هوكينج Hawking اعتباره الجاذبية خالقة، كما عالم الرياضيات جون لينوكس John Lennox^(٤)، الذي تساءل عن كيفية مجيء الجاذبية في المقام الأول^(٥)، وأنكر أن تكون لقوانين الفيزياء والجاذبية أي سلطة كونية^(٦)، وعد الفيلسوف البريطاني ذلك تحريفًا للغة ومعارضة للفلسفة والنظام^(٧).

وهكذا يمكن القول بأن نظرية (إم) مستبعدة شرعًا وعقلًا، وعند كثير من الفيزيائيين المعاصرين، سعى القائلون بها إلى أن تكون هي المفسرة لكل شيء.

ومما سبق يتبين أن النظريات الفيزيائية المتعلقة بأصل الحياة ونشأة الكون كلها أفكار مادية، لا ترقى للاحتجاج العلمي، مثل نظرية أزلية الكون، ونظرية الأكوان المتعددة، ونظرية (إم).

(١) القوة النووية القوية: أقوى قوة من القوى الأربع، وأقصرها في مدارها، وهي تمسك الكواركات معًا في داخل البروتونات والنيوترونات، وهي تمسكها معًا لتكوين الذرات. انظر: الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ٢٥٦.

(٢) انظر: تاريخ موجز للزمان، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، ص ١٤١. التصميم العظيم، ستيفن هوكينج، ترجمة: أيمن أحمد عياد، ص ١٢٨.

(٣) انظر: أقوى براهين د. جون لينكس في تفنيد مغالطات منكري الدين، أحمد حسن (أبو حب الله)، ص ١٠٠. ص ١٢٣-١٢٤، و ص ١٢٧-١٢٨ من الكتاب نفسه.

(٤) جون لينوكس John Lennox : أستاذ الرياضيات وفلسفة العلوم، بجامعة أكسفورد، بريطاني، اشتهر بمناظراته ضد الإلحاد، وُلد في عام ١٩٤٣ م . انظر: خرافة الإلحاد، عمرو شريف، ص ٧٥.

(٥) See: God and Stephen Hawking Whose Design Is It Anyway?, John Lennox. P587-590.

(٦) See: God and Stephen Hawking Whose Design Is It Anyway?, John Lennox. P482-485.

(٧) See: Natural Theology or Evidences of the Existence and Attributes of the Deity, William Paley, P7.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي بحمده تتم الصالحات، والحمد لله الذي يسر لي هذا البحث، وأسأل الله أن يتقبله مني، وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، أما بعد:

وبعد الانتهاء من الكتابة في هذا الموضوع، يمكن إجمال أهم النتائج على النحو الآتي:
أولاً: اتخذت المادية أشكالاً متعددة في مفهومها، منها ما هو ذو أبعاد علمية وفلسفية، وقد غلب معناها الاصطلاحي على المفهوم الفلسفي القائم على إنكار وجود خالق لهذا الكون العظيم، فبناءً عليه كثرت مفاهيمها وتعريفاتها لدى المفكرين والمنطقيين والحكماء والفلاسفة والعلماء، وتنوعت أسماؤها ما بين الواحدية والآلية والطبيعية.

ثانياً: إن الفكر المادي قد ضرب جذوره في أعماق التاريخ الإنساني، فقد ظهر في وقت مبكر عند كثير من الأمم، كالحضارة الفرعونية، والصينية، واليونانية، والرومانية، والفارسية، والهندية، وأصبح يتطور عبر التاريخ إلى مفاهيم متعددة، حتى غلب إطلاقها على الفكر الإلحادي القائم على تقديس المادة وتعظيمها، واعتبارها الخالقة من دون الله تعالى، وكان مناقضا لكثير من النظريات الغربية، وعلى رأس ذلك المثالية.

ثالثاً: الفكر المادي الملحد منحرف علمياً، حتى وإن تذرع بالعلمية، ونسب نفسه إليها؛ لأن العلم الصحيح يقود إلى الإيمان، ودافع إليه، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما، وقد نص كثير من العلماء الغربيين على تلك العلاقة.

رابعاً: انطلقت المادية الإلحادية من منطلقات منهجية، ذات أبعاد فلسفية إلحادية، تعظم المادة وتقدها، وتستخدم ألفاظاً غامضة، وتُخضع الإنسان والفكر والعقل والأشياء المعنوية لها، وتردها إلى قوانين الطبيعة، وتسعى إلى تعميم إطارها المعرفي ليشمل جميع الأطر الفكرية.

خامساً: إن الفكر المادي يُجمع على عقائد وأسس ومنطلقات فكرية متعددة وكثيرة، أهمها أنه يقوم على الاعتقاد بأزلية المادة وأبديتها، ورفض الغاية من وجود الخلق، والاعتقاد بتلقائية نشأة الكون، وظهور الحياة بالصدفة، وإنكار الهوية الفردية والمسؤولية الخلقية، وإنكار أي شيء من الغيبات، كوجود الله والروح والبعث والحساب والملائكة والجن والأديان، وحيث زعمت المادية إمكانية تفسير جميع الظواهر الطبيعية والحالات النفسية والحوادث التاريخية من غير حاجة إلى الإيمان بقوة وراء الكون تحفظه وتسيره.

سادساً: ظهرت المادية في كثير من الفلسفات والنظريات، وتشترك جميع هذه الفلسفات المادية في الاستناد إلى العلم، وإنكار الدين، والإيمان بالمادة.

سابعاً: إن من القواعد المهمة للإلحاد المعاصر والفكر المادي الزعم بأن القوانين الطبيعية والتطور يمكن الاستغناء بهما عن افتراض وجود الله وعلمه وإرادته، كما قاما على ادعاء كفاية المنهج العلمي التجريبي، والاستغناء به عن المناهج الأخرى، كالتى تستخدمها الفلسفة الميتافيزيقية أو الدين.

ثامناً: أثبتت المادية عجزها عن تفسير الواقع وإدراك حقائقه، حيث لا منهج لديه إلا تقديس المادة واعتبارها الخالقة، فاعتمدت على العلم المادي والقوانين المحدثه وأنكرت الحقائق المطلقة وغررت بالعالم الإنساني.

تاسعاً: ظهرت المادية في نظريات الإلحاد المعاصر في ميدان العلوم الإنسانية بشكل واضح، حيث بدا الفكر المادي جلياً في نظرية فرويد Freud في التحليل النفسي، وفي نظرية الغريزة لمكدوجل McDougle، وفي غيرها من النظريات والفلسفات.

عاشرًا: تأثر علم الاجتماع بالفكر المادي في كثير من نظرياته، فكان من أبرز النظريات المتأثرة بذلك: نظرية أوجست كونت صاحب المذهب الوضعي، ومخترع دين الإنسانية، ونظرية دوركايم في علم الاجتماع، علمًا بأن المتأثرين كثيرين سواء من المجتمعات الغربية أو المجتمعات العربية.

حادي عشر: يمثل الفكر الدارويني ومن بعد الشيوعي منطلقاً أساسياً للفكر المادي في العصر الحديث، وقد اقترن اسم المادية بهما، حيث إنهما يمثلان تجلياً واضحاً للمادية في مفهومها المعاصر، كما ظهرت فلسفات سياسية واقتصادية كثيرة تعظم المادة وتتطلق منها، كالعلمانية وغيرها.

ثاني عشر: لم تخلُ العلوم الكونية من التأثير بالفكر المادي، فظهر في علم الأحياء في أهم نظرياته الإلحادية، وهي نظرية التطور، ونظرية التولد الذاتي.

ثالث عشر: انحرف بعض العلماء بعلم الفيزياء إلى منحى المادية، فزعم بعضهم أن الكون أزلي، وزعم آخرون وجود أكوان متعددة، وعلى الرغم من ذلك فإن هناك بعض النظريات والأفكار أصبحت محل اهتمام واعتقاد بالنسبة إلى الفيزيائيين في العصر الحديث، كنظرية الانفجار العظيم، التي لا تتعارض مع العقيدة الإسلامية في أقل تقييم لهما.

رابع عشر: تُعد نظرية (إم) من الأفكار المعاصرة، التي نادى بها بعض علماء الفيزياء المعاصرين، في محاولة لأن تكون نظرية جامعة مانعة، تفسّر جميع الظواهر الطبيعية، وهي فكرة لا تتجاوز الخيال.

خامس عشر: الإلحاد ليس مقبولاً علمياً، فكثير من العلماء مؤمنون بالله تعالى، وقلة من يمنعهم الكبر من الإيمان، ويدعوهم إلى التضليل العلمي؛ وإخفاء الحق عن الناس.

وأختم ببعض التوصيات :

أولاً: العمل على مراجعة العلوم الإنسانية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والكونية، ودراساتها وفق الرؤية الشرعية الإسلامية، وتنقيتها من شوائب الانحراف، وذلك من خلال أبحاث علمية تخصصية، تُعنى بالمواضيع الواقعية.

ثانياً: أن يقوم الباحثون والمتخصصون في قسم العقيدة، بإسقاط هذا البحث على العلماء المعاصرين، وذلك في جميع تخصصاتهم ومجالاتهم العلمية، وإفرادهم بأبحاث ودراسات خاصة، وذلك مثل: أنتوني فلو، وبرتراند راسل، وستيفن هوكينج، وغيرهم.

ثالثاً: زيادة البحث في هذه الموضوعات المهمة والمعاصرة، بما يتوافق مع تلبية حاجات العصر، وذلك عبر الأبحاث الأكاديمية، والمراكز البحثية، حيث تتم الدراسة المتعمّقة والتفصيلية لأهم ميادين العلوم الإنسانية والكونية، وعرضها على الجانب الشرعي، مثل إجراء بحث بعنوان: المادية في مدارس علم النفس المعاصر، دراسة في فكر فرغل ومواقفه الفكرية، المادية في المذاهب الأخلاقية الفلسفية عرض ونقض، الفكر المادي في المذاهب الاقتصادية الكبرى.

وفي ختام هذه الدراسة:

فإنني أحمد الله ﷻ على ما وفقني إليه، من الجهد والعطاء، وما هداني إليه من الصواب والرشاد، وأن يتجاوز عني فيما أخطأت فيه، أو قصرتُ به، ويعلم الله ﷻ أن النية عُقدت على بيان الحق وإظهاره، والكشف عن ضلال ما خالفه.

والله أسأل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتي، وفي ميزان حسنات كل من أسهم في إنجاحه، وإخراجه إلى بيئة الحياة، وأن ينفع الله بها طلبة العلم، بأن تكون مرجعاً علمياً نافعاً لهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

تم الانتهاء من كتابة الرسالة:

الجمعة، ١٦/٠٨/٢٠٢١م

الباحث

عبد الفتاح فتحي حمودة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

المصادر والمراجع العربية:

أولاً: قائمة الكتب:

- ١- ١٠٠ عالم غيروا وجه العالم، أكرم عبد الوهاب، دار الطلائع للنشر والتوزيع - القاهرة، (د. ط) ٢٠٠٨م.
- ٢- الأبعاد السياسية لمفهوم الحاكمية رؤية معرفية، هشام أحمد جعفر، المعهد العالمي للفكر الإسلامي - هيرندن، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، (د. ط)، (د. ت).
- ٣- الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها، جمعة الخولي، مطابع الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، ط (١) ١٤٠٧هـ.
- ٤- الاتجاهات المعاصرة في الفلسفة، عبد الفتاح الديدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٨٥م، (د. ط).
- ٥- اتجاهات فكرية معاصرة - جامعة المدينة، الناشر: جامعة المدينة العالمية، (د. ط)، (د. ت).
- ٦- اتجاهات قراءة السيرة النبوية، هيام شبل، نشر: موقع الألوكة، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٧- اتجاهات نظرية في الإرشاد، عصام نجيب الفقهاء، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٨- الإجابة القرآنية كيف أجاب القرآن عن أسئلتك الوجودية؟ مهذب السعيد، عصير الكتب للنشر والتوزيع - مصر، (د. ط)، (د. ت).
- ٩- الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، عبد الرحمن بن محمد الدوسري، الناشر: مكتبة دار الأرقم - الكويت، ط (١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
- ١٠- الأحلام والجنس نظرياتها عند فرويد، جوزيف كاسترو، ترجمة: فوزي الشتوي، راجعه: أمين قنديل، الناشر: دار الكتاب المصري - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١١- اختراق عقل، دلائل الإيمان في مواجهة شبهات الملحدين والمتشككين، أحمد إبراهيم، مركز دلائل - الرياض، ط (١) ١٤٣٧هـ.
- ١٢- أخطاء الفلسفة المادية، أنور الجندي، دار الاعتصام - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٣- الأخطاء والشبهات الشائعة في الفكر الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٤- الأخلاق بين الأديان السماوية والفلسفة الغربية، دراسة وصفية تحليلية، كريمة دوز، دار الكتاب للنشر والتوزيع - الإسماعيلية، مركز براهين للأبحاث والدراسات - لندن، ط (١) ٢٠١٦م.
- ١٥- الأخلاق والطبيعة الانسانية، وسيم إبراهيم، دار دمشق - دمشق، ط (١) ١٩٩٥م.
- ١٦- الأخلاق والعرف، هنية مفتاح القماطي، منشورات جامعة قاريونس - بنغازي، ط (١) ١٩٩١م.

- ١٧- الأدلة على صحة التطور أعظم العروض على الأرض، ريتشارد دوكينز، ترجمة: لؤي عشري، نشر: مطبعة بانتم- بريطانيا، (د. ط)، ٢٠٠٩.
- ١٨- الأدلة على وجود الله تعالى، عمر سليمان الأشقر، تصميم وإخراج موقع معرفة الله، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ١٩- أديان العالم، سميث هوستن، ترجمة: سعد رستم، دار الجسور الثقافية- حلب، ط(١) ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٢٠- أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط(٤) ١٩٧٦م.
- ٢١- إرادة الاعتقاد، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، ١٩٤٦م، (د. ط).
- ٢٢- أربعون خطأ في نظرية التطور أخطاء لا يريديونك أن تعرفها، هيثم طلعت، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٣- الأساس الجسماني للشخصية، د. ف. ه. مترام، ترجمة: عبد الحافظ حلمي، طبعة الألف كتاب- القاهرة، ١٩٦٦م، (د. ط).
- ٢٤- الأساس في السنة وفقهها - العقائد الإسلامية، سعيد حوى، الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة- القاهرة، ط(٢) ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.
- ٢٥- أساسيات الجيولوجيا الفيزيائية، محمد أحمد هيكل، عبد الجليل عبد الحميد هويدي، مكتبة الدار العربية للكتاب، (د. م).
- ٢٦- أساسيات علم النفس، نجاه عيسى إنصورة، نشر: كنوز- القاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٢٧- أساسيات ميكانيكا الكم، إبراهيم محمود أحمد ناصر، عفاف السيد عبدالهادي، مكتبة العبيكان للنشر- الرياض، ط(١) ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- ٢٨- أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، علي محمد جريشة، محمد شريف الزبيق، الناشر: دار الوفاء، (د. م)، ط(٣) ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- ٢٩- أسس الاشتراكية العلمية- المادية الديالكتيكية، جماعة من الأساتذة السوفييت، نقله عن الروسية: فؤاد مرعي، بدر الدين السباعي، عدنان جاموس، دار الجماهير- دمشق، ١٩٧٣م، (د. ط).
- ٣٠- أسس البنيوية نقد ليفي شتراوس والحركة البنيوية، سايمون كلارك، ترجمة: سعيد العلمي، مراجعة: إبراهيم فتحي، دار بدائل للطبع والنشر والتوزيع- الجيزة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٣١- أسس الفلسفة الماركسية، ق. افاناسييف، ترجمة: عبد الرزاق الصافي، الفارابي- بيروت، ط(٣) ١٩٧٨م.
- ٣٢- أسس الفلسفة، توفيق الطويل، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٥٢م، (د. ط).
- ٣٣- أسس اللينية حول مسائل اللينية، جوزيف ستالين، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).

- ٣٤- أسس المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية، سبيركين وياخوت، ترجمة: محمد الجندي، دار النقدم- موسكو، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٥- الأسس المنهجية لبناء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، مطبعة دار القرآن، دار الفكر العربي، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٦- أسس علم الاجتماع، جميل حمداوي، نشر: شبكة الألوكة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٣٧- أسس علم النفس، مكوجل، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٨- الإسلام بين الشرق والغرب، علي عزت بيغوفتش، ترجمة: محمد يوسف عدس، الطباعة والتوزيع: دار النشر للجامعات- مصر، الناشر: مؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات- ألمانيا، ط(٢) ١٩٩٧م.
- ٣٩- الإسلام على مفترق الطرق، محمد أسد، ترجمة: عمر فروخ، دار العلم للملايين- بيروت، ط(٩) ١٩٧٧م.
- ٤٠- الإسلام في مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة، عبد العظيم المطعني، مكتبة وهبة- القاهرة، ط(١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٤١- الإسلام في مواجهة الماديين والملحدين، عبد الكريم الخطيب، دار الشروق، (د. م)، ط(١) ١٩٧٣م.
- ٤٢- الإسلام في وجه الزحف الأحمر، محمد الغزالي، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠٠٥م، (د. ط).
- ٤٣- الإسلام والاتجاهات العلمية المعاصرة، يحيى هاشم فرغل، دار المعارف- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٤- الإسلام والعلم التجريبي، يوسف السويدي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع- الكويت، ط(٢) ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٤٥- الإسلام والعلم، مقارنة بين مفهوم العلم الحديث ومفهوم العلم في الإسلام، أحمد عبد الحميد غراب، دار الطباعة والنشر الإسلامية، المركز الإسلامي للدراسات والبحوث، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٦- الإسلام والعلمانية وجهها لوجه، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة- القاهرة، ط(٧) ١٩٩٧م.
- ٤٧- الإسلام والعلمنة، عاطف أحمد، دار مصر المحروسة- القاهرة، ط(١) ٢٠٠٤م.
- ٤٨- الإسلام والمذاهب الفلسفية نحو منهج لدراسة الفلسفة، مصطفى حلمي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط(١) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ٤٩- الإسلام ومواجهة المذاهب الهدامة، محمد البهي، مكتبة وهبة- القاهرة، ط(١) ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٥٠- الإسلام ونظرية داروين، محمد أحمد باشميل، (د. ن)، السعودية، ط(٢) ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.
- ٥١- الإسلام يتحدى مدخل علمي إلى الإيمان، وحيد الدين خان، تعريب: ظفر الإسلام خان، عبد الصبور شاهين، مكتبة الرسالة- المنوفية(د. ط)، (د. ت).
- ٥٢- الإسلام يتصدى للغرب الملحد، محمد نبيل النشواتي، دار القلم- دمشق، ط(١) ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.

- ٥٣- *الأشباه والنظائر*، تاج السبكي، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط(١) ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- ٥٤- *الاشتراكية الخيالية والاشتراكية العلمية*، انجلز، المطبوعات الاجتماعية- باريس ١٩٤٨م، (د. ط).
- ٥٥- *الاشتراكية العلمية*، نشوؤها ومبادئها، مينايف، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، ١٩٧٩م، (د. ط).
- ٥٦- *الاشتراكية*، دراسة علمية نقدية يدعمها اليقين الروحي، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط(٣) ١٩٦٨م.
- ٥٧- *الاشتراكية*، رفعت المحجوب، دار النهضة العربية، (د. م)، ١٩٦٨م، (د. ط).
- ٥٨- *إشكالية الزمان في فلسفة الكندي رؤية معاصرة*، محمد علي الجندي، مكتبة الزهراء- القاهرة، ط(١) ١٤١٢هـ- ١٩٩١م.
- ٥٩- *أشهر ١٠ خرافات حول التطور*، كاميرون سميث وتشارلز سوليفان، ترجمة سامر حميد، سطور للنشر والتوزيع- بغداد ٢٠١٨، ط(١)، (د. ت).
- ٦٠- *أصالة التفكير الفلسفي في الإسلام*، عبد المقصود عبد الغني، (د. ن)، القاهرة، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، (د. ط).
- ٦١- *أصل الإنسان بين العلم والكتب السماوية*، مورييس بُوْكاوي، ترجمة: فوزي شعبان، المكتبة العلمية- المدينة المنورة، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٢- *أصل الأنواع*، تشارلز دارون، ترجمة: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي سي آي سي- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٣- *أصل الأنواع*، تشارلز دارون، ترجمة: مجدي المليجي، تقديم: سمير صادق، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠٠٤م.
- ٦٤- *أصل العائلة والملكية الخاصة والدولة*، فريدريك إنجلز، ترجمة: أحمد عز العرب، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٥- *أصل نظام الأسرة والدولة والملكية الفردية*، فريدريك إنجلز، ترجمة: أديب يوسف، دار الفارابي والكتاب العربي- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٦- *أصول الفلسفة الماركسية*، جورج بوليتزر، وحي ببس، مورييس كافين، تعريب: شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية- بيروت وصيدا، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٧- *أصول الفلسفة الماركسية*، ف. ج أفانا سبيف، ترجمة: حمدي عبد الجواد، دار الثقافة الحديثة- القاهرة، ط(١) ١٩٧٥م.
- ٦٨- *الأصول الوثنية للمسيحية*، أندريه نايتون-إدغار ويند-كارل غوستاف يونغ، منشورات المعهد الدولي للدراسات الإنسانية، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٩- *أصول علم النفس*، أحمد عزت راجح، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة، ط(٧) ١٩٦٨م.

- ٧٠- *أضواء على الفكر الماركسي الكلاسيكي*، توفيق سلوم، دار الفارابي- بيروت، ط(١) ١٩٧٦م.
- ٧١- *أضواء على أوضاعنا السياسية*، عبد القادر عودة، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، عام النشر: ١٤٠١هـ-١٩٨١م، (د. ط).
- ٧٢- *أضواء على نظرية النشوء والارتقاء*، طلعت غنام، دار التاريخ- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٧٣- *أطلس الفيزياء*، ترجمة وإعداد: عماد الدين أفندي، سائر بصره جي، دار الشرق العربي- بيروت، ط(٢) ٢٠١٣م.
- ٧٤- *إعادة المحاكمة القصة الخفية لقضية دوفر*، جون بول، مايكل بيهي، ترجمة: سارة بن عمر، مركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١) ٢٠١٧م.
- ٧٥- *أعظم استعراض فوق الأرض أدلة التطور*، تشارلز دوكنز، ترجمة وتقديم: مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ٢٠١٥م، (د. ط).
- ٧٦- *أعلام وأقلام في ميزان الإسلام*، أبو التراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، الناشر: دار ماجد عسيري للنشر والتوزيع- جدة، ط(١) ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ٧٧- *الأعلام*، خير الدين محمود الزركلي، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، ط(١٥) ٢٠٠٢م.
- ٧٨- *آفاق الفلسفة*، فؤاد زكريا، مؤسسة هنداوي سي أي سي- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٧٩- *إفلاس الفكر الماركسي دراسة نقدية*، محمد عبد الفضيل القوصي، دار الطباعة المحمدية- القاهرة، ط(١) ١٤٠٣هـ-١٩٨٢م.
- ٨٠- *أفي الله شك؟ بحث في علاقة العلم بالإيمان*، حمد المرزوقي، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام- بيروت، ط(١) ٢٠٠٤م.
- ٨١- *اقتصادنا*، محمد باقر الصدر، (د. ن)، (د. م)، ط(١) ١٣٩٨هـ-١٩٧٧م.
- ٨٢- *أقدم لك ستيفن هوكينج*، ج. ب. مالك ايفوي، أوسكار زاريت، ترجمة: ممدوح عبد المنعم محمد، مراجعة وإشراف وتقديم: إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٨٣- *أقوى براهين د. جون لينكس في تنفيذ مغالطات منكري الدين*، جمعه وعلق عليه: أحمد حسن (أبو حب الله)، مركز دلائل- الرياض، ط(١) ١٤٣٧هـ.
- ٨٤- *آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين*، أبو الفداء ابن مسعود، دار الإمام مسلم للنشر- المدينة المنورة، (د. ط)، (د. ت).
- ٨٥- *الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها*، عبد الرحمن عبد الخالق، طبع ونشر: الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد- الرياض، ط(٢) ١٤٠٤هـ.
- ٨٦- *الإلحاد الديني في مجتمعات المسلمين*، نشأته وتطوره ومذاهبه المعاصرة، صابر طعيمة، دار الجيل- القاهرة وبيروت، ط(١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٨٧- *الإلحاد الوهم المستحيل*، نور الدين قوطيط، مؤسسة السيل، (د. م)، ط(١) ١٤٤٢هـ-٢٠٢٠م.

- ٨٨- *الإلحاد بين قصورين*، حقيقة الإلحاد بين القصور الأخلاقي والقصور المعرفي، ترجمة مناظرة ويليام لان كريغ وسام هاريس، ومقابلة مع ألفن بلانتيجا يليها ثلاثة ملاحق لنقد البناء الإلحادي، ترجمة وتعليق: مؤمن الحسن، عبد الله الشهري، مركز دلائل- الرياض، ط(٢) ١٤٣٧هـ.
- ٨٩- *الإلحاد مشكلة نفسية*، عمرو شريف، راجعه وقدم له: أحمد عكاشة، نيو بوك للنشر والتوزيع- القاهرة، ط(١) ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- ٩٠- *الإلحاد وثوقية التوهم وخواء العدم*، حسام الدين حامد، مركز تفكر للبحوث والدراسات، دار العصرية للنشر والتوزيع، (د. م)، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٩١- *الإلحاد وسائله وخطره وسبل مواجهته*، صالح عبد العزيز سندي، دار اللؤلؤة- بيروت، ط(١) ١٤٢٤هـ-٢٠١٣م.
- ٩٢- *الإلحاد يسمم كل شيء*، هيثم طلعت، تقديم: عبد الباسط قارى، نيوبوك للنشر والتوزيع- القاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٩٣- *ألف باء المادية الجبلية*، فاسيلي بودوستيك، أوفشي ياخوت، دار الطليعة- بيروت، ط(١) ١٩٧٩م.
- ٩٤- *إله الإلحاد المعاصر*، كوستي بندلي، منشورات النور- لبنان، (د. ط)، (د. ت).
- ٩٥- *اميل دوركايم، قباري محمد إسماعيل*، منشأة المعارف بالإسكندرية، ١٩٧٦م، (د. ط).
- ٩٦- *الأنا والهو*، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، (د. م)، ط(٤) ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- ٩٧- *انتصارات العلم الحديث*، ميلفين برجر، ترجمة: ثابت قصبجي، عبد العزيز محمود، مطابع البلاغ- الكويت، (د. ط)، (د. ت).
- ٩٨- *الإنسان بين العلم*، والدين شوقي أبوخليل، (د. ن)، (د. م)، ط(٢) ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
- ٩٩- *الإنسان بين القرآن الكريم والمذاهب المادية والروحية*، حسن محمد مزبو، أعمال ندوة موقع الإسلام في القيم الكونية وحوار الحضارات، نشر: جامعة الزيتونة- مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، (د. ط)، (د. ت).
- ١٠٠- *الإنسان بين المادية والإسلام*، محمد قطب، دار الشروق، (د. م)، ط(٩) ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
- ١٠١- *الإنسان في العالم الحديث*، جوليان هاكسلي، ترجمة: حسن خطاب، ومراجعة: عبد الحليم منتصر، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة. (د. ط)، (د. ت).
- ١٠٢- *الإنسان والعلاقات البشرية*، ستيوارت تشيس، تحقيق: أحمد حمودة، (د. ن)، مصر ١٩٥٥م، (د. ط).
- ١٠٣- *الإنسان والنسبية والكون*، عبد المحسن صالح، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر- القاهرة، ١٩٧٠م، (د. ط).

- ١٠٤- الإنسانية الوجودية في الفكر العربي، عبد الرحمن بدوي، دار النهضة المصرية- القاهرة، ١٩٤٧م، (د. ط).
- ١٠٥- الانفجار العظيم للنظام نظرية كل الأشياء، محمد ياسين الأخرس، دار الشفيق للنشر والتوزيع- دمشق، ط(١) ٢٠١١م.
- ١٠٦- إنك على الحق المبين، رؤى تأصيلية في تفكيك ظاهرة الإلحاد، محسن حسين العواجي، العبيكان للنشر- الرياض، ط(١) ١٤٣٧هـ- ٢٠١٦م.
- ١٠٧- أوجست كونت مؤسس علم الاجتماع الحديث، فاروق عبد المعطي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط(١) ١٤١٤هـ- ١٩٩٣م.
- ١٠٨- أوجست كونت، مصطفى الخشاب، مطبعة البيان العربي، مؤلفات الجمعية المصرية لعلم الاجتماع- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٠٩- أوهام الإلحاد العلمي، محمد باسل الطائي، مركز دلائل- الرياض، ط(٢) ١٤٣٩هـ.
- ١١٠- أوهام الملحد من بيت العنكبوت، شحادة صقر، دار الخلفاء الراشدين، دار الفتح الإسلامي- الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت).
- ١١١- آيات الله في نشأة الحياة على الأرض وظهور الإنسان وفي البحار والمحيطات والأنهار، ماهر أحمد الصوفي، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م، (د. ط).
- ١١٢- الأيديولوجية الألمانية، كارل ماركس، فريدريك إنجلز، ترجمة: فؤاد أيوب، دار الفارابي- بيروت، ط(١) ٢٠١٦م.
- ١١٣- الإيمان بالخالق والعلم اقتباسات موثقة لمشاهير العلماء في العصر الحديث، جوردون ليدنر، ترجمة ونشر: مركز دلائل- الرياض، (د. ط)، ٢٠١٢م.
- ١١٤- الإيمان بالله والجدل الشيوعي، فتح الرحمن أحمد محمد الجعلي، الدار السعودية للطبع والنشر- جدة، ط(١) ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.
- ١١٥- الإيمان والتقدم العلمي، خالص مجيب جليبي، هاني رزق، دار الفكر- دمشق، ط(١) ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- ١١٦- البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، شارلين هس، باتريشيا ليفي، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١١٧- بحوث في الفكر القومي العربي، حليم اليازجي، معهد الإنماء العربي- بيروت، ط(١) ١٩٨٥م.
- ١١٨- بدايات ١٤ مليار عام من تطور الكون، نيل ديجراس تايسون ودونالد جولدميث، ترجمة: محمد فتحي خضر، كلمات للترجمة والنشر- القاهرة، مؤسسة هنداوي- القاهرة، ط(١) ٢٠١٤م.
- ١١٩- البدايات قصة نشوء الإنسان- الحياة- الأرض- الكون، إسحاق عظيموف، ترجمة: ظريف عبد الله، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ٢٠٠١م، (د. ط).

- ١٢٠- بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، جون فايفر، ترجمة: محمد الشحات، مؤسسة سجل العرب- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٢١- البراهين العقلية على وجود الله والرد على الماديين والطبيعيين والمنكرين، عبد المنعم الحفني، الدار الشرقية للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط(١) ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ١٢٢- براهين وجود الله في النفس والعقل والعلم، سامي عامري، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط(١) ١٤٤٠هـ-٢٠١٨م.
- ١٢٣- بناء الكون ومصير الإنسان نقض لنظرية الانفجار الكبير، هشام طالب، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط(١) ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ١٢٤- بناء المجتمع الإسلامي، نبيل السمالوطي، الناشر: دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، (د. م)، ط(٣) ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
- ١٢٥- بواتق وأنابيق - قصة الكيمياء، برنارد جافي، ترجمة: أحمد زكي، نشر: مؤسسة فرانكلين- القاهرة، ومطبعة النهضة المصرية- القاهرة، ط١٩٤٨م، (د. ط).
- ١٢٦- البيان الشيعي، ماركس- انجلز، روافد للنشر والتوزيع، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ١٢٧- بين الإلحاد والتوحيد، عبد العزيز حسين، دار الاعتصام- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٢٨- بين الدين والعلم تاريخ الصراع بينهما في القرون الوسطى، أندروديكسون وايت، ترجمة: إسماعيل مظهر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٢٩- تاريخ أكثر إيجازاً للزمن، ستيفن هوكنج وليونرد ملوندينوف، ترجمة: أحمد السماحي، وفتح الله الشيخ، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ١٣٠- تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى الزمن الحاضر، سينثيا ستوكس براون، ترجمة وتقديم: أيمن توفيق، المركز القومي للترجمة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٠م.
- ١٣١- تاريخ التفكير الاجتماعي، عبد الهادي محمد والي، (د. ن)، (د. م)، ٢٠٠٥-٢٠٠٦م، (د. ط).
- ١٣٢- تاريخ العلوم اختراعات واكتشافات وعلماء، كلود بريزنسكي، ترجمة: سارة رجائي يوسف، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ١٣٣- تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، رونالد سترومبرج، ترجمة: أحمد الشيباني، دار الفارئ العربي- القاهرة، ط(٣) ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- ١٣٤- تاريخ الفكر العربي، إسماعيل مظهر، نشر المطبعة العصرية- القاهرة عام ١٩٢٦م، (د. ط).
- ١٣٥- تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، محمد علي أبو ريان، دار الجامعة المصرية بالإسكندرية، (د. ط)، (د. ت).
- ١٣٦- تاريخ الفلسفة الحديثة، يوسف كرم، دار المعارف- القاهرة، ط(٥) ١٩٦٩م.
- ١٣٧- تاريخ الفلسفة العصر الوسيط والنهضة، إميل برهية، ترجمة: جورج طرابيش، دار الطليعة- بيروت، ط(١) ١٩٨٣م.

- ١٣٨- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٣٩- تاريخ الفلسفة من أقدم عصورها إلى الآن، حنا أسعد فهمي، طبع بالمطبعة اليوسفية بجوار مؤسسة باب الخلق بمصر، (د. ط)، (د. ت).
- ١٤٠- تاريخ الفلسفة، فردريك كاپلستون، ترجمة: سيد جلال الدين مجتبوي، سروش- طهران، ط(٤)١٣٨٠هـ.
- ١٤١- تاريخ المادية للانجه، فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ١٤٢- تاريخ النظريات الأخلاقية وتطبيقاتها العملية، أبو بكر ذكرى، دار الفكر العربي، (د. م)، ط(١)١٩٦٥م.
- ١٤٣- تاريخ علم الاجتماع، جاستون بوتول، ترجمة وتعليق: غنيم عبدون، مراجعة: جلال صادق، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ١٤٤- تاريخ علم النفس ومدارسه، محمد شحاته ربيع، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، ٢٠٠٤م، (د. ط).
- ١٤٥- تاريخ موجز للزمان من الانفجار العظيم حتى الثقب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط(١)٢٠١٦م.
- ١٤٦- التأصيل الإسلامي للدراسات النفسية، محمد توفيق، دار السلام- القاهرة، ط(١)١٩٩٨م.
- ١٤٧- تأملات في الفيزياء الحديثة، علي الشوك، (د. ن)، (د. م)، ط(١)٢٠١٢م.
- ١٤٨- تأملات في تاريخ الرومان، أسباب النهوض والانحطاط، مونتسكيو، نقله إلى العربية: عبد الله العروي، الدار البيضاء- المغرب، ط(١)٢٠١١م.
- ١٤٩- تجديد المنهج في العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، دار الآفاق العربية- القاهرة، ط(١)١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
- ١٥٠- تحقيق ما للإلحاد من مقولة، محمد المزوغي، دار الجمل، (د. م)، ٢٠١٤م، (د. ط).
- ١٥١- تدهور الحضارة الغربية، أسوالد اشبنغلر، ترجمة: أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ١٥٢- تشكيل العقل الحديث، كرين برينتون، ترجمة: شوقي جلال، مراجعة: صدقي خطاب، عالم المعرفة (٨٢)- الكويت، (د. ط)، ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م.
- ١٥٣- التصميم النكي لفلسفة وتاريخ النظرية، ستيفن ماير، ترجمة: محمد طه، وعبد الله أبو لوز، مراجعة: ربا عبيد، مركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١)٢٠١٦م.
- ١٥٤- التصميم النكي ومراجعة الأقران، تحرير: كيسي لسكين، ترجمة: أسماء الخطيب، مؤمن الحسن، محمد القاضي وآخرون، مقدمة مركز براهين، مركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١)٢٠١٦م.
- ١٥٥- التصميم العظيم، ستيفن هوكنغ، ترجمة أيمن أحمد عياد، دار التنوير للطباعة والنشر- بيروت، ط(١)٢٠١٣.

- ١٥٦- التطرف العلماني في مواجهة الإسلام، يوسف القرضاوي، دار الشروق، (د. م)، ط(٢) ٢٠٠٦م.
- ١٥٧- تطور الأديان نظرية جديدة في منطق التحولات، محمد عثمان الخشت، دار نيويوك للنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠١٧م، (د. ط).
- ١٥٨- تطور الإنسان مقدمة قصيرة جدًا، برناردوود، ترجمة: زينب عاطف، مراجعة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٦م.
- ١٥٩- التطور مقدمة قصيرة جدًا، برايان تشارلزورث، ديبورا تشارلزورث، ترجمة: محمد فتحي خضر، مراجعة: هبة عبد العزيز غانم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٦م.
- ١٦٠- التطور نظرية تاريخية وعلمية، وقفات من ذاكرة نشأة التطور وإلى اليوم، محمد صالح الهبيل، مركز دلائل- الرياض، طبعت في الدار العربية للطباعة والنشر- الرياض، ط(١) ١٤٣٧هـ.
- ١٦١- التطور نظرية علمية أم أيديولوجيا؟ عرفان يلماز، ترجمة: رشا حسن، محسن هويدي، دار الليل للطباعة والنشر- القاهرة، ودار النبيل، ط(١) ١٤٣٤هـ- ٢٠١٣م.
- ١٦٢- التطور والثبات في حياة البشرية، محمد قطب، دار الشروق- بيروت، ط(٤) ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- ١٦٣- التعاليم اللبينية وطرق التطور أمام الدولة المستقلة حديثًا، فلاديمير فيودروف، مترجم من الروسية، مطبوعات وكالة أنباء نوفوسيتي- موسكو، (د. ط)، (د. ت).
- ١٦٤- التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، تحقيق: جماعة من العلماء، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، ط(١) ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ١٦٥- التغيير الاجتماعي، محمد فؤاد حجازي، مكتبة وهبية- القاهرة، ط(٢) ١٩٧٨م.
- ١٦٦- التفسير الإسلامي للتاريخ، عماد الدين خليل، دار العلم للملايين - بيروت، ط(١) ١٩٧٥م.
- ١٦٧- التفكير الاجتماعي: دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية، أحمد الخشاب، دار النهضة العربية- بيروت، (د. ط)، ١٩٨١م.
- ١٦٨- التفكير الجديد في الفيزياء الحديثة، أرتور مارش، تعريب: علي بالحاج، بيت الحكمة- تونس، ١٩٨٦م، (د. ط).
- ١٦٩- تفكير شبهاث الملحددين في إثبات نبوة رسول الله ﷺ، محمد فوزي الغامدي، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر- الرياض، ط(١) ١٤٣٩هـ.
- ١٧٠- تكوين العقل الحديث، جون هربرت راندال، ترجمة: جورج طعيمة، دار الثقافة- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ١٧١- تمهيد للفلسفة، محمود حمدي زقزوق، دار المعارف- القاهرة، ط(٥) ١٩٩٤م.
- ١٧٢- تهافت العلمانية في الصحافة العربية، سالم البهنساوي، الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع- المنصورة، ط(١) ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م.
- ١٧٣- تهافت العلمانية، عماد الدين خليل، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق- بيروت، ط(١) ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.

- ١٧٤- تهافت الفكر الماركسي، صلاح عبد العليم إبراهيم، دار الطباعة المحمدية- القاهرة، ط(١)١٤٠٢هـ-١٩٨١م.
- ١٧٥- تهافت الفلاسفة، للغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف- القاهرة، ط(٦)، (د. ت).
- ١٧٦- التوجيه والإرشاد النفسي، حامد زهران، دار عالم الكتب، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ١٧٧- توحيد الخالق، عبد المجيد الزنداني، دار المجتمع- جدة، ١٩٨٧م، (د. ط).
- ١٧٨- التيار العلماني الحديث وموقفه من تفسير القرآن الكريم، منى محمد الشافعي، دار اليسر- القاهرة، ط(١)١٤٢٩هـ.
- ١٧٩- الثقوب السوداء، ستيفن هوكينج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، منشورات المجمع الثقافي- أبو ظبي، ط(١)١٩٩٥م.
- ١٨٠- ثلاث رسائل في الإلحاد والعلم والإيمان، عبد الله بن سعيد الشهري، مركز نماء للبحوث والدراسات- بيروت، ط(١)٢٠١٤م.
- ١٨١- الثورة العلمية، مقدمة قصيرة جدًا، لورنس إم برينسيبييه، ترجمة: محمد عبد الرحمن إسماعيل، مراجعة: شيماء عبد الحكيم طه، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١)٢٠١٤م.
- ١٨٢- الثورة الفرنسية وامتدادها، بالمر، ترجمة: هنرييت عبودي، دار الطليعة- بيروت، ط(١)١٩٨٠م.
- ١٨٣- الجانب المظلم للكون عالم يستكشف أَلغاز الكون، جيمس تريفل، ترجمة: رؤوف وصفي، المركز القومي للترجمة- القاهرة، ط(١)٢٠١٦م.
- ١٨٤- جاهلية القرن العشرين، محمد قطب، دار الشروق- بيروت، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م، (د. ط).
- ١٨٥- الجائزة الكونية الكبرى لغز ملاءمة الكون للحياة، بول ديفيز، ترجمة: محمد فتحي خضر، مراجعة: حسام بيومي محمود، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١)٢٠١٢م.
- ١٨٦- جدلية العقل والدين بين الفكر الغربي والدين الإسلامي، عبد الله بن نافع الدعجاني، دار جداول للنشر- دمشق، ط(١)٢٠١٣م.
- ١٨٧- الجديد في الانتخاب الطبيعي (بيولوجيا)، ريتشارد دوكنز، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، مكتبة الأسرة- القاهرة، ٢٠٠٢م، (د. ط).
- ١٨٨- جنور الفكر القومي والعلماني، عدنان محمد زرزور، المكتب الإسلامي- بيروت، ط(٣)١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ١٨٩- الجفوة المفتعلة بين العلم والدين، محمد علي يوسف، مكتبة دار الحياة، (د. م)، ١٩٦٦م، (د. ط).
- ١٩٠- الجنس البشري في معرض الأحياء، أحمد البطراوي، الألف كتاب- القاهرة، ١٩٥٩م، (د. ط).
- ١٩١- جنون الفلاسفة، نايجل رودجرز، ميل ثومبثون، دار الحوار- اللاذقية، ط(١)٢٠١٥م.
- ١٩٢- جهود المفكرين المسلمين المحدثين في مقاومة التيار الإلحادي، محمود عبد الحكيم عثمان، مكتبة المعارف- الرياض، (د. ط)، (د. ت).

- ١٩٣- الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري المصري، ضبطه وصححه واعتنى به: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ١٩٤- حافة العلم عبور الحد من الفيزياء (الفيزيكا) إلى الميتافيزيكا، ريتشارد موريس، ترجمة: مصطفى فهمي، منشورات المجمع الثقافي- أبو ظبي، ط(١) ١٩٩٤م.
- ١٩٥- الحب والحرب والحضارة والموت، سيجموند فرويد، ترجمة: عبد المنعم الحفني، دار الرشاد- القاهرة، ط(١) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ١٩٦- حدد مسارك، أيمن بهاء الدين السراج، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر الرياض، ط(٢) ١٤٣١هـ.
- ١٩٧- الحرب على الإنسان، ويزلي سميث، ترجمة: جنات جمال، مراجعة وتعليق: عائشة محمد، دار الكتاب للنشر والتوزيع- الإسماعيلية، ومركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١) ٢٠١٨م.
- ١٩٨- حركات ومذاهب في ميزان الإسلام، فتحي يكن، مؤسسة الرسالة- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ١٩٩- الحرية وتعدد الأحزاب في فكر الاشتراكية الديمقراطية، وحيد محمد وآخر، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٧٨م، (د. ط).
- ٢٠٠- الحق والخلق والفرق في القرآن الكريم، طلال غزال، مكتبة المحتسب- عمان، دار الكتب العلمية- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٠١- حقيقة الخلق ونظرية التطور، محمد كولن، ترجمة: أورشان محمد علي، النيل- أزميز - تركيا، ط(١) ٢٠٠٤م.
- ٢٠٢- حكمة الصين، فؤاد محمد شبل، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٧م، (د. ط).
- ٢٠٣- حكمة الغرب عرض تاريخي للفلسفة الغربية في إطارها الاجتماعي التاريخي، برتراند رسل، ترجمة: فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة- الكويت، رقم السلسلة (٦٢)، ١٩٨٣م، (د. ط).
- ٢٠٤- الحوار الإسلامي العلماني، طارق البشري، دار الشروق- القاهرة، ط(١) ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.
- ٢٠٥- حوار المشرق والمغرب مواقف، محمد عابد الجابري، أديما- الدار البيضاء، ط(١) ٢٠٠٦م.
- ٢٠٦- حوار في المعمار الكوني وقضايا إسلامية معاصرة، عماد الدين خليل، دار الثقافة- الدوحة، ط(١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م،
- ٢٠٧- حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون، عبد الحليم خفاجي، دار القلم- الكويت، ط(٤) ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.
- ٢٠٨- حوارات الدكتور عبد الوهاب المسيري، تحرير: سوزان حرفي، دار الفكر- دمشق، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط(١) ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- ٢٠٩- حول الاشتراكية الطوباوية والاشتراكية العلمية، لينين، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم- موسكو، ١٩٨٥م، (د. ط).

- ٢١٠- حول الدين، كارل ماركس، وفريدريك انجلز، نقله إلى العربية: زهير حكيم، دار الطليعة- بيروت، ١٩٧٤م، (د. ط).
- ٢١١- الحياة الوجدانية والعقيدة الدينية، محمود حب الله، نشر: عيسى الحلبي- مصر، عام ١٩٤٨م، (د. ط).
- ٢١٢- حياتي والتحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: مصطفى زيور وعبد المنعم المليجي، دار المعارف- القاهرة، ط (٣)، (د. ت).
- ٢١٣- خرافة الإلحاد، عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، ط (١) ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- ٢١٤- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، سيد قطب، دار إحياء الكتب العربية- العربية، ١٩٦٥م، ط (٢)، (د. ت).
- ٢١٥- الخطر اليهودي بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة: محمد خليفة التونسي (نسبة إلى قرية تونس في صعيد مصر)، قدم له: عباس محمود العقاد، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٢١٦- خلق آدم ونظرية التطور (سلالة من طين)، محمد علي البار، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٢١٧- خلق الكون بين العلم والإيمان، محمد باسل الطائي، دار النفائس- بيروت، ١٩٩٨م، (د. ط).
- ٢١٨- د. رشدي فكار المفكر الإسلامي العالمي في حوار متواصل حول مشاكل العصر، خميس البكري، مكتبة وهبة- القاهرة، ١٤٠٧-١٩٨٦م، (د. ط).
- ٢١٩- داروين، مايكل ريوس، تقديم وترجمة: فتح الله الشيخ، راجعه وشارك في الترجمة: أحمد عبد الله السماحي، ضمن سلسلة عقول عظيمة، المركز القومي للترجمة- القاهرة، طبع بدار آفاق للنشر والتوزيع- القاهرة، ط (١) ٢٠١٠م.
- ٢٢٠- الدافعية والانفعال، موراي ادوارد، ترجمة: أحمد عبد العزيز سلامة، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، (د. م)، ط (١) ١٩٨٨م.
- ٢٢١- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف- الرياض، ط (١) ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- ٢٢٢- دراسات في الفكر السيكلوجي، صلاح عبد الحميد، الناشر: المنهل- عمان، ٢٠١٩م، (د. ت).
- ٢٢٣- دراسات معرفية في الحداثة الغربية، عبد الوهاب المسيري، مكتبة الشروق الدولية- مصر، ط (١)، (د. ت).
- ٢٢٤- دراسات هيجلية، إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة- القاهرة، ١٩٨٤م، (د. ط).
- ٢٢٥- الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، نجيب اسكندر إبراهيم، لويس كامل مليكة، رشدي فام منصور، دار النهضة العربية، (د. م)، ط (٣)، (د. ت).
- ٢٢٦- دعاوى إلحادية في الفكر العربي المعاصر، دراسة تحليلية نقدية لشخصيات عربية ذات فكر إلحادي تقمص ثوب الفلسفة إسماعيل أدهم، عبد الله القصيمي، محمد المزوغي، صادق جلال العظم،

- إعداد: أسامة العتابي، مركز عين للدراسات والبحوث المعاصرة- النجف- العراق، ط(١) ١٤٣٩هـ- ٢٠١٧م.
- ٢٢٧- *الدقائق الثلاث الأخيرة*، بول ديفيز، ترجمة: أحمد رمو، دار علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة- دمشق، ط(١) ٢٠٠١م.
- ٢٢٨- *دقيق الكلام الرؤية الإسلامية لفلسفة الطبيعة*، محمد باسل الطائي، عالم الكتب الحديث- الأردن، ٢٠١٠م، (د. ط).
- ٢٢٩- *دلائل التوحيد*، محمد جمال الدين القاسمي، صححه وضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط(١) ١٤٠٥هـ- ١٩٨٤م.
- ٢٣٠- *الدوافع نحو المادية*، مرتضى مطهري، ترجمة: محمد علي التسخيري، دار التعارف للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، (د. ط) ١٩٩١م.
- ٢٣١- *دوركايم والانتحار*، كريستيان بودلو، وروحيه استابليه، تعريب: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط(١) ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.
- ٢٣٢- *الدولة الإسلامية وحدة العلاقات الخارجية في الإسلام*، نادية محمود مصطفى، المعهد العالمي لفكر الإسلامي- القاهرة، ط(١) ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- ٢٣٣- *ديالكتيك الطبيعة*، انجلز، مطبعة التقدم- موسكو، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٣٤- *الدين في مواجهة العلم*، وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الإسلام خان، مراجعة: عبد الحليم عويس، دار النفائس- بيروت، ط(٤) ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م.
- ٢٣٥- *الدين والتحليل النفسي*، اريك فروم، مكتبة غريب- الإسكندرية- ٢٠٠٣م، (د. ط).
- ٢٣٦- *الدين والمجتمع ونظرية المعرفة، قراءات معاصرة في أعمال إيميل دوركهايم*، المشاركون: مجموعة من الباحثين، مؤمنون بلا حدود- الرباط، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٣٧- *الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان*، محمد عبد الله دراز، دار القلم للنشر والتوزيع، (د. م)، ٢٠٠٨م، (د. ط).
- ٢٣٨- *الذات والغرائز*، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، (د. ن)، القاهرة، ١٩٦١م، (د. ط).
- ٢٣٩- *الذاتية الإسلامية وموقفها من الإلحاد الشيوعي*، رؤوف شلبي، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٤٠- *الذرة ومنافعها السلمية*، مارتين مان، ترجمة: عبد الحميد أمين، عالم الكتب للنشر، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٤١- *رأس المال*، كارل ماركس، ترجمة: فالح عبد الجبار، دار الفارابي- بيروت، ط(١) ٢٠١٣م.
- ٢٤٢- *رحلة عقل هكذا يقود العلم أشرس الملاحظة إلى الإيمان*، عمرو شريف، تقديم: أحمد عكاشة، مكتبة الشروق الدولية- مصر الجديدة، ط(٤) ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- ٢٤٣- *رحلتي الفكرية في البذور والجذور والثمر*، سيرة غير ذاتية وغير موضوعية، عبد الوهاب المسيري، الهيئة العامة لقصور الثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠٠٠م.

- ٢٤٤- رحلتي من الشك إلى الإيمان، مصطفى محمود، دار المعارف- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٤٥- الرد على الدهريين، جمال الكرنك، دار الكرنك- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٤٦- الرد على النصارى، صالح بن حسين الجعفري، حققه وقدم له: محمد محمد حسانين، نشر: مكتبة المدارس- الدوحة، دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي- القاهرة، ط (١) ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.
- ٢٤٧- ردود علماء المسلمين على شبهات الملحدين والمستشرقين، محمد ياسين، قدم له: عبد المهدي عبد القادر، محمد عمارة، محمود إبراهيم، مكتبة الإيمان- مصر، ط (١) ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٢٤٨- رسالة في التسامح، جون لوك، ترجمة: منى أبو سنه، تقديم ومراجعة: مراد وهبه، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط (١) ١٩٩٧م.
- ٢٤٩- رسائل حول المادية التاريخية ١٨٩٠-١٨٩٤م، فريدريك أنجلز، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم- موسكو، (د. ط) ١٩٨٠م.
- ٢٥٠- ركائز الإيمان بين العقل والقلب، محمد الغزالي، دار الشروق- القاهرة، ط (٢) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٢٥١- ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق- القاهرة، ط (١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٢٥٢- ركائز في فلسفة السياسية، يمنى طريف الخولي، مؤسسة هنداوي سي آي سي- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٥٣- روح الدين الإسلامي عرض وتحليل لأصول الإسلام وآدابه وأحكامه تحت ضوء العلم والفلسفة، عفيف عبد الفتاح طبارة، دار العلم للملايين- بيروت، ط (٢٨) ١٩٩٣م.
- ٢٥٤- رؤية نستونيسكي للعالم، ترجمة: فؤاد كامل، دار الشؤون الثقافية العامة- بغداد، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٥٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، تحقيق: حمدي آل نوفل، مكتبة الصفا، ومكتبة المورد- القاهرة، ط (١) ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٢٥٦- زخرف القول، عبد الله بن صالح العجيري، فهد بن صالح العجلان، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط (٤) ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م.
- ٢٥٧- سابعات كيف نتعامل مع الشبهات الفكرية المعاصرة، أحمد يوسف السيد، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط (٣) ١٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
- ٢٥٨- سارتر في سبيل موسوعة جديدة، مصطفى غالب، دار الهلال- بيروت، ١٩٨٠م، (د. ط).
- ٢٥٩- سباق نحو الله، أحمد بن صالح الغيث، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٦٠- سر تطور الأمم، جوستاف لوبون، ترجمة: أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة المعارف- القاهرة، ١٣٣١هـ-١٩١٣م، (د. ط).
- ٢٦١- سرد أحداث رحلة النبيل خمسة أعوام حول العالم، تشارلز دارون، ترجمة وتقديم: مجدي محمود المليجي، تحرير: محمد أحمد عيسوي، المركز القومي للترجمة- القاهرة، ط (١) ٢٠١٦م.
- ٢٦٢- السفر في الزمان الكوني، باري باركر، تعريب: مصطفى محمود سليمان، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٩٩٩م، (د. ط).

- ٢٦٣- سفينة اليقين ضد الإلحاد وشبهاته، فريق عمل صفحة البيان لمقارنة الأديان، (د. م)، ط(١) ٢٠٢٠م.
- ٢٦٤- سلام للعالمين، نور الدين أبو لحية، دار النور للنشر والتوزيع، (د. م)، ط(٢)، (د. ت).
- ٢٦٥- سلسلة الوجود الكبرى، آرثر لفتنجوي، ترجمة: ماجد فخري، نشر مؤسسة فرانكلين- القاهرة، عام ١٩٦٤م، (د. ط).
- ٢٦٦- سلسلة تراث الإنسانية، مجموعة من الأساتذة، الهيئة العامة للكتاب- مصر، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٦٧- السلفية بين العقيدة الإسلامية والفلسفة الغربية، مصطفى حلمي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع- الإسكندرية، ط(٢) ١٤١١هـ-١٩٩١م.
- ٢٦٨- السلوك الإنساني والإدارة الحديثة، إبراهيم الغمري، دار الجامعات المصرية- مصر، ١٩٧٩م، (د. ط).
- ٢٦٩- سنن الترمذي، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط(٢) ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- ٢٧٠- سيجموند القلق، بيلى بريسفال، ترجمة: محمد هلال، دار المناهج- الأردن، ط(١) ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
- ٢٧١- سيرة مختصرة وعرض للماركسية، فلاديمير لينين، دار صامد- تونس، ط(١)، (د. ت).
- ٢٧٢- سيغموند فرويد مكتشف اللاشعور، مارغريت ماكنهوبت، تعريب: سامر عرار، مكتبة العبيكان- الرياض، ط(١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٢٧٣- سيكولوجية الطفولة، كامل محمد عويضة، مراجعة: محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٧٤- شبهات الملحدين والإجابة عنها، محمد جواد مغنية، مكتبة الهلال ودار الجواد- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٧٥- شرح بخنر على دارون، شبلي شميل، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٧٦- الشريعة الإسلامية والعلمانية، محمد عمارة، دار الشروق- القاهرة، ط(١) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٧٧- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، (د. ط) ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م، الناشر: دار المعرفة- بيروت.
- ٢٧٨- شك داروين النشوء المفاجئ لحياة الكائنات وحجة التصميم الذكي، ستيفن ماير، ترجمة: موسى إدريس ومؤمن الحسن وآخرون، تقديم: محمد العوضي، دار الكتاب للنشر والتوزيع- الإسماعيلية، ومركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١) ٢٠١٦م.
- ٢٧٩- شموع النهار، إطلالة على الجدل الديني الإلحادي المعاصر في مسألة الوجود الإلهي، عبد الله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط(١) ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

- ٢٨٠- الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد، مفرح بن سليمان القوسي، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض، ط(١) ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
- ٢٨١- الشيوعية نظرياً وعملياً، كاريوهنت، دار الكتاب المصري- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٨٢- الشيوعية والأديان، طارق حجي، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ط(١) ١٩٩٢م.
- ٢٨٣- الشيوعية والشيوعيون في ميزان الإسلام، عبد الجليل شلبي، دار الشروق- القاهرة، ١٩٧٦م، (د. ط).
- ٢٨٤- الشيوعية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد الرحيلي، مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، ط(١) ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- ٢٨٥- الشيوعية، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع- الرياض، ط(١) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٢٨٦- صحيح البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة- جدة، ط(١) ١٤٢٢هـ.
- ٢٨٧- صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٨٨- صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن الميداني، الناشر: دار القلم- دمشق، ط(٥) ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٨٩- صلاة ملحد، محمد حامد، دار التقوى للنشر والتوزيع- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٩٠- صندوق داروين الأسود، مايكل بيهي، ترجمة: مؤمن الحسن وأسامة إبراهيم وزيد الهبيري وآخرون، مراجعة وتقديم: أحمد يحيى، وعبد الله الشهري، دار الكتاب للنشر والتوزيع- الإسماعيلية، ومركز براهين للدراسات والأبحاث- لندن، ط(١) ٢٠١٤م.
- ٢٩١- الصنع المتقن دلالات الفيزياء على وجود الخالق، مصطفى نصر قديح، دار وقف دلائل للنشر- الرياض، ط(١) ١٤٣٨هـ.
- ٢٩٢- سيرورة الكون مدارج العلم ومعارج الإيمان، محمد باسل الطائي، عالم الكتب الحديث- الأردن، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٩٣- ضد دوهرنغ، ديالكتيك الطبيعة، كارل ماركس، فردريك انجلز، موسكو الطبعة الألمانية، ١٩٣٥م، (د. ط).
- ٢٩٤- ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم- دمشق، ط(٤) ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.
- ٢٩٥- الطاقة الإنسانية، أحمد حسين، مطبعة مصر وشركة مساهمة مصرية، ١٩٦٢م، (د. ط).
- ٢٩٦- طريق الإيمان أو الإيمان بالله عن طريق الفكر المستنير، سميح عاطف الزين، الشركة العالمية للكتاب، ط(١٠) ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

- ٢٩٧- الطريق الطويل للإنسان، روبرت. ل. ليرمان، ترجمة: ثابت جرجس، (د. ن)، بيروت ١٩٧٣م، (د. ط).
- ٢٩٨- طريق الفيلسوف، جان فال، ترجمة: أحمد حمدي محمود، أبو العلا عفيفي، مؤسسة سجل العرب- القاهرة، ١٩٦٧م، (د. ط).
- ٢٩٩- الطريق إلى الإسلام، محمد أسد، ترجمة: عفيف البعلبكي، (د. ن)، بيروت، ١٩٦٤م، (د. ط).
- ٣٠٠- الطفل بين الوراثة والتربية، محمد تقي فلسفي، تعريب وتعليق: فاضل الحسيني الميلاني، دار سبط النبي للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م)، ط(٢)، (د. ت).
- ٣٠١- طلاسمة نجسة: الإلحاد وإهانة الجنس البشري، محمد الهبيلي، مداد للنشر والتوزيع- دبي، ط(١) ٢٠١٧م.
- ٣٠٢- الظواهر الخارقة وأسرار الكون، ن. ن، نيبومنيشي، أ. ي. تيزوفسكي، ترجمة: لجنة الترجمة في دار رسلان، دار مؤسسة رسلان للطباعة والنشر والتوزيع- دمشق، (د. ط) ٢٠١٥م.
- ٣٠٣- الظواهر الفلكية والجغرافية في القرآن الكريم، عطية محمد عطية، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع- عمان، ط(١) ٢٠١١م.
- ٣٠٤- العالم المعاصر والصراعات الدولية، عبد الخالق عبد الله، سلسلة عالم المعرفة- الكويت، ١٩٨٩م، (د. ط).
- ٣٠٥- العالمية طاعون العصر، كشف المصطلح وفضح الدلالة، سامي عامري، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط(١) ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م.
- ٣٠٦- عالمنا المجنون مجموعة أبحاث ومقالات لبرتراند رسل، ترجمة: نظمي لوقا، طبعة دار المعرفة، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٠٧- عبقريات ابن خلدون، علي عبد الواحد وافي، عالم الكتب، (د. م)، ١٩٧٢م، (د. ط).
- ٣٠٨- عجز العقل العلماني، عيد الدويهي، (د. ن)، (د. م)، ط(١) ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م.
- ٣٠٩- العدم مقدمة قصيرة جداً، فرانك كلوس، ترجمة: فايقة جرجس حنا، مراجعة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٤.
- ٣١٠- عرض موجز للمادية الديالكتيكية، بودويتنيك وياخوت، دار التقدم- موسكو، ١٩٨٥م، (د. ط).
- ٣١١- عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، محمد تقي الأميني الندوي، ترجمة: مقتدى حسن ياسين، عبد الحلیم عويس، دار الصحوة للنشر والتوزيع- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٣١٢- عصر الايديولوجية، هنري ايكن، ترجمة: محي الدين صبحي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ط(١) ١٩٧١م.
- ٣١٣- العقائد الإسلامية، سيد سابق، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٣١٤- عقائد المفكرين في القرن العشرين، عباس العقاد، دار المعارف- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

- ٣١٥- العقل والدين، وليم جيمس، ترجمة: محمود حب الله، طبعة البابي الحلبي - مصر، ١٩٤٩م، (د. ط).
- ٣١٦- العقل والمادة، مجموعة مقالات لبرتراند رسل، ترجمة: أحمد إبراهيم الشريف، مراجعة: زكي نجيب محمود، (د. ن)، القاهرة، (د. ط)، ١٩٧٥م.
- ٣١٧- العقل والوجود، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٣١٨- العقلية الليبرالية في رصف العقل ووصف النقل، عبد العزيز الطريفي، دار الحجاز للنشر والتوزيع - الإسكندرية، ط(١) ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٣١٩- العقيدة الإسلامية بين الفلسفة والعلم، يحيى هاشم فرغل، مكتبة المكتبة - أبو ظبي، ١٩٨٢م، (د. ط).
- ٣٢٠- العقيدة الإسلامية في مواجهة التيارات الإلحادية، فرج الله عبد الباري، دار الأفاق العربية - القاهرة، ط(١) ٢٠٠٤م.
- ٣٢١- العقيدة في الله، عمر سليمان الأشقر، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع - عمان، ط(١٢) ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٣٢٢- عقيدتنا في الخالق والنبوة والآخرة، عبد الله نعمة، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - بيروت، ط(٢) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
- ٣٢٣- العلاج النفسي السلوكي المعرفي الحديث وأساليبه ومبادئ تطبيقه، عبد الستار إبراهيم، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٢٤- علم اجتماع السياسة، موريس دوفرجه، ترجمة: سليم حداد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٣٢٥- علم اجتماع وفلسفة، إميل دوركايم، ترجمة: حسن أنيس، المطبعة الفنية الحديثة، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط(١) ١٩٦٦م.
- ٣٢٦- العلم أسرار وخفاياه، هارلو شابلي، صمويل رابورت، هيلين رايت، ترجمة: محمد صابر سليم، محمد جمال الدين الفندي، مراجعة: حسين سعيد، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر - القاهرة، الناشر: مكتبة غريب - القاهرة، ١٩٧١م، (د. ط).
- ٣٢٧- علم الاجتماع الاتجاهات النظرية وأساليب البحث، تقديم وترجمة: عبد الله شلبي، (د. ن)، (د. م)، ٢٠٠٨م، (د. ط).
- ٣٢٨- علم الاجتماع الديني، زيدان عبد الباقي، مكتبة غريب - القاهرة، ١٩٧٧م، (د. ط).
- ٣٢٩- علم الاجتماع الفرنسي المعاصر، علياء شكري، دار الكتب الجامعية - القاهرة، ١٩٧٢م، (د. ط).
- ٣٣٠- علم الاجتماع النظرية الكلاسيكية والنقدية، أحمد زايد، (د. ن)، (د. م)، ط(٢) ١٩٨٣م.
- ٣٣١- علم الاجتماع مع مدخلات عربية، أنتوني غيدنز، ترجمة وتقديم: فايز الصياغ، نشر: المنظمة العربية للترجمة - بيروت، ط(١) ٢٠٠٥م.

- ٣٣٢- علم الاجتماع والفلسفة، اميل دوركايم، ترجمة: حسن أنيس، مكتبة الأنجلو- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٣٣- علم الاجتماع ومدارسه، مصطفى الخشاب، مطبعة الأنجلو المصرية- القاهرة، ١٩٧٥م، (د. ط).
- ٣٣٤- علم الكونيات، بيتركونر، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٣٣٥- علم اللغة العربية، محمود حجازي، الناشر: دار غريب- القاهرة. (د. ط)، (د. ت).
- ٣٣٦- علم النفس العام، نبيل الزهار، مكتبة عين شمس- القاهرة، ١٩٩٨م، (د. ط).
- ٣٣٧- علم النفس المعاصر، حلمي المليجي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، ط(٨) ٢٠٠٠م.
- ٣٣٨- العلم في منظوره الجديد، روبرت م، أغروس، جورج ن. ستانسيو، ترجمة: كمال خلايلي، سلسلة عالم المعرفة- الكويت، (د. ط)، ١٤٠هـ-١٩٨٩م.
- ٣٣٩- العلم في مواجهة المادية، قراءة في كتاب حدود العلم لسوليفان، عماد الدين خليل، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط(٢) ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
- ٣٤٠- العلم والإيمان، مدخل إلى نظرية المعرفة في الإسلام، إبراهيم أحمد عمر، الدار العالمية للكتاب الإسلامي- الرياض، ط(٣) ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
- ٣٤١- العلم والدين في الفلسفة المعاصرة، إميل بوترو، ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني، نشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، عام ١٩٧٣م، (د. ط).
- ٣٤٢- العلم ودليل التصميم في الكون، مايكل بيهي، وليم ديمبكي، ستيفن ماير، ترجمة: رضا زيدان، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط(١) ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- ٣٤٣- العلم ووجود الله هل قتل العلم الإيمان بوجود الله؟ جون لينوكس، ترجمة: ماريانا كنتوت، تحرير: سامح فكري حنا، تقديم: ماهر صموئيل، الناشر: خدمة credologos، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٤٤- العلم يدعو للإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: صالح محمود صالح الفلكي، (د. ن)، (د. م)، ط(٥) ١٩٦٥م.
- ٣٤٥- العلمانية - نشأتها وتطورها وأثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، سفر بن عبد الرحمن الحوالي، الناشر: دار الهجرة- الرياض، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٤٦- العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق- القاهرة، ط(١) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٣٤٧- العلمانية المفهوم والمظاهر والأسباب، مصطفى المغربي، الناشر: جريدة السبيل- المغرب، ط(١) ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٣٤٨- العلمانية المنشأ والأثر في الشرق والغرب، زكريا فايد، الزهراء للإعلام العربي- القاهرة، ١٩٨٨م، (د. ط).

- ٣٤٩- العلمانية تاريخ الكلمة وصيغتها، عبد الصبور شاهين، دار الوفاء- المنصورة، ط(٤) ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- ٣٥٠- العلمانية تحت المجهر، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر- بيروت ودمشق، ط(١) ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
- ٣٥١- العلمانية في الإسلام، إنعام أحمد قدوح، دار السيرة- بيروت، ط(١) ١٩٩٥م.
- ٣٥٢- العلمانية مفاهيم ملتبسة، حسن وريغ وأشرف عبد القادر، رؤية للنشر والتوزيع- القاهرة، ٢٠٠٩م، (د. ط).
- ٣٥٣- العلمانية وثمارها الخبيثة، محمد شاكر الشريف، دار الوطن- الرياض، ط(١) ١٤١١هـ.
- ٣٥٤- العلمانية وضلالة فصل الدين عن السياسة، محمد الخضر حسين، اعتنى به وخرج أحاديثه: محمد عوض المصري، دار الاستقامة- القاهرة، ط(١) ١٤٣٢هـ- ٢٠١١م.
- ٣٥٥- العلمانيون العرب وموقفهم من الإسلام، مصطفى المغربي، الناشر: المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع- القاهرة، ط(١) ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.
- ٣٥٦- العلمانيون والقرآن الكريم، أحمد إدريس الطعان، دار ابن حزم- الرياض، ط(١) ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- ٣٥٧- على أطلال المذهب المادي، محمد فريد وجدي، طبع بمطبعة دائرة معارف القرن العشرين- مصر، ط(٢) ١٩٣١م.
- ٣٥٨- على الفكر الإسلامي أن يتحرر من سارتر وفرويد ودوركايم، أنور الجندي، دار الاعتصام- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٥٩- العنصرية اليهودية وآثارها في المجتمع الإسلامي والموقف منها، أحمد بن عبد الله الزغبيني، مكتبة العبيكان- الرياض، ط(١) ١٤١٨هـ- ١٩٩٨م.
- ٣٦٠- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، لابن الوزير، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط(٣) ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- ٣٦١- العودة إلى الإيمان، هيثم طلعت، مراجعة لغوية: ريم عمر، مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة- لندن، ط(٢) ٢٠١٦م.
- ٣٦٢- عيادة الملحد = شفاء لما في الصدور، هيثم طلعت، (د. ن)، (د. م) ط(١)، (د. ت).
- ٣٦٣- الغرب والإسلام أين الخطأ؟ وأين الصواب؟، محمد عمارة، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، ط(١) ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٤م.
- ٣٦٤- فجر الضمير، جيمس هنري برستد، ترجمة: سليم حسن، مكتبة مصر- الجيزة، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٦٥- فرنسا في القرن الثامن عشر، أوليفيه شالين، دار بيلان- باريس، ط: ٢٠٠٦م، (د. ط).

- ٣٦٦- فرويد حياته والتحليل النفسي، أحمد عكاشة، دار ومطابع المستقبل بالنجالة والإسكندرية، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٦٧- الفرويدية، ميخائيل باختين، ترجم وتقديم: شكير نصر الدين، رؤية للنشر والتوزيع - القاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٣٦٨- فصل الدين عن الدولة، إسماعيل الكيلاني، (د. ن)، بيروت، ط(٢) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٣٦٩- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، محمد البهي، ناشر: مكتبة وهبة - القاهرة، ط(١٠)، (د. ت).
- ٣٧٠- الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي، مصطفى حلمي، دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع، (د. م)، ط(١) ١٩٩٨م.
- ٣٧١- الفكر الأوروبي الحديث، فرانكلين ل باومر، ترجمة: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة، عام ١٩٨٧-١٩٨٩م، (د. ط).
- ٣٧٢- الفكر المادي الحديث وموقف الإسلام منه، محمود عثمان، نشر مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، مطبعة حسان - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٧٣- الفكر الماركسي دراسة تحليلية نقدية، صفوت حامد مبارك، عالم الكتب - القاهرة، ط(١) ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٣٧٤- الفكر الماركسي في ميزان الإسلام، محمد رشاد عبد العزيز دهمش، مطبعة الفجر الجديد - القاهرة، (د. ط)، ١٩٨٢م.
- ٣٧٥- الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية، يحيى هاشم فرغل، (د. ن)، (د. م)، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، (د. ط).
- ٣٧٦- الفلسفة الأخلاقية نشأتها وتطورها، توفيق الطويل، مكتبة المعارف - الإسكندرية، ط(١)، (د. ت).
- ٣٧٧- الفلسفة الانجليزية في مائة عام، رودلف متس، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر - الإسكندرية، ط(١) ٢٠٠٩م.
- ٣٧٨- فلسفة التاريخ المفهوم المادي للتاريخ، بليخانوف، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٧٩- الفلسفة الحديثة عرض ونقد، أحمد السيد علي رمضان، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٨٠- الفلسفة الخلقية، توفيق الطويل، دار النهضة العربية - القاهرة، ١٩٦٧م، (د. ط).
- ٣٨١- الفلسفة الرواقية، عثمان أمين، مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة، ط(٣) ١٩٧١م.
- ٣٨٢- فلسفة الشرق، مهرداد مهران، مراجعة: عبد الحميد مذكور، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ط(١) ٢٠٠٣م.
- ٣٨٣- الفلسفة الشرقية، محمد غلاب، جامعة القاهرة، ١٩٣٨م، (د. ط).
- ٣٨٤- فلسفة العلم المعاصرة، سالم يفوت، دار الطليعة - بيروت، ١٩٨٦م، (د. ط).
- ٣٨٥- فلسفة العلوم، بدوي عبد الفتاح محمد، القاهرة، (د. ط)، ٢٠٠١م.

- ٣٨٦- الفلسفة الفرنسية من ديكرت إلى سارتر، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (د. م)، ١٩٦٨م، (د. ط).
- ٣٨٧- فلسفة القرن العشرين، برتراند رسل، ترجمة: عثمان نويه، مراجعة: زكي نجيب محمود، مجموعة الألف كتاب، الإدارة العامة للثقافة بوزارة التعليم العالي، (د. م)، نشر: ١٩٦٣م، (د. ط).
- ٣٨٨- فلسفة القيم عند جورج سانتيانا دراسة جمالية وأخلاقية، سعيد علي عبيد، تصدير: إمام عبد الفتاح إمام، نيو بوك للنشر والتوزيع- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٣٨٩- الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان، عبد الوهاب المسيري، دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ط(٢) ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- ٣٩٠- الفلسفة المعاصرة في أوروبا، إ. م. بوشنسكي، ترجمة: عزت قرني، ع (٦٥)، سلسلة عالم المعرفة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، ١٩٩٢م، (د. ط).
- ٣٩١- فلسفة النشوء والارتقاء، شبل شميل، من مجموعة الدكتور شبل شميل بطبعة المقتطف بمصر سنة ١٩١٠م، ط(٢).
- ٣٩٢- الفلسفة النشوئية وأبعادها الاجتماعية- قراءة في تجربة شبلي الشميل الفلسفية، محمود المسلماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط(١) ٢٠٠٣م.
- ٣٩٣- فلسفة أوجست كونت، ليفي بريل، ترجمة: محمود القاسم، السيد محمد بدوي، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ط(٢)، (د. ت).
- ٣٩٤- فلسفة برتراند رسل، د. محمد مهران، نشر: دار المعارف- القاهرة، ١٩٧٦م، (د. ط).
- ٣٩٥- فلسفة عصر النهضة، إرنست بلوخ، ترجمة: إلياس مرقص، دار الحقيقة- بيروت، ط(١) ١٩٨٠م.
- ٣٩٦- الفلسفة وتطبيقاتها التربوية، نعيم محمود جعيني، دار وائل للنشر والتوزيع- عمان، ط(١) ٢٠٠٤م.
- ٣٩٧- فلسفتنا، محمد باقر الصدر، دار المعارف للطبوعات- بيروت، ط(١٢) ١٤٠٣هـ- ١٩٨٢م.
- ٣٩٨- فلسفتي كيف تطورت، لبرتر اندرسل، ترجمة: عبد الرشيد صادق، نشر: مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، عام ١٩٦٠م، (د. ط).
- ٣٩٩- فمن خلق الله؟ نقد الشبهة الإلحادية: "إذا كان لكل شيء خالق، فمن إذن خلق الله؟" في ضوء التحقيق الفلسفي والكشف الكوسمولوجي، سامي عامري، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط(٣) ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.
- ٤٠٠- فن الاقناع، ليونيل روبي، ترجمة: محمد علي العريان، نشر: مؤسسة فرانكلين- القاهرة، ومكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ١٩٦١م، (د. ط).
- ٤٠١- الفهم الثوري للدين والماركسية، زاهر الخطيب، دار الفارابي- بيروت، ٢٠١٥م، ط(١).
- ٤٠٢- في التفسير محاولة في فرويد، بول ريكور، ترجمة: وجيه أسعد، الناشر: أطلس للنشر والتوزيع- دمشق، ط(١) ٢٠٠٣م.
- ٤٠٣- في التناقض، ماوتسي تونج، روافد للنشر والتوزيع، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).

- ٤٠٤- في العلمانية والدين والديمقراطية، رفيق عبد السلام، الدار العربية للعلوم- بيروت، ومركز الجزيرة للدراسات- الدوحة، ط(١) ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.
- ٤٠٥- في تراثنا العربي الإسلامي، توفيق الطويل، سلسلة عالم المعرفة- الكويت، ع (٨٧)، بإشراف: أحمد مشاري العدوانى. (د. م)، (د. ت).
- ٤٠٦- في تقسيم العمل الاجتماعي، إميل دوركهايم، ترجمة: حافظ الجمالي، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع- بيروت، توزيع: المكتبة الشرقية- بيروت، ١٩٨٢م، (د. ط).
- ٤٠٧- في عالم عبد الوهاب المسيري: حوار نقدي حضاري، مجموعة من الباحثين، تقديم: محمد حسنين هيكل، تحرير: أحمد عبد الحليم عطية، دار الشروق، (د. م)، ط(١) ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- ٤٠٨- في مواجهة الإلحاد المعاصر وعقائد العلم، يحيى هاشم فرغل، مجمع البحوث الإسلامية- الأزهر، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، (د. ط).
- ٤٠٩- الفيزياء والميكروفيزياء، لويس دي برولي، ترجمة: رمسيس شحاتة، محمد مرسي أحمد، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، ١٩٦٧م.
- ٤١٠- فيزياء الجسيمات، مقدمة قصيرة جداً، فرانك كلوس، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٤م.
- ٤١١- فيزياء العقل البشري والعالم من منظرين، روجر بنروز، بالتعاون مع أبنر شيموني ونانسي كارترليت وستيفن هوكينج، تحرير: مالكوم لونجير، ترجمة: عنان الشهاوي، مراجعة: إيمان عبد الغني عبد الصمد، هيئة أبو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، كلمات عربية للترجمة والنشر- القاهرة، ط(١) ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٤١٢- فيزياء الكوانتم حقيقة أم خيال؟ أليستراي، ترجمة: أسامة عباس، مركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١) ٢٠١٦م.
- ٤١٣- الفيزياء والفلسفة، جيمس جينز، ترجمة: جعفر رجب، دار المعارف- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٤١٤- الفيزياء والفلسفة، فيرنر هايزنبرج، ترجمة: أحمد مستجير، المكتبة الأكاديمية- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٤١٥- الفيزياء ووجود الخالق مناقشة عقلانية إسلامية لبعض الفيزيائيين والفلاسفة الغربيين، جعفر شيخ إدريس، مجلة البيان- الرياض، ط(١) ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٤١٦- الفيلسوف والعلم، جون كيمي، ترجمة: أمين الشريف، نشر مؤسسة فرانكلين- القاهرة، بالاشتراك مع المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر ببيروت، عام ١٩٦٥م، (د. ط).
- ٤١٧- قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، سامي ذبيان وآخرون، (د. ن)، لندن، ط(١) ١٩٩٠م.
- ٤١٨- القانون والمجتمع دراسة في علم الاجتماع القانوني عند اميل دوركايم، فيصل محمد البحيري، مركز الدراسات العربية للنشر والتوزيع- السادس من أكتوبر- مصر، ٢٠١٨م، ط(١).

- ٤١٩- القوانين الأساسية لبناء الاقتصاد الاشتراكي، جماعة من المؤلفين السوفييت، تعريب: سعيد يوسف، نجاح الساعاتي، تدقيق: بدر الدين السباعي، دار الجماهير - دمشق، ١٩٧٤م، (د. ط).
- ٤٢٠- القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، (د. م)، ط(٣) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٤٢١- قدر الطبيعة قوانين الحياة تفصح عن وجود الغاية في الكون، مايكل دنتون، ترجمة: موسى إدريس ومحمد القاضي ومهند التومي وآخرون، تقديم: محمد العوضي، مركز براهين للأبحاث والدراسات - لندن، ط(١) ٢٠١٦م.
- ٤٢٢- قدر العلمانية في العالم العربي، كمال عبد اللطيف، منشورات الأحداث المغربية - الدار البيضاء، ط(١) ٢٠٠٩م.
- ٤٢٣- قذائف الحق، محمد الغزالي السقا، دار القلم - دمشق، ط(١) ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- ٤٢٤- قراءات في علم الاجتماع الحديث، إحسان محمد الحسن، مطبعة الحرية - بغداد، ١٩٦٨م، (د. ط).
- ٤٢٥- قراءة في هزيمة الفكر الشيوعي، صابر طعيمة، دار الجيل - بيروت، ١٩٩٣م، (د. ط).
- ٤٢٦- القرآن والعلم الحديث، عبد الرزاق نوفل، دار الكتاب العربي - بيروت، ط(٣) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- ٤٢٧- القرآن وعلم النفس، محمد عثمان نجاتي، دار الشروق - القاهرة، ط(٧) ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٢٨- قصة الإنسان، جورج حنا، دار العلم للملايين - بيروت، ط(٦) ١٩٧٩م.
- ٤٢٩- قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن، نديم الجسر، من منشورات المكتبة الإسلامية - القاهرة، ط(٣) ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.
- ٤٣٠- قصة الحضارة، ويليام جيمس ديورانت، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، الناشر: دار الجيل - بيروت، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - تونس، عام النشر: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، (د. ط).
- ٤٣١- قصة الطوفان بين الأسطورة والدين دراسة وصفية تحليلية مقارنة، محمد عثمان الخشت، تقديم: عمرو شريف، الناشر: فرست بوك للنشر والتوزيع - مصر، ط(٢)، (د. ت).
- ٤٣٢- قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي، حياة وآراء أعظم رجال الفلسفة في العالم، ول ديوارنت، ترجمة: فتح الله محمد المشعشع، مكتبة المعارف - بيروت، ط(٦) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
- ٤٣٣- قصة الفيزياء، جورج جاموف؛ ترجمة: محمد جمال الدين الفندي، تقديم أحمد فؤاد باشا، المركز القومي للترجمة - القاهرة، ط(٢) ٢٠١١م.
- ٤٣٤- قصة الكون، جون جريبين، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، كلمات عربية للترجمة والنشر - القاهرة، ط(٢) ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
- ٤٣٥- قصة دخول العلمانية في المعجم العربي، عدنان الخطيب، دار الوفاء - المنصورة، ط(٤) ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

- ٤٣٦- قضايا المادية التاريخية، أنطونيو غرامشي، ترجمة: فواز طرابلسي، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، ط(٢) ٢٠١٨م.
- ٤٣٧- قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون، دار الطليعة - بيروت، ط(٤) ٢٠٠٩م.
- ٤٣٨- القضية... الخالق، لي ستروبل، ترجمة: سليم إسكندر، حنا يوسف، مكتبة دار الكلمة - القاهرة، ط(١) ٢٠٠٧.
- ٤٣٩- قطع القطط الضالة، سامي أحمد الزني، مركز دلائل - الرياض، ط(٢) ١٤٣٧هـ.
- ٤٤٠- قواعد المنهج في علم الاجتماع، اميل دوركايم، تحقيق: محمود قاسم، مراجعة: محمد بدوي، (د. ن)، القاهرة، ط(٣) ١٩٧٤م.
- ٤٤١- قوانين المادة الجدلية عند ماركس: الأصول الفلسفية للتربية، سعيد إسماعيل علي، دار الفكر العربي - القاهرة، ط(١) ٢٠٠٠م.
- ٤٤٢- كارل ماركس الماركسية والإسلام، كامل محمد عويضة، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ٤٤٣- كارل ماركس، إيسيايرلين، ترجمة: عبد الكريم أحمد، مراجعة: محمد سامي عاشور، دار القلم للطباعة والنشر، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٤٤- كارل ماركس، هنري لوفيفر، ترجمة وتحقيق: محمد عيتاني، دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت، ط(١)، (د. ت).
- ٤٤٥- كامل الصورة لتعزيز اليقين وتثبيت الثوابت، أحمد يوسف السيد، تكوين للدراسات والأبحاث - بريطانيا، ط(١) ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م.
- ٤٤٦- كبسولات إسكات الملحنين، هيثم طلعت، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٤٧- الكتاب المقدس، الإصدار الثالث، دار الكتاب المقدس - القاهرة، ط(٥) ٢٠٠٦م.
- ٤٤٨- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي التهاوني، تحقيق: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة: رفيق العجم، نقل النص الفارسي إلى العربية: عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: جورج زيناني، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط(١) ١٩٩٦م.
- ٤٤٩- الكنز، معجم فرنسي-عربي، جروان السابق، دار السابق - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٥٠- كهنة الإلحاد الجديد، هيثم طلعت، (د. ن)، (د. م)، ط(١)، (د. ت).
- ٤٥١- كواشف زيوف، عبد الرحمن الميداني، الناشر: دار القلم - دمشق، ط(٢) ١٤١٢هـ - ١٩٩١م.
- ٤٥٢- كومينيون ما وراء طبيعة المعلومات، ويليام ديمبسكي، ترجمة: خليل زيدان، مركز براهين للأبحاث والدراسات - لندن، ط(١) ٢٠١٧م.
- ٤٥٣- الكون الحي بين الفيزياء والميتافيزياء، جواد بشارة، ص ١٠٩، الناشر: إي - كتب، (د. م)، ط(١)، (د. ت).

- ٤٥٤- الكون بين التوحيد والإلحاد مقارنات بين الرؤيتين: التوحيدية والإلحادية للكون، نور الدين أبو لحية، دار الأنوار للنشر والتوزيع- بيروت، ط(١) ٤٣٨هـ-٢٠١٧م.
- ٤٥٥- الكون طريقي إلى الله، عماد مجاهد، دروب للنشر والتوزيع- عمان، (د. ط) ٢٠١٠م.
- ٤٥٦- الكون في القرآن الكريم دراسة مقارنة، إسماعيل قرني، دار دجلة- عمان، ط(١) ٢٠٠٩م.
- ٤٥٧- الكون في قشرة جوز، ستيفن هوكنج، ترجمة: مصطفى إبراهيم فهمي، عالم المعرفة رقم ٢٩١، سنة ٢٠٠٣م، مطابع السياسة- الكويت، (د. ط).
- ٤٥٨- الكون والإعجاز العلمي للقرآن الكريم، منصور محمد حسب النبي، دار الفكر العربي- القاهرة، ط(٢) ١٩٩١م.
- ٤٥٩- الكون والتقوب السوداء، أعده: رؤوف وصفي، راجعه: زهير الكرمي، سلسلة كتب عالم المعرفة- الكويت، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٦٠- الكون، كارل ساغان، ترجمة: نافع أيوب لبس، مراجعة: محمد كامل عارف، ضمن سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، ١٩٧٨م، (د. ط).
- ٤٦١- كونت، الفلسفة والعلوم، بيار ماشيري، ترجمة: سامي أدهم، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ١٩٩٤م، ط(١).
- ٤٦٢- الكيد الأحمر، عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم- دمشق- بيروت، ط(١) ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٤٦٣- كيف بدأ الخلق، عمرو شريف، مكتبة الشروق الدولية- القاهرة، ط(١) ٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- ٤٦٤- كيف تدعو ملحدًا بوذيًا هندوسيًا كتابيًا إلى الإسلام، سؤال وجواب، هيثم طلعت، ط(١)، (د. ت).
- ٤٦٥- كيف تدور عجلة الحياة، إدوارد هيوي، ترجمة: محمد صابر سليم، نشر دار المعارف- القاهرة، عام ١٩٥٧م، (د. ط).
- ٤٦٦- الكيمياء العامة، حسن أحمد شحاتة، الدار المصرية اللبنانية- القاهرة، ط(١) ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ٤٦٧- الكيمياء العامة: المفاهيم الأساسية، ريموند تشانغ، مكتبة العبيكان- الرياض، ط(١) ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- ٤٦٨- لغة الإله، فرانسيس كولنز، عصير الكتب- مصر، ط(١) ٢٠١٩م.
- ٤٦٩- للكون إله، قراءة في كتابي الله المنظور والمسطور، صبري الدمرداش، (د. ن)، (د. م)، ط(٢) ٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- ٤٧٠- لماذا الإسلام؟ أبو محمد مور كبي، الكلية الإفريقية للدراسات الإسلامية- دكار، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٧١- لماذا التطور صحيح، جيري أ. كوين، ترجمة: لؤي عشري، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٧٢- لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ، سيغال، دار دمشق للطباعة والنشر- دمشق، ط(٥) ١٩٧٤م.
- ٤٧٣- الله ﷻ، سعيد حوى، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ط(٢) ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

- ٤٧٤- *الله في الفلسفة الحديثة*، جيمس كوليز، ترجمة: فؤاد كامل، نشر: مكتب غريب مع مؤسسة فرانكلين - القاهرة، (د. ط)، ١٩٧٣م.
- ٤٧٥- *الله والإنسان على امتداد ٤٠٠٠ سنة من إبراهيم الخليل حتى العصر الحاضر*، كارين أرمسترونغ، ترجمة: محمد الجوراء، دار الحصاد للنشر والتوزيع - دمشق، ط(١) ١٩٩٦م.
- ٤٧٦- *الله والعلم الحديث*، عبد الرزاق نوفل، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة، ودار الشروق، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٧٧- *الله والفيزياء الحديثة*، بول دافيز، تعريب: هالة العوري، دار صفحات - دمشق، ٢٠١٣م، (د. ط).
- ٤٧٨- *الله يتجلى في عصر العلم*، نخبة من العلماء الأمريكيين بمناسبة السنة الدولية لطبيعيات الأرض، أشرف على تحريره: جون كلوفر مونسيما، ترجمة: الدمرداش عبد المجيد سرحان، راجعه وعلق عليه: محمد جمال الدين الفندي، الناشر: دار القلم - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٧٩- *الله يتحدى الملحنين*، أدلة علمية معاصرة لإثبات وجود الله، محمد شيخاني، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط(١) ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٨٠- *الله*، عباس العقاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٨١- *لهذا نرفض الماركسية*، عبد الرحمن البيضاني، أرشيف اليمن، ١٩٧٣م، (د. ط).
- ٤٨٢- *لودفيج فتنشتين*، عزمي إسلام، نشر دار المعارف - القاهرة، ط(١)، (د. ت).
- ٤٨٣- *لودفيج فورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية*، فريدريك انجلز، دار التقدم - موسكو، ١٩٧٤م، (د. ط).
- ٤٨٤- *الليبرالية المصرية (المتقنون، حزب الوفد)*، رفعت السعيد، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق، ط(١) ٢٠٠٣م.
- ٤٨٥- *ليطمئن عقلي الإيمان من جديد بمواجهة إلحاد جديد*، أحمد خيرى العمري، دار عصير الكتب - مصر، ط(١) ٢٠١٩م.
- ٤٨٦- *ما الماركسية؟ تفكيك العقل الأحادي*، سلامة كيلة، روافد للنشر والتوزيع، (د. م)، ط(٢)، (د. ت).
- ٤٨٧- *ما بعد الليبرالية دراسات في الفكر السياسي*، جون جراي، ترجمة: أحمد محمود، مراجعة وتقديم: حسن نافعة، المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، ط(١) ٢٠٠٥م.
- ٤٨٨- *ما فوق مبدأ اللذة*، سيجموند فرويد، ترجمة: إسحاق رمزي، دار المعارف - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٨٩- *ما قبل الفلسفة*، جون ولسون وآخرون، ترجمة: جبر إبراهيم جبرا، مراجعة: محمود الأمين، منشورات دار الحياة، (د. م)، ١٩٦٠م، (د. ط).
- ٤٩٠- *ما معنى أن يكون المرء حدائياً*، محمد الشيخ، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، ٢٠٠٦م، (د. ط).
- ٤٩١- *ما هي الاستيولوجيا*، أوقيدي محمد، دار الحدائق - بيروت، ط(١) ١٩٨٣م.

- ٤٩٢- *المادة وضد المادة*، موريس دوكين، ترجمة: رمسيس شحاته، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٨م، (د. ط).
- ٤٩٣- *المادية الإسلامية وأبعادها*، عبد المنعم محمد خلاف، دار المعارف- القاهرة، ط(٢)، (د. ت).
- ٤٩٤- *المادية التاريخية دراسة في نظرية المجتمع الماركسية*، كيلله كوفالسون، ترجمة: إلياس شاهين، دار التقدم- موسكو، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٩٥- *المادية الديالكتيكية والمادية التاريخية*، جوزيف ستالين، دار دمشق للطباعة- دمشق، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٩٦- *المادية في الفكر الفلسفي*، أحمد رمضان، الدار الإسلامية للطباعة والنشر- بيروت، ط(١) ١٤٢٠هـ.
- ٤٩٧- *المادية مقارنة نقدية في البنية والمنهج*، نبيل علي صالح، سلسلة مصطلحات معاصرة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- النجف- العراق، (د. ط)، (د. ت).
- ٤٩٨- *المادية والمثالية في الفلسفة* جورج بوليتزير، تعريب: إسماعيل المهدي، القاهرة ١٩٥٧م، (د. ط).
- ٤٩٩- *المادية والمثالية في الفلسفة*، جورج بليخانوف، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر- بيروت، ط(١) ١٩٨٢م.
- ٥٠٠- *المادية والمذهب التجريبي النقدي*، لينين، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠١- *ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين*، أبو الحسن الندوي، الناشر: مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠٢- *ماركسية القرن العشرين*، روجيه جارودي، ترجمة: نزيه الحكيم، منشورات دار الآداب- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠٣- *الماركسية في مواجهة الدين*، حقائق ووثائق، عبد المعطي محمد بيومي، دار الأنصار- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠٤- *الماركسية والإسلام*، مصطفى محمود، دار المعارف- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠٥- *الماركسية والثورة*، جان بول سارتر، ترجمة: عبد المنعم الحفنى، دار الكتب المصرية- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠٦- *الماركسية والحرية*، كوسلابوف، ترجمة: محمد مستجير مصطفى، دار الثقافة- القاهرة، ١٩٧٥م، (د. ط).
- ٥٠٧- *الماركسية*، فردريك انجلز، ترجمة: ماهر نعيم، دار المعارف- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠٨- *مأزق المسيحية والعلمانية في أوروبا*، للقس الألماني: جوتفرايد كونزلن، تقديم وتعليق: محمد عمارة، دار نهضة مصر - القاهرة - سلسلة في التنوير الإسلامي رقم ٤٤ . ١٩٩٩م، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٠٩- *المبادئ الأساسية في الفلسفة*، جورج بولتزار، ترجمة: عمر الشارتي، مراجعة: سليم دولة، دار المعرفة للنشر - تونس، ٢٠٠٣م، (د. ط).

- ٥١٠- مبادئ التحليل النفسي، محمد فؤاد جلال، مؤسسة هنداوي سي آي سي - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥١١- مبادئ الفلسفة، أ. س. رابويرت، ترجمة: أحمد أمين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥١٢- مبادئ أولية في الفلسفة، جورج بوليتزر، نقلته إلى العربية وقدمت له: فهيمة شرف الدين، ضبط مصطلحاته الفلسفية: موسى وهبة، دار الفارابي - بيروت، ط(٥) ٢٠٠١م.
- ٥١٣- مبادئ علم الاجتماع، وليد شلاش شبير، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، ط١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
- ٥١٤- المجرات، مقدمة قصيرة جدًا، جون جريبين، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة - القاهرة، ط(١) ٢٠١٥م.
- ٥١٥- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد للطباعة - الرياض، (د. ط)، (د. ت).
- ٥١٦- مجموعة من الدراسات والبحوث في علم الاجتماع، تأليف: مجموعة من أساتذة الجامعات المصرية، تحرير: أحمد زايد، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥١٧- محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: عزت راجح، مكتبة مصر - الحيزة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥١٨- محاضرات في الفلسفة المعاصرة، حبيب الشاروني، دار الفكر الجامعي - الإسكندرية، ١٩٧٨م، (د. ط).
- ٥١٩- محاضرات في تاريخ الماركسية، ريزانوف، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة - بيروت، ١٩٧٠م، (د. ط).
- ٥٢٠- محاضرات وتمارين تمهيدية في علم النفس، لويس مليكة، دار القلم - الكويت، ١٩٨٩م، (د. ط).
- ٥٢١- محاولات فلسفية، عثمان أمين، مكتبة الأنجلو - القاهرة، ١٩٥٦م، (د. ط).
- ٥٢٢- مدخلات فلسفية في الإسلام والعلمانية، سيد محمد العطاس، ترجمة: محمد طاهر الميساوي، دار الفجر - القاهرة، دار النفائس، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٢٣- مدارس علم النفس، فاخر عاقل، دار العلم للملايين - بيروت، ط(٥) ١٩٨١م.
- ٥٢٤- مدخل إلى الفلسفة الماركسية، غازي الصوراني، (د. ن)، (د. م)، ط(١) ٢٠١٨م.
- ٥٢٥- المدخل إلى الفلسفة، أرفلد كوليه، ترجمة: أبو العلا عفيفي، عالم الأدب للبرمجيات والنشر والتوزيع، (د. م)، ط(١) ٢٠١٦م.
- ٥٢٦- مدخل إلى الفلسفة، إمام عبد الفتاح إمام، دار الثقافة للنشر والتوزيع - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٢٧- مدخل إلى الفيزياء الحديثة، محمد باسل الطائي، (د. ن)، (د. م)، ٢٠٢٠م، (د. ط).
- ٥٢٨- المدخل إلى علم الاجتماع، إحسان محمد الحسن، عدنان سليمان الأحمد، دار وائل للنشر - عمان، ط(١) ٢٠٠٥م.
- ٥٢٩- مدخل إلى علم الاجتماع، خالد حامد، جسور للنشر والتوزيع - الجزائر، ط(١) ٢٠٠٨م.

- ٥٣٠- المدخل إلى علم النفس الحديث، ركس نايت مرجريت نايت، تعريب: عبد علي الجسماني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط(٢) ١٩٩٣م.
- ٥٣١- مدخل إلى علم النفس، كامل محمد عويضة، مراجعة: محمد رجب البيومي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٣٢- مدخل إلى فلسفة العلوم- العقلانية المعاصرة وتطور الفكر العلمي، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية- بيروت، ط(٥) ٢٠٠٢م.
- ٥٣٣- مدخل جديد إلى الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات- الكويت، ط(١) ١٩٧٥م.
- ٥٣٤- المدخل في علم الاجتماع المعاصر، غريب سيد أحمد، عبد الباسط عبد المعطي، علي حليبي، دار الكتب الجامعية- القاهرة، ١٩٧٤م، (د. ط).
- ٥٣٥- المذاهب الاقتصادية الكبرى، عزت السيد أحمد، جامعة تشرين- اللاذقية، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م، (د. ط).
- ٥٣٦- المذاهب الفكرية المعاصرة ودورها في المجتمعات وموقف المسلم منها، غالب عواجي، الناشر: المكتبة العصرية الذهبية- جدة، ط(١) ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م
- ٥٣٧- مذاهب فكرية معاصرة عرض ونقد، محمود محمد مزروعة، مكتبة كنوز المعرفة- السعودية، ط(٢) ١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م.
- ٥٣٨- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق- بيروت، ط (٧) ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- ٥٣٩- مذاهب فلسفية وقاموس مصطلحات، محمد جواد مغنية، دار ومكتبة الهلال، دار الجواد- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٤٠- المذاهب والنظم الاشتراكية، محمود عاطف البناء، دار الاتحاد العربي للطباعة، (د. م)، ط(٢)، (د. ت).
- ٥٤١- مذاهب ومفاهيم في الفلسفة والاجتماع، عبد الرزاق مسلم الماجد، المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٧٧م، (د. ط).
- ٥٤٢- مذكرات فرويد، وقد ترجمت إلى الفارسية تحت عنوان (انديشه هاي فرويد)، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت)
- ٥٤٣- مذهب النشوء والارتقاء بحث انتقادي علمي فلسفي في مذهب النشوء والارتقاء وأثره في الانقلاب الفكري الحديث، إسماعيل مظهر، طبع بمطبعة المقتطف والمقطم بمصر، ط(١) ١٣٤١هـ- ١٩٢٣م.
- ٥٤٤- مذهب النشوء والارتقاء في مواجهة الدين، منيرة علي الغاياتي، تقديم: محمد البهي، (د. ن)، مصر ١٣٩٥هـ، (د. ط).
- ٥٤٥- المرشد السليم في المنطق الحديث والقديم، عوض الله جاد حجازي، الأزهر الشريف، درب الأتراك- القاهرة، ط(٩) ١٩٩٨م.

- ٥٤٦- *المزكية هي أصل الاشتراكية*، عبد اللطيف الجزائري، الناشر: دار الكتاب، الدار البيضاء، ط(١) ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- ٥٤٧- *مسألة وجود الله مناظرة بين ويليام لاين كريغ وبيتر ميليكان*، جرت في معهد الفلسفة في جامعة برمنغهام بالمملكة المتحدة، أدار النقاش: المؤرخ والكاتب: كارل شين، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٤٨- *مستقبل وهم*، سيجموند فرويد، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة- بيروت، ط(٤) ١٩٩٨م،
- ٥٤٩- *المشاكل الفلسفية للعلوم النووية*، فيرنر هايزنبرج، ترجمة: أحمد مستجير، مراجعة: محمد عبد المقصود النادي، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٢م، (د. ط).
- ٥٥٠- *المشكلة الأخلاقية والفلسفة*، أندريه كريسون، ترجمة: عبد الحليم محمود، أبو بكر ذكرى، مطابع دار الشعب- القاهرة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (د. ط).
- ٥٥١- *مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي*، مالك بن نبي، إشراف وتقديم: عمر مسقاوي، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، (د. ط)، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- ٥٥٢- *مشكلة الحرية*، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر- الجيزة، دار الطباعة الجديدة، (د. م)، ط(٢)، (د. ت).
- ٥٥٣- *مشكلة الفلسفة*، زكريا إبراهيم، مكتبة مصر- الجيزة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٥٤- *مصادر الدراسات الإسلامية*، يوسف بن عبد الرحمن المرعشلي، دار الكتب العلمية- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٥٥- *مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا*، ج. بنروي، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، مراجعة: محمد ثابت الفندي، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ١٩٦٤م، (د. ط).
- ٥٥٦- *المصطلح الفلسفي عند العرب*، عبد الأمير الأعمش، تحقيق: عبد الأمير الأعمش، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، ط(٢) ١٩٨٩م.
- ٥٥٧- *المصمم الأعظم، قراءة نقدية في كتاب التصميم العظيم لستيفن هوكنج*، حسن بن أحمد اللواتي، تعليقات: محمد بن رضا اللواتي، الناشر: المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- النجف، التعبئة العباسية المقدسة- كربلاء، ط(١) ١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م.
- ٥٥٨- *مصير الإنسان*، ليكونت دي نوي، ترجمة: خليل الجر، المنشورات العربية، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٥٩- *مصير البشرية*، ليكونت دي نوي، ترجمة: تحقيق: أحمد عزت طه - عصام أحمد طه، دار اليقظة العربية- دمشق، ط(٣) ١٩٦٣م.
- ٥٦٠- *مطارات في الفكر المادي والفكر الديني*، محمد مهدي شمس الدين، تحقيق: محمد صادق الغريبي، بإشراف: سامي الغريبي، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، ط(١) ٢٠٠٦م.
- ٥٦١- *مع الفيلسوف*، محمد ثابت الفندي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت، ط(١) ١٩٧٤م.
- ٥٦٢- *معارف إسلامي*، محمد سعدي مهر، أمير ديواني، نشر: معارف، (د. م)، ط(٣٥) ١٣٨٢هـ.

- ٥٦٣- معالم التحليل النفسي، سيجموند فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، (د. م)، ط(٥)، (د. ت).
- ٥٦٤- المعجزة الخالدة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم براهين ساطعة وأدلة قاطعة، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٦٥- معجم الفلاسفة (الفلاسفة . المناطقة . المتكلمون . اللاهوتيون . المتصوفون)، جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت، ط(٣) ٢٠٠٦م.
- ٥٦٦- المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والانجليزية واللاتينية، جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني - بيروت، مكتبة المدرسة - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٦٧- المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٦٨- المعجم الفلسفي، مراد وهبة، دار قباء الحديثة - القاهرة، ط(٥) ٢٠٠٧م.
- ٥٦٩- المعجم الفلسفي، مصطفى حسبية، دار أسامة للنشر والتوزيع - عمان، ط(١) ٢٠٠٩م.
- ٥٧٠- معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد مختار عبد الحميد عمر بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، (د. م)، ط(١) ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- ٥٧١- معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، جلال الدين سعيد، دار الجنوب للنشر - تونس، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٧٢- معجم المناهي اللفظية وفوائد في الألفاظ، بكر أبو زيد، (د. ن)، (د. م)، ط(٣) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ٥٧٣- المعجم الموسوعي في علم النفس، نوربير سيلامي، ترجمة: وجيه أسعد، وزارة الثقافة - سوريا، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٧٤- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى وآخرون، الناشر: دار الدعوة، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٧٥- معجم علوم الفضاء والفلك الحديث، عماد مجاهد، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع - عمان، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٧٦- معجم مصطلحات الفيزياء، مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م، (د. ط).
- ٥٧٧- معجم مصطلحات المنطق وفلسفة العلم للألفاظ العربية والانجليزية والفرنسية واللاتينية، محمد فتحي عبد الله، دار الوفاء - الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٧٨- معجم مصطلحات علم الأحياء، جمع وتصنيف: كمال الحناوي، مراجعة: هشام الحناوي، المكتبة الأكاديمية - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٧٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام هارون، الناشر: دار الفكر، (د. م)، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، (د. ط).

- ٥٨٠- المعرفة والتساؤل، فكتور فايسكوف، ترجمة: سيد رمضان هدارة، النشرة العربية لدار النشر للجامعات المصرية بالقاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٨١- معركة التقاليد، محمد قطب، (د. ن)، مصر ١٩٦٨م، (د. ط).
- ٥٨٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية - بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٨٣- مقارنة الأديان، اليهودية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية- القاهرة، ط(٨) ١٩٨٨م.
- ٥٨٤- مقدمة في الفلسفة العامة، يحيى هويدي، دار الثقافة للنشر والتوزيع- القاهرة، ط(٩) ١٩٨٩م.
- ٥٨٥- مقدمة في علم النفس، جابر عبد الحميد جابر، صفاء الأعسر، إبراهيم قشقوش، دار النهضة العربية- القاهرة، ١٩٨٥م، (د. ط).
- ٥٨٦- مقدمة في علم النفس، نبيهة السامرائي، عثمان أميمن، دار زهران للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م- عمان، ط(١).
- ٥٨٧- مقدمة لكل ميثافيزيقا مقبلة يمكن أن تصير علما، إمانويل كانط، ترجمة: نازلي إسماعيل حسين، محمد فتحي الشنيطي، تقديم: عمر مهيب، موفم للنشر- الجزائر، ١٩٩١م، (د. ط).
- ٥٨٨- ملقى السبيل في مذهب النشوء والارتقاء، إسماعيل مظهر، مؤسسة هندوي للتعليم والثقافة- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٨٩- الملل والنحل، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية- مصر، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٩٠- من أجل التغيير، مالك بن نبي، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق، ط(٤) ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
- ٥٩١- من آيات الإعجاز العلمي - السماء في القرآن الكريم، زغلول راغب النجار، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط(٤) ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- ٥٩٢- من حياة العلماء، تيودور بيرلاند، ترجمة: أحمد بدران، نشر دار النهضة العربية، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٥٩٣- من نظريات العلم المعاصر إلى المواقف الفلسفية، محمود فهمي زيدان، دار النهضة العربية- بيروت، (د. ط)، ١٩٨٢م.
- ٥٩٤- منازع الفكر الحديث، جود س. أ. م، عريه: عباس فضي خماش، ونقح الترجمة: عبد العزيز البسام، طبعة المجمع العلمي العراقي- بغداد، ١٣٧٥هـ- ١٩٥٦م، (د. ط).
- ٥٩٥- مناظرة الملحنين، هيثم طلعت، تدقيق لغوي ومراجعة: أحمد المكي، جميع وتنسيق وإخراج: وائل الفاتح، (د. ن)، (د. م)، ط(١)، (د. ت).
- ٥٩٦- مناهج البحث عن مفكري الإسلام، علي سامي النشار، دار المعارف- القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٥م.

- ٥٩٧- *مناهج البحث في العلوم السياسية*، محمد محمود ربيع، الناشر: مكتبة الفلاح- الكويت، ط(٢) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٥٩٨- *المنجد في اللغة والإعلام*، لويس معروف، المكتبة الشرقية، دار الشروق- بيروت، ٢٠٠٣م، (د. ط).
- ٥٩٩- *المنطق الحديث ومناهج البحث*، محمود قاسم، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ط(٣)، (د. ت).
- ٦٠٠- *المنطق الشكلي والمنطق الديالكتي*، كيدروف، ترجمة محمد عيتاني، سهيل يموت، دار المعجم العربي- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٠١- *منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية*، محمد محمد امزيان، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط(١) ١٩٩١م.
- ٦٠٢- *المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية*، إبراهيم إبراش، دار الشروق- عمان، ط(١) ٢٠٠٩م.
- ٦٠٣- *مهمة فرويد تحليل لشخصيته وتأثيره*، أريك فروم، ترجمة: طلال عتريسي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط(٢) ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ٦٠٤- *مواقف حاسمة في تاريخ العلم*، جيمس كونانت، ترجمة: أحمد زكي، نشر: دار المعارف- القاهرة، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين- القاهرة، ط(٢) ١٩٦٣م.
- ٦٠٥- *الموالاتة والمعاداة في الشريعة الإسلامية*، محماس بن عبد الله الجلعود، الناشر: دار اليقين للنشر والتوزيع- القاهرة، ط(١) ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
- ٦٠٦- *الموت الرحيم للإلحاد المعاصر*، فيليب نيمو، ترجمة: عادل عبد الله، عبد الحق الزموري، جسور للترجمة والنشر- بيروت، ط(١) ٢٠١٨م.
- ٦٠٧- *موجز تاريخ الفلسفة*، جماعة من الأساتذة السوفييات، ترجمة وتقديم: توفيق سلوم، الفارابي- بيروت، ط(١) ١٩٨٩م.
- ٦٠٨- *الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة*، ناصر القفاري، ناصر العقل، دار الصميعي للنشر- الرياض، ط(١) ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
- ٦٠٩- *الموجز في التحليل النفسي*، سيجموند فرويد، تقديم: محمد عثمان نجاتي، ترجمة: سامي محمود علي، عبد السلام القفاش، مراجعة: مصطفى زيوار، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٦١٠- *مؤسس علم الاجتماع الحديث إميل دوركايم المنهج التفسيري في دراسة الظواهر الاجتماعية* كأشياء دراسة في علم الاجتماع البنائي، حسام الدين محمود فياض، الناشر: مكتبة نحو علم اجتماع تنويري، (د. م)، ط(١) ٢٠١٨م.
- ٦١١- *موسوعة السياسة*، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (د. ن)، (د. م)، ط(٢) ١٩٩٠م.

- ٦١٢- الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من العلماء والباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، ط(٢) ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- ٦١٣- الموسوعة العربية الميسرة، محمد شفيق غزال، نهضة لبنان- بيروت، ١٩٨١م، (د. ط).
- ٦١٤- موسوعة الفلسفة، عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت، ط(١) ١٩٨٤م.
- ٦١٥- موسوعة الفلسفة والفلسفة، عبد المنعم الحفني، مكتبة مدبولي- القاهرة، ط(٢) ١٩٩٩م.
- ٦١٦- الموسوعة الفلسفية المختصرة، جوناثان ري، ج. أو. أرمسون، نقلها عن الانجليزية: فؤاد كامل وآخرون وأشرف عليها: زكي نجيب محمود، دار القلم - بيروت، ط(١) ٢٠١٣م.
- ٦١٧- الموسوعة الفلسفية، لجنة من العلماء الأكاديميين السوفيتيين، إشراف: يودين روزنتال، ترجمة: سمير كرم، دار الطليعة- بيروت، ط(١) ١٩٧٤.
- ٦١٨- الموسوعة الفلكية، خليل البدوي، دار عالم الثقافة- عمان، ط(١) ١٩٩٩م.
- ٦١٩- موسوعة الفيزياء الكونية والعلوم الفضائية، علي مولا، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٢٠- الموسوعة الكونية الحديثة، قصة نشأة الكون، عماد مجاهد، دار الخليج للنشر والتوزيع - عمان، ط(١) ٢٠٢٠م.
- ٦٢١- الموسوعة الكونية الكبرى، آيات الله في خلق الكون ونشأة الحياة في السماء الدنيا والسموات السبع، ماهر أحمد الصوفي، قدم لها: مجموعة من العلماء والباحثين، المكتبة العصرية- صيدا، بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٢٢- موسوعة المورد العربية، منير البعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط(١) ١٩٩٠م.
- ٦٢٣- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: مانع بن حماد الجهني، الناشر: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض، ط(٤) ١٤٢٠هـ.
- ٦٢٤- الموسوعة الميسرة في الفكر الفلسفي والاجتماعي (عربي- انجليزي)، كميل الحاج، مكتبة لبنان ناشرون- بيروت، ط(١) ٢٠٠٠م.
- ٦٢٥- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، عبد الوهاب المسيري، دار الشروق- القاهرة، ط(١) ١٩٩٩م.
- ٦٢٦- موسوعة سؤال وجواب: الكون، براين ويليامز، تنفيذ: الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، نشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية- الجيزة، ط(١) ٢٠٠٧م.
- ٦٢٧- موسوعة علماء الفيزياء، موريس شربل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط(١) ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- ٦٢٨- موسوعة لالاند الفلسفية، أندريه لالاند، خليل أحمد خليل، إشراف: أحمد عويدات، منشورات عويدات- بيروت، ط(٢) ٢٠٠١م.
- ٦٢٩- موقف الإسلام من نظرية ماركس، أحمد العوايشة، دار مكة للطباعة، ط(١) ١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م.

- ٦٣٠- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين، مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط(٢) ١٤٠١هـ-١٩٨١م.
- ٦٣١- موقف القرآن الكريم من الفكر المادي، محمد طالب مدلول، دار الكتب العلمية- بيروت، ط(١) ٢٠٠٧.
- ٦٣٢- موقف الليبرالية في البلاد العربية من محكمات الدين، دراسة تحليلية نقدية، صالح بن محمد الديميجي، مركز البحوث والدراسات (البيان)- الرياض، ط(١) ١٤٣٣هـ.
- ٦٣٣- المؤلفات الفلسفية، بليخانوف، ترجمة: فؤاد أيوب، دار دمشق للطباعة والنشر- دمشق، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٣٤- ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، الناشر: دار الفكر - الجزائر، دار الفكر- دمشق، ط(٣) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٦٣٥- ميليشيا الإلحاد مدخل لفهم الإلحاد الجديد، عبد الله بن صالح العجيري، تكوين للدراسات والأبحاث- بريطانيا، ط(٢) ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م
- ٦٣٦- نحن والحضارة الغربية، أبو الأعلى المودودي، الدار السعودية للنشر والتوزيع- جدة، ط١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، (د. ط).
- ٦٣٧- نحو ثقافة إسلامية أصيلة، عمر الأشقر، دار النفائس للنشر والتوزيع- عمان، ط(٤) ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
- ٦٣٨- نحو فلسفة العلوم الطبيعية، النظريات الذرية والكوانتوم والنسبية، عبدالفتاح مصطفى غنيمه، (د. ن)، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٣٩- نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني، (الطوطمية - اليهودية - النصرانية - الإسلام)، يوسف شلحت، ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الفارابي- بيروت، ط(١) ٢٠٠٣م.
- ٦٤٠- النسبية في متناول الجميع شرح مبسط للأسس العلمية والتاريخية للنظرية النسبية، جيمس كولمان، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٩م، (د. ط).
- ٦٤١- النسبية، راسل ستانارد، ترجمة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠١٤.
- ٦٤٢- نشأة الإنسان والانتقاء الجنسي، تشارلز دارون، ترجمة وتقديم: مجدي محمود المليجي، المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة، ط(١) ٢٠٠٥م.
- ٦٤٣- نشأة الفلسفة العلمية، هانز ريسنتباخ، ترجمة: فؤاد زكريا، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر- الإسكندرية، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٤٤- نشاط المذاهب الفكرية المعاصرة على الإنترنت، عبد الله بن موسى الكحيل، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع- الدمام، ط(١) ١٤٤٠هـ.

- ٦٤٥- نظرات في الفكر الإلحادي الحديث، مشير باسيل عون، دار الهادي- بيروت، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (د. ط).
- ٦٤٦- النظرة العلمية، برتراند رسل، ترجمة: عثمان نويه، مراجعة: إبراهيم حلمي عبد الرحمن، دار المدى للثقافة والنشر- دمشق، ط(١) ٢٠٠٨م.
- ٦٤٧- نظريات ومذاهب اجتماعية، السيد محمد بدوي، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٩م، (د. ط).
- ٦٤٨- نظرية التطور الداروينية خرافة باسم العلم، طالب الجنابي، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت، ط(١) ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.
- ٦٤٩- نظرية التطور وأصل الإنسان، سلامة موسى، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٥٠- النظرية العلمية في الطبيعة والمجتمع والمعرفة، ا. ب. شبتولين، دار الفارابي- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٥١- نظرية القيمة في الفكر المعاصر، صلاح قنصوة، التنوير- بيروت، ط(٢) ١٩٨٤م.
- ٦٥٢- النظرية المادية في المعرفة، روجيه غارودي، تعريب: إبراهيم قريط، دار دمشق للطباعة والنشر- دمشق، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٥٣- النظرية الماركسية في ميزان الإسلام، أمير عبد العزيز، مكتبة الأقصى- عمان- الأردن، ١٩٨١م، (د. ط).
- ٦٥٤- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، راجح عبد الحميد الكردي، مكتبة المؤيد- الرياض، ط(١) ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
- ٦٥٥- نظرية داروين بين مؤيديها ومعارضها، قيس القرطاس، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط(١) ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
- ٦٥٦- نظرية علم الاجتماع طبيعتها وتطورها، نيقولا تيماشيف، تياشيف، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار المعارف- القاهرة، ١٩٧٤م، (د. ط).
- ٦٥٧- نظرية علم الاجتماع، السيد علي شتا، مؤسسة شباب الجامعة- الإسكندرية، (د. ط)، ط ١٩٩٣م.
- ٦٥٨- النظم الإسلامية، أحمد زياب شويديح، زياد مقداد، ماهر السوسي، مكتبة آفاق- غزة، ط(٥) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ٦٥٩- النظم الاشتراكية مع دراسة مقارنة، محمد علي أبو ريان، دار المعارف- القاهرة، ١٩٦٧م، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٦٠- النظم السياسية الدولة والحكومة، محمد كامل ليلة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، (د. م)، ط(١)، (د. ت).
- ٦٦١- نفسه الإلحاد إيمان فاقد الأب، بول سي فيتز، ترجمة: مركز دلائل، دار وقف دلائل للنشر- الرياض، ط(٢) ٢٠١٣م.

- ٦٦٢- نقد الأخلاق التطورية ريتشارد دوكنيز نموذجًا، رضا زيدان، مركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١) ٢٠١٨م.
- ٦٦٣- نقد العقل العلماني دراسة مقارنة لفكر زيغمونت باومان وعبد الوهاب المسيري، حجاج أبو جبر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات- قطر، ط(١) ٢٠١٧م.
- ٦٦٤- نقد العقل المحض، عمانوئيل كانط، ترجمة: موسى وهبة، مركز الانتماء القومي- بيروت، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٦٥- نقد العقل الملحد، كيف يستدل؟ وبماذا يستدل؟ ولماذا يلحد؟، خالد كبير علال، دار المحتسب- عمان، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٦٦- نقد الفكر الديني، صادق جلال العظم، دار الطليعة- بيروت، ط(٩) ٢٠٠٣م.
- ٦٦٧- نقض الاشتراكية الماركسية، غانم عبده، ١٣٨٣هـ-١٩٦٣م، (د. ط).
- ٦٦٨- نقض الإلحاد المادي، محمد عبد الفضيل عبد العزيز، مطبوعات جامعة الإمارات العربية المتحدة، سلسلة: في الفكر العربي، (د. ط)، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ٦٦٩- نقض الإلحاد تحديات وتنبهات وإيضاحات، هاني يحيى نصري، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع- بيروت، ط(١) ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
- ٦٧٠- نقض أوهام المادية الجدلية، محمد سعيد البوطي، دار الفكر- دمشق، ط(٣) ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٦٧١- نقض المسيح، فريدريش نيتشه، ترجمة: علي مصباح، منشورات الجمل، (د. م)، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٧٢- نماذج من الفكر المعاصر، سعد عبد العزيز حباتر، جامعة عين شمس- القاهرة، ٢٠١١م، (د. ط).
- ٦٧٣- النهاية الكوارث الكونية، فرنك كلوز، سلسلة المعرفة- الكويت، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٧٤- نهاية كل شيء من الإنسان إلى الكون، كريسي إمبي، ترجمة: إيناس المغربي، مراجعة: محمد فتحي خضر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة- القاهرة، ٢٠٢٠م.
- ٦٧٥- نيتشه عدو المسيح، يسري إبراهيم، سينا للنشر- القاهرة، ط(١) ١٩٩٠م.
- ٦٧٦- هذا الكون ماذا نعرف عنه؟ راشد المبارك، دار القلم- دمشق، ط(٢) ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
- ٦٧٧- هرطقات عن الديمقراطية والعلمانية والحداثة والممانعة العربية، جورج طرابيشي، دار الساقي- بيروت، رابطة العقلايين العرب، ط(١) ٢٠٠٦م.
- ٦٧٨- هزيمة الشيوعية في العالم الإسلامي، أنور الجندي، دار الاعتصام للطباعة والنشر والتوزيع- القاهرة، ١٩٨٣م، (د. ط).
- ٦٧٩- هل أنت وهم؟ ماري ميدجلي، ترجمة: وينب صلاح، مركز براهين للأبحاث والدراسات- لندن، ط(١) ٢٠٢٠م.

- ٦٨٠- هل تحدث القرآن عن نشأة الكون؟ محمد أحمد داود، جمعية المعرفة- بني جمرة- البحرين، سلسلة حوار الإيمان والإلحاد، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٨١- هل لك في الكون نقيض؟ أصل الكون والكون المعكوس، عبد المحسن صالح، الهيئة المصرية العامة للكتاب- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٨٢- هناك إله، كيف غير أشهر ملحد رأيه؟ أنتوني فلو، ترجمة: صلاح الفضلي، مراجعة وتعليق: مرتضى فرج، العتبة العباسية المقدسة- كربلاء، ط(٢) ١٤٣٨هـ.
- ٦٨٣- هيرقليطس فيلسوف التغيير وأثره في الفكر الفلسفي، علي سامي النشار، دار المعارف- القاهرة، ط(١) ١٩٨٢م.
- ٦٨٤- الوجه الحقيقي للإلحاد، رافي زكرياس، ترجمة: ماريانا كتكوت، طباعة رؤية للطباعة، نشر: ماهر صموئيل- القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٦٨٥- وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت، دار الفكر- دمشق. (د. ط)، ١٤٣١هـ- ٢٠٠٢م.
- ٦٨٦- الوجود الحق، حسن هويدي، (د. ن)، بيروت، (د. ط)، ١٣٩٨هـ- ١٩٧٨م.
- ٦٨٧- وجود الله، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة- القاهرة، ط(٦) ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
- ٦٨٨- الوراثة البشرية، اشيلي مونتاجيو، ترجمة: زكريا فهمي، نشر فرانكلين- القاهرة، بالاشتراك مع مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ١٩٧٠م، (د. ط).
- ٦٨٩- وهم الإلحاد، عمرو شريف، تقديم: محمد عمارة، (د. ن)، (د. م)، ١٤٣٥هـ، (د. ط).
- ٦٩٠- وهم الإله، ريتشارد دوكنيز، ترجمة: بسام البغدادى، (د. ن)، (د. م)، ط(٢) ٢٠٠٩م.
- ٦٩١- وهم الشيطان الإلحاد ومزاعمه العلمية، ديفيد بيرلنسكي، ترجمة وتعليق وتوثيق: عبد الله سعيد الشهري، مركز دلائل- الرياض، ط(١) ١٤٣٧هـ.
- ٦٩٢- وهم دوكنيز، ليستر ماكغراث، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية- النجف- العراق، ١٤٣٨هـ- ٢٠١٧م، (د. ط).

ثانياً: الرسائل والأبحاث العلمية:

- ١- الاتجاهات الفلسفية اليونانية في الإلهيات دراسة نقدية (ماجستير غير منشورة)، أحمد سعود الغامدي، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٣٥هـ- ٢٠١٤م.
- ٢- أثر العلمانية في التربية والتعليم في العالم الإسلامي (ماجستير غير منشورة)، محمد بن عبد العزيز السديس، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٠هـ- ١٤٠١هـ.
- ٣- أسس الإلحاد المعاصر وطرق مواجهته (ماجستير غير منشورة)، ياسر إبراهيم بحري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

- ٤- أسس النظرية الماركسية عرض ونقد، أسيد خليل القطو (ماجستير غير منشورة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.
- ٥- أطروحات التوفيقيين حول قضايا المرأة بين الإسلام والعلمانية دراسة نقدية (دكتوراة غير منشورة)، محمد إبراهيم العوضي، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٥هـ.
- ٦- الإلحاد المعاصر نشأته، أسبابه، ونقد أسسه (ماجستير غير منشورة)، أحمد محمد أحمد جلي، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٤١٣هـ.
- ٧- الإلحاد في العصر الحاضر وموقف العقيدة الإسلامية منه، دراسة تحليلية (ماجستير غير منشورة)، عبد العزيز سعد المحمدي، جامعة المدينة العالمية، ماليزيا، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
- ٨- الإلحاد وآثاره في الحياة الأوربية الحديثة (ماجستير غير منشورة)، صالح إسحاق صالح، إشراف: الشيخ محمد الغزالي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٠٠-١٤٠١هـ.
- ٩- الإلحاد وسبب انتشاره، (ماجستير غير منشورة)، محمود الشوبكي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٥هـ.
- ١٠- إميل دوركايم والتأسيس السوسولوجي للحدث (بحث محكم)، زكريا الإبراهيمي، مؤمنون بلا حدود- الرباط، مؤسسة الدراسات والأبحاث، ٢٠١٦م، (د. ط).
- ١١- بطلان نظرية (إم) من منظور فيزيائي (بحث)، حسن يوسف شهاب الدين، المؤتمر الدولي الرابع للعلوم والتنمية - كلية العلوم بالجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠١١م، (د. ط).
- ١٢- التجديد السياسي في الخبرة الإسلامية- نظرة في الواقع العربي المعاصر (دكتوراة غير منشورة)، سيف الدين عبد الفتاح، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- ١٣- الدين والفلسفة المادية الجدلية (ماجستير غير منشورة)، أحمد علي حيشي، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٣٩٦هـ-١٩٧٦م.
- ١٤- السلوك العدواني لدى طلبة المرحلة الإعدادية، زينة أكرم شهيد، جامعة القادسية- العراق، ١٤٤٠هـ-٢٠١٩م، (د. ط).
- ١٥- شبهات الماديين الغربيين حول الأخلاق في ضوء الإسلام، دراسة تحليلية نقدية (دكتوراة غير منشورة)، محمد محمود نصايرة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، ٢٠١٦م.
- ١٦- الشعر العباسي بين النزعتين المادية والمثالية حتى نهاية القرن الثالث الهجري دراسة موضوعية وفنية (دكتوراة غير منشورة) ياسين عبد المقصود سرور الأنصاري، جامعة الأزهر، نُشرت سنة ٢٠١١م.
- ١٧- ظاهرة الإلحاد في العالم الافتراضي الواقع والحلول (ماجستير غير منشورة)، معاذ صالح عبد المحسن العامر، جامعة حائل- السعودية، ١٤٣٦هـ.
- ١٨- العقل الوضعي عند أوجست كونت (ماجستير غير منشورة)، إعداد: الطاهر مولف، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

- ١٩- غاية الكون بين الإسلام والمادية (دكتوراة غير منشورة)، نجاة موسى الذيب، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٢٣هـ-١٤٢٤هـ.
- ٢٠- الفكر المادي الأوروبي الحديث والمعاصر في ميزان الفكر الإسلامي (دكتوراة غير منشورة)، سلوى محمد فريج، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، ٢٠١٣م.
- ٢١- الفكر المادي الحديث ومقاومته بتطبيق الشريعة الإسلامية (ماجستير غير منشورة)، أحمد قاسم أبو حشيش، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ-١٤٠٥هـ.
- ٢٢- الفكر المادي المعاصر في البلاد العربية وموقف الفكر الإسلامي منه (دكتوراة غير منشورة)، سعود بن سلمان آل سعود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٩٩٣م.
- ٢٣- الفكر المادي في نماذج من كتابات سلامة موسى وإسماعيل مظهر وعباس محمود العقاد وعلاقته بالثورة العلمية الكبرى ومنطوياتها الفلسفية كما تجلت في إنجلترا في القرن السابع عشر (دكتوراة غير منشورة)، أيوب عيسى أيوب أبو دبة، جامعة القديس يوسف - معهد الآداب الشرقية - لبنان، ٢٠٠١م.
- ٢٤- الفلسفات المادية الغربية وأثرها في الفكر الاندونيسي (ماجستير غير منشورة)، زين العارفين ابن زكريا، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ١٩٩٧م.
- ٢٥- الفلسفات الوضعية عند أوغست كونت وأسباب ظهورها (بحث)، إلهام محمد شاهين، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، جامعة الأزهر - القاهرة، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٦- في نقد مسلمات الفلسفة الغربية عند الفيلسوف المسيحي، إدريس مقبول، محاولة في البناء والتركيب، مؤتمر المسيحي: الرؤية والمنهج، ٢٠٠٧م.
- ٢٧- القيمة والبنية الاقتصادية عند كارل ماركس (ماجستير غير منشورة)، رشيدة شرقي، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، ٢٠١٥-٢٠١٦م.
- ٢٨- المادية التاريخية وانعكاساتها على الرسم الاشتراكي، زهراء هادي العزاوي (دكتوراة غير منشورة)، جامعة بابل، ٢٠١٣م.
- ٢٩- المادية بين فيورباخ وماركس (ماجستير غير منشورة)، عادل الزياب العلي، جامعة دمشق، دمشق، ١٩٨٩-١٩٩٠م.
- ٣٠- النظريات العلمية الحديثة مسيرتها الفكرية وأسلوب الفكر التغريبي العربي في التعامل معها دراسة نقدية (دكتوراة منشورة)، حسن الأسمرى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، طبع على نفقة: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، الناشر: مركز التأصيل للدراسات والبحوث، جدة - السعودية، ط(١) ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م.
- ٣١- نقد الفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري (ماجستير غير منشورة)، محمد أحمد أيوب، جامعة الجزائر (١) يوسف بن خدة، الجزائر، ١٤٣٥هـ-١٤٣٦هـ/٢٠١٤-٢٠١٥م.

٣٢- الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها (ماجستير غير منشورة)، يوسف محمد الأحمد، جامعة أم القرى، مكة، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

ثالثاً: المجالات العربية (المطبوعة والإلكترونية):

- ١- اتجاهات في الفيزياء استغلال طاقة نقطة الصفر، مجلة العلوم، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ترجمة: محمد بغدادي، مراجعة: محمد عبد الكريم أحمد، م ١٤، ١٩٩٨.
- ٢- اتصال أبعاد الطبيعة المادية في فكر ملا صدرا وأينشتاين، مهدي دهباشي، مجلة مسارات، تونس، م/ع: ٦٤، ٢٠١٦م، مركز مسارات للدراسات الفلسفية والإنسانيات.
- ٣- أخطاء النزعة المادية في العالم الإسلامي: نقد كتابات جودت سعيد، عادل التل، مجلة البيان، الرياض، م/ع ٦٣، ١٩٩٣م.
- ٤- أركان العلم، كارل بيرسن، ترجمة: فؤاد زكريا، تلخيص: يحيى فرغل، مجلة تراث الإنسانية، مصر، م ٣، ع ١٢.
- ٥- أزلية الكون بين العلم والذيف، مصطفى قديح، مجلة براهين، لندن، ع ٤٤، ٢٠١٥م.
- ٦- إسلام رجاء جارودي، ثورة على الإلحاد والمادية، سيد فرج راشد، مجلة الفيصل، الرياض، ع ٩٩، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- ٧- أضواء على المذاهب الهدامة، عبد القادر شيبه الحمد، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ع ٧٤.
- ٨- الإعلام الإسلامي للعقل البشري، دراسة في الفلسفات والتيارات الإلحادية المعاصرة، بليغ حمدي إسماعيل، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، الإصدار التاسع والعشرون، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في الكويت.
- ٩- أهداف التربية في الفكر الجدلي المادي، عصام الدين على حسن هلال، مجلة التربية المعاصرة، القاهرة، م ١٢، ع ٣٩، ١٩٩٥م، الناشر: رابطة التربية الحديثة- القاهرة.
- ١٠- أيقونات التطور علم أم خرافة، جوناثان ويلز، ترجمة: أحمد ماحي هدية مجلة براهين، لندن، ع ١٤، مركز براهين لدراسة الإلحاد ومعالجة النوازل العقديّة.
- ١١- الإيمان بالغيب والنظرية المادية، وهبة الزحيلي، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، م ١٣، ع ١٥٥، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ١٢- الحيوية في مواجهة الفكر المادي، مجدي عبد الحفيظ، مجلة أدب ونقد، ع ٤٠، ١٩٨٨م، الناشر: حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي- مصر.
- ١٣- الشيوعية في الميزان، محمد علي عبد السميع، الطبعة: السنة العاشرة - العدد الثاني - ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

- ١٤- طه حسين ببلوغرافيا ١٨٨٩-١٩٧٣، مجلة القاهرة، ع١٣٢، ١٩٩٣م.
- ١٥- العلمانية وانتشارها شرقاً وغرباً، فتحي القاسمي، سلسلة موافقات- العدد ١٦، الدار التونسية للنشر- تونس، ١٩٩٣م.
- ١٦- العلمانية وموقف الإسلام منها، حمود بن أحمد الرحيلي، ع١١٥، ١٤٢٢هـ، الناشر: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ١٧- الفيزياء الحديثة والمادية الجدلية، إفيشيوس بتساكيس، ترجمة: عبد الرزاق السومري، م١٠، ع٩، ١٩٩٨م، الناشر: جمعية مدررات معرفية، تونس.
- ١٨- الفيزياء والماكروفيزياء، لويس دي برولي، ترجمة: رمسيس شحاته، مجد مرسي أحمد، سلسلة الألف كتاب، القاهرة، ع٦٣٤، نشر عام: ١٩٦٧م.
- ١٩- المادية وموت الإنسان، عبد الوهاب المسيري، مجلة المسلم المعاصر، م٢٠، ع٧٩، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، تاريخ الاطلاع: ١٥ فبراير ٢٠٢٠م، الموقع: [.https://bit.ly/39P4JOU](https://bit.ly/39P4JOU)
- ٢٠- المثالية والمادية في التحليل الاقتصادي، عبد الرزاق محمد حسن، مجلة مصر المعاصرة، القاهرة، م٤٤، ع٢٧٤، نشر: الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والإحصاء والتشريع- القاهرة.
- ٢١- مجلة الثقافة الأمريكية، م٢، ع٤٤، مقال فانيفار بوش.
- ٢٢- مجلة العربي- الكويت، ع١٨٥، سنة ١٩٧٤م.
- ٢٣- مجلة العلم والمجتمع، الطبعة العربية من مجلة IMPACT، عدد خاص عن العلم والظواهر الخارقة، ع١٩٥، ١٩٧٥م، نشر اليونسكو.
- ٢٤- مجلة ديوجين "مصباح الفكر"، تيودور بابادوبولس، ع٨، سجل العرب، القاهرة، ١٩٦٨م، (د. ط)، (د. ت).
- ٢٥- محاضرة العالم ستيفن عن وجود الله، عادل أحمد، مجلة الملحنين العرب، يتأسسها: فينوس صفوري، المنظمة العامة للملحنين العرب.
- ٢٦- المذهب المادي في العصر الحاضر، أحمد فؤاد الأهواني، مجلة الأزهر، القاهرة، الجزء العاشر، المجلد الثالث والعشرون، ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.
- ٢٧- معاول علمية في جدار المادية، عماد الدين خليل، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، م١٧، ع١٩٩، ١٩٨١م، نشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.
- ٢٨- الملامح السيولوجية في النظرية الاشتراكية، غريب سيد أحمد، عبد الباسط عبد المعطي، المجلة الاجتماعية القومية، المركز القومي للبحوث الاجتماعية، مصر، م٤، ع٢٤، ١٩٦٧م.
- ٢٩- النزعة السياسية في الفكر السياسي الغربي المعاصر، عبير مهدي، المجلة السياسية والدولية، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد.

- ٣٠- نقد الحداثة، ألان تورين، ترجمة: عقيل الشيخ حسين، مجلة المنطلق الجديد، بيروت، ١٠١٤-١٠٩، ١٩٩٤م.
- ٣١- نيتشه فيلسوف العلمانية الأكبر، عبد الوهاب المسيري، مجلة أوراق فلسفية، ع ١٠، تاريخ الاطلاع: ١٠ فبراير ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/37TAxCK>)، ١٢ يوليو ٢٠٠٩م.
- ٣٢- الوجودية في الميزان، مصطفى غلوش، مجلة رسالة الإمام، القاهرة، ع٤، تصدرها وزارة الأوقاف، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

رابعًا: المواقع الالكترونية:

- ١- ستيفن هوكينج وخلق العالم، محمد باسل الطائي، مؤسسة الحوار المتمدن، ع٣١٥، ٢٠١٠م، تاريخ الاطلاع: ١٢ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/38VL6W5>).
- ٢- العلاقة بين المادية ووحدة الوجود عند المسيري، إيمان محمد العسيري، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3aJEvPU>)، ١٠ يناير ٢٠١١م.
- ٣- علم الاحياء المجهرية *Microbiology*، أسامه عبد الكاظم العجيلي، موقع: جامعة بابل، تاريخ الاطلاع: ٣ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3udDuWV>)، ٩ ديسمبر ٢٠١٥م.
- ٤- لماذا يلحد علماء الطبيعيات الغربيون؟ محمد باسل الطائي، تاريخ الاطلاع: ٥ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2WOM5Rm>)، ٤ فبراير ٢٠١٥م.
- ٥- مغالطات أكنوية أن الكون نشأ من لا شيء دون الحاجة إلى خالق، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ٢٩ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://www.alukah.net/sharia/0/95709>)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٥م.
- ٦- مغالطات أكنوية أن ميكانيكا الكم تلغي السببية، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2M5RjG1>)، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.
- ٧- الملحد ووهم أزلية المادة والكون، ربيع أحمد، تاريخ الاطلاع: ١٧ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2WO642r>)، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م.
- ٨- موقع كلية التربية للعلوم الانسانية، المدرسة الغرضية، جؤذر حمزة كاظم الفتلاوي، جامعة بابل، تاريخ الاطلاع: ١٥ أبريل ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3oFFR2i>)، ٣ مارس ٢٠١٩م.
- ٩- موقع الباحثون المسلمون، الكون يظهر نفسه من العدم، تاريخ الاطلاع: ١٥ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3poseoe>).
- ١٠- موقع الباحثون المسلمون، داروين: مشهد ريشة في ذيل الطاووس يجعلني أشعر بالمرض، تاريخ الاطلاع: ١١ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/34MIZTq>).
- ١١- موقع الجزيرة، يدون حلمه ثم يفسره.. هكذا أثبت فرويد نظريته في تفسير الأحلام، تاريخ الاطلاع: ١٣ يوليو ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/37PloCk>)، ٦ مايو ٢٠٢٠م.

- ١٢- موقع الحزب الشيوعي السوري، ما هي الفلسفة المادية، تاريخ الاطلاع: ١٢ نوفمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2Mf94Db>)، ٧ نوفمبر ٢٠١٩م.
- ١٣- موقع صحيفة العربي الجديد، آخر أفكار ستيفن هوكينج... فوضى الثقوب السوداء، تاريخ الاطلاع: ٥ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3aLfuEg>)، ١٣ أكتوبر ٢٠١٨م.
- ١٤- موقع فيسبوك، صفحة الملحدون زادوني إيمانًا، تاريخ الاطلاع: ٤ نوفمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/2KYrw22>)، ١٦ يوليو ٢٠١٥م.
- ١٥- موقع للعلم، ما هو حجم ما نستطيع معرفته، مارسيلو جليزر، تاريخ الاطلاع: ١٥ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/38HYwE9>)، ٢٤ يوليو ٢٠١٨م.
- ١٦- موقع مدونة نفس الإلحاد، لماذا البيج بانج شيء مخرج للملاحظة ولماذا سقطت الأزلية وسناريوهات الملاحظة الهزلية؟، تاريخ الاطلاع: ٥ سبتمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3nUZva7>)، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٥م.
- ١٧- موقع منظمة المجتمع العلمي العربي- ارسكو، آراء هوكينج، عبد الحفيظ العمري، تاريخ الاطلاع: ١٣ مارس ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/34MBCKG>)، ١٩ أبريل ٢٠١٤م.
- ١٨- موقع ويكيبيديا، تعدد الأكوان، تاريخ الاطلاع: ٢٨ نوفمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3oSSp5U>).
- ١٩- نظرية الأوتار قد تعني وجود أكوان أقل بكثير مما كان معتقدًا، بقلم: كلارا موسكوفيتز، موقع: للعلم، تاريخ الاطلاع: ٢ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/34My9LP>)، ٢٨ سبتمبر ٢٠١٨م.

خامسًا: الصحف والجرائد:

- ١- العلماء والخبراء يردون على هوكينج بشأن غياب الخالق، صلاح أحمد، موقع صحيفة إيلاف، تاريخ الاطلاع: ٥ نوفمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3qEkMWu>)، ٤ سبتمبر ٢٠١٠م.

سادسًا: المقابلات والفيديوهات:

- ١- دقة قوانين الكون تخرج الملاحظة - ريتشارد دوكنيز مع ستيفن وينبرج [DVD]، شركة اليوتيوب، تاريخ الاطلاع: ٢١ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3mWAD0u>)، تم نشره بتاريخ: ٣٠ نوفمبر ٢٠١٦م.
- ٢- رجور بنروز يحبط دوكنيز الأكوان المتعددة مجرد احتمال بلا اثبات [DVD]، شركة اليوتيوب، تاريخ الاطلاع: ٢٧ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3przvn9>)، تم نشره بتاريخ: ٨ يناير ٢٠١٦م.

- ٣- قناة CNN، الولايات المتحدة، المقابلة التاريخية، ستيفن هوكينج، أجرى المقابلة: لاري كينغ، ١٠ سبتمبر ٢٠١٠م، تم نشره على موقع شركة اليوتيوب: (<https://bit.ly/2JpqtYE>).
- ٤- مناظرة بين ريتشارد دوكنز وديباك شوبرا [DVD]، شركة اليوتيوب، تاريخ الاطلاع: ٢٨ ديسمبر ٢٠٢٠م، الموقع: (<https://bit.ly/3nSMU7A>)، تم نشره بتاريخ: ١٩ مايو ٢٠١٦م.

المراجع الأجنبية:

أولاً: الكتب:

- 1- *100 Years Of Nobel Prizes*. Baruch Aba Shalev. Americas Group, Cairo Governorate 9 September 2002.
- 2- *A Beginner's Guide to Scientific Method*. Stephen S. Carey. Cengage Learning ,2011.
- 3- *A Grammar Of The Social Curriculum*. Emile Durkheim. Flammarion. 1988.
- 4- *A Matter Of days: Resolving A creation Controversy*. Hugh Ross. Covina, CA: RTB Press: New York. 2015.
- 5- *A Theory of Everything* .Ken Wilber. Publications Shambhala , Boston. Published In October , 2001.
- 6- *A Universe From Nothing: Why There Is Something Rather Than Nothing*. Lawrence M. Krauss. Ferr Press, New York, 2012.
- 7- *Advice To A Young Scientist*. P. B. Medawar. Basic Books, new York . 15 July 1981.
- 8- *An Incompleteness Theorem For The Natural World: In Irreducibility and Computational Equivalence*. Rudy Rucker. Springer Berlin Heidelber, (2013).
- 9- *An Introduction To Social Psychology*. William McDougall. Batoche Books Kitchener, Canada. 2001.
- 10- *Atheism Revisited: Rethinking Modernity And Inventing New*
- 11- *Auguste Comte And Positivism The Essential Writings*. Gertrud Lenzer. Published By Routledge. 1975.
- 12- *Chance Necessity*. Jacques Monod. Collins. 1 January 1972.
- 13- *Comment Je Vois Le Monde (Champs sciences) (French Edition)*. Albert Einstein. Flammarion, Paris. 4 October 2017.
- 14- *Cosmological Arguments: The Blackwell Guide To The Philosophy Of Religion*. William mann. Blackwell, Oxford, 2005.

- 15-*Cosmology From The Top Down*. Stephen Hawking, Paper Presented At The Davis Cosmic Inflation Meeting. U. C. Davis. 29 May 2003.
- 16-*Cosmos, Bios, Theos*. Henry Margentau, Roy A. Vargesse. La Sale Il Open Court Publishing, Chicago, 1992.
- 17-*Creation Revisited: The Origin Of Space, Time And The Universe*. Peter Atkins. Penguin books, New York. 1994 .
- 18-*Darwinism The Refutation Of a Myth*. Soren Lovtrup. Springer, Berlin . 25 June 1987.
- 19-*Debating Evidence For The Origin Of Life On Earth*. Jeffrey Bada . February 1998 . (N. P).
- 20-*Discreet Charm of Nihilism*. Czeslaw Milosz. 19 November 1998. (N. P).
- 21-*Disturbing The Universe*. Freeman Dyson. Harper & Row, New York. 1979.
- 22-*Do You Belive In The Big Bang?.* Jim Sweitzer. Astronomy, 30 December 2002.
- 23-*Effects Of varied- Stimulus Training On Fear Reduction And Return Of Fear*. Rowe MK, craske MG. 1998. (N .P).
- 24-*Emile Durkheim. Sociologist And Philosopher*. Dominick LaCapra. The Davies Group, Second Ed., 2001.
- 25-*Evolution Vs. creationism, An Introduction*. Eugenie C. Scott. Second Edition, Greenwood Press.
- 26- *Exposition Antitheologies Du System Du Monde (Philosophie) (French Edition)*. Sans Auteur . Hachette Livrebnf , Paris . 28 February 2018.
- 27-*Friedrich Engels*. Ludwig Feuerbach. Interational Publishers, New York. 1974.
- 28-*From Darwin to Hitler*. Richard Vicart. Palgrave Macmillan, London . 2004.
- 29-*From The Religion Of The Future*. Emile Durkheim. Online Edition, Social Science Classics. 1914.
- 30-*God and Stephen Hawking Whose Design Is It Anyway?.* John Lennox. Lion Books. England. 18 February 2011.
- 31-*God And The Astronomers*. Robert jastrow. Norton & Company (NY), New York, 1992.

- 32-*God And The New Cosmology: IS the Anthropic Design Argument.* Michael Anthony Corey. Lanham, Md: Rowman And Littlefield, 1993.
- 33-*God And the New Physics.* Paul davies. Simon and Schuster, New York, 1983.
- 34-*God Created The Integers .* Stephen Hawking . Running Press Adult , Philadelphia London . New Edition 9 October 2007.
- 35-*God Is Great , God Is Good Why Believing In God Is Reasonable And Responsible.* William. L. Craig And Chad Meister. 2009. (N. P).
- 36-*God? A Debate Between A Christian and an Atheist.* William Lane Craig And Walter Sinnott-Armstrong. Oxford University Press, Oxford, 2004.
- 37-*God's Undertaker: Has Science buried God?.* John C. Lennox. Lion Hudson plc. 2009.
- 38-*Green Rage: Radical Environmentalism And The Unmaking Of Civilization.* Christopher Manes. Copyright By Christopher Manes. 1990.
- 39-*How The World Works A Guide To Science's Greatest Discoveries .* Boyce Rensberger. William Morrow, New York. 1 January 1986.
- 40-*I don't Have Enough To Be An Atheist.* Norman L. Geisler, Frank Turek, David Limbaugh An Crossway, 2004.(N. P).
- 41-*Inspace: times Are Not Past- Complete.* Phys. A. Borde, Guth And A. Vilenkin. Rev. letters, 1982.
- 42-*Introduction To The History Of Science.* George Sarton. Carneigie Institution Of Wash, York New. 1 January 1962.
- 43-*Just Six Numbers: The Deep Forces that Shape the Universe.* Martin Rees. Basic Books, New York, 2000.
- 44-*Large Cardinals In Set Theory From Their Beginnings (Springer Monographs in Mathematics).* Akihiro Kanamori. Springer, Berlin. 11 April 2013.
- 45-*Life And Mind In The Universe.* George Wald. In Cosmose, Bios, Theos, Ed. Henry margenau And Roy Abraham Varghese (la sale, IL: open court, 1992).
- 46-*Many Worlds In One: The Search For Other Universes.* Alexander Vilenkin. Hill and Wang, New York, 2006.
- 47-*Masks Of The Universe.* Edwrđ Harrison. Collier Books, Macmillan, New York, 1985.
- 48-*Mystical Writings Of The World's Greatest Physicists.* Ken Wilber . Shambhala. Edition. 10 April 2001.

- 49–*National Academy Of Sciences, Teaching About Evolution And The Nature Of Science*. National Academy. Washington, DC, 1998.
- 50–*Natural Philosophy Of Cause And Chance*. Max Born. Andesite Press . 24 August 2017.
- 51–*Natural Theology or Evidences of the Existence and Attributes of the Deity*. William Paley. Publisher: Cambridge University Press.
- 52–*Nothing: A Very Short Introduction*. Frank Close. Oxford University press. 2009.
- 53–*On The Infinite*. David Hilbert. Publisher: Cambridge University Press. 1984.
- 54–*One world*. John polkinghome. SPCK, London. 1986.
- 55–*Organization Of management*. Gilbert,J,B,Probst. Al :Les Editions Of Organization, Brugimman Paris. 1997.
- 56–*Oxford Dictionary Of Philosophy*. Simon Blackburn. oxford university press. 1996.
- 57–*Philosophical Foundations For a Christian Worldview*. J. P. Moreland & William Craig. InterVarsity Press, USA, 2003.
- 58–*Politics*. Andrew Heywood. Macmillan Press, London. 1997.
- 59–*Properties Of Expanding Universes (Published PhD thesis)* . Stephen Hawking . Cambridge Books. London . 27 October 2017.
- 60– *Rare Earth: Why Complex life Is Uncommon In The Universe*. Peter Ward And Donald Brownless. Copernicus books, 2000.
- 61– *Reasonable Faith: Christian Faith And Apologetics*. William Lane Craig. Crossway Books. 3rd edition 2008.
- 62– *River Out Of Eden A Darwinian View Of Life*. Richard Dawkins. Basic Books, new York. 23 August1996.
- 63– *Scientists Who Glimpsed God*. Clive Cookson. Financial Times, 29 April, 1995.
- 64– *Serious Talk: Science And Religion In Dialogue*. John Polkinghorne. Triniy Press Interational, London. 1995.
- 65– *Shorter Routledge Encyclopedia Philosophy* . Edward craig . Routledge , London, New York . First Published . 2005.

- 66- *Show me god.* fred heeren. Publisher: Wheeling, IL : Day star publications. 1997.
- 67- *Six Easy Pieces.* Richard Feynman. basic books, York New. 22 March 2011.
- 68- *Speech Given By Lord Kelvin After The Victoria Institute Annual Address of 1899.* George Stokes. Journal Of The Transactions Of The Victoria , 1899.
- 69- *Stephen Hawking And Roger Penrose, The Nature Of Space And Time.* The Isaac Newton. Institute Series Of Lectures. Princeton, N. J.: Princeton .University Press, 1996.
- 70- *Stephen Hawking's A Brief History Of Time: A Reader's Companion.* Stephen Hawking, Gene Stone. Bantam Books, New York. 1982.
- 71- *Studies In Comparative Religion.* Alfred, S ,Geden. Charles Kelly, London. 1998.
- 72- *Suicide: A Study In sociology.* Emile Durkheim. By: G. Simpson, The Free Press, Glencoe. 1951.
- 73- *The Coming Crisis Of Western Sociology.* Alvin Ward Gouldner. New Delhi, London. 1971.
- 74- *The Cosmic Blueprint: New Discoveries In Nature's Creative Ability To Order The Universe.* Paul Davies. Simon & Schuster Inc, London, 1989.
- 75- *The Creator And The Cosmos: How The Latest Scientific Discoveries Of The Century Reveal God .* Hugh Ross . NavPress, Colorado. 1 June 2000.
- 76- *The Existence Of God.* Richard Swinburne. 1979. (N. P).
- 77- *The Fifth Miracle: The Search For The Origin And Meaning Of Life.* Paul davies. Orion Production, USA, 1999.
- 78- *The Goldilocks Enigma: Why Our Universe Is Just Right For Life.* Paul Davies. Penguin Group Publishing. 2006.
- 79- *The Great Evolution Mystery.* Gordon Rattray Taylor. Harper & Row, new York. 1 Enero 1983.
- 80- *The Greatest Show On Earth: The Evidence For Evolution.* Richard Dawking. Transworld Publishers, London. 2009.
- 81- *The Group Mind A Sketch Of The Principles Of Collective Psychology.* William McDougall. Cambridge University Press. 1920.
- 82- *The Intelligent Universe: A New View Of Creation And Evolution.* Fred Hoyle. Published: by Michael Joseph Ltd. 31 October 1983.

- 83– *The Large Scale Structure Of Space-Time* . Stephen Hawking & George F. R. Ellis . Cambridge University Press . New edition. 27 February 1975.
- 84– *The Limits Of Science*. P. Medawar. HarperCollins, new York. 1 January 1836.
- 85– *The Making Of Religion*. Andrew lang. Ams Press, New York. 1968.
- 86– *The Mind Of God: The Scientific Basis For A Rational World*. Paul Davies. Simon & Schuster, New York. 5 March 1993.
- 87– *The Nature Of Space And Time, The Isaac Newton Institute Series Of Lectures*. Stephen Hawking and Roger Penrose. Princeton University Press, Princeton, 1996.
- 88– *The Nature Of the Physical World*. Arthur Eddington. Macmillan, New York, 1928.
- 89– *The Origins Of Life*. Alexander Ivanovich Oparin.1924. (N. P).
- 90– *The Oxford Companion to Philosophy* . Ted Honderich . Oxford University Press , England . 1 January 1995, 26 May 2005.
- 91– *The Positive Philosophy*. Auguste Comte. Translation: Harriet Martineau And John chapman. Publisher: Cambridge University Press. 1853.
- 92– *The Selfish Gene* . Richard Dawkins. Oxford University Press, Oxford. 1976.
- 93– *The Soclological Tradition*. Robert Nisbet. Heinmann, London. 1971.
- 94– *The Souls Upward Yearning: Clues to our Transcendent Nature From Experience And Reason*. Robert Spizer. California Ignatius Press, san Francisco, 2015.
- 95– *The Unity Of The Universe*. Dennis William Sciama. 1959. (N. P).
- 96– *The World On A String*. Freeman Dyson. New York review Of Books, (8), (2004).
- 97– *Three Essays On The Theory Of Sexuality*. Sigmund Freud. Translation: James Strachey. Basic Books, New York. 1905.
- 98– *Tradition And Revolt*. Robert Nisbet. Published By Routledge. 1999.
- 99– *Universe an Introduction To The Most Remarkable Scientist Of Our Time*. Stephen Hawking. Avon Books, New York. 1985.
- 100– Washington, D.C . Published in 1992 , Updated Edition 20 August 2002.
- 101– *Where Is Science Going*. Max Planck, Albert Einstein, James Murphy. W. W. Norton & Company, York New. 1932.

ثانيًا: المواقع الإلكترونية:

- 1- *5 Reasons we May live In amultiverse* . moskowitz Clara , Retrieved 3 November 2020, From: (<https://bit.ly/34RNGKE>), 7 December, 2012.
- 2- *Hawking And God: An Intimate Relationship* . Marcelo Gleiser, Retrieved 20 September 2020, From: (<https://n.pr/3nVU4rM>), 2010.
- 3- *Hawking Gives Up*. Peter Woit. Retrieved 4 November 2020, From: (<https://bit.ly/3aRQHhb>), 7 September 2010.
- 4-Site: Thoughtco, *Multiverse Definition And theory, what is Multiverse? Can It Be Real?* Andrew Jones. Retrieved 7 November 2020, From: (<https://bit.ly/3pzHzm1>), 28 March 2019.
- 5-Site: Universe Today Space And Astronomy News. *What Is The Multiverse Theory?*. Retrieved 5 August, 2020. From: (<https://bit.ly/3ky6cOR>).
- 6-*Stephen Hawking And God* . John Lennox. Retrieved 10 November 2020, From: (<https://bit.ly/3aQsRDb>). 2010.
- 7-*The Grand Design*, Roger Penrose, financial times, Retrieved 4 November 2020, From: (<https://on.ft.com/37LkMNB>), 4 september 2010.

ثالثًا: المجالات:

- 1- A Redefinition Of social Phenomena: Giving A Basis For Comparative Sociology. John Markey. *American Journal Of Sociology*, (U S A), Volume 31, Number 6. Published By: The University Of Chicago Press, May 1926.
- 2- Chance Or Choice: Is the Universe An Accident?. Pual Davies. *Journal new scientist*, Britain, Volume 80, Issue 1129. 16 November 1978.
- 3- Cosmology: The untestable multiverse. George Ellis. *Journal Nature*, Britain, Volume 469, Issue 7330. 19 January 2011.
- 4- Dirac's Cosmology And Mach's Principle. Dicke, R. H. *Journal Nature*, Britain, Volume 192, Issue 4801. 1961.
- 5- Does the Multiverse Really Exist?. George Ellis. Published by: *Scientific American*, (U S A), A division of Nature America, Inc. Volume 305, Issue 2. 1 August 2011.
- 6-Is The Universe A Vacuum Fluctuation?. Edward P. Tryon. *Journal Nature*, Britain, Volume 246, Issue 5433. Published: 14 December 1973.
- 7-Numerical Coincidences and Tuning in Cosmology. Martin J. Rees. *Journal of High Energy Physics*. Retrieved 28 September 2020, From:

- (<https://bit.ly/2ZSCLgw>), Astrophysics and Space Science volume 285, pages375–388(2003)Cite this article .
- 8–Relative State' Formulation Of Quantum Mechanics. Hugh Everett. *Reviews Of Modern Physics Journal*, (U S A), 29 (3), 1 July 1957.
 - 9–Size Doesn't Always Matter For Peacocks. Ewen Callaway. *Nature International Weekly journal*. Retrieved 13 December 2020, From: (<https://go.nature.com/2NiJGNc>), 18 April 2011.
 - 10–The End Of The Wold: From The Standpoint Of Mathematical Physics. Arthur S. Eddington. *Journal Nature*, Britain, Volume 127, Issue 3203. March 1931.
 - 11–*What Remains To Be Discovered*. John Maddox. New York: Touchstone. 1998.
 - 12–Why It's Not As Simple As God Vs The multiverse. Amanda Gefter. *Journal new scientist*, Britain, 3 December 2008.

الفهارس العامة

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

ثانياً: فهرس الأماكن.

ثالثاً: فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم

٢٥٨	Edward Lamietier	إدوارد لاميتير
٢٦٣	Edward Luther Kessel	إدوارد لوثر كيسيل
٢٧٧	Edward Harrison	إدوارد هاريسون
٢٥٢	Arthur Eddington	آرثر إدنغتون
٣٥	Arthur Schopenhauer	آرثر شوبنهاور
٢٠	Aristotle	أرسطو
٢٢٢	Ernest Meyer	إرنست ماير
٢١٦	Ernst Heikal	إرنست هيكل
٢٠	Espinoza	إسبينوزا
٢٣٨	Agassiz	أغاسيز
٢٩	aflaton	أفلاطون
٢٢٩	Aflotin	أفلوتين
٢٤١	Alfred Russell Woolas	ألفرد روسيل وولاس
٢٧٩	Alvin Plantinga	آلفن بلانتينجا
٢٣٠	Alexander O'Barin	ألكسندر أوبارين
٢٧٢	Amanda Haftar	أماندا جفتار
٢٧	Amdokles	أمبدوكلس
٢٤٩	Ampedocle	امبيدوكل
١٠٤	Emile Putro	إميل بوترو
٢٧	Anaxaguras	آناكساغوراس
٢٩	Anaximander	أناكسيماندر
٢٤٩	Inbaskels	إنبادوقلس
٩٥	Anthony Flo	أنتوني فلو
٢٤٣	Antonio Lascano	أنتونيو لازكانو
١٨	Inglis	إنجلز
١١٢	Andrew Conway Iggy	أندرو كونواي إيغي

٢٧٥	Andre Lenda	أندري لنده
٢٤٣	Andy Knoll	أندي نول
٢٣٦	Anthony Van Levenhoek	أنطوني فان ليفينهوك
٢٩	Inquisemans	انكيسمانس
٢٦٦	Odin Hubble	أودين هابل
٢١٤	Erasm Drouin	إيراسم دروين
٢١	Emmanuel Kant	إيمانويل كانط
١١٣	Babbage	بابيج
١٨٤	Baconin	باكونين
٧٨	Barzelios	برزيلوس
١٩	Blanc	بلانك
٢٤٤	Buchner	بوخنر
٢٥٢	Peter Atkins	بيتر آتكينز
٢٠٤	beron	بيرون
١٨٢	Trotsky	تروتسكي
٢١٥	Thomas Robert Malthus	ثوماس روبرت مالثوس
٢٣٠	J.P.S. Holden	ج. ب. س. هولدين
٣٧	Gaston Bachlar	جاستون باشلار
٣٢	Jasandi	جاسندي
٣٦	Jack Dreda	جاك دريدا
٢٤٤	Jack Munod	جاك مونود
٢٦٠	Jim Switzer	جم سويتزر
٢٦١	George Smoot	جورج سموت
٢٣٤	George Wald	جورج والد
١٢٢	Joseph Brewer	جوزيف بروير
٦٠	Julian Huxley	جوليان هكسلي
٢٥١	John Polkinghorne	جون بولكينجهورن
٣٣	John Toland	جون تولاند

۳۵	Jon Stewart Mill	جون ستیوارت میل
۷۸	John Kimini	جون کیمینی
۲۴۳	John Maddox	جون مادوکس
۲۳۷	John Needham	جون نیدهام
۸۴	John Herman Randall	جون هیرمان راندال
۲۴۳	Gerald Schroeder	جیرالد شرویدر
۸۷	James Conant	جیمس کونانت
۳۲	Geodanopronu	جیودانوپرونو
۳۳	Danny Diderot	دنی دیدرو
۲۵۱	Dulbak	دولباک
۳۳	David Hartley	دیفید هارتلی
۲۱	Descartes	دیکارت
۲۶۹	Denis Shyama	دینیس شیاما
۲۷۳	Russell Stannard	راسل ستانارد
۲۳۹	Russell Charles Ernst	رسل تشارلز ارنست
۱۱۳	Robert Boyle	روبرت بویل
۲۷۰	Robert Wilson	روبرت ویلسون
۳۸	Roger Jarudi	روجیه جارودی
۱۰۵	Reboa Raymond	ریبوا ریموند
۲۳۰	Richter	ریشتر
۳۰	Zoroaster	زرادشت
۱۰۵	S.A. Finelove	س.ا. فاینلوف
۱۴۵	San Simon	سان سیمون
۲۳۷	Spalanzani	سبالانزانی
۳۴	Spencer	سپنسر
۵۳	Stalin	ستالین
۲۷۳	Stephen Hawking	ستیفن هوکینج
۲۴۴	Stuart Kaufman	ستیوارت کوفمن

۲۷	Socrates	سقراط
۱۰۸	Soren Loftrop	سورين لوفتروب
۱۰۳	Sumerst Wax	سومرست موم
۲۴۶	Charles Eugene G	شارل اوجين جي
۳۸	Chernishowski	شرنيشوسكي
۸۰	Schrodinger	شروڊنجر
۲۰۴	Shaftsiri	شفقتسيري
۲۹	Thales	طاليس
۲۸۴	Goodell	غودل
۱۱۳	Faraday	فاراداي
۷۷	Vanevarbosch	فانيفاربوش
۴۵	Fatganstein	فتغانشتاين
۳۲	Francis Bacon	فرانسيس بيڪون
۶۷	Francis Collins	فرانسيس ڪولينز
۲۳۶	Francisco Reddy	فرانسيسڪو ريڊي
۲۷۸	Frank Close	فرانڪ ڪلوز
۳۵	Frederic Nietzsche	فريڊريڪ نيتشه
۲۶۶	Friedman	فريڊمان
۲۳۵	Felix Archimides Bouchet	فليڪس اَرشميڊس بوشيه
۲۰۴	Voltaire	فولتير
۲۵۳	Victor Stings	فيڪٽور سٽينجز
۲۲۲	Carl Boyer	ڪارل بوير
۹۶	Carl Pearson	ڪارل بيرسون
۱۸۰	Carl von Savini	ڪارل فون سافيني
۹۹	Kelvin	ڪلفن
۷۳	Laplace	لابلاس
۲۵۴	Lafaoisier	لافوازييه
۱۷۶	Lang	لانج
۲۰۴	Leibniz	لايبنتز

٣٨	Ludwig Feuerbach	لودفيغ فيورباخ
٨٥	Lawrence Krauss	لورانس كراوس
٢٨	Lucepos	لوقيوس
٢٩	Lucrecios	لوكريشيوس
٦٦	Lester McGrat	ليستر ماكغرات
٢٠٤	Lising	ليسينغ
٦٤	Likont de New	ليكونت دي نوي
١٨	Lenin	لينين
٢٦٥	Martin Rees	مارتن ريس
٧٨	Max Bourne	ماكس بورن
٢٧٢	Max Tigmark	ماكس تيغمارك
١١٣	Maxwell	ماكسويل
١١٣	Mandel	مندل
٣١	Nicholas Copernicus	نيكولاس كوبرنيكوس
٤٥	Hans Reichenbach	هانز ريشنباخ
٧٩	Heisenberg	هايزنبرج
٢٦٦	Heinrich Opplers	هاينريش أوبلرز
١٢٣	Herzl	هرتزل
٢٩	Hercules	هرقليطس
٣٨	Helphsius	هلفسيوس
٢٣٠	Helmholtz	هلمهولتز
٢٧٢	Hugh Everett	هيو إيفيرت
٨٤	Hume	هيوم
٢١٨	Wiseman	وايزمان
٧١	Wayne Ault	واين أولت
٧١	William James	وليم جيمس
٢٦١	.william ro	ويليام رو
٢٣٩	William Harvey	ويليام هارفي
٢١٣	Yusif Karam	يوسف كرم
١٣٢	Young	يونج

ثانيًا: فهرس الأماكن

١٦٧	Ebenal إبينال
١٨٣	Soviet Union الاتحاد السوفيتي
٢٣٧	Chamonix شامونيكس
٢٣٦	Schofield شفيدل
٣٦	Gutingen غوتينغن
١٢١	Vienna فيينا
١٤٥	Montpellier مونتيليه
٢٧٢	New Jersey نيو جيرسي

ثالثاً: فهرس المصطلحات والكلمات الغربية

٢٣.....	إبستمولوجيا
٢٨.....	الأبيقورية
٩٩.....	الأثير
٢٦٥.....	الأجرام السماوية
٢٣٢.....	الأحياء البكتيرية.
٢١٣.....	آسن.
١٨٤.....	الاشتراكية الفرنسية
١٩.....	الإشعاع
٢٧١.....	إشعاع الخلفية الكونية الميكروي.
٣٠.....	الإغريق
٢٧٦.....	أفق الجسيم
١٨١.....	الاقتصاد السياسي
١٩٣.....	الإقطاع
٩٨.....	الالكترونيات
٢٣٣.....	الأمميا
٣٥.....	الانتخاب الطبيعي
١٢٦.....	الأنثروبولوجيا
٢٣.....	أنطولوجيا
١٢٢.....	الإيحاء
١٥.....	البداهة
١٨١.....	البرجوازية
٢٣٦.....	بروتوبلازما
٩٨.....	البروتونات
٢٣٩.....	البروتينات.
١٨٠.....	البروليتاريا
٤٨.....	البيولوجيا
١٢٣.....	التابو
١٩٤.....	تأمين مصادر الثورة
٨٥.....	التجريد

٢٣٥	التخمير
٤٨	تليسكروب
١٢٢	التتويم المغناطيسي
٢٦٣	التوازن الترموديناميكي
٢٧١	الثقوب السوداء
١٥	الثائية
٢٣	الثورة الصناعية
١٧	الجاببية
١٦٨	جسوء
١٢٣	جمعية بناي برث
٥٩	الحيئات
٢٢١	الجنوم
٢١٥	الجيولوجيا
٣٢	الحدائة
١٣١	الحدود
٤٠	الحركة
٢٢٠	الحفريات
٢١٧	الحمض النووي
٨٣	الخرافة
٢١٣	الخلية
٢٥٨	الديناميكا الحرارية
٢٧٢	الذبذبة
١٨	الذرة
١٨٦	الرأسمالية
٢٠	الرواقيون
١٦	الروحية
٢٢٠	الزائدة الدودية
٢٥٢	الزمكنان
١٢٣	السامية
٧٣	السببية
٥٠	السديم

٧٩.....	سرعة الضوء
٢٧.....	السفسطائية
٢٤٦.....	السنة الضوئية
١٧٦.....	السوسولوجيا
١٣٠.....	السيكولوجيا
٩٩.....	الشحنة الكهربائية
١٢٤.....	الشعور عند فرويد
٢٧٦.....	شفرة أوكام
٢٢٩.....	الشُّهب
١٨٠.....	صراع الطبقات
٢٤٦.....	الصفير المطلق
٢٠٣.....	صكوك الغفران
١٧.....	الصنو
٣٦.....	الصهيونية
١٩١.....	السيرورة
١٩.....	الطاقة
٢٦٣.....	الطاقة الحرارية
٢٦٢.....	الطاقة الميكانيكية
١٤.....	الطبيعة
٢١٨.....	الطفرات
١٢٣.....	الطوطم
١٢٨.....	العصاب
٣٣.....	عصر التنوير
١٦٠.....	العصور الوسطى (القرون الوسطى)
١٢١.....	عقدة أوديب
٣٧.....	العقلانية
٢٢١.....	علم الوراثة
٢٣٠.....	الغلاف الجوي
١٧٣.....	غوغاء
١٩٤.....	فائض القيمة
٥٢.....	الفرضية

٢٨.....	الفضاء
١٨٣.....	الفلسفة الكلاسيكية العقلية الألمانية
٨١.....	الفوتونات
٩٩.....	الفيروسات
١٩٨.....	الفيزياء الذرية
٣٥.....	الفيزياء الكلاسيكية
٢٢.....	الفيسيولوجيا
٢٨٤.....	القوة النووية الضعيفة
٢٨٥.....	القوة النووية القوية
١٧٧.....	القومية
١٣٠.....	القياس
١٤٥.....	الكاثوليك
٢٢٠.....	الكائنات الأولية
٢٥٠.....	الكثافة
٨٢.....	الكلاسيكية
٩٨.....	الكلبات
١٩٦.....	الكم
٢٤١.....	الكهرومغناطيسية
٢٦١.....	الكوسمولوجيا
١٩.....	الكون
٢٥٠.....	الكون المتمدد
١٩٦.....	الكيف
٣٠.....	اللاأدرية
١٢٤.....	اللاشعور
٢٦٦.....	اللامتناهي
٢٦.....	اللاهوت
٢١.....	اللذة
١٢٨.....	الليبيدو
٢٣٣.....	مادة غير عضوية
١٨٢.....	الماسونية
١٨.....	الماهية

١٢٣ مبدأ اللذة
١٦ المثالية
٥٠ المجرات
٢٥٨ المجرات الحلزونية (القرصية)
١٢٠ المدرسة السلوكية الجديدة
١٢٠ المدرسة الغرضية (القصدية، الهورمية)
١٤٥ المدينة الفاضلة
٣٢ المذهب التجريبي
١٤ المذهب الميكانيكي
١٤ المذهب الديناميكي
٤٧ المركب العضوي
٢٥٨ المفردة (الفردنة)
٦٦ مليار
٨١ الموجات
٢٠ الميتافيزيقيا
٧٩ ميكانيكا الكم
٩٩ الميكروبات (الجراثيم أو الكائنات المجهرية)
٣٦ النازية
٥٦ النظرية النسبية
٢٢٩ النيازك
٣٦ النيتشوية
٢٠٠ الهيدروجين
٢٦٩ الهيليوم
١٥ الهولي
١٧ الواقعية
٢٠١ الوحدة الحرارية